القصص
في الحديث النبوي
دراسة فنية وموضوعية



في سبيل أدب إسلامي

# القصص في الحديث النبوي

## دراسة فنية وموضوعية

الدكتور محمد بن حسن الزير
أستاذ الأدب العربي المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثالثة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

( رخصت المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام هذا الكتاب
برقم ١٩١٢ م فى ٢٨ / ٩ / ١٣٩٨ هـ ووافقت على إعادة
طبعه برقم ٥٨٤٥ م فى ٢٨ / ٨ / ١٤٠٤ هـ )

**الطبعة الأولى : ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م**
**الطبعة الثانية : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م**
**الطبعة الثالثة : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م**

**حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف**

يطلب الكتاب من المؤلف على العنوان الآتى :

**د. محمد بن حسن الزير**

الرياض ١١٥٨٣ ص.ب ٥٣٢٦٩ ت : ٤٢٥٨٦٦١

# الإهداء

إلى من قص الله عليه أحسن القصص[1]

إلى من أمره الله بأن يقصص القصص لعلهم يتفكرون[2]

إلى الذى "لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق... وألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام...."[3]

إلى من أنطقه الله بروائع الكلام، وألهمه أفنان البيان هُدى من الهدى .... ونوراً من النور.

إلى الذى ما نطق عن الهوى... إن هو إلا وحى يوحى[4].

إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" الذى هدانا الله به إلى الحق وإلى الطريق المستقيم....

أهدى هذه المحاولة فى قراءة النصّ النبوى ودرسه، دليل حبّ وانتماء... ورجاء توفيق واهتداء.

---

١- قال تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص" يوسف ٣

٢- قال تعالى "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" الأعراف ١٧٦

٣- الجاحظ، البيان والتبيين، بتحقيق عبد السلام هارون ٢/ ١٧

٤- قال تعالى، "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى" النجم ٣، ٤

# من كلمات الأستاذ الدكتور يوسف خليف عن الرسالة

أشارك الأستاذ الزميل الدكتور أحمد الحوفى إعجابه بهذه الرسالة ، وسعادته بها ، وتقديره لها . لقد سعدت بهذه الرسالة سعادة كبيرة ، سعدت بموضوعها الذى يتصل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعدت بصاحبها فتى الجزيرة العربية القادم من نجد . وأنا ونحن جميعاً نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أحب الجزيرة العربية ، وأحب نجداً ، وأحب كل من يأتى من هناك وكل ما يتصل بهذه البيئة التى عشت فيها حياتى العلمية ، واتصلت فيها بكل التراث الذى أعتز به ، وأعيش له .

الرسالة محاولة جادة مخلصة ، وجهد كبير يحاول الوصول إلى الحقيقة ، وقد بذل الطالب فى سبيلها جُهْداً ضخماً ، يقدّر له ، وتكلّف من أجلها كثيراً من المشقات والعناء ، وتحمل تبعة ثقيلة ، استطاع أن ينهض بها فى قدرة وبراعة تستحق التهنئة .

الموضوع حساس ، ومثير وطريف وجديد . وقد استطاع الطالب ببراعة أن يجتاز حواجز الحساسية وأن يقف من الموضوع موقفاً علميّاً موضوعيّاً ، وأن يصل فيه إلى كثير من النتائج الطيبة التى تعدّ نتائج جديدة فى دراسة الأدب العربى ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأشهد أننى حين عرض علىّ أمر هذه الرسالة ، وكنت على صلة قديمة بهذا الموضوع ، أشفقت على الطالب من الموضوع ، وأشفقت على الموضوع من الطالب ؛ أشفقت على الطالب الناشئ من أن يحمل أعباء هذا الموضوع الحساس الجديد ، وأشفقت على هذا الموضوع بما فيه من حساسية ، وبما فيه من صعوبة ، وبما يحتاج إليه من دقة ، أشفقت عليه من الطالب ، أن يتطرق إلى شيء ننكره عليه أو أن يندفع فى أمر لا نطمئن إليه ، وبدأت أقرأ الرسالة على حذر فى ظل هذه الخشية ، وهذا الإشفاق ، ولكننى لم أكدْ أمضى فيها حتى بدأت الخشية تتلاشى ، وبدأ الإشفاق يختفى ، فلم أعد أخشى شيئاً على الطالب

من الموضوع ، ولم أعد أخشى شيئاً على الموضوع من الطالب ، وأيقنت أن الموضوع فى يد أمينة مؤمنة ، وأن الطالب قادر على النهوض به والقيام بحاجاته العلمية ، ثم لم أكد أنتهى من الرسالة حتى أخذ سؤال يلح علىّ إلحاحاً شديدا وهو سؤال سيترتب عليه تقليد جديد .

سألت نفسى إذا كانت الرسالة طيبة واستطاع صاحبها أن ينهض بها وأن يفى بحاجاتها ، ففيم المناقشة ؟ لماذا نناقش طالباً فى رسالة استطاع أن يحقق لها كل ما نرجوه ؟ .

إن التقليد الجامعى جرى على أن تعقد هذه المناقشات ، وفرض علينا هذا التقليد ؛ أن ننتقد دائماً أى رسالة تقدم إلينا ، ولكنّى سألت نفسى لماذا نحاول دائماً أن نتلمس عيوباً فى أى بحث يقدم إلينا . لماذا نحاول أن نجد شيئاً نأخذه على رسالة تقدم إلينا ، لماذا لا نضع تقليداً جديداً للمناقشة فنقول إن الرسالة طيبة وليس فيها ما يستحق المناقشة ، وكفى الله المؤمنين القتال ؟ .

ظلت هذه الفكرة تلح علىّ منذ أن انتهيت من الرسالة إلى أن حضرت إلى هنا ، ثم رأيت إطاعة للزميل الكبير الأستاذ الدكتور الحوفى أن أناقش بعض المسائل فى هذه الرسالة بعد أن أعلن أنه لابد من المناقشة .

الهدف من رسالة الماجستير هو أن يثبت الطالب قدرته على البحث ، والهدف من رسالة الدكتوراة أن يضيف الطالب جديداً إلى العلم . والحق أن هذه الرسالة استطاعت أن تحقق الهدفين ؛ أثبتت قدرة الطالب على البحث العلمى من ناحية ، وهو ما نطلبه من رسالة الماجستير ، وأضافت جديداً إلى العلم وهو ما نطلبه فى رسالة دكتوراة . وأعترف أن الرسالة حققت الهدفين ، أثبت الطالب قدرته على البحث العلمى ، وقدمت الرسالة بموضوعها الجديد المثير الطريف إضافة لا شك فيها إلى العلم .

ومن قبل كانت هناك دراسات عن القصّة فى الحديث النبوى ، ولكنها لم تحقق الصورة المثلى التى كنّا نرتجيها له ، وظل الموضوع فى حاجة إلى بحث جديد ، يتسم بالعلمية والموضوعية ؛ ليحقق شيئاً مفيداً وجديداً فى هذا الموضوع .

مراجع الرسالة كافية ، وتغطى جوانب الموضوع المختلفة ، واستخدام المراجع والمصادر يجرى على الأسلوب العلمى الصحيح ، وقد أثبت الطالب أمانة فى استشارتها وقدرة على الانتفاع بها ، ودقة فى استخدامها ، واستطاع أن يجمع من هذه المصادر والمراجع الكافية التى غطت جوانب الموضوع مادة علمية كبيرة ، أحسن الانتفاع بها ، وأحسن عرضها ، ومناقشتها ، والانتهاء منها إلى نتائج طيبة .

الطالب يتمتع بقدرة واضحة على الجدل والمناقشة وهى ظاهرة فى كل فصول الرسالة ، ويتمتع بقدرة أيضا على الفصل فى المشكلات ، والاعتدال فى الأحكام .

والرسالة الطيبة من الناحية العلمية ، أو البحث الجيد من الناحية العلمية ، هو البحث الذى يتحول الموضوع فيه إلى عدد من المشكلات ، تثار لتحل ، وهذه ظاهرة واضحة فى الرسالة ، وقد استطاع صاحبها أن يتحول بموضوعه إلى مجموعة من المشكلات أثارها وحاول حلّها ، ووفق فى كثير من محاولاته .

فى الرسالة فصول طيبة ، تلفت النظر ، وتستدعى الإعجاب ، وأخص بالذكر الفصل الثانى منها ، الذى درس نسيج القصة النبوية فهو فصل ممتاز حقّاً ، وأنوه بالإحصائيات الرياضية التى صنعها فى الرسالة ، التى قام بها فى الرسالة ، والتى يسرها له الدليل التفصيلى للقصص النبوية ، الذى ألحقه بآخرها ، وهو دليل انتهى به إلى هذه الإحصائيات ، وهى إحصائيات انتهت به من ناحية أخرى إلى ما شبه اليقين الرياضى الذى يعد أعلى درجات اليقين فى أى علم من العلوم . النتائج مطمئنة إلى حد كبير .

د. يوسف خليف

# تقديم

يفتح هذا البحث آفاقاً رحبة فى أدب النبوة خاصة وفى الأدب الإسلامى والعربى بصفة عامة .

فلم يكن يعرف أحد – من قبل أن يتصدى الباحث محمد بن حسن الزير للموضوع – أن أدب رسول الله ﷺ قد اهتم بفن القصص كل هذا الاهتمام ، وبهذا القدر من الإبداع الفنى وسيلة ناجعة فى التعليم والتربية ، وأسلوباً فنياً ناجحاً فى التوجيه والتسديد لجماهير المسلمين فى كل مكان وزمان .

وكثيراً ماقرأنا ولا زلنا نقرأ عن افتراضات واقتراحات ومحاولات كثيرة للرد على سؤال نجم لدى اتصالنا بالآداب الأوربية فى العصر الحديث ، وهو : لماذا لم يعرف الأدب العربى فنون الأدب الدرامية من مسرح وملحمة وقصة أو رواية ؟

وكان هذا السؤال يثير عجبنا كما كانت تثيره محاولات الرد عليه آناً بأن العرب الساميين يختلفون عقولا واعتقاداً وطبيعة عن الآريين من يونان وغير يونان ، وآناً بأن المسلمين فى بساطة عقيدة التوحيد وصفائها لم يعرفوا ماعرفه اليونانيون المشركون من تعدد الآلهة وتنازعها وصراعها وتدخلاتها فى مجريات الأمور على الأرض للانتصار لفريق على فريق آخر يحظى برعاية إله آخر ! وآناً بأن غنائية الشعر العربى وصخب جرسه وقيود نظمه عاقت الشاعر العربى عن أن يرتاد هذه الفنون الدرامية الراقية !

وكان هذا يذكرنى بسؤال آخر تصديت ذات يوم للإجابة عنه فى مقتبل الشباب ببحثى عن الشعر فى عصر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام الذى أنجزته بإشراف أستاذى الدكتور شوقى ضيف .

وهذا السؤال كان مطروحا – من قبل المستشرقين – على هذا النحو العجيب الذى تسلم فيه مقدمات مغلوطة إلى نتيجة مغلوطة : والمقدمة الأولى تقول إن الشعر ظل فى عصر صدر الإسلام ثابتاً عند موضوعاته ومعانيه القديمة وأن الإسلام لم يخلف فيه آثاراً واضحة إلا بعض خيوط ضئيلة مبثوثة فى قصائد شعراء المدينة أما من وراءهم من شعراء نجد وغير نجد فقد ظلوا لايتحولون ولا ينحرفون بأشعارهم عن صورة الشعر الجاهلى وما عبر عنه من مشاعر وأحاسيس وأفكار وأخيلة .

والنتيجة أن الشعراء حينئذ لم يمس الإسلام قلوبهم ولا نفوسهم مع تحولهم من الحياة الوثنية المادية إلى حياة الدين الحنيف الروحية ومع تلاوتهم للقرآن الكريم ومايصور من عظمة الله وجلاله ومع استئصال الإسلام لما كان فى حياتهم من رذائل وآثام ، ومع إحيائه لضمائرهم واستشعارهم مراقبة الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ومع تبتلهم إليه وعباداتهم ورفضهم لعرض الدنيا الزائل انتظاراً لما عنده من النعيم الدائم ومع جهادهم فى نشر الإسلام وبذل أرواحهم فى سبيله مخلصين صادقين ، وفى ذلك مخالفة صريحة لطبائع الأشياء (راجع مقدمة أستاذى للبحث الآنف الذكر ص ٥ – الدار القومية – ١٩٦٥) ، ولا شك فى أن هذه المقولة مؤسسة على مقولة أخرى تذهب إلى أن الإسلام كف العرب عن الشعر بفتوحاته بعد أن شغلهم عنه بالقرآن الكريم . وهذا كله مرده إلى أنهم لم يطلعوا اطلاعاً كافياً على مادة هذا الشعر الذى أنتجه صدر الإسلام ولا أحاطوا بها إحاطة دقيقة .

لذلك كنت سعيداً وأنا أرى أخى السيد محمد بن حسن الزير فى مقتبل شبابه يسعى بفكر مستنير وبوعى حكيم وفى إيمان جم للنهوض بشرف الكشف عن فن رسول الله ﷺ فى أدبه الكريم الشريف والإبانة عن وسائله وخصائصه

القصصية على وجه الخصوص ، بعيداً عن التحمس العاطفى ، وملتزماً منهجاً علمياً دقيقاً . وكان أقرب ما يكون إلى هذا النهج عندما قدم دليلا مادياً وحيداً أغنى عن أدلة كثيرة على صواب تصوره وأهمية كشفه تبعاً لذلك ، ذلك الدليل هو تلك النصوص القصصية الكثيرة التى تذخر بها السنة النبوية الشريفة الصحيحة . والتزم الباحث غاية الالتزام لتحقيق هذا الدليل بمصادر أصيلة وصحيحة من أمهات الحديث الكبرى هى الصحاح الست ، وسنن الدارمى ، ومن بين أيديها موطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، فاستتم له توثيقاً تسع وثلاثون ومائة قصة ؛ مهد لدراستها باستعراض دقيق لتطور الفن النثرى عند العرب إلى ظهور الإسلام مناقشاً ذلك السؤال الذى يثير العجب .. هل عرف العرب القصة ؟ أى هل عرفها المسلمون ؟ ثم أخذ يخضع مادته للدرس العلمى الدقيق مجيباً عن سؤال كبير عن تحقق البنية العامة للقصة فى ماوثقه من النصوص ؟ وراح من ثم يدرس نسيج القصة النبوية وعناصرها الفنية وأنواعها وموضوعاتها ، وبعد أن أبان ماهيتها طفق يكشف عن مهمتها ووظائفها وأنهى بحثه القيم بتصور دقيق للمنهج الإسلامى فى الفن القصصى من خلال تلك النصوص الشريفة .

والدراسة بذلك تفتح صفحة جديدة فى مباحث الفن الإسلامى بعرضها لأول مرة أدب رسول الله القصصى ودراسته دراسة علمية فاحصة تكشف عن مقوماته وخصائصه وتوصل منهجاً إسلامياً فيه ، وحسبها أنها أجابت بالدليل الحاسم على هذا السؤال العجيب ولفتت الأذهان والأبصار إلى هذا الفن العظيم من فنون القول الكريم وهى خطوة ستتبعها خطوات للدارس على هذا النهج القويم فى خدمة الإسلام والتعريف بحضارته وفنونه ، وقد استطاع هذا الدارس الواعد أن يحمل أساتذته فى كلية الآداب بجامعة القاهرة على أن يمنحوه درجة الماجستير فى الآداب بتقدير ممتاز أرفع ألقاب النجاح .

وأنا كمشرف على هذه الدراسة أهنئه أخلص التهنئة بما بذل فى بحثه من جهد علمى خصب ، وما أدرك من فوز جدير به ، وانتظر منه بتوفيق الله وهداه أن ينفع الله به وأن يسدد خطاه .

د. النعمان القاضى

## المحتوى


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| **المقدمة** | ١٩ – ٣٧ |
| ١ – أهمية الموضوع ودوافع اختياره ........................ | ٢٠ |
| ٢ – منهج البحث فيه ........................ | ٢٣ |
| ٣ – مصادره ومراجعه ........................٢٦ | |
| **تمهيد** | ٣٩ – ٨٦ |
| ١ – العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم ........................ | ٤١ |
| ٢ – أثر الإسلام فى المجال الأدبى ........................ | ٥٥ |
| ٣ – الفنون النثرية الإسلامية بخاصة القصة ........................ | ٦٠ |
| **الفصل الأول** : البنية العامة للقصة ........................ | ٨٧ – ١٦٠ |
| **الفصل الثانى** : نسيج القصة ........................ | ١٦١ – ٢٢٨ |
| **الفصل الثالث** : العناصر الفنية ........................ | ٢٢٩ – ٣٢٩ |
| **الفصل الرابع** : أنواع القصة النبوية ........................ | ٣٣١ – ٣٧٢ |
| **الفصل الخامس** : موضوعات القصة ........................ | ٣٧٣ – ٤٢٣ |
| **الفصل السادس** : أغراض القصة ........................ | ٤٢٥ – ٤٦٠ |
| **الفصل السابع** : الإسلامية فى منهج القصة الفنى ........................ | ٤٦١ – ٤٨١ |
| **دليل القصّة إلى مصادرها** ........................ | ٤٨٣ |
| **خاتمة البحث** ........................ | ٤٩٩ |
| **الفهارس** : ........................ | ٥١٥ – ٥٧١ |
| ١ – فهرس للآيات القرآنية . | ٥١٧ |
| ٢ – فهرس للقصص فى البحث . | ٥٣١ |
| ٣ – فهرس للمصادر والمراجع . | ٥٤٥ |
| ٤ – فهرس تحليلى عام لموضوعات البحث وقضاياه الجزئية . | ٥٦١ |
| ملخص البحث بالإنجليزية | ٥٧٧ |

# المقدمة

- أهمية الموضوع ودوافع الاختيار
- منهج البحث فيه
- مصادره ومراجعه

# المقدمة

( ١ )

يجد المطالع المتأنى لتاريخ الأدب العربى القديم . وبخاصة على الطريقة المدرسية أن الفنون النثرية الأدبية فى ذلك التاريخ لا تخرج عن نطاق الخطابة ، والكتابة ، والوصايا ، والحكم ، والأمثال ، ونحو ذلك . وهذا واضح فى التاريخ للأعصر الأولى كالعصر الجاهلى . والإسلامى . ولاشك أن ذلك التاريخ للأدب العربى – فى فنونه النثرية بخاصة – كان قاصراً عن استيعاب ذلك الأدب تاريخاً ، ودراسة ، وتعمقا فى جوانبه المختلفة من شعر ونثر .

وقد كان من الجوانب الحيوية التى تخلفت الدراسة الأدبية عنها ، العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم ، وبخاصة فى النثر العربى القديم ، مع أن ذلك التراث حافل بأشكال قصصية كثيرة ومتنوعة ، ونحن لانستدل على ذلك بالدعوى النظرية التى تقول إن العرب يمكلون الموهبة القصصية انطلاقا من أنهم بشر يشتركون مع غيرهم من بنى الإنسان فى الوجدان الإنسانى النازع بطبعه إلى القصة . ولكن هناك دليلا واحداً يغنى عن أدلة كثيرة ، ويدعو بإلحاح إلى الاهتمام بهذا الجانب المهم فى أدبنا العربى القديم ، ذلك هو هذه النصوص القصصية الكثيرة التى تزخر بها مصادر تراثنا الأصيل ، وحسبنا بمصادر التراث العربى كثرة وتنوعاً ، ثم هى قبل ذلك وبعده مصادر موثقة شديدة التوثيق ، ممايؤكد أن العرب مارسوا الشكل القصصى بطريقتهم الخاصة ، يشهد على ذلك أيضا لغتهم التى تحوى فى معجمها الألفاظ الدالة على معنى القصة ، ولقد جاء القرآن الكريم حافلا بألوان متعددة من القصة ، ومن المعروف البدهى أن القرآن الكريم قد جاء على طريقة العرب فى التعبير ، وفوق

ذلك كان القرآن ينفى أنه من قبيل أساطير الأولين ، ممايدل على معرفة العرب للأساطير ، وقد كان النضر بن الحارث يجلس يقص على كفار مكة قصص الملوك وأخبار الماضين مريداً بذلك مواجهة أحاديث النبى ﷺ ومجالسه .

والحديث النبوى الشريف ، وهو فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم فى البيان العربى ، جاء زاخراً بالنصوص القصصية الكثيرة مما تمتلىء به كتب الأحاديث التى تحتل مساحة واسعة فى المكتبة العربية الإسلامية ، وهى نصوص لاتزال تنتظر الدراسة الجادة ، التى تتناولها من الناحية الفنية .

ودراسة العنصر القصصى فى الأدب النبوى ، ناحية مهمة جدا ، ذلك أنها تتناول قضية القصصية فى أدبنا العربى ، تلك القضية التى تثير جدلا طويلا حول ماهية القصة فى الأدب العربى ، أيعرف الأدب العربى القصة أم لا ؟ وإذا كان يعرفها بشكل ما أفذلك الشكل له تأثيره فى حاضر القصة العربية الحديثة ؟ أم أن هذه القصة الحديثة إنما هى تعبير عن الأثر الأوروبى ، وأنها أثر وافد قلباً وقالباً ، شكلا وموضوعاً ، والواقع أن مثل هذه القضية لايجدى فيها الكلام العاطفى المتحمس الذى يأتى بعيداً عن الدراسة المتقصية المتعمقة ، إنها قضية فى حاجة إلى مواجهة موضوعية بالدرس المتأنى ، إذ يجب قبل أن يقال إن القصة الحديثة متأثرة بتراث العرب القصصى ، أو غير متأثرة ، أن تثبت القصة العربية وأن تدرس . ولاشك أن دراسة القصة فى الحديث النبوى إسهام فى سبيل استكشاف جاد لعنصر القصة فى النصوص العربية الأصيلة .

وتأتى أهمية البحث فى موضوع القصص فى الحديث النبوى ، من ناحية أخرى ، من أنه يدرس نصوصاً تمثل القمة الثانية من الناحية الفنية فى النثر الفنى العربى بعد القرآن الكريم ، ولاتنتهى أهمية الموضوع عند هذا الحد وكفى ، ولكنها تتجاوز ذلك إلى أن هذه النصوص التى تناولتها الدراسة نصوص حظيت بعناية كبيرة من جهة التوثيق والتحقيق ، وهى عناية لاتزال ذروة لا تطاول فى

هذا الصدد ، والموضوع بعد ذلك جديد كل الجدة لم تتناوله الأقلام – فيما أعلم – بالبحث الشامل المتعمق ، فضلا عن دراسته فى رسالة علمية جامعية .

ولقد يسأل سائل هنا وما المراد بالقصة فى هذا المقام ؟ أهى القصة الحديثة بكل مقوماتها ؟ أم هى القصة فى مدلولها العام ، التى يتحقق فيها العنصر القصصى المميز لها عن فنون النثر الأخرى ؟ ولاشك أننا قطعاً لا نريد القصة بمفهومها الحديث ، ولا بما ارتبط بهذا المفهوم من دلالة متطورة ، ولكننا نعنى بها ما نجده من نصوص قصيرة أو طويلة نوعا ما ، يتحقق فيها المدلول العام لفن القصة ، بحيث يأتى النص القصصى مصوراً لحدث متكامل له بداية ووسط ونهاية . ولكن هل هذه النصوص فى شكلها وطريقة بنائها تأتى فعلا على نمط قصصى ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل هذا النمط القصصى يستحق أن يدرس ؟ وهل له خصائص وسمات فنية تجعله جديراً بالدراسة والتقصى ؟ وهل ستثمر دراسته بنتائج علمية ذات أهمية فى المجال الأدبى والفنى ، يمكن أن تعود بنفع ما على تاريخ الأدب العربى ، أو أن تضيف جديداً على عطائه وإمكاناته ؟ إنها أسئلة كثيرة وكبيرة يثيرها تناول مثل هذا الموضوع الحيوى ! ولاشك أنه من الأجدر ألا أحيل هذه المقدمة إلى ساحة من ساحات البحث ، فأسارع فيها بالإجابة ، وأن أكتفى بما ستقدمه فصول البحث التالية من إجابات وافية على مثل هذه التساؤلات !

وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع : « القصص فى الحديث النبوى » أسباب عدة حفزتنى على الإقدام عليه ، لعل بعضها قد أشرت إليه ضمنا فيما سلف من كلام ، وهى دوافع يبدو لى أنها تنحصر فى دائرتين :

**١ – موضوعيـة :**

( أ ) أن قضية القصة ، أو العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم ، قضية يجب أن تدرس وبشكل محدد ودقيق ، والدراسة المثمرة فى الغالب هى التى تقتصر على جانب واحد من جوانب القضية ، وقد رأيت أن موضوع : « القصص فى الحديث النبوى » يمثل جانباً واحداً من الأدب العربى ، ثم إنه جانب مهم وحيوى .

( ب ) اقتناعى التام بأن هذا الموضوع فى حاجة إلى دراسة تعالج قضاياه وفق منهج علمى سديد ، وذلك بأن يكون موضوع رسالة علمية جامعية تحت إشراف علمى يسدد خطوات البحث فيه ، ويضىء السبيل أمامها ، ويقوم مايمكن أن تقع فيه من أخطاء .

( جـ ) ثم إنه موضوع لم يدرس بعد ، مع أنه حافل بالنصوص الكثيرة جدا ، مما يدفع الباحث فيه إلى المضى فى هذا الطريق بكل ثقة .

**٢ – شخصية وعمليـة :**

( أ ) سبقت لى بعض المحاولات الأولية فى مجال القصة فى الأدب العربى القديم وقد بدت فى مرحلتين :

١ – كان يجب على طلبة السنة النهائية فى كلية اللغة العربية بالرياض ؛ وهى الكلية التى تخرجت فيها أن يقدم كل واحد منهم مشروعاً وقد أسند إلىّ وقتها جمع النصوص النثرية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين من خطب ورسائل ، ووصايا وعظات ، وحكم وأمثال ، وقصص ، وقد كان الجزء الأكبر

من ذلك المشروع نصوصاً قصصية ، وقد بلغت صفحات ماجمعته من نصوص ألفاً ومائة ورقة .

٢ - بعد تخرجى وتعيينى معيداً فى الكلية ، قمت بعمل بحث صغير بعنوان : « القصة الإسلامية فى عهد النبوة ، والخلفاء الراشدين نماذج ودراسة » ، وقد أوجدت تلك المحاولات البسيطة عندى اهتماماً ذاتياً بمثل هذا الموضوع .

( ب ) اهتمامى الشخصى بالدراسات الأدبية ذات الطابع الإسلامى .

( ٢ )

كان المنهج الذى سلكته فى معالجة هذا الموضوع ودراسة جوانبه هو تتبع نصوصه وجمعها ، ثم وصفها وصفاً تحليلياً ، فقد كنت أشعر وأنا أختار هذا الموضوع ، أن علىّ أن أواجه النص نفسه ، وأن أتعامل معه مباشرة ، ومن هنا كنت محتاجاً إلى أن أتتبع جميع النصوص ، وأن أرصدها من داخلها ، وأن أحللها إلى عناصرها الجزئية التى يتكون منها البناء القصصى فيها ، وفى سبيل ذلك حاولت عبر رحلة طويلة مع نصوص القصة النبوية التى جمعتها ، ومن خلال القراءة المستمرة فيها أن أرصد كل ظاهرة فنية أو خصيصة قصصية ، أو حالة من الحالات ، ما وجدت إلى ذلك سبيلا ، ومهما كانت تلك الحالة قليلة أو نادرة ، لكى أستبين فى النهاية الحجم الطبيعى لمثل هذه الحالة حسب ما تصوره كل من هذه الحالات التى تتوافر لدى ، فإذا رأيتها جديرة بالاعتبار أتحت لها أن تبرز على صفحات الدراسة ظاهرة أو خصيصة ، وإن كانت حالة نادرة أشرت إلى ذلك وعلى هذا المنوال حاولت أن أستجلى مافى هذه النصوص من خصائص وسمات نابعة من طبيعتها هى ، بعيداً عن هيمنة دلالات مصطلحات القصة الحديثة ، مع الحرص على أن يكون النص نفسه هو الموجه - دائماً ، إلى مقوماته وخصائصه ، وما ينطوى عليه من عناصر

وأسس ، ذلك أن القصة الحديثة اليوم شيء يختلف اختلافاً بيناً – تقتضيه طبيعة الأشياء ولا مجال لنفيه – عن قصة ذلك العصر المتقدم جداً ، وأنه من خطل الرأى وفساد المذهب أن نتجه للبحث عن سمات قصة اليوم وخصائصها فى الشكل القصصى الذى وجد فى أدبنا العربى القديم ، وهذا لا يعنى أبداً أن نغفل مابين النص القديم وما يتحقق فيه من عناصر قصصية تلتقى بصورة ما مع عناصر القصة الحديثة ، فحين أعثر على شيء من هذه العناصر والمقومات فى النص القصصى أتيح له فرصة كبيرة فى الظهور والبروز ، فأدل عليه وأسميه .

وقد تناولت موضوع القصة النبوية وفق خطة قائمة على تمهيد ، وسبعة فصول ، وملحق ، وخاتمة .

أما التمهيد فقد بحث فى قضايا عامة تخدم الموضوع وتصور الإطار العام الذى يحتويه ، فقد كان لابد قبل الدخول فى الموضوع المباشر من الإجابة على بعض الأسئلة المهمة، مثل : هل عرف العرب القصة ؟ وهل هناك أدلة مقنعة على ذلك ؟ وإذا كانت القصة النبوية لوناً نشأ فى العهد الإسلامى ، فماذا كان أثر الإسلام فى المجال الأدبى ؟ وماذا كان واقع الفنون النثرية فى ظل الإسلام وبخاصة القصة ؟ .

ولما كانت القضية التى أنا بصددها هى ناحية القصصية فى حديث الرسول ﷺ ، فقد كان السؤال الذى يجب أن تواجهه الدراسة منذ البداية هو هل تتحقق فى هذه النصوص البنية العامة للشكل القصصى ؟ هل لها هيكل عاميقوم على البداية والوسط والنهاية ؟ ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال عقدت الفصل الأول : « البنية العامة للقصة » ، ولكن إذا كانت هذه البنية الخارجية قد وجدت فهل هناك بناء داخلى يحقق لذلك الهيكل التلاحم والإحكام ؟ ، ومن هنا جاء الفصل الثانى : « نسيج القصة » ليجلى هذه الناحية ، ولكن هل ذلك

الهيكل القائم على هذا النسيج يحتوى على العناصر الفنية اللازمة لوجود الكيان القصصى من شخصية وحدث وحوار ؟ من أجل هذا السؤال جاء الفصل الثالث : « العناصر الفنية فى القصة » ، ومادامت هذه النصوص ذات شكل قصصى ، أثبته هذا الفصل ، فقد أمكن للبحث أن ينتقل إلى جوانب أخرى هى بمثابة الفرع ، بعد الأصل ، فهل لهذه القصة النبوية أنواع ؟ وجاء الفصل الرابع : « أنواع القصة » ليجيب على ذلك ، ثم ماموضوعات هذه القصص ؟ وما أفكارها ؟ ومن أجل هذا أتى الفصل الخامس : « موضوعات القصة » ، ثم هذه القصص بأنواعها ، وأفكارها لماذ وجدت ؟ ولأى شيء تهدف ؟ وهل كان لها أغراض محددة ، وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد أن يأتى فصل خاص عن : « أغراض القصة » ، وبعد فإن هذه القصص نصوص دينية نشأت فى ظل الإسلام ، والتزمت بمنهجه ، فكيف كان أثر الإسلام فى منهج القصة الفنى ولهذا كان لابد أن يأتى الفصل السابع : « المنهج الإسلامى فى فن القصة » ، ليلمح التصور الإسلامى الذى وجه تلك القصص فى مضمونها وفى تعبيرها .

وقد كانت تلك الفصول حصاد نصوص كثيرة منتشرة فى المصادر التى اعتمد عليها البحث انتشاراً واسعاً ، يدل عليه الدليل المفصل لواقع القصة فى مصادرها ، الذى ألحق بالرسالة ، ثم كان لابد لهذه الفصول نفسها من حصاد أيضا نهضت به الخاتمة فيما حددته من نتائج علمية .

ثم جاءت الفهارس التى حرصت فى منهجى على أن اقتصر فيها على ماكان شديد الصلة بموضوع البحث وخادماً له ، ولذلك اقتصرت على فهرس للآيات القرآنية ، بسبب كثرتها فى البحث ، ثم كان لابد من فهرس للقصة فى داخل البحث ، ثم فهرس المصادر والمراجع التى اعتمد عليها البحث ، وأخيراً جاء الفهرس التحليلى لموضوعات البحث وقضاياه الجزئية .

( ٣ )

يمكن لى أن أصنف ما استعنت به من مصادر إلى نوعين :

١ - مصادر أصيلة وهى التى استقيت منها النصوص القصصية ، واقتصرت فيها على أمهات الحديث الكبرى :

١) صحيح البخارى ( ١٩٤ - ٢٥٦ هـ ) [١] .

٢) « مسلم ( ٢٠٦ - ٢٦١ هـ )[٢] وقيل ( ٢٠٤ - ٢٦١ ) هـ .

٣) الجامع الصحيح للترمذى ( ٢٠٩ - ٢٧٩ هـ ) [٣] .

٤) سنن النسائى ( ٢١٤ - ٣٠٣ ) [٤] وقيل ( ٢١٥ - ٣٠٣ ) هـ .

٥) سنن أبى داود ( ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ) [٥] .

---

(١) البخارى ؛ صحيح البخارى ، مطابع دار الشعب ؛ القاهرة ، ١٣٧٨ هـ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباق الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

(٣) الترمذى ؛ الجامع الصحيح ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

ملاحظة : ١ - ٢ بتحقيق أحمد محمد شاكر و ٣ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباق ط ثانية . ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م و ٤ - ٥ بتحقيق إبراهيم عطوة عوض طبعة أولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

(٤) النسائى ؛ سنن النسائى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى . ط أولى القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

(٥) أبو داود ؛ سنن أبى داود ، مصطفى البابى الحلبى ط أولى القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، عليه تعليقات لفضيلة الشيخ أحمد سيد على .

٦) سنن ابن ماجه (٢٠٧ – ٢٧٥ هـ) [١] وقيل : ( ٢٠٩ – ٢٧٣ هـ )

٧) الموطأ للإمام مالك ( ٩٠ وقيل ٩٣ – ١٧٩ هـ ) [٢] .

٨) سنن الدارمي ( ١٨١ – ٢٥٥ هـ ) [٣] .

٩) مسند الإمام أحمد ( ١٦٤ – ٢٤١ هـ ) [٤] .

وقد كان لهذا الاقتصار سببان مهمان :

١ – أن هذه المصادر تعد أمهات الحديث الكبيرة التى جمعت فأوعت ، ثم إنها مصادر موثقة كل التوثيق أخذ مؤلفوها أنفسهم بمناهج صارمة جداً من أجل الوصول إلى نص موثق شديد التحقيق والدقة ، وقد شهدت لهم الأمة بهذه الفضيلة وحفظتها لهم ، وتلقت ما جاءوا به بالقبول والرضا ، « بل إن الكتب الستة كادت لا تغادر من صحيح الحديث إلا النزر اليسير ، والتى عليها يعتمد المستنبطون ، وبها يعتضد المناظرون ، وعن محياها تنجاب الشبه ، وبضوئها

---

(١) ابن ماجة ؛ سنن ابن ماجة ، عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباق .

(٢) مالك ؛ الموطأ ، وقد اعتمدت نسخة الموطأ فى شرح الزرقانى ، مطبعة الاستقامة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م .

(٣) الدارمى ؛ سنن الدارمى ، سلسلة مطبوعات كتب السنة النبوية ، شركة الطباعة الفنية بالدراسة ، القاهرة بتخريج وتحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى المدنى ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

(٤) ابن حنبل ؛ المسند : أ – دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م شرح وتحقيق أحمد شاكر من ( ١ – ١٦ ) ورمزها ( شاكر ) أو ( ش ). ب – المكتب الإسلامى للطباعة والنشر – دار صادر للطباعة ؛ « بيروت » وهو مصور عن طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ ورمزها (صادر) أو (ص) .

يهتدى الضال ، ويبرد يقينها تثلج الصدور »[١] واقترح بعض العلماء جعل الموطأ هو السادس بدلا من ابن ماجه ، ورأى آخرون أن يكون السادس هو الدارمى ، وهذا يدل على أنها مصادر يشابه بعضها بعضاً فى قوتها ووثاقتها[٢] ، وقد قال الإمام أحمد لابنه : « احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماما »[٣] وقد انتقاه من أكثر من ( ٧٥٠ ) ألف حديث ، ولم يفته مما فى الكتب الستة إلا النادر[٤] .

٢ – والسبب الثانى هو أن هذه المصادر التى حددتها احتوت على مادة نصية وفيرة جداً ، تكفى لأن تقوم عليها الدراسة ، وأن تعتمد عليها بكل ثقة واطمئنان ، بل إنها كانت من الكثرة بحيث استغرقت منى وقتا طويلا فى جمعها ونسخها ، وفى قراءتها مرات ومرات ، ومع الوقت جهد جهيد ، كان لابد منه من أجل الخروج بسمات عامة مشتركة بين هذه النصوص الكاثرة .

٣ – ومصادر ثانوية ؛ اعتمدت عليها فيما لا يتعلق بالنصوص النبوية، وفى بعض المعلومات والحقائق التاريخية والأدبية القديمة ، كمصادر القصة العربية القديمة ، وكتب الشروح والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغيرها ،

---

(١) محمد عبدالعزيز الخولى ؛ مفتاح السنة ص ٢٨ ، القاهرة ، مطبعة المنار ، ١٩٢١ م . وانظر أيضاً ما قاله أحمد شاكر عن هذه المصادر التسعة فى تعريفه بكتاب مفتاح كنوز السنة ص ظ تأليف فينسنك ، ترجمة محمد فؤاد عبدالباق ، شركة مصر ، القاهرة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣ م . وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨ : ٤٩ ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . ط الأولى ، ١٣٨٢ ، مطابع الرياض ؛ وانظر : الجيزاوى ، الطراز الحديث فى فن مصطلح الحديث ص ١٤ ، مطبعة الصباح ط الأولى ، القاهرة ، ١٣٣٦ هـ – ١٩١٨ م .

(٢) انظر محمد الصباغ ؛ الحديث النبوى ص ٢٠١ . منشورات المكتب الإسلامى ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م ؛ بيروت .

(٣) ابن حنبل ، المسند ( شاكر ) .

(٤) انظر : الصباغ ؛ الحديث النبوى ص ٢٢٧ .

وكتب الحديث المتأخرة وما إلى ذلك مما هو موضح فى فهرس المصادر .

وأما المراجع فهى أيضا تأتى على نوعين :

١ - مراجع أصيلة وهى الكتب التى تناولت بعض قضايا موضوع البحث الأصيل بالدراسة أو المعاجلة أو الإشارة وسأرجع لتفصيل الحديث عن هذه الدراسات أو الإشارات التى سبقتنى إلى تناول الموضوع بصورة ما .

٢ - ومراجع ثانوية وهى سائر الكتب التى تناولت القصة العربية القديمة وسائر الدراسات الحديثة حول الفن القصصى بعامة ، وأعترف أننى استفدت كثيراً منها ، بما أضاءته لى من طريق البحث . وبما فتحته لى فيه من آفاق واسعة جداً .

وحين نأتى إلى الإشارات والدراسات السابقة على البحث نجد :

( أ ) إشارات عارضة فى الكتب التسعة، التى اعتمدت عليها ، إلى بعض النصوص ذات الطابع القصصى ، حين يطلقون عليها لفظ « قصة » ، وقد تتبعت تلك الإشارات وفصلت الحديث عنها فى التمهيد[١] .

( ب ) كما نجد إشارات أيضا عند بعض المتأخرين من القدماء مثل :

١ - ابن تيمية فى مجموع فتاواه ، حين أشار إلى أن الحديث « قد سمى واحداً وإن اشتمل على قصص متعددة إذا حدث به الصحابى متصلا بعضه ببعض .. »[٢] وقال أيضا فى موضع آخر : « والقصة الطويلة يمتنع فى العادة أن يتفق الإثنان على وضعها من غير مواطأة منهما ، وهذا يوجد كثيراً فى الحديث .. »[٣] .

---

(١) انظر ص ٦٨ .

(٢) ابن تيمية ؛ مجموع الفتاوى ١٨ : ١٥ .

(٣) المصدر السابق ٨ : ٢٢ - ٢٣ .

٢ – صاحب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال ، حيث أطلق لفظ « القصة » على بعض القصص النبوية ، فقد عقد الكتاب الثالث من حرف القاف بعنوان « كتاب القصص » ثم قال « قصة أصحاب الغار » ثم ذكر القصة[١] ، ثم قال : « قصة موسى والخضر عليهما السلام » وأتبعه بسرد القصة[٢] . ثم قال : « قصة أصحاب الأخدود وفيه كلام الطفل أيضا » ثم يسرد القصة[٣] .

( جـ ) ثم نجد بعد ذلك دراسات وإشارات لبعض المعاصرين عن القصة النبوية :

١ – محمد أحمد البيومى ، فى رسالته التى نال بها الدكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م وكان موضوعها : « سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى »[٤] وقد خصص الفصل السابع من رسالته لتناول « الأقصوصة فى أدب الرسول ﷺ من ( ص ١١٤ – ١٣١ ) وتناول قصة « الكلب اللاهث » وقصة الذئب والمرأتين[٥] ثم انتقل إلى بيان الوحدة الفنية فى القصة النبوية مبينا أنها تقوم على وحدة الفكرة[٦] ، ثم بين أن عنصر المناجاة اعتمدت عليه قصة « الغار والصخرة » فى بنائها الفنى ، ثم وضح

---

(١) البرهان نورى : منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال ، على هامش المسند نشر المكتب الإسلامى ( دار صادر ) ٦ : ١٦١ – ١٦٢ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ١٦٢ – ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ٦ : ١٦٣ – ١٦٥ ، وانظر أيضاً ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٤) كانت الرسالة بإشراف د. عبدالحسيب طه – ومخطوطة فى مكتبة كلية اللغة العربية بالأزهر برقم ٤٨٢ .

(٥) المرجع السابق ص ١١٦ – ١١٧ .

(٦) المرجع السابق ص ١١٨ .

ما فى هذه القصة من أهداف خلقية وتعليمية[١] ، ثم بين أن الحوار قد يكون هو اللون المختار فى قصة أخرى كما فى قصة « الملائكة الطوافين »[٢] ، ثم انتقل إلى قصة « الأبرص والأقرع والأعمى » مبينا أنها تعتمد على تصوير الأشخاص[٣] ، ثم ينتقل إلى أن هناك قصصاً ساقها الرسول ﷺ مساق التمثيل وإن لم تقع أحداثها كما فى قصة المستلف وقصة قاتل المائة[٤] ، وقد ناقشت رأيه هذا فى داخل البحث[٥] .

ثم حاول فى النهاية أن يستعرض ما اشترطه النقاد فى الأقصوصة الناجحة ، وأن يكشف عن أن القصة النبوية قد سبقت من الناحية الفنية[٦] ، وهو حماس وجدانى أكثر منه تصوراً دقيقاً وعميقاً للقصة النبوية .

٢ - د. عز الدين على السيد ، فى كتابه : « الحديث النبوى من الوجهة البلاغية »[٧] . وقد عقد المؤلف مبحثا فى آخر الكتاب تناول فيه القصة فى البيان النبوى[٨] مبينا أن البيان النبوى كان امتداداً للقرآن الكريم ، ولذلك فقد كان للقصة فى البيان النبوى نصيب متميز ، وموضحا أن القصة النبوية لاتجنح إلى الخيال ، ولا التفلسف ، وأنها ليست القصة التى وضع الغرب لها عشرات القواعد والشروط على حد تعبيره ، وإنما هى قصة تقوم على سلامة الفطرة وتكفى فى تحقيق الغرض ، وتروع فى تسلسل أحداثها وروعة

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ - ١٢١ .
(٢) » » ١٢١ - ١٢٤ .
(٣) » » ١٢٤ - ١٢٧ .
(٤) » » ١٢٧ - ١٣٠ .
(٥) انظر : القصة التمثيلية - الفصل الرابع .
(٦) المرجع السابق ص ١٣١ .
(٧) مكتبة وهبة ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ .
(٨) المرجع السابق ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

حوارها ، فإنها كانت تستخدم فى عرضها الأساليب المشوقة المثيرة ، ثم اتبع هذه المقدمة الموجزة ، ببعض القصص النبوية يؤكد بها ماطرحه فى المقدمة من أفكار ، فعرض خمس قصص هى : « قصة أصحاب الأخدود [١] وقصة المتكلمين فى المهد [٢] وقصة الكفل [٣] وقصة الأقرع والأبرص والأعمى [٤] .. وأخيراً قصة المقترض ألف دينار [٥] . وكان يعلق على كل قصة تعليقاً سريعاً جداً يبين فيه فكرة القصة وعرضها وأبطالها ثم أتبع ذلك بخلاصة قصيرة عاجلة فى القصص النبوى ومميزاته [٦] والواقع أنها كانت خطوة جيدة فى موضوع القصص النبوى ، لفتت النظر إلى بعض نماذج القصة النبوية ، كما أنها ألقت على الجانب القصصى فى الحديث النبوى لفتات برغم سرعتها وتعجلها ، إلا أنها كانت قيمة بحق ، جديرة بالتقدير والاعتبار .

٣ - البهى الخولى ، فى كتابه « تذكرة الدعاة » [٧] وقد تناول القصص النبوى عرضاً فى معرض حديثه عن ضرورة الأسلوب التصويرى فى الدعوة ، وأن القصة من هذه الأساليب ، وأنه يجب أن تستعين بقصص رسول الله ﷺ التى كان يشرح بها ما يريد من المعانى ، وأنها تأتى فى المرتبة بعد قصص القرآن الكريم ، ثم ساق قصة أصحاب الأخدود فقط مثالا على ذلك بعد أن تحدث عما تثيره من معان وأفكار وكان يعلق على القصة أثناء سردها أيضا [٨] ، دون أن يتعرض لبنائها الفنى وهيكلها القصصى بشىء .

---

(١) » » ٤٤٣ - ٤٤٩ .
(٢) » » ٤٤٩ - ٤٥٣ .
(٣) » » ٤٥٤ - ٤٥٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٥٦ - ٤٥٩ .
(٥) » » ٤٦٠ - ٤٦٢ .
(٦) » » ٤٦٢ - ٤٦٣ .
(٧) دار الفتح ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ .
(٨) المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٢ .

٤ – محمد الصباغ ، فى كتابه « الحديث النبوى » حيث أشار إشارة سريعة إلى القصة فى الحديث من خلال حديثه عن طرائق التصوير فى الحديث ومثل لذلك بحديث الذى فقد راحلته ، ملاحظا أن تعبير القصة يرسم « لوحة تصويرية صيغت على شكل قصة سريعة »[١] ثم سرد النص ، ثم ذكر مثالا آخر فى قصة « الكلب اللاهث » ولفت النظر إلى ما فيها من « لوحة فنية رائعة وردت فى إطار قصة سريعة أخرى .. »[٢] ، ثم قال : « وهناك أحاديث كثيرة مشهورة وردت على شكل قصص من أشهرها حديث أصحاب الغار ، وحديث الرجل الذى قتل مائة نفس ، وحديث الأبرص والأقرع والأعمى ، وحديث الغلام والساحر والمالك .. إلخ[٣] .

٥ – رفاعى سرور ، فى رسالة صغيرة كتبها عن قصة « أصحاب الأخدود »[٤] ، استهلها بسرد النص ، ثم أتبعها بتعليق مفصل على القصة ، مركزاً بشكل واضح على مافيها من معان ودلالات وأفكار ، مستنبطاً مافيها من منهج حركى يمكن أن يخدم الدعوة الإسلامية .

٦ – التهامى نفره ، فى كتابه : « سيكلوجية القصة فى القرآن »[٥] أثناء حديثه عن تأثير قصص القرآن فى الرسول ﷺ ، ثم أشار إلى أن الرسول ﷺ كان يقص على أمته قصصاً هادفاً ، ثم ذكر بعض الأمثلة على ذلك من مثل قصة « أصحاب الغار » وقصة « الأقرع والأبرص والأعمى » وقصة

---

(١) الحديث النبوى ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

(٣) » » ٦٠ .

(٤) رفاعى سرور ؛ أصحاب الأخدود ، دار التراث العربى للطباعة ، القاهرة ، وتقع الرسالة فى ٦٤ صفحة .

(٥) التهامى نقرة ؛ سيكلوجية القصة فى القرآن ، ص ٣٤١ – ٣٤٤ . الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٤ .

« أصحاب الأخدود » ثم نقل نص القصة الأخيرة فقط .

٧ - ممن تناول « القصص النبوى » أيضا كل من السيد شحاته ، والسيد تقى الدين فى كتابهما « القصص النبوى »[١] والمؤلفان فى هذا الكتاب لم يصدرا عن مفهوم واضح للقصص ، ووقعا فى خلط شنيع بين القصة النبوية التى هى من قول الرسول وبين قصة النبى ﷺ التى هى عن تاريخه وتاريخ صحابته الكرام ، وحين نطالع المقدمة لأول وهلة نفهم منها أنهما سيعرضان القصة النبوية حين قالا : « وها نحن أولاء نضع حلقة جديدة من حلقات القصة الإسلامية تأتى فى المرتبة الثانية بعد قصص القرآن الكريم تلك هى كتاب « القصص النبوى » فحديث الرسول ﷺ يأتى فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم وإن كان القرآن الكريم والحديث الشريف يشتركان فى توضيح مبادىء الدعوة الإسلامية وبيان منهجها القويم »[٢] ثم يقولان ما هو أصرح من ذلك : « والوحدة القصصية فى أدب الرسول ﷺ تدور فى معظمها حول شخصيات الرسول ﷺ والصحابة والمؤمنين .. إلخ »[٣] مما يعنى أنهما بصدد عرض قصص قالها الرسول ﷺ ، وعلى هذا المنوال مضت المقدمة تتحدث عن النص من الناحية الفنية ، وما فيه من عناصر ، وما هو عليه من ألوان وحين ننتقل إلى نصوص الكتاب نفاجأ بأننا أمام نصوص نبوية وهى الأقل ، ونصوص غير نبوية هى الأكثر فى الكتاب ، والأدهى من ذلك والأمر أننا لانجد النص الأصلى ، بل نجد نصوصاً هى من صنع المؤلفين بعد أن تصرفا فيها بأسلوبهما وقد صرحا بذلك فى نهاية المقدمة : « وبعد فهناك ملاحظة أخرى نود أن نشير إليها ، تلك أننا قد تصرفنا فى أسلوب بعض القصص النبوى ولذلك آثرنا أن

---

(١) القصص النبوى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت .

(٢) المرجع السابق - المقدمة ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٤ .

نذكر نص الحديث فى هامش كل قصة حدث فيها هذا التصرف »[١] والواقع أن التصرف وقع فى كل النصوص لا فى بعضها هذه واحدة ، والثانية أنهما لم يفيا بما وعدا به من ذكر النص فى الهامش فقد اقتصرا على ذكر بعض قليل جداً ، ومن هنا فالكتاب يفقد قيمته العلمية والموضوعية ، وثم خطيئة شائنة وقعا فيها مع شديد الأسف ، حين قاما فى المقدمة بحشر آراء ونتائج الدكتور خلف الله فى دراسته للفن القصصى فى القرآن الكريم[٢] ، محاولين أن يفصلاها على القصة النبوية التى يزعمان أنهما يعرضان نصوصها ، وأحياناً قليلة يشيران إلى كتاب الدكتور خلف الله ، وفى الكثير يغفلان الإشارة . ويا ليتهما فعلا ذلك فى نقل الرأى وحسب ، ولكنهما كانا ينقلان أقوال خلف الله بنصها ، دون أدنى إشارة ، مما يوحى للقارىء غير المطلع على دراسة خلف الله بأنه أمام أقوال المؤلفين وآرائهما[٣] ، ولذلك كله فعنوان الكتاب : « القصص النبوى » غير أمين الدلالة على واقع الكتاب ، ولا على منهجه .

٨ — وممن أشار أيضا إلى قصص الرسول ﷺ عرضاً الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه « الإسرائيليات فى التفسير والحديث »[٤] ، وقد ذكر

---

(١) المرجع السابق ص ١٦ .

(٢) خلف الله ؛ الفن القصصى فى القرآن الكريم ، مكتبة الأنجلو ط ٤ . القاهرة ١٩٧٢ م .

(٣) لعل من الحق هنا أن أذكر بعض الصفحات دليلا على ما أقول ؛ وانظر فى صفحات الكتابين مايلى : فى كتاب القصص النبوى انظر : ص ٤ ثم انظر : فى كتاب خلف الله : ص ٦٥ ، ٦٦ . ثم انظر فى الأول ص ٦ ثم انظر فى الثانى : ص ١١٧ ، ١١٨ . ثم انظر فى الأول : ص ٧ وفى الثانى : من ١١٨ ، ١١٩ وانظر فى الأول صفحة ٩ وانظر فى الثانى ص ٢١٢ ، ثم انظر فى الأول : ص ١١ . وانظر فى الثانى : ص ٢٦١ ، ثم انظر فى الأول : ص ١٢ ، ١٣ ، وانظر فى الثانى : ص ٢٨٨ ، ٢٩٠ . وانظر فى الأول : ص ١٤ وانظر فى الثانى ص ٢٩٧ و ٢٩٨ ثم انظر فى الأول ص ١٥ وانظر فى الثانى ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، وقد دفعنى إلى هذا التتبع الحرص على إنصاف الموضوع الذى أنا بصدد بحثه من مثل هذا التلفيق الذى بيناه فى كتاب « القصص النبوى » .

(٤) الذهبى ؛ الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، مجمع البحوث الإسلامية الكتاب ٣٧ ، دار النصر للطباعة . القاهرة ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .

أن الرسول ﷺ قص علينا كثيراً من أخبار بنى إسرائيل ومثل على ذلك بثلاث قصص فقط هي : قصة الأبرص والأعمى والأعرج ، وقصة أصحاب الغار ، وقصة جريج [١] .

وبعد فلم تكن تلك الإشارات والمحاولات على تباين طبيعتها ، سوى لمسات خفيفة غير شاملة وغير متعمقة ، وإن كان بعضها له فضل سبق المحاولة ، وقبلها فضيلة الالتفات إلى الناحية القصصية فى حديث رسول الله ﷺ ، التى أرجو من الله مخلصاً أن يوفقنى فى هذا البحث لاستجلائها وتقديم صورة شاملة لكل جوانبها ، ومتعمقة فى حدودها وأبعادها .

* * *

وإذا كان الفضل يذكر لأهله فيشكر ، فإنه من الواجب هنا أن أذكر بالتقدير أستاذى الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى رحمه الله وأجزل له المثوبة ، فقد كان لى وللبحث الرائد الذى لا يكذب أهله ، والدليل الماهر فى مجاهل الطريق ومنعرجاته ، يبذل التوجيه سخياً ، ويقوم بالرعاية مخلصاً ، ولطالما أمضينا الساعات الطوال نقرأ معا فصول البحث ونناقش قضاياه ومباحثه ، وكانت رحابة صدر الأستاذ ، ودماثة خلقه التى توجها تواضع لاينكر ، خير مشجع لى على المضى فى حوار جاد مع أستاذى حول بعض وجهات النظر ، بل كان يدفعنى إلى أن أبدى رأيي ، وأن أوضحه ، ولن أنسى له أبداً ، أنه كان يتيح لى أن أتمسك برأيي مادام أن هناك ما يبرر اقتناعى به .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩ .

كما أشكر كل أساتذتى وزملائى الذين ساهموا فى هذا العمل بأى سبيل ، سواء كانت تلك المساهمة مناقشة حول الموضوع ، أو نقداً له ، أو لفتاً إلى قضية من قضاياه ، أو إلى مرجع من مراجعه ، سائلا الله أن يجزى الجميع عنى خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

# التمهيد

- العنصر القصصي في الأدب العربي القديم
- أثر الإسلام في المجال الأدبي
- الفنون النثرية الإسلامية وبخاصة القصة

( ١ )

لعل العنصر القصصى فى الأدب العربى من أبرز الجوانب الحيوية فى هذا الأدب ، الذى ظل طويلا فى منأى عن عناية مؤرخى الأدب العربى ودارسيه . وربما كان السبب وراء ذلك ما كان يروج له من أن الأدب العربى القديم كان فقيراً من الناحية القصصية إلى حد كبير ، وأن العرب لم يعرفوا القصة ولم يمارسوها فى ماضيهم ، وقد تولى كبر هذه الإشاعة المستشرق الفرنسى « ارسنت رنان » فى كتاباته الفيولولوجية ذاهباً إلى أن العربية لم تقدم ظاهرة أدبية تستحق التقدير ، وأنها عارية عن أى فضل أو قيمة ، وأنها مفلسة من الفن القصصى[١] .

كما أنكر على العرب قدرتهم على القصة أيضاً المستشرق « ديبور »[٢] .

وقد سلك كثير من الباحثين والدارسين العرب هذا الطريق أيضاً ، ذاهبين إلى أن العرب لم يعنوا بالقصة ولم يتجهوا إليها ، وهم فى هذا المسلك غافلين عن الهدف الاستشراقى من وراء ذلك الافتراء ، والتقليل من شأن التراث العربى ، ورميه بالنقائص ، وأنه عالة على غيره من فكر الأمم الأخرى وحضارتهم ، وكان الأولى بهم قبل أن يتبعوا مقالة المستشرقين أن ينظروا فى ذلك التراث وأن يتفحصوه بدقة وعناية ، ولهم بعد ذلك أن يؤمنوا بما يرونه هو الحقيقة الموضوعية التى توصلوا إليها بعد مطالعة النصوص فى التراث العربى القديم .

---

(١) فى كتابه تاريخ اللغات السامية ص ٥٤٠ ط بولاق .

(٢) فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٦ ، ترجمة وتعليق عبدالهادى أبو ريده القاهرة ، ١٩٣٨ م .

ولكن العرب عرفوا القصة منذ أقدم العصور[١] ، وتراثهم حافل بالأشكال القصصية المختلفة[٢] ، التى تدل بشكل جازم على فطرة تنشىء القصة وتتذوقها ، وقد شهد لذلك بعض المستشرقين فى آرائهم المنصفة من مثل : كارل بروكلمان الذى يقول فى حديثه عن أولية النثر : « لم يكن الشاعر وحده هو الذى تهفو إليه الأعين عند عرب الجاهلية ، بل كان القاص يقوم أيضاً مقاماً هاماً إلى جانب الشاعر فى سمر الليل ، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة ، وفى مجالس أهل القرى والحضر »[٣] ، وهذا « جوستاف لوبون » يقول عن العرب فى إحدى رحلاته إلى الشرق : « أتيح لى فى إحدى الليالى أن أشاهد جمعاً عربياً من الحمالين والنواتى والأجراء يستمعون إلى إحدى القصص ، وإنى لأشك فى أن يصيب قاص مثل ذلك النجاح لو أنشد جماعة من فلاحى فرنسا شيئاً من أدب لامارتين ، أو شاتوبريان .. فالجمهور العربى ذو حيوية وتصور ، يتمثل مايسمعه كأنما هو يراه »[٤] وهذا النص ليس ذا دلالة مباشرة على الفترة التى نتحدث عنها ، إلا أنه يمكن الاستشهاد به على ما أحس به جوستاف لدى العربى من الحيوية والتصور والتمثل .

وهناك بحوث طويلة فى الحكايات العربية كتبها « البارون كاراديفو » وهو الذى يقول : « إنه لم يسبق الأدب العربى أى أدب آخر فى نوع الأقاصيص »[٥] .

---

(١) انظر : « القصص فى أدب العرب ماضيه وحاضره » لمحمود تيمور ص ٢٤ ، ٢٥ ، الجامعة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

(٢) انظر مقال : « القصة فى الأدب العربى الكلاسيكى » للسعيد الورقى فى مجلة « الكلمة » عدد ٥ صفحة ١ - ٥ .

(١) تاريخ الأدب العربى ١ : ١٢٨ ، دار المعارف ط ثالثة ، ١٩٦٢ م .

(٤) عن كتاب « القصص فى أدب العرب » لمحمود تيمور ص ٢٤ .

(٥) انظر كتاب : « الأدب القصصى عند العرب » لموسى خليل سليمان ص ١٥ ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٥٠ م .

وحين أدرك الرأى الأدبى العام أهمية أن تقام النهضة الأدبية والفكرية على أساس من بعث ذخائر الأدب العربى القديم ، وماخلفه من تراث خلال عصوره المتلاحقة ، حين أدرك ذلك بدأ يتكشف أمام هذا الوعى الأدبى حقائق كثيرة ، كانت نتيجة لمداومة المطالعة فى مآثر هذا التراث ، وإنعام النظر فيه ، وقد كان من أبرز تلك الحقائق ، أن الأدب العربى حافل بالأشكال الكثيرة للتعبير القصصى ، الدالة على بروز العنصر القصصى فى هذا الأدب وأصالته ومن هنا قال محمود تيمور فى معرض حديثه عن القصص فى أدب العرب : « أكاد أزعم أن الأمة العربية لاينافسها غيرها فيما صاغت من قوالب للتعبير عن القص والإشعار به ، فنحن الذين قلنا من غابر الدهر : « قال الراوى » ، و « يحكى أن » و « زعموا أن » و « كان ماكان » إلى آخر تلك الفواتح التى يمهد بها القصاص العربى فى مختلف العصور لما يسرد من أقاصيص »[1] .

وقد كان من ثمار هذا الإدراك أن أخذت المطابع تزود المكتبة الأدبية العربية بالبحوث والمقالات عن عنصر القصة فى الأدب العربى ، مما يؤكد ميلاد هذا الوعى ونموه ، حيث نجد من هذه البحوث : « فى الرواية العربية – عصر التجميع »[2] و « الأدب القصصى عند العرب »[3] و « القصص فى أدب العرب »[4] و « القصة العربية القديمة »[5] و « قصص

---

(١) القصص فى أدب العرب ماضيه وحاضره ص ٢٤ .

(٢) فاروق خورشيد ، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٥٩ ثم طبع عام ١٩٧٥ نشر دار الشروق ، طبع دار غريب ، القاهرة .

(٣) لموسى خليل سليمان .

(٤) لمحمود تيمور .

(٥) لمحمد مفيد الشوباشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ( المكتبة الثقافية – ١٠٦ ) أول أبريل ١٩٦٤ .

الحب العربية »[١] و « القصة فى الأدب العربى القديم »[٢] ثم « القصة العربية فى العصر الجاهلى »[٣].

**متى عرف العرب القصة :**

يتحدث بعض الدارسين المعاصرين عن المترجمات عن الفارسية أو الهندية فى العصر العباسى على أنها بداية تعرف العرب على القصة فى رأى كثيرين ، وكان يعنى ماقام به ابن المقفع فى مطلع القرن الثانى الهجرى من ترجمة الخرافات الحيوانية فى كتابه : « كليلة ودمنة »[٤] ، وقبل ذلك نجد دارساً آخر لفن القصص فى كتاب الجاحظ يرى أن فضل السبق إلى الكتابة والتأليف فى فن القصة يرجع إلى الجاحظ فى كتاب « البخلاء »[٥].

والواقع أن القصة العربية قديمة قدم العرب أنفسهم ، أصيلة أصالة النثر العربى الذى ذهب منه شيء كثير وبقيت منه آثار تدور حول أمثال العرب[٦] وأيامها ومآثرها ، ولاشك أن عنصر القصة فى الأدب العربى القديم قديم أصيل يكفى للتدليل عليه واحد من مظاهر عدة كلها تؤكده فى منطق قوى ثابت ، وأعنى بذلك اللغة والقرآن وواقع الحياة الأدبية نفسها .

---

(١) لعبد الحميد إبراهيم محمد ؛ دار المعارف بمصر ( اقرأ - ٢٨٨ ) ديسمبر ١٩٦٦ وللمؤلف أيضاً كتاب « من قصص العرب » نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٧ م .

(٢) لعبد الملك مرتاض ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ط أولى ١٩٦٨ .

(٣) لعلى عبدالحليم محمود ، دار المعارف بمصر ، مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٥ م .

(٤) انظر مثلا : « القصة القصيرة فى التراث العربى » ليوسف الشارونى - مجلة « الهلال » العدد ٥ سنة ٨١ مايو ١٩٧٣ ، ٢٨ ربيع الأول ١٣٩٣ ص ٩٤ .

(٥) محمد المبارك دراسات فى الأدب - فن القصص فى كتاب الجاحظ ص ٤٧ ط الأولى دمشق - ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م .

(٦) من أهم كتب الأمثال الحافلة بكثير من القصص مجمع الأمثال للميدانى ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ، والمستقصى للزمخشرى ، والفاخر للمفضل بن سلمة .

### ١ – الدليل اللغوى :

إن اللغة لأى جماعة من الناس هى الدليل الحى الناطق على ماهم من حضارة وثقافة ، وما يتمتعون به من رقى فى أى من مجالات الحياة المختلفة ، لما تحمله اللغة فى تضاعيفها من دلالات ومعان هى حصيلة هذه الجماعة طوال فترات تطورها الفكرى والاجتماعى ؛ حيث نجد اللغة تنمو كل يوم مع نمو الإنسان فى معرفته وإدراكه لأشياء جديدة فى الحياة يتخذ لها مصطلحات جديدة من الألفاظ المستحدثة ..

وحين ننظر فى اللغة العربية من أجل أن نستبين الصلة بين العرب وعنصر القصة من خلال ظاهرة اللغة نجد مجموعة من الألفاظ التى تدل بوضوح على رسوخ العنصر القصصى من حيث هو لون من ألوان التعبير الأدبى منذ العصر الجاهلى فى المجتمع العربى، وهذه الألفاظ منوعة بحيث تعطى دلالة على تنوع الآثار القصصية تنوعاً يلائم الباعث للأثر القصصى من ناحية ويلائم وظيفته التى يراد له أن يحققها من ناحية ثانية ، كما تؤكد لنا هذه الألفاظ أن العقلية العربية كان لها علم ما بالإبداع القصصى بوجه عام .

نجد من هذه المصطلحات « الحكاية » وهى تحمل معنى التقليد والمحاكاة ، فالحكاية مرتبطة بمحاكاة الواقع ، وكأنما المتحدث بها يتحرى أن يصور الواقع الذى حدث ويحاكيه فى حديثه .

وهناك أيضاً « الرواية » وهى نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى آخر ، وكذلك « المقامة » وهى فى الأصل من المقام وهو المكان الذى يقوم فيه المتحدث إلى القوم ، كما يطلق أيضاً على القوم المجتمعين فى المكان الذى هو بمثابة المنتدى ، يستمع فيه القوم من أحدهم إلى سرد الأحاديث والأخبار ، وقد قال زهير :

وفيهم مقامات حسان وجوهها  وأندية ينتابها القول والفعل

وفى معنى الجماعة أيضاً قال لبيد :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم    جن لدى باب الحصير قيام

وقد تطورت المقامة من خلال هذا المعنى إلى أن أصبحت فناً معروفاً له شخصيته الأدبية على يد بديع الزمان الهمذانى والحريرى فيما بعد .

وهناك « السمر » وهو يطلق على الليل ومايرد فيه من أحاديث وأخبار ، ثم صار يراد « بالسمر » ذلك الحديث الذى يتناول فى تلك المجالس الليلية ، وقد ضاقت الدلالة شيئاً فشيئاً حتى صارت تعنى ضرباً من الحكايات والقصص المتميزة بنوع من السرد القصصى والتى يراد منها تزجية الفراغ فى الليالى المقمرة وقد اجتمع القوم للحديث والاستماع .

كما نجد أيضاً « الخرافة » : وقال الليث : الخرافة حديث مستملح كذب ، وله حديث وقال غيره كان خرافة رجلا استهوته الجن فرجع بعجائب رآها فيهم فقيل لكل عجيب كذب خرافة »[١] . وكذلك « الأسطورة » تعنى الحديث الباطل الكاذب وجمعها الأساطير أى الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها ، قال اللحيانى : جمع أسطورة وأسطير وأسطيرة . وسطر تسطيراً، ألف الأكاذيب وسطر علينا أتانا بالأساطير أو قص علينا الأساطير[٢] . و « المثل » كما يعنى العبارة المنطوية على الحكمة والرأى السديد فإنه يطلق للدلالة على القصص والحكايات التى كانت الأمثال أو كثير منها عنواناً لها و « العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث ، لأن الأمثال عندهم نوعان : أمثال حكمية كقولهم : الجار قبل الدار ، والحرب خدعة ، والعتاب قبل

---

(١) الأزهرى ، تهذيب اللغة ٧ : ٣٥١ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تراثنا . مطابع سجل العرب ١٩٦٦ م . وانظر أيضاً ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ٥ : ١٠٥ نشر البابى الحلبى بمصر ط الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

(٢) انظر الزبيدى ، تاج العروس ٣ : ٢٦٧ ، المطبعة الخيرية بمصر ط الأولى ١٣٠٦ هـ .

العقاب ، ونحوها مما يتناقله الناس فى الأعقاب وترويها الأمم بعضها عن بعض ..

« والأمثال المبنية على الحوادث وهى خاصة بهم لأن الحوادث جرت لهم كقولهم : وافق شنٌّ طبقة ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب ، والصيفَ ضيعت اللبن ، وسبق السيف العذل ، وهم يؤثرون تلك الأمثال عن قائليها ، وقد يروون عشرات من الأمثال قالها الواحد فى حادثة واحدة كما رووا فى حادثة الزباء وقصير وجذيمة الأبرش ... وهذه الأمثال وأشباهها كثيرة فى أقوال الجاهلية »[١] وتعد هذه الأمثال والحكم جذوراً أصيلة للقصة العربية فى العصر الجاهلى ، لأن هذه الأمثال قد اشتملت على كثير من القصص الواقعية التى صنعت أحداثها فى ذلك المجتمع ، وظل الأحفاد عن الأجداد يروون تفاصيلها ويقفون عند مواطن العبرة فيها[٢] .

ولعل أشهر الألفاظ فى اللغة العربية التى تدل على شكل التعبير القصصى وأكثرها صراحة فى ذلك هو لفظ «قصة» الذى يحمل مدلولا لغوياً حسناً يعمق الارتباط بالمدلول الفنى للقصّة.. «قال الليث : القص فعل القاص، إذا قص القصص ، والقصة معروفة، ويقال: فى رأسه قصة يعنى الجملة من الكلام ، ونحوه قول الله: ( **نحنُ نقُصُّ عليكَ أحسَنَ القَصصَ** )[٣] قوله أحسن القصص : أى أحسن البيان. والقاص الذى يأتى بالقصة من نصها، يقال: قصصت الشىء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شىء . ومنه قوله : ( **وقالتْ لأختِهِ قُصّيه** )[٤] أى

---

(١) جورجى زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٤٧ ، ٤٨ ، ط دار الهلال مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف . القاهرة .

(٢) انظر القصة العربية فى العصر الجاهلى ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) سورة يوسف : ٣ .

(٤) سورة القصص : ١١ .

اتبعى أثره ، قلت : أصل القص : اتباع الأثر ، يقال : خرج فلان.قصصاً فى إثر فلان وقصاً ، وذلك إذا اقتص أثره ، وقيل للقاص يقص القصص لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً »[١] و « القصة : الخبر ، وهو القصص . وقص على خبره يقصه قصاً ، وقصصا : أورده . والقصص : الخبر المقصوص . وتقصص كلامه حفظه ، وتقصص الخبر : تتبعه .. »[٢] وفى اللسان : « .. والقاص الذى يأتى بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها .. »[٣] ونلحظ مماسبق من هذه الدلالات اللغوية حول مادة « قص » أنها فى الأصل تعنى التتبع والاقتفاء ، وهو معنى ملحوظ فى القصة التى هى الجملة من الكلام المقصوص ، والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاص حين يمارس عمله فى قص الخبر فهو يأتى بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ، ويقتفى آثار أحداثها فى ترتيب بعضها على بعض ، وكأنما القاص فى ذلك يحاكى قصاص الأثر ، وهو يتتبع آثار الأقدام على الأرض وفى منعرجات الدروب حتى يعرف مصير تلك الأقدام ويصل إلى نقطة النهاية بالنسبة لها ، وهى صلة موفقة تعطينا دلالة أعمق عن مدى صدق انطباق هذا التفسير للمعنى اللغوى للفظ « قصة » على المعنى الفنى بشكل عام والذى يجب تحققه فى العمل القصصى ، حين يقوم القاص وهو بصدد إقامة بناء هيكل قصته بتتبع الحدث من بدايته متدرجاً معه إلى الوسط فى ذروة الحدث وانتهاء إلى الخاتمة مقتفياً ما يمليه عليه الحدث من تطور ..

---

(١) تهذيب اللغة للأزهرى ٨ : ٢٥٦ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيده ٥ : ٦٥ .

(٣) انظر : اللسان لابن منظور مادة « قصص » ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر . طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، القاهرة ١٩٦٦ م .

وهكذا تعطينا اللغة دليلا قوياً دافعاً على أصالة العنصر القصصى فى تراث العرب ، ووعى العقلية العربية منذ القديم لألوان عديدة من أشكال التعبير القصصى .

## ٢ - الدليل القرآنى[١] :

القرآن الكريم نزل على محمد ﷺ بلسان عربى مبين ، وخاطب العرب بلغتهم التى يتقنونها ، وتحداهم أن يأتوا بقليل من مثله ، لأنه جاء على سنتهم فى اللغة وأسلوبهم فى التعبير ، ومفرداته وسائر ألفاظه عربية يستعملونها ويعرفون معناها ، ومن هذا المنطلق نستدل بالقرآن على معرفة العرب عن القصة من ثلاث زوايا :

( أ ) استعمال القرآن الكريم لكلمة قصة ومشتقاتها فى عدة مناسبات ، نستشهد ببعضها هنا : قال الله تعالى : ( **نحنُ نَقُصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ** )[٢] وقال تعالى : ( **فلنقُصَّنَّ عليهم بعلمٍ وماكناً غائبينَ** )[٣] وقال تعالى: ( تِلكَ القُرَى نَقُصُّ عليكَ من أنبائها ولقدْ جاءَتهمْ رُسُلهمْ بالبيِّناتِ فما كانوا ليُؤْمِنُوا بما كذبُّوا منْ قبلُ كذلكَ يطبعُ اللهُ على قلوبِ الكافرينَ )[٤] وقال تعالى : ( **ذلك مَثَلُ القومِ الَّذينَ كذبُّوا بآياتنا فاقصُصْ القصَصَ لعَلَّهُم يَتفكَّرون** )[٥] وقال تعالى:( **فلما جاءهُ وقصَّ عليهِ القصَصَ قال لا تخفْ** )[٦] وقال تعالى: ( **يا بُنىَّ لا تَقْصُص رُؤْياك على إخْوَتكَ** )[٧] وقال تعالى:( **ذَلكَ من أنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّه عليكَ منها قائمٌ وحَصيد** )[٨] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

---

(١) « لا مفر إذن من الاعتراف بأن القرآن يعطى صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية ، لأنه نزل لهداية أولئك الجاهليين ، وهم لايخاطبون بغير مايفهمون » ، زكى مبارك - النثر الفنى فى القرن الرابع ١ - ٤٤ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، وانظر أيضاً : العبيدى فى « دراسات فى النقد الأدبى ٣ : ٤٢ - ٤٣ ، مطبعة المعارف ، بغداد الطبعة الأولى .

(٢) يوسف : ٣ . (٣) الأعراف : ٧ . (٤) الأعراف : ١٠١ .

(٥) الأعراف : ١٧٦ . (٦) القصص : ٢٥ . (٧) يوسف : ٥ .

(٨) هود : ١٠٠ .

( ب ) ما كان القرآن ينفيه عن نفسه من أنه من قبيل الأساطير ، أو أنه أساطير الأولين كما كان يزعم كفار قريش فدل ذلك على أن العرب يعرفون الأساطير وإلا لما نسبوا القرآن بما جاء به من قصص وأخبار إلى أنه أساطير ، قال تعالى ( **يَقُولُ الذينَ كَفَرُوا إنْ هذا إلَّا أسَاطِيرُ الأوَّلينَ** )[١] وقال تعالى ( **وَإذا تُتْلَى عليهِمْ آياتُنا قالوا قد سمِعنا لو نَشاءُ لقُلنا مثل هذا إنْ هَذَا إلَّا أساطيرُ الأوَّلين** )[٢] وقال تعالى : ( **وإذا قيلَ لهم ماذا أُنزلَ ربُّكم قالوا أساطيرُ الأوَّلينَ** )[٣] وقال تعالى : ( **لقدْ وُعِدْنا نحنُ وآباؤُنا هذا من قبلُ إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوَّلينَ** )[٤] وقال تعالى : ( **وقالوا أساطيرُ الأوَّلينَ اكتَتَبها فهِي تُمْلَى عليهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** )[٥] وقال تعالى : ( **لقد وُعِدْنا هذا نحن وآباؤُنا من قبلُ إن هذا إلَّا أساطيرُ الأوَّلينَ** )[٦] وقال تعالى:( **وَالذى قال لِوَالِدَيْه أُفٍّ لكما أتَعِدَانِنِى أن أُخرَجَ وقد خلَتِ القُرونُ من قبلى وهُما يَستَغيثانِ الله ويلْكَ آمِن إنَّ وَعْدَ الله حقٌّ فيقول ما هذا إلَّا أساطيرُ الأوَّلين** )[٧] وقال تعالى : ( **إذا تُتْلى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأوَّلينَ** )[٨] .

( جـ ) أن القرآن نفسه نزل يحمل بين دفتيه كثيراً من القصص المتنوعة[٩] عن الأنبياء السابقين وأممهم ، كما قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ( **نَحْنُ نَقُصُّ عليكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بما أَوْحيْنا إليكَ هذا القُرْآنَ ، وإن كنتَ من قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ** )[١٠] وهي قصص صيغت فى بناء فنى محكم عجيب يحفل بالعناصر الفنية « وقد لاحظنا من قبل أن التعبير القرآنى يؤلف بين الغرض الدينى والغرض الفنى ، فيما يعرضه من الصور والمشاهد ، بل لاحظنا أنه

---

(١) الأنعام : ٢٥ . (٢) الأنفال : ٣١ .
(٣) النحل : ٢٤ . (٤) المؤمنون : ٨٣ .
(٥) سورة الفرقان : ٥ بقية الآية : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً » .
(٦) النمل : ٦٨ . (٧) الأحقاف : ١٧ . (٨) القلم : ١٥ ، المطففين : ١٣ .
(٩) انظر : عبدالكريم الخطيب : القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، دار الفكر العربى ، مطبعة المدنى بالقاهرة . (١٠) يوسف : ٣ .

يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية »[1] ولو لم يكن العرب يعرفون هذا اللون من أساليب التعبير القصصية لما توجه به إليهم ، وخاطبهم به ، ومن هنا فورود ذلك القصص الفنى فى القرآن الكريم يعطى صورة صادقة لواقع قصصى كان العرب يعرفونه ويمارسونه ..

* * *

### ٣ - واقع الحياة الأدبية :

لقد اشتهر العرب بأنهم أصحاب لسن وبيان ولذلك جاء القرآن الكريم ليكون معجزة الإسلام البيانية فى هؤلاء القوم الذين عرف عنهم الافتنان فى أساليب القول ووجوه الفصاحة ، وقوم هذا شأنهم ، لابد أن يكون لهم حظ وافر من القصص والحكايات ، والناظر فى تاريخهم الأدبى وماكتب عنهم فى ذلك من بحوث ودراسات يجد بالفعل أن واقعهم الأدبى ما كان يخلو من ألوان القصص العديدة ، ويجدر بنا هنا قبل أن نتحدث عن نثرهم القصصى أن نشير إلى أن الشعر العربى نفسه ظل برغم ماقيل عنه من أنه يفقد العنصر الملحمى والقصصى ظل يحمل بوادر وعى قصصى ؛ حيث نلمس فيه تعبيراً عن الأحداث التى كانت تجرى وقتذاك ووصفاً للحرب والوقائع التى دارت رحاها بين قبائل العرب ، ويتناول الشاعر فى أثناء ذلك أسباب تلك الحروب وما هيجها ، وقد يبن عواقبها وما تجره من ويلات ودمار ، وربما وصف أبطالها وبين ميزاتهم وقدرتهم القتالية[2] ، كما سجل الشعر الغزلى تجارب

---

(١) سيد قطب ؛ التصوير الفنى فى القرآن ص : ١١ ، دار المعارف بمصر .

(٢) انظر : دكتور عفيفى عبدالرحمن فى مقاله : « القصصية فى شعر الأيام » مجلة « الثقافة العربية » ص ٣٤ - ٣٩ العدد (١٢) السنة الثالثة ، ذو الحجة ١٣٩٦ هـ - محرم ١٣٩٧ هـ ديسمبر : كانون الأولى ١٩٧٦ م ، - ليبيا ، وانظر أيضاً : د. أحمد الطاهر مكى فيما كتبه عن القصة الشعرية فى كتابه « القصة القصيرة » ص ٢٣ ، دار المعارف ؛ ط الأولى القاهرة ، ١٩٧٧ م .

الشعراء العاطفية وما جرى لهم من قصص وذكريات مع محبوباتهم ، فحين نقرأ شعر العرب نجد قصصاً كثيرة منبثة فى هذا الشعر ، فمثلا فى شعر المهلهل ابن ربيعة نجد قصة مقتل أخيه كليب وائل ، وفى شعر جليلة نرى قصة أساها لمقتل زوجها من جهة وما يهدد أخاها من جهة ثانية ، وفى شعر الحارث ابن عباد نجد قصته مع زوجته أم الغر فى مقتل ابنهما بجير فى محاولة الصلح بين بكر وتغلب ، وفى أشعار امرىء القيس نجد قصصه مع النساء وما كان له من مغامرات كقصة الغدير ودارة جلجل ، ودبيبه إلى المحبوبة فى معلقته ، وعند المتلمس نجد فى شعره قصة الصحيفة ، ونجد قصص الفتك والطرد فى أشعار الصعاليك ، ومن المؤكد أن المقام سيطول بنا لو ذهبنا نعدد الأمثلة ونحصيها فى ذلك الشعر ، وحسبنا هنا الإشارة والمثال ولعل دارساً يتوفر على هذا الشعر فيدرس فيه هذه الظاهرة ويتعمقها ولابد أنه حينئذ سيخرج بنتائج إيجابية تثرى الدراسة الأدبية فى زاوية العنصر القصصى فى الشعر العربى[1] ..

وأما النثر الجاهلى فمجال رحب حفل بقصص كثيرة ، وبالقطع هناك نثر كثير ذهب فى غياهب المجهول فيما ذهب من أخبار ماضيهم ، ولم يصل إلينا إلا الشىء القليل من ذلك النثر ، لصعوبة حفظ النثر وبخاصة الطويل منه كالقصص والأخبار الطويلة[2] ، ومع ذلك فقد كان هناك جزء لابأس به يقع تحت أيدينا .

---

(١) صدرت دراسة فى هذا الصدد لعلى النجدى ناصف ، بعنوان « القصة فى الشعر العربى إلى أوائل القرن الثانى الهجرى » دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت .

(٢) قديماً قال عبدالصمد بن الفضل الرقاشى : « ماتكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره» البيان والتبيين للجاحظ ١ : ٢٨٧ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة ط الرابعة ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م .

لقد نشأ حول مضارب الخيام وفى مجالس السمر – حيث يجتمع القوم[١] – قصص كثيرة ، فقد كان القاص فى هذه المنتديات يقوم إلى جانب الشاعر فى تلبية مطالب القوم ورغبتهم فى الاستماع إلى سير الأولين ومعرفة حكايات السلف من العرب وغيرهم من الملوك والفرسان ، وكثيراً ما كانت أيام العرب وأنسابهم وأخبار حروبهم ووقائعهم مادة خصبة لهذه القصص[٢] ، وكذلك أخبار رحلاتهم وأسفارهم الكثيرة ، وقد ساعد على إثراء النثر القصصى أيضاً ماكان من تواجد أهل الكتاب بين ظهرانى العرب فقد أشاعوا فيهم قصصاً كثيرة عن الماضين من الأنبياء وغيرهم ، وكذلك كان بعض العرب يلتقط ما يسمعه فى رحلاته من قصص الآخرين فيحفظها ليسردها على قومه حين عودته كما كان يفعل النضر بن الحارث بن كلدة ، وقد قال ابن إسحاق : « وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثاً منه ، فهلم إلىّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار »[٣] ويدلنا هذا النص أيضاً إلى أن المجتمع نفسه كان يهفو إلى سماع القصص ، وكان يجد عند القاص مايحقق متعته النفسية والفنية ، وقد

(١) انظر بروكلمان ١ : ١٢٨ ، وانظر د. شوقى ضيف فى العصر الجاهلى ص ٣٩٩ ، دار المعارف ط الخامسة .

(٢) انظر : أيام العرب فى الجاهلية ، جاد المولى وآخرين ، ط الحلبى ، القاهرة .

(٣) ابن هشام ؛ السيرة النبوية ص ٣٠٠ ، تحقيق السقا وآخرين ، مصطفى الحلبى ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م ، وانظر أيضا الزمخشرى ؛ الكشاف ٢ : ٢١٦ ، رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م .

زخرت كتب التراث الكثيرة ، من كتب السير والتاريخ والأدب واللغة بالمرويات القصصية الكثيرة ، والتى كانت أصداؤها تتردد فى رحاب الصحراء العربية الواسعة ، تلك المرويات التى تلقفها علماء الرواية من شيوخ القبائل وأعراب البادية الذين كانوا يشافهونهم ، ويسجلون مايسمعونه منهم ، كما كان النسابون مصدراً مهماً أخذ عنهم الرواة كثيراً من القصص الجاهلى المتصل بالأحساب والأنساب ، وأمجاد القبائل ومثالبهم ، والناظر فى كتب التراث تلك يجد أن ماتضمنه مما بقى لنا من قصص العصر الجاهلى يمكن أن يصنف إلى عدة أنواع [١] :

١ – قصص الملوك ، كقصص ملوك كندة والحيرة والغساسنة .

٢ – قصص الأسفار والوقائع والحروب والأيام وما أشبهها من أخبار الفتاك والصعاليك .

٣ – قصص الأساطير التى كان لها أصل من التاريخ دخلته الخرافة وتزيد فيه الخيال مما أثر عن طسم وجديس ، وعاد والريح ، وما كان بين بعضهم وبين بعض الجن .

٤ – قصص المجون واللهو .

٥ – ما سيق على ألسنة الحيوان من قصص كحكومة الضب بين الأرنب والثعلب[٢] وما كان بين الضب والضفدع[٣] ... الخ .

وقد كانت هناك أمور كثيرة تدفع إلى الاهتمام بالقصة فى المجتمع العربى

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه الأنواع فى كتاب « القصة العربية فى العصر الجاهلى » ص ١٢٢ ومابعدها .

(٢) انظر : الميدانى فى مجمع الأمثال ٢ : ٢٢ ط السنة المحمدية ، القاهرة .

(٣) انظر : الجاحظ ، الحيوان : ٦ : ١٢٥ – ١٢٦ ط. الحلبى ، القاهرة .

وتشجع على ازدهارها فوق ماتحققه للناس من المتعة والتسلية ، وذلك أنها تشتمل على مظاهر من تمجيد القبيلة والإشادة بماضيها وذكر أسلافها والتعريف بمآثرهم ومفاخرهم ، فكان ترديد قصص أيامهم وأخبار وقعائعهم وانتصاراتهم أمراً محبباً إلى نفوسهم، إلى حد كبير ، كما كانت مصدراً من مصادر المعرفة والخبرة سواء كانت عن مجتمعهم وبيئتهم فى ماضيها ، أو عن مايجاورهم من شعوب أخرى وما لها من تاريخ وأعراف وعادات .. ثم إنها كانت تؤدى وظيفة تربوية أخلاقية بما تحمله من قيم فاضلة وألوان من الحكمة وبخاصة تلك القصص الرمزية التى تساق على ألسنة الطير والحيوان ، والتى كانت فى مغزاها دروساً توجيهية غير مباشرة .

وهكذا فإن هذا الواقع المحسوس للقصة العربية من أكبر الأدلة وأقواها على أهمية العنصر القصصى فى حياة العرب الأدبية ، فإنهم كانوا يعرفون هذا اللون من التعبير ويمارسونه بالفعل ، وهو لون امتد معهم طوال تقلبات الأحداث التاريخية ، وظل تياراً متدفقاً يزيد مع الأيام ويتنوع إلى يومنا هذا .

وحين جاء الإسلام ودخل العرب فيه أفواجاً كان للقصة فى ظله شأن سنتحدث عنه بعد أن نقول كلمة عن أثر هذا الدين الجديد فى المجال الأدبى بعامة ..

* * *

( ٢ )

حين بعث الله محمد بن عبدالله ﷺ بالرسالة الإسلامية إلى الناس كافة رحمة وهدى ، كان العرب أول من بزغت عليهم طلائع النور ، فغمرت إشعاعاته النفاذة قلوبهم واستقرت بها لتنشىء منهم خلقاً آخر يصنعه الله على

عينه ، ويغذوه الرسول ﷺ بالقرآن والحديث ، ويتولاه بالتربية والتوجيه .

وقد كان ذلك البعث حدثاً هائلا له آثاره الضخمة والعميقة فى حياة الإنسان وقد بدأ يستنير بنور الله ويستضىء بهديه ، ويستمد منه ويسير فى الطريق المستقيم إليه ، كما كان هذا البعث انطلاقاً بالإنسان نحو آفاق سامية بالتكريم الربانى الذى جعل منه خليفة فى الأرض يعمرها بالحق والخير ، وفتحاً كبيراً له وهو ينتقل من حياة إلى حياة ؛ من الظلمات إلى النور ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن الجور والطغيان إلى العدل فى أسمى وأشمل معانيه ، ومن الجهل بغاية الحياة ، إلى العلم الصحيح والإدراك الواعى للغاية من هذا الوجود ... وهذا الخلق .

وكان تجاوب ضمائر الرعيل الأول من المسلمين مع هذا الدين فريداً لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، فاهتزت كياناتهم معه بعنف ، وأخذتهم روعته فى وضوحه وصراحته ، وفى أنه حق وعدل ، ثم فى سموه وبساطته .. ثم فى هذا الثوب الذى جاء فيه من البيان العربى الرائع ، الذى كان نسيج وحده فى بلوغه قمة التعبير الجميل ، أخذوا بكل ذلك وانصاعوا له ، وتمثلت فيهم المعانى والمبادىء الإسلامية ، وهيمنت عليهم قيم الإسلام وتصوراته ، وانتزعوا أنفسهم بالتالى من حياة الجاهلية بكل ماكانت تحويه من عقائد فاسدة وتصورات سقيمة ومانبت فى ظل ذلك من عادات وتقاليد وأوضاع ، وقد كان ذلك البعث الإسلامى تجربة ضخمة فى حياة البشرية كلها ، وفى حياة المسلمين على وجه الخصوص ، أولئك الذين عاشوها فى أعماقهم ، وتجاوبوا معها ، إلى حد أن انسلخوا من حياتهم القديمة إلى الحياة التي يصرِّفهم فيها الإسلام الذى أصبح هو محور المفارقات بين مفاهيم الحياة فى نظرهم ، وهو المنظار الوحيد الذى من خلاله يتصورون الأمور والأحداث والعلاقات ، ومن هنا فقد كانت تلك التجربة ذات أثر بالغ الأهمية والعمق فى حياة المسلمين الادبية ، ذلك أن الإسلام من الناحية النظرية ينظر إلى الإنسان كلا لا يتجزأ

كما هى نظرته للحياة كلها ، فهو ينظر إليه بكل طاقاته وانفعالاته واستعداداته النفسية والشعورية والروحية والمادية ، وقد وجه الإسلام طاقة التعبير الأدبى عن انفعالات الضمير بالتجارب الشعورية والقيم الحية التى يؤمن بها ويتفاعل معها المسلمون ، وجهها ودفع بها إلى الأمام لتؤدى مهمتها فى هذه الحياة منطلقة من التصور الإسلامى .. وغاياته .

وحين ننظر إلى الواقع الأدبى فى ظل الإسلام نجد أن بزوغ شمس الدعوة الإسلامية ، وما صاحبها من تصورات ، وما طرأ من تغير نظرة الناس إلى الحياة كان ثورة على كل المفاهيم والقيم والأوضاع الجاهلية ، ثورة فى النفس وقرارة الضمير ، وثورة فى واقع الحياة، تمثل فى الصراع الذى قام بين قوى العهد البائد بالباطل ، وأهل الإسلام السائد بالحق ، وبذلك وجد عامل قوى دفع إلى أن تبرز « الكلمة » أكثر من ذى قبل حية متحركة على الساحة الواقعية تبنى وتهدم فى هذا الصراع الجديد بين الحق والباطل ، وتعبر بصدق وحرارة عن مكنونات الضمائر ، وحقيقة المشاعر التى تمور كما يمور هذا الحدث الهائل المزلزل .. فكان لابد للمعركة من سلاح البيان إلى جانب سلاح السنان ، والمسلمون كانوا أكثر من غيرهم انغماساً فى أتون المعركة التى كانوا يخوضونها فى جانب الحق والعدل ، وأكثر إخلاصاً وبذلا ، ثم إنهم بروحهم الإسلامية ، أكثر من سواهم شعوراً بالحياة وإحساساً بالوجود ، سواء حياتهم القديمة التى أصبحوا ينظرون إليها بسخرية وحزن فى وقت واحد[١] ، أو هذه الحياة فى ظل النور الربانى الذى أفاض عليهم حياة على حياتهم امتلئوا بها شعوراً بأنهم خلق آخر جديد ، خلق مكرّم مستخلف موصول السبب بقوة الكون الأزلية الكبرى .

---

(١) كما نجد عند عمر بن الخطاب حين كان يسخر مما كان يفعله فى الجاهلية حيث كان يصنع التمثال من التمر فيسجد له فإذا جاع أكله .

فكان لابد أن تبرز الكلمة تعبر عن إحساسات ومشاعر ، وتناضل مع المسلمين فى معركتهم مع الخصوم ، فكان أدب حى مؤثر ، فى السلم يوجه ويقوّم ، وفى الحرب يناضل ويكافح[١] ، وكان مع المسلمين يسجل تأملاتهم وأحاسيسهم وعواطفهم وشتى انفعالاتهم الوجدانية بالحياة فى أكثر مظاهرها وموحياتها ..

وقد زخرت الحياة الأدبية فى ظل الإسلام بفيض مديد من العطاء الأدبى الخالد ، وكان أثر الإسلام فى ذلك الأدب واضحاً ، حيث نجد الصورة الجديدة للأدب مختلفة عما كانت عليه قبل الإسلام ، فقد غير الإسلام طباع العرب من الخشونة إلى السهولة واللين مما جعل أدبهم يتدفق عذوبة وسلاسة فى أساليب جزلة رائعة ، كما أكسبهم عمقاً فى التفكير وسعة فى الأفق والمعرفة جعلهم يعبرون بدقة وبصور قوية بارعة تعتمد على البراهين ، وهذا فوق ما أصبح يحمله الأدب من المعانى السامية والأهداف النبيلة ، وتبنى الأغراض الخيرة ، مقتفين فى ذلك أثر الأسلوب القرآنى البالغ الروعة « الذى أقام عمود الأدب العربى منذ ظهوره ، فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة وحسن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات فى مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وبحيث تجلى عن مغزاها مع الرصانة والحلاوة »[٢] .

وثم حقيقة مهمة هى أن هذا الأدب فى ظل الإسلام أصبح يفيض عن عاطفة قوية يؤججها ويدفعها إيمان قوى عميق ؛ مما جعل هذا الأدب قوياً

---

(١) انظر : الدكتور النعمان القاضى فى شعر الفتوح الإسلامية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، واقرأ الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها عن المنبر الذى وضعه الرسول ﷺ لحسان فى المسجد يقوم عليه منافخاً عن الرسول والإسلام ، وقول الرسول ﷺ : « إن الله يؤيد حساناً بروح القدس ماناظر أو يناضح عن رسول الله ﷺ » سنن الترمذى ٥ : ١٣٨ .

(٢) شوقى ضيف العصر الإسلامى ، ط ٥ ص : ٣٤ .

مؤثراً خلافاً لما ساد عنه عند كثير من دارسى الأدب العربى الذين ينظرون إلى أدب الإسلام فى فترة النبوة والخلافة الراشدة نظرة تبعد عن الحق ؛ إذ تتلخص نظرتهم فى تقرير ضعف الشعر فى الإسلام !! ويذهبون فى تعليل ذلك مذاهب مختلفة ، كما يهملون جانب النثر ، ولا يكاد أحدهم أن يلتفت إليه !

ويقول ابن خلدون : « ثم انصرف العرب عن ذلك – أى عن الشعر – أول الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحى ، وبما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً »[١] ، ويقرر جرجي زيدان « أن الشعر فى عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح »[٢] ولكن الواقع الذى تؤكده الدراسة الجادة المبنية على دراسة الفترة دراسة متأنية شاملة ، هو أن الشعر فى الإسلام لم يضعف ، وأن الفتوح لم تشغل المسلمين عن الشعر بل إنها كانت « فترة حية لم تستطع الظروف القاسية التى رافقتها من حركة الفتح والهجرات والصراع أن تذهب فيها بالمواهب الفنية للنفس العربية التى ألفت الشعر ومرنت عليه »[٣] . وإن الإنصاف ليقضى أن نشير إلى أن هناك من وقف من هذه القضية موقفاً عدلا دون أن يواكب ذلك التيار الذى خالف الحق ، فهذا شوقى ضيف يقول « ودفعتنى النصوص الكثيرة فى عصر صدر الإسلام إلى نقض الفكرة التى شاعت فى أوساط كثيرة من عرب ومستشرقين ، إذ ذهبوا يزعمون أن الإسلام انحسر عن أثر ضئيل نحيل فى أشعار المخضرمين ، وهو زعم غير صائب ، بل هو زعم يسرف فى تجاوز الحق ، فقد أتم الله على الشعراء نعمة الإسلام ، وانتظم كثيرون منهم فى صفوف المجاهدين فى سبيل الله داخل

---

(١) ابن خلدون المقدمة : ٥٨١ ط مصر .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٩٥ .

(٣) د. النعمان القاضى ، شعر الفتوح الإسلامية ص ١٢ .

الجزيرة العربية وفى الفتوح ، وهم فى ذلك كله يستلهمون الإسلام ، ويعيشون له ، ويعيشون به ، يريدون أن ينشروا نوره فى أطباق الأرض ، وقد مضوا يصدرون عنه فى أشعارهم صدور الشذى عن الأزهار الأرجة ، وبالمثل صدروا عنه فى نثرهم ، فإذا هم يستحدثون فنوناً من النثر ينشئونها إنشاء ، إذ أنشؤوا على هدى من القرآن آيات بديعة من المواعظ الدينية ، كما أنشؤوا ضروباً من المعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية[1] » وهذا باحث آخر ينصف ذلك العهد فيقول : « إن الشعر كان زاهياً قوياً كثير الفنون واسع الأغراض دفعه الإسلام فى دعوته ، ووجهه فى أغراضه ، وأدخله فى أتون المعركة الإسلامية بين مكة والمدينة وشارك فى شئون الحياة الإسلامية كافة فصورها ووصفها على قدر ما أتيح له ... لقد كان موقف الإسلام من الشعر إيجابياً .. لقد اتخذ الدين الشعر سلاحاً ماضياً من أسلحة الدعوة وكان لابد أن يدفع بالشعر فى هذه المعركة .. »[2] وهكذا نجد أن الدراسة الجادة الموضوعية تكشف كثيراً من جوانب الإبداع الأدبى فى تلك الفترة التى تحتاج إلى دراسة متقصية متعمقة ؛ فلاتزال هناك جوانب مهمة وكبيرة فى أدب الإسلام إبان تلك الفترة الغنية بالعطاء ، وبخاصة فى فنونه النثرية ..

( ٣ )

شهدت الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام نهضة نثرية كبيرة ، إذ أن أغلب العوامل الباعثة على هذه النهضة قد تهيأت مع الحركة الإسلامية ، التى جاء صوتها الأول ، « القرآن الكريم » فى ثوب نثرى من البيان العربى الرائع

---

(١) العصر الإسلامى ص ٥ .

(٢) يحيى الجبورى ؛ مجلة المعرفة ص ٦٧ ، عدد ٣٧ ، دمشق ، السنة الرابعة ، وانظر : كتاب الإسلام والشعر ، للجبورى .

الذى أضاء النور الأخضر أمام النثر ليتقدم ويزدهر ، فلا شك أن أساطين البيان حرصوا على ترسم منهج القرآن فى بيانه ، وجعلوه قدوتهم المثلى فى سائر تعبيرهم النثرى ، كما كانت الحركة الإسلامية فى حاجة إلى نشر مبادئها وإعلانها فى الناس ، وتقويض المبادىء الجاهلية وبيان فسادها وزيفها ، ومجادلة معتنقيها بالدليل والحجة ، ومنافحة خصوم الدعوة والرد على مزاعمهم ، والنثر بلا شك فى هذا المقام أقدر من غيره على القيام بهذه الوظائف خير قيام ، ومن هنا كانت الخطابة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة ، ولقد ظل الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً بمكة يدعو الناس إلى الإسلام ، ولا يكاد يجد فرصة أو مناسبة إلا ويقوم فى الناس من قومه أو من غير قومه يتحدث بالخطب البليغة . وبعد الهجرة كانت دواعى الخطابة قد كثرت وأغراضها قد تعددت[١] فكانت خطب الرسول ﷺ متصلة فى بيان مبادىء الإسلام وتفصيلها ، وفى بيان أنظمة الدولة القائمة وقيمها ، كما كثرت الوفود على الرسول ﷺ حيث تبادل المسلمون معهم الخطب ، وكذلك جدت مناسبات للخطابة فى الجمعة من كل أسبوع وفى الأعياد ، وفى عهد الخلفاء من بعده كانت الخطابة تؤدى وظيفتها فى بيان السياسة ، وتوجيه الأمة ، وحث المجاهدين فى الفتوح على البذل والتضحية من أجل نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله فى الأرض وحين هبت على المسلمين رياح الفتنة والانقسام كانت الخطابة تجد فى ذلك مناخاً تشيع فيه وتزدهر ، وينبغى أن نشير إلى أنه فى ظل الخطابة الإسلامية زال لون قديم من ألوان الخطابة الجاهلية ، وهو « خطابة المنافرات »[٢] التى تقوم على التفاخر بالأحساب والأنساب وما للقبيلة من مجد ومآثر لأنها تخالف ما يهدف إليه الإسلام من تحقيق وحدة الأمة والمحافظة عليها .

---

(١) انظر : العصر الإسلامى ص ١٠٦ ، وما بعدها .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٠٧ .

وإلى جانب الخطابة كانت الأمثال والوصايا والحكم التى ظلت امتداداً للفنون الجاهلية ، ووجدت فى العهد الجديد مجالا حيوياً للاستمرار والنماء ، وفى هذا العهد الإسلامى برز لون نثرى جديد هو فن الكتابة والرسائل[١] لم يكن شائعاً فى العصر الجاهلى ، ذلك أن الإسلام احتفل بالكتابة واهتم بشأنها واعتمد عليها فى حركته ودولته ، وكان الرسول ﷺ منذ البداية يبعث الكتب إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وقد كانت أداة الكتابة وهى « القلم » محل عناية القرآن منذ الآيات الأولى ( **اقْرَأْ باسِمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ ، خلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ ، اقرأْ وربُّك الأكرمُ الذى علَّمَ بالقلمِ ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ** )[٢] والرسول ﷺ فى أول معركة يجعل فداء بعض أسراها ممن يعرف الكتابة ، أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين[٣] ، وشاعت الكتابة واتسع نطاقها ، فكتب القرآن ، كما كتب الحديث بعض الصحابة بعد كتابة القرآن بزمن ، واستعملها المسلمون فى عقودهم ومعاملاتهم ، ومواثيقهم السياسية وغيرها ، فى عهودهم المختلفة[٤] ، وفى رسائلهم الإخوانية والديوانية والسلطانية التى تعتبر فناً نثرياً جديداً ظهر فى العهد الإسلامى بفضل شيوع الكتابة وانتشارها على نطاق واسع[٥] ، كما ظهر فى هذه الفترة لون جديد أيضاً من النثر الدينى عماده الوعظ والترغيب والترهيب ، والتذكير باليوم الآخر وما فيه ، وربما أطلق عليه « العظات الأخلاقية » وهو لا يبعد فى الواقع من أن يكون نوعاً من الفن الخطابى الذى تميز بطابع من الوعظ الدينى[٥] ..

---

(١) انظر : د. عبدالحكيم بلبع ؛ النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ص ٧٢ ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ط . الثانية ١٩٦٩ م .

(٢) سورة العلق : ١ — ٥ .

(٣) انظر : طبقات ابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٤ ، وانظر : المسند ٤ : ٤٧ بتحقيق شاكر .

(٤) انظر : حميدالله فى مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٥) انظر : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ص ٧٣ .

وقد ظلت تلك الأنواع النثرية من خطابة وكتابة ورسائل وأمثال هى فقط ألوان النثر الفنى فى ذلك العصر فى نظر جمهرة دارسى الأدب العربى ومؤرخيه ، متجافين عن لون من ألوان النثر الفنى فى تلك الفترة ، جدير بأن يكون محل العناية والاهتمام نظراً لكثرته وتنوعه ، ذلك هو « اللون القصصى » فى ذلك الوقت ، وربما كان من أسباب ذلك التجافى هو أن كثيراً من دارسى الأدب لا تقوم أحكامهم – أحياناً – على أساس من دراسة النصوص فى تلك الفترة بعد كشفها ، والحكم على العصر الذى أنتجت فيه من خلالها مكتفين بدراسة الظواهر العامة فقط ، وحتى هذه الظواهر يكتفى بعضهم بتناقل الأحكام التاريخية والنقدية عنها من ناقد إلى آخر دون أن يتحقق كل دارس من إطلاق تلك الأحكام بالنظر الفاحص الناقد ، علماً بأنه « قد أصبح للنصوص شأن عظيم جداً فى الدراسات الأدبية الحديثة فى سائر الآداب الراقية ، وظهر أن هذه الطريقة التى تعتمد على النصوص كثيرة الفائدة عظيمة النتائج ، وأصبحت دراسة النصوص تبنى على الآراء والنظريات الجديدة التى توصل إليها البحث فى علم النفس وعلم الاجتماع وفى الفن والأدب واللغة ، فينظر إلى النصوص أولا : من حيث كونها معبرة عن نفس قائلها دالة على مزاجه الخاص كاشفة من خلال ألفاظها ومعانيها عن نزعة الكاتب الفكرية وآرائه الخاصة وعواطفه وحالاته النفسية حين كتبها وأخرجها إلى حيز الوجود الخارجى ، وينظر إلى النصوص ثانياً : من حيث صلتها بالعصر الذى ظهرت فيه وكونها معبرة عن بعض نزعاته مصورة لبعض أحواله الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ومن حيث كونها تشكل حلقة من حلقات تطور الفكر والفن لها صلة وأثر فيما بعدها كما كان لما قبلها صلة وأثر فيها »[1] والحقيقة أن تلك الفترة ؛ فترة العهد النبوى والخلفاء الراشدين فى حاجة كبيرة إلى مثل هذه الطريقة التى

---

(١) محمد المبارك ؛ دراسات فى الأدب ، فن القصص فى كتاب الجاحظ ص ٥ ، ٦ .

تعتمد على النصوص فى الدراسة والأحكام ، وبخاصة فى دراستها من الزاوية النثرية التى برز فيها « اللون القصصى » فيما برز من ألوان .

واللون القصصى فى هذه الفترة ، ليس فناً قد استجد مع الإسلام ، بل كان امتداداً لما يعرفه العرب من ألوان القصص والحكايات منذ العهد الجاهلى – كما عرفنا فيما تقدم – ولكنه بعد الإسلام بدا أكثر بروزاً وتنوعاً ، حيث نجد العنصر القصصى واضحاً فى مظاهر عدة ، نعرض لها فيمايلى :

### ١ – القصـة القرآنيـة :

ظلت آيات القرآن الكريم تنزل على رسول الله ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة تترى ، تحمل معانى الدين الجديد وتدعوا إلى الإسلام والتوحيد ، وفى سبيل هذه الغاية استخدم القرآن من ضمن ما استخدم من الأساليب الكثيرة طريقة التعبير بالقصة ، ولذلك نجد القرآن الكريم يشتمل على ألوان كثيرة من القصص ، عن الماضى منذ آدم عليه السلام إلى بعث الرسول ﷺ ، وما كان من أخبار الرسل ، والأمم السابقة وعاقبة المكذبين ، وقد خضعت القصة القرآنية خضوعاً تاماً للغرض الدينى فى الموضوع وطريقة العرض وإدارة الحوادث[٢] ، ومع ذلك فهذا الخضوع للغرض الدينى لم يمنع مطلقاً من أن تبرز الخصائص الفنية فى عرض القصة بل « إنه كان من أثر هذا

---

(٢) انظر : فصل القصة فى القرآن من كتاب التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ١١١ ومابعدها ، وانظر أيضاً : د. محمد أحمد خلف الله فى كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم ، مكتبة الانجلو المصرية ط ٤ القاهرة ١٩٧٢ م

الخضوع بروزخصائص فنية بعينها تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق ، وتصدق ما قلناه فى أول هذا الفصل من أن القرآن « يحيل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية ، بلغة الجمال الفنية »[١] . وإن هذا الاستخدام القرآنى للقصة يعكس لنا ما كان يتمتع به الناس فى ذلك الوقت من الانصياع للأسلوب القصصى والتأثر به ، والتذوق الجيد للشكل الفنى الذى تبرز فيه القصة ، ولو لم يكن الناس وقتها على هذا المستوى من مواكبة الفن القصصى وممارسة أساليبه والاستجابة لتأثيراته لما خاطبهم القرآن بهذا الأسلوب ولآثر أسلوباً غيره يعرفونه ويتذوقونه . وفى الوقت الذى يعكس فيه القرآن لنا هذه الحقيقة باستخدامه لفن القصة ، فإنه ينمى فى القوم الذين يخاطبهم ويتنزل فيهم الحاسة القصصية ويفسح لها المجال لتبرز أكثر وأكثر بما يقدمه لها من نماذج فنية راقية تنمى مالديهم من ملكة متأصلة ، وتأخذ بيدها صعداً إلى الأمام فى هذا المجال ، ومن المؤكد أن الواقع التأريخى يشهد على ما خلفه القرآن من آثار واضحة فى مد الرقعة وتوسيع الخارطة التى أصبح يمثلها اللون القصصى فى النطاق النثرى منذ ذلك الوقت ، فقد شجع القرآن على إنشاء القصص لاستخدامها فى الأغراض الدينية من التربية والتعليم والتوجيه والوعظ ، فاستخدمها الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون .. ومن جهة أخرى نما حول « القصص القرآنى » ذاته قصص كثيرة سيقت تفسيراً أو تبيينا واستمد بعضها من قصص القرآن وبعضها مما لدى أهل الكتاب من أخبار عن الماضى وقصص ، كما كان « الخيال » أيضاً لدى القصاص العربى ينسج حول هذه القصص القرآنية قصصاً من أجل الوعظ والترغيب والترهيب ، لم يكن العلماء المحققون ينظرون إليها بمنظار الجد .

---

(١) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن ص ١٣٢ .

وهكذا تكون القصة القرآنية مَعلماً حياً يؤكد بروز اللون القصصى ، وشيوعه فى هذه الفترة ، وأنه ذو حظ وافر من السيطرة والغلبة ..

وإلى جانب القرآن الكريم فى قصصه كان ثمة مظهر آخر للقصة فى ذلك العصر استمد من القرآن وسار فى ركابه ذلك هو :

**٢ - القصـة النبويـة :**

كان الرسول ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم ، وترسم خطاه فى توظيف القصة من أجل نشر الوعى وتعميق مبادىء الإسلام فى النفوس ، حيث نجد الرسول ﷺ يتخذ من القصة أسلوباً مهماً من أساليب الدعوة ، يحملها قيم الإسلام ومعانيه ، ويربى عليها الصحابة من رعيل الإسلام الأول ، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة فى الفكر والتصور وطريقة فى السلوك وواقع الحياة ، وفوق ذلك كان الرسول ﷺ يتلقى طلبا من الصحابة وغيرهم[١] بأن يقص عليهم الرسول ﷺ ، فهو أيضاً باستخدامه القصة فى دعوته يستجيب لمناخ بيئى يطلب القصة ويرغب الاستماع إليها ، وهذا الإقبال عنصر حيوى أعطى القصة أهمية بالغة فى نظر الرسول المعلم ﷺ ، مما جعله يستعمل القصة فى حديثه إلى المسلمين من صحابته الكرام على نطاق واسع جداً ، وفى شتى الموضوعات .

والواقع أن الرسول ﷺ ما وجد فرصة يدعو فيها الناس إلى الإسلام إلا وحدثهم بالقصص الذى يشد انتباههم ، ويقسرهم على الاستماع إليه بكل مالديهم من شغف ، وقد أثارت هذه الطريقة حفيظة عبدالله بن أُبى بن سلول

---

(١) كان المشركون يطلبون من الرسول ﷺ أن يقص عليهم بعض الأخبار الماضية لتعجيزه أو لبيان صدق نبوته كما يوحى لهم بذلك أهل الكتاب فكان ﷺ يقص عليهم من القرآن ، كما كان يفصل أحياناً بعض قصص القرآن الكريم ، انظر جامع البيان للطبرى ص ١٩١ - ١٩٢ ، مصطفى البابى الحلبى ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

قبل أن يسلم ، روى البخارى رحمه الله : « .. **أنَّ رسولَ الله ﷺ ركبَ على حِمارٍ ، على قطيفة فَدكيّةٍ ، وأردفَ أسامة بن زيد وراءه يعودُ سعد بن عُبادة فى بنى الحارث بن الخزْرَجِ قبل وقعةِ بدر قال : حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبدُالله بن أُبىّ بن سَلول . وذلك قبلَ أن يسْلم عبدالله بن أُبىّ : فإذا فى المجلس أخلاطٌ من المسلمينَ والمشركينَ عبَدَة الأوْثان واليهود والمسلمينَ ، وفى المجلس عبدالله بن رَوَاحة ، فلما غشيت المجلس عُجاجة الدابَّة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه ، ثم قال: لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف ، فنزل فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدالله بن أبىّ بن سَلول : أيها المرء إنه لأحسن مما تقول ، إن كان حقاً ، فلا تؤْذنا به فى مجلسنا ، ارْجع إلى رَحْلك ، فمن جاءك فاقصُص عليه ، فقال عبدالله بن رَوَاحة بلى يا رسول الله ، فاغشنا به فى مجالسنا ، فإنا نحبُّ ذلك ...** »[1] .

وكان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يتعهد أصحابه بالقصة يعظهم بها ويذكرهم . روى الدارمى فى سننه : « عن عبدالملك بن ميسرة قال : سمعت كردوساً وكان قاصاً يقول : أخبرنى رجل من أهل بدر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأن أقعد فى مثل هذا المجلس ، أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب . قال : قلت أنا : أى مجلس يعنى ؟ قال : كان حينئذ يقص ، قال أبو محمد : الرجل من أصحاب بدر هو علىّ »[2] . وجاء فى مسند الإمام أحمد بن حنبل : « ثنا شعبة عن أبى التياح قال : سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى أمامة قال : خرج رسول الله ﷺ على قاص يقص ، فأمسك ، فقال

---

(١) البخارى ٦ : ٤٩ ، مسلم ٣ : ١٤٢٣ .

(٢) سنن الدارمى ٢ : ٢٢٧ وجاء فى الهامش : « .. رواه أيضاً : أحمد ، وفيه كردوس بن قيس وثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .. »

رسول الله ﷺ : قص ، فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب »(١) ولما كانت الصُّفة ملتقى ضيوف الإسلام فى المدينة من الوفود أو المسلمين حديثاً أو الفقراء الذين يأوون إليها ، وجد فيها الرسول ﷺ فرصة كبيرة يلتقى بالمجتمعين فيها فيحدثهم ويذكرهم بالقصص وغيرها ، يدل على ذلك غير ماتقدم ما روى عن النعمان بن سالم أن عمرو بن أوس أخبره أن أباه أوساأخبره قال : « إنا لقعود عند رسول الله ﷺ فى الصفة وهو يقص علينا ويذكرنا ... »(٢) .

ومما يعكس لنا اهتمام الرسول ﷺ بالقصة فى تعليم الصحابة وتربيتهم ، أنه كان يكرر القصة الواحدة أكثر من مرة وفى أكثر من مجلس ، وربما كان السبب فى ذلك هو تجدد الوافدين على مجلسه ﷺ من المسلمين حديثاً أو من الصحابة الذين كانوا يتعاقبون فى الاستماع إليه ، إذ كانوا يتناوبون فى التلقى عنه ، حيث يذهب بعضهم إلى الاشتغال. بما يصلح معاشهم بينما يبقى بعض ، يأخذ عن الرسول ﷺ(٣) ، وربما كان السبب أيضاً ما كان يحرص عليه الرسول ﷺ من تقرير ماتهدف إليه القصة من غايات وما تتحدث عنه من موضوعات فى نفوس المستمعين. وظاهرة تكرار القصة الواحدة فى أكثر من مناسبة ، تؤكدها وتنطق بها عدة نصوص فى كتب الحديث ، فقد جاء فى سنن الترمذى ، عند رواية قصة أصحاب الأخدود : « .. قال : وكان ﷺ إذا

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٥ : ٢٦١ ، المكتب الإسلامى . دار صادر بيروت .

(٢) المسند ٤ : ٨ (صادر) .

(٣) كما كان يفعل عمر بن الخطاب مع صاحبه حيث اتفقا على أن يذهب أحدهما إلى مجلس الرسول ﷺ مرة ، ويذهب الآخر مرة أخرى ويخبر كل منهما صاحبه بما لم يحضره من حديث رسول الله ﷺ ، البخارى ى ١ : ٣٣ ( باب التناوب فى العلم ) .

حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر . قال : كان ملك من الملوك .. »[١] وعن قصة « الكفل من بنى إسرائيل » قال ابن عمر رضى الله عنهما : « لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين ، حتى عدَّ سبع مرار ، ولكن قد سمعته أكثر من ذلك ، قال : كان الكفل من بنى إسرائيل .. الخ »[٢] ، ومن هنا نجد أن القصة الواحدة ترد بأكثر من رواية وعن طريق أكثر من راوٍ ، وفى أكثر من عرض ، مما نحس معه أحياناً ببعض الاختلاف الشكلى ، الذى ربما تصرف فيه الرسول ﷺ مرة عن مرة ، دون اختلاف فى الجوهر أو المدلول الذى تهدف إليه القصة .

وأحياناً نجد الاختلاف بين راويين كل منهما سمع من الرسول ﷺ ، مثل مانقرأه فى قصة الرجل الذى كان آخر من يدخل الجنة وما أعطاه الله من النعيم الجزيل ، فقد جاء فى نهاية القصة : « .. ومثله معه . قال أبوسعيد الخدرى لأبى هريرة رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : قال الله : لك ذلك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة : لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله : لك ذلك ومثله معه ، قال أبو سعيد : إنى سمعته يقول : ذلك لك وعشرة أمثاله »[٣] . « قال أبو سعيد ومثله معه وقال أبو هريرة وعشرة أمثاله معه ، قال أحدهما لصاحبه حدث بما سمعت ، وأحدِّث بما سمعت »[٤] .. وجاء عن هذه القصة فى حديث آخر : « .. قال أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول أسمعت هذا من رسول الله ﷺ ، أيعطى هذا الرجل كله فى مقامه ، فقال عمرو بن عبسة : يا أبا أمامة ، لقد كبرت سنى ورق عظمى واقترب

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٤٣٧ .
(٢) المسند ، تحقيق أحمد شاكر ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، الترمذى ٤ : ٦٥٧ .
(٣) البخارى ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٤) المسند ، صادر ٣ : ٧٤ ، ٧٥ .

أجلى ، وما بى من حاجة أن أكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً لقد سمعته سبع مرار أو أكثر من ذلك »[1] ويجب أن نلاحظ ونحن نستنتج من ذلك « ظاهرة التكرار » التى تؤدى بالرواة إلى هذا الاختلاف الشكلى . نلاحظ :

١ – أن كلا من الصحابيين ثقة عدل صادق .

٢ – أن كلا منهما صرح بأنه سمع من الرسول ﷺ ، مع ملاحظة أن أبا هريرة رضى الله عنه قد دعا له الرسول ﷺ بالحفظ .

٣ – أن الاختلاف شكلى ، ذلك أنه لا تناقض بينهما ، إذ أن قوله : « ومثله معه » لا يعنى فقط الوحدة العددية فى المثلية، وإنما فيه أيضاً الدلالة على المثلية النوعية بمعنى أن هذا المثل قد يكون « مثلا » واحداً ، وقد يكون أكثر من ذلك ، فلا قطعية فى دلالة « ومثله معه » على أنها مثله مرة واحدة كما لا تنفى أن تكون المثلية خمس مرات أو عشر مرات ، فدلالة أنه مثله مرة واحدة أو مثله عشر مرات دلالة يحتملها اللفظ بظاهره ، أما القول الآخر : « وعشرة أمثاله » فهو يفيد المثل فى النوعية ، وحدد العدد أيضا ، فدل على العدد بالقطع فاتضح عدم التناقض . والله تعالى أعلم .

ومن أمثلة تكرار القصة مع اختلاف المناسبة التى تساق فيها القصة ما جاء عن قصة عذاب القبر فى الروايتين التاليتين :

١ – « عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ دخل نخلا لبنى النجار فسمع صوتاً ففزع ، فقال : من أصحاب هذه القبور ؟ قالوا : يا نبى الله ، ناس ماتوا فى الجاهلية قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، وعذاب النار وفتنة الدجال ، قالوا : وما ذاك يا رسول الله ! قال : إن هذه الأمة تبتلى فى

---

(١) المسند ، صادر ٤ : ١١٢ ، ١١٣ .

قبورها . فإن المؤمن إذا وضع فى قبره ... الخ »[١] .

٢ - « عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنما على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ... الخ »[٢] .

« فالقصة » عن عذاب القبر يسوقها الرسول ﷺ مرة على أصحابه وقد دخلوا نخلا لبنى النجار ، ومرة أخرى يسردها عليهم وهم فى انتظار جنازة يهيأ لها المثوى الأخير ..

وقد اشتملت أمهات كتب الحديث المعتمدة ، والتى أجمعت عليها الأمة الإسلامية بالقبول ، ووصفوها بالصحة والتوثيق ، اشتملت على نصوص قصصية كثيرة جداً ، وهى نصوص تتفاوت طولا وقصراً كما تتفاوت أيضاً فى حظها من بروز العنصر القصصى وقربها من الاكتمال فى البناء القصصى فى أكثر مقوماته أو بعدها عن ذلك الاكتمال ، إلا أن الشىء المؤكد أن النصوص ذات الحظ القصصى الواضح ذات كفة راجحة فى مجموعة النصوص القصصية التى أترعت بها مصادر الحديث النبوى الشريف . ولقد تأتىٰ لى من خلال مراجعة أمهات كتب الحديث التسعة[٣] أن أظفر منها بالكثير جداً من النصوص القصصية ، حيث جمعت منها ما يقارب تسعة وثلاثين ومائة نص تختلف فى عرضها ، مجردة عن التكرار ، وتعدد الروايات ، وتعدد الرواة ، ولولا ذلك لتجاوز عددها ضعف ذلك الرقم عدة مرات ، وهذا خلاف

---

(١) المسند ( صادر ) ٣ : ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) سنن أبى داود ٢ : ٥٤٠ - ٥٤١ .

(٣) البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والموطأ . والدارمى ومسند الإمام أحمد ، وهى التى عولت عليها فقط فى جمع نصوص هذا البحث .

ماتشتمل عليه مصادر الحديث الأخرى من نصوص كثيرة لا تقل صحة وثقة عما جمعت .

وقد فطن العلماء المحدثون ، ومؤلفو كتب الحديث إلى هذه النصوص التى تتميز بشكلها القصصى ، وفرقوا بينها وبين غيرها من الأحاديث الشريفة ، ويرشدنا إلى هذا التنبه والتمييز مانجده من ألفاظ مبثوثة فى مصادر الحديث ، نلاحظ أنهم يستعملونها فى الدلالة على الأحاديث ذات الطابع القصصى فقط ومن أمثلة ذلك عند البخارى قوله : « باب قصة الحبش وقول النبى ﷺ يا بنى أرفدة »[١] وقوله : « باب قصة غزوة بدر »[٢] وقوله : « باب قصة عكل وعرينة »[٣] ، وقوله : « قصة الأسود العنسى »[٤] وقوله : « باب قصة أهل نجران »[٥] وقوله : « قصة عمان والبحرين »[٦] وقوله : « باب قصة يأجوج ومأجوج »[٧] وقوله : « قصة الطفيل بن عمرو الدوسى »[٨] وقوله : « وقص الحديث .. »[٩] إلى غير ذلك[١٠] كما نجد مثل ذلك عند الإمام مسلم كقوله : « حدثنا ابن عون عن محمد ، عن أنس بهذه القصة ، نحو حديث يزيد .. »[١١] وقوله : « .. حدثنا عبدالعزيز بن محمد

---

(١) ٤ : ٢٣٤ .
(٢) ٥ : ٩٣ .
(٣) ٥ : ١٦٤ .
(٤) ٥ : ٢١٦ .
(٥) ٥ : ٢١٧ .
(٦) ٥ : ٢١٨ .
(٧) ٤ : ١٦٧ .
(٨) ٥ : ٢٢٠ .
(٩) ٥ : ٩ .
(١٠) انظر ٤ : ١٧٩ ، ١٩٠ ، ٥ : ١٩ ، ٦٥ ، ٦ : ٤٩ ، ٨٩ .
(١١) مسلم ٣ : ١٦٩٠ .

عن عمرو بن يحيى ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك بهذه القصة ، فى طعام أبى طلحة .. »[١] وقوله « .. ثم ذكر سائر الحديث بقصته .. »[٢] وقوله : « .. بهذا الإسناد ، الحديث عن النبى ﷺ مجرداً عن سائر القصة ، من ذكر أم يعقوب .. »[٣] وقوله : « باب قصة الجساسة »[٤] وقوله : « باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام »[٥] إلى غير ذلك[٦] .

وحين نصل إلى الترمذى فى سننه نجده أكثر إطلاقاً لهذا اللفظ ، وأكثر صراحة ووضوحاً فى استعماله ، وغالباً مايقول : « وفى الحديث قصة »[٧] . وقوله : « .. فذكر قصة فى هذا الحديث طويلة »[٨] ويقول أيضاً : « .. فذكر القصة فى الحديث »[٩] ويقول : « .. وكلا الحديثين عندى صحيح ، لأن قصة حديث صهيب غير قصة حديث بلال »[١٠]ويقول « .. وذكر ووعظ فذكر فى الحديث قصة فقال : ... »[١١]إلى غير ذلك[١٢] ، ونجد

---

(١) مسلم ٣ : ١٦١٣ .

(٢) مسلم ٣ : ١٦١٤ .

(٣) مسلم ٣ : ١٦٧٩ .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٦١ .

(٥) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٦) انظر : مسلم ١ : ١٨٦ ، ٢٨٠ ، ٤ : ١٧٥٧ ، ١٧٨٦ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٩٤١ ، ٢٣٠١ .

(٧) ٤ : ١٧٣ ، وانظر : ٣ : ٦٠٣ : ٤ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٧٧ ، ١٥٣ ، ٢٣٧ ، ٥٠٢ ، ٥ : ٢٧١ ، ٣٧٢ ، ٦٣٥ ، ٦٥٤ .

(٨) ٤ : ٢١٣ ، وانظر : ١ : ٣١٥ ، ٢ : ٣٦٣ ، ٤ : ١٥٨ ، ٣١٣ ، ٥٤٣ ، ٥ : ٤٦ ، ٧٨ ، ٤٤٣ .

(٩) ٥ : ٣٩ .

(١٠) ٢ : ٢٠٥ ، وانظر : ٢ : ٤٧٨ ، ٣ : ٤٥٣ ، ٤ :٤٢ .

(١١) ٣ : ٤٥٨ .

(١٢) ١ : ٨٤ ، ٣ : ٥٠٠ ، ٥ : ٢٧٢ – ٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣٤١ ، ٦٨٠ .

أبا داود يشارك الترمذى أيضاً فى كثرة استعماله للفظ « القصة » وإطلاقها على بعض النصوص القصصية ، ولعلهما أكثر أهل الكتب التسعة فى الحديث استعمالا لهذا اللفظ ، ومن أمثلة ذلك عند أبى داود قوله : « .. **عن أبى هريرة بهذه القصة** »[١] وقوله : « .. **بعض هذه القصة** .. »[٢] وقوله : « **عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، بهذه القصة** ..[٣] » وقوله : « .. **قال : وساق القصة قال** ..»[٤] وقوله : «**وقص الحديث** »[٥] وقوله : « ..**قال أبو داود: روى هذه القصة شعيب** .. »[٦] وقوله : « .. **عن أم سلمة ، عن النبى ﷺ بقصة جيش الخسف** .. »[٧] إلى غير ذلك [٨] .

أما سنن النسائى وابن ماجه والموطأ وسنن الدارمى والمسند فلا نجد فيها هذا الاستعمال للفظ « قصة » وهذا لاينفى أن يرد اللفظ ذاته نادراً وفى أثناء نص ما[٩] ، وحين نتقدم عن عهد أولئك الأئمة نجد أيضاً ابن تيمية وغيره يطلقون بين وقت وآخر لفظ قصة وهم يتحدثون عن بعض الأحاديث ،

---

(١) ١ : ٣٠٦ .

(٢) ١ : ٤١٤ .

(٣) ١ : ٤٩٦ .

(٤) ٢ : ١٠٥ .

(٥) ٢ : ١٥٤ .

(٦) ٢ : ١٦٨ .

(٧) ٢ : ٤٢٣ .

(٨) ١ : ٥٣٠ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٨ ، ٢ : ٤٥ ، ٦٦ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٦٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤ ، ٥٥٣ ، ٦٣٨ ، ٤٤٦ .

(٩) انظر فى ذلك سنن النسائى ٦ : ١٢٤ ، ٨ : ٢٠٧ وسنن ابن ماجه ١ : ٩ ، ٦٥٥ ، ٢ : ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، والموطأ بشرح الزرقانى ٢ : ٢٢٣ . وسنن الدارمى ١ : ١٢٦ ، والمسند بتحقيق شاكر ٨ : ١٦٧ ، ٩ : ١١٧ ، ١١٨ ، وفى طبعة صادر ٢ : ٢٤ ، ٦٦ ، ٣ : ١٣٠ ، ٤ : ٧٥ ، ١١٠ ، ٢٩٣ ، ٥ : ١٤ ، ٤٥٢ .

كنحو ما نجده فى المجلد الثامن عشر من فتاوى ابن تيمية مثل قوله : « وقد يسمى الحديث واحداً وإن اشتمل على قصص متعددة إذا حدث به الصحابى متصلا بعضه ببعض ... »[١] وقوله : « والقصة الطويلة يمتنع فى العادة أن يتفق الاثنان على وضعها من غير مواطأة منهما »[٢] وكما نجد فى منتخب كنز العمال قوله : « .. ( الكتاب الثالث من حرف القاف كتاب القصص – قصة أصحاب الغار ) .. » ثم يذكر القصة[٣] . وقوله : « قصة موسى والخضر عليهما السلام » ، ثم يسرد القصة[٤] وقوله : « قصة أصحاب الأخدود وفيه كلام الطفل أيضاً » ثم يسرد القصة .. [٥] .

وحين أشير إلى ما ألمسه من تمييز بين بعض النصوص التى تحمل بعض العناصر القصصية وغيرها عند المحدثين حينما يستعملون لفظ « قصة » أحياناً ويتركونه أحياناً أخرى ، لا أزعم أبداً أنه كان يستعمل بالدلالة الفنية الدقيقة المصطلح عليها بين الدارسين والنقاد فليس كل ما استعملت بجانبه يدخل فى المجال القصصى على طول الخط دون تحفظ ، كما أن هناك نصوصاً كثيرة لا نجدهم يَسمونها بوسم القصة ، أو يطلقون عليها هذا اللفظ ، ومع ذلك كله فهى تعطى دلالة غير مباشرة من مجموع تلك الاستعمالات على ما لحظه القدماء من فرق بين نصوص ذات عنصر قصصى ، وبين نصوص لا تتمتع بذلك العنصر فى تضاعيفها ...

ولاشك أن القصة فى البيان النبوى مظهر كبير لبروز الجانب القصصى فى العهد الإسلامى ؛ لما تحمله تلك القصة فى بنائها من نسج فنى وعناصر

---

(١) ١٨ : ص ١٥ .
(٢) ١٨ : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) البرهان نورى ؛ منتخب كنز العمال على هامش المسند ٦ : ١٦١ ، ١٦٢ .
(٤) ٦ : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٥) ٦ : ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

قصصية ، تؤكد للدارسين إلى أى مدى كان العنصر القصصى متغلغلا فى الجو العربى القديم ، وفى وجدان الناس الذين يتلقون تلك القصص ويستجيبون لها ويحاورونها تذوقاً وتأثراً ..

والقصة فى البيان النبوى بهذه المؤهلات تشجع على دراستها ، وإخضاعها للبحث ، لتجلية ما تنطوى عليه نصوصها من الجوانب القصصية بشكل مفصل دقيق يتناول أجزاءها بالوصف والتحليل ، ولعل فى هذا البحث الذى أقدمه محاولة فى هذا المجال .

**٢ – قصص الصحابة :**

تشكل « قصص الصحابة » رضوان الله عليهم ، مظهراً ثالثاً يدل على بروز العنصر القصصى فى العهد الإسلامى وشيوعه والناظر فى قصص الصحابة يستطيع أن يصنفها فى ثلاثة أنواع :

١ – تجارب ذاتية .
٢ – أخبار عن الجاهلية وأيامها .
٣ – قصص وعظية .

والقصص الوعظى الذى مارسه بعض الصحابة يدخل فى تيار القصص الوعظى ، الذى نشأ مع الإسلام ، ووجد فى حياة الرسول ﷺ واستمر ينمو إلى أن ازدهر وكثر فى العهد الأموى ، وسأترك الحديث هنا عن هذا النوع من قصص الصحابة لأتناوله فيما بعد فى عموم الحديث عن القصص الوعظى .

وأما النوع الثانى من قصصهم ، وهو قصص عن أخبار الجاهلية وشئونها ، فقد كان معروفاً عنهم أنهم فى مجالسهم أحياناً يجلسون يقصون على بعضهم أشياء من أمور الجاهلية ، وما حدث فيها من أيام العرب .. وحروبهم ، ويتذاكرون ماكان فى ذلك من أخبار وأشعار ، بل كانوا يفعلون

ذلك أحياناً فى حضرة الرسول ﷺ ، فعن جابر بن سمرة قال : « جالست النبى ﷺ أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ، فربما تبسم معهم . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقد رواه زهير عن سماك أيضاً »[١] .

وكان ابن عباس يفرد أياماً يجلس فيها يروى أخبار الجاهلية وأيامها ، ويقص على الناس ما حوته تلك الأيام من وقائع وحروب وأحوال .[٢] .

ولكن أروع قصصهم وأحفلها بعناصر الإثارة والتشويق ما سجلوه عن تجاربهم الذاتية الواقعية ، وإذا كان الأدب الحقيقى هو الذى يصور لنا الحياة أو قطاعاً منها عن طريق التعبير الفعّال المؤثر فإن قصص الصحابة عن تجاربهم الذاتية ليتضح فيها هذا المعنى أظهر ما يكون الوضوح ، فهى تصور لنا فترة من حياة المسلمين من الرعيل الأول الذى شهد انبثاق فجر الإسلام ، وترصد لنا المعاناة التى لاقوها ، والحياة التى اضطربوا فيها ، وقارىء تلك القصص يحس أنه أمام مشاهد حية تتحرك ، ينقلها له أشخاصها الذين عاشوها فعلا بكل صدق وأمانة ، ومن خلال مطالعتى لنصوص كثيرة[٣] من قصص الصحابة التى تصور تجاربهم الذاتية فى حياتهم الإسلامية وماتمثلوه فيها من قيم ، يبدو لى أنه يمكن تصنيفها فى أربعة أنواع :

١ - نوع يمكن أن نطلق عليه « إسلام الصحابة » وفى هذا النوع نجدهم يرصدون لنا أهم المواقف وأخطرها فى حياتهم ، وأعمقها أثراً فى

---

(١) سنن الترمذى : ٥ : ١٣٩ .

(٢) انظر : ابن سعد فى الطبقات الكبرى ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ليدن ١٣٢٥ هـ ، مطبعة بريل ، وانظر أيضاً : ابن عبدالبر فى الاستيعاب ٣ : ٩٣٩ طبع ونشر مكتبة نهضة مصر ، القاهرة القسم الثالث بتحقيق على محمد البجاوى .

(٣) تفيض كتب الحديث والتاريخ والتراجم والطبقات بالكثير جداً من هذه القصص .

نفوسهم وعلى سلوكهم ، وأعنى بذلك موقفهم من الإسلام فى نوره الذى شع بقوة ونفاذ ليتغلغل فى نفوسهم فيضىء فيها إحساس الفطرة ، ويجلى عنها ركام الجاهلية وصدأها الذى ران على القلوب زمناً طويلا ، فوجدوا أنفسهم يهربون من تلك الحياة فى رحلة حق وخير إلى مرفأ الأمان والنجاة فى ظل الإسلام ، ويبدو أنهم أحسوا أن رحلتهم تلك وما صاحبها من ظروف وملابسات ، أولى بهم أن يسجلوها ويهتموا بها ؛ حيث تظل دائماً فى ذاكرتهم وعلى اللسان فى أحاديثهم ، إذ أنها كانت منعطفاً كبيراً فى حياة كل شخص منهم وكذلك فى حياة ذلك الجيل كله ، وقد كان فيما وصل إلينا من قصصهم الذاتية عدد كبير جداً من القصص التى تتحدث عن إسلام الصحابة ، يرويها أصحابها الذين عاشوا تجربتها وعانوا أحداثها ، ومن نماذج ذلك التى يمكن الرجوع إليها :

( أ ) « أبى الله إلا أن أسمع »[١] وهى قصة تتحدث عن إسلام الطفيل ابن عمرو الدوسى[٢] ...

(ب) « الباحث عن النور » عن قصة إسلام سلمان الفارسى[٣]

( ج) « من الضيق إلى السعة » عن قصة إسلام خالد بن الوليد[٤] .

---

(١) هذا العنوان والعناوين التى تأتى بين الأقواس الصغيرة ، اخترتها لتدل على هذه القصص من وجهة نظرى .

(٢) انظر : ابن هشام ؛ السيرة النبوية ٢ : ٢٢ ، ٢٤ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، ابن سعد فى الطبقات ٤ : ٢٣٧ ، ابن حجر فى الإصابة ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ . وابن كثير فى البداية والنهاية ، مكتبة المعارف - بيروت ، ومكتبة النصر - الرياض ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(٣) السيرة النبوية ١ : ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، والطبقات ٤ : ٥٣ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى مطبعة حيدر آباد الدكن الهند ط الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٤) البداية والنهاية ٤ : ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٥ ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ؛ كنز العمال للبرهان نورى ٧ : ٣٠ طبع حيدر آباد الهند ١٣١٢ هـ .

( د ) « أخي لعمرى ! » عن قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث[١] .

٢ - والنوع الثانى « فى سبيل الإسلام » وهذا النوع يصور لنا ماقدمه أولئك الذين ارتحلوا من الجاهلية إلى الإسلام ، من بذل وعطاء ، وتضحية وفداء فى سبيل دينهم الجديد الذى ارتضوه وآمنوا به أعمق الإيمان وأصدقه ، فكانوا نعم الأنصار له ، وخير المجاهدين فى سبيله ، حين استلهموا الإسلام واقعاً يطبقونه فى السلوك ، وشعوراً يحسونه فى الضمير ، فأخلصوا له حق الإخلاص ، وفدوه بكل غال ونفيس ، فقد دعاهم إلى الهجرة ، فانطلقوا سراعاً وتركوا مكة وفى قلوبهم حنين ، وفى نفوسهم لوعة ، مؤثرين العقيدة على مواقع الصبا ومرابع الطفولة ، ومواطن الذكريات والحنين ، وانطلقوا إلى الحبشة ثم إلى المدينة فى هجرة إلى الله ورسوله مسجلين أخلد الأمثلة الرائعة فى مجال الفداء والتضحية والإيمان العميق الحق ، ودعاهم داع الجهاد فكانوا الفرسان الأشاوس الذين يرتاع منهم الروع ، ورؤوا كل أرض شهدت لهم معركة بالدماء الزكية الطاهرة ، ونشير فى هذا الصدد إلى بعض الأمثلة :

( أ ) « صفقة رابحة » عن قصة هجرة صهيب الرومى[٢] .

(ب) « ألا تخرجون هذه المسكينة » عن قصة هجرة أم سلمة[٣] .

( جـ) « هذا قتله » عن قصة قتل ابن أبى الحقيق اليهودى بخيبر[٤] .

---

(١) ابن قدامة ؛ كتاب التوابين : ١١٠ ، ١١٦ تحقيق الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ط الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٢) البداية ٣ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، الطبقات ٣ : ١٦٢ ، تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٧ ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، المستدرك للحاكم ٣ : ٣٩٨ مطابع النصر بالرياض .

(٣) ابن هشام ٢ : ١١٢ - ١١٣ ، البداية ٣ : ١٦٩ - ١٧٠ ، حياة الصحابة لمحمد يوسف ١ : ٣٤٣ - ٣٤٤ ، الهند ١٩٦٠ م .

(٤) البخارى ٥ : ١١٧ - ١١٨ ، ابن هشام ٣ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، البداية ٤ : ١٣٧ - ١٣٨ ، حياة الصحابة ١ : ٣٦٨ - ٣٧٠ .

( د ) « ولست أبالى حين أقتل مسلماً ! » عن قصة استشهاد خبيب ابن عدى[١] .

والنوع الثالث « قيم الإسلام فى واقعهم » حيث تعكس لنا هذه القصص حياتهم التى كانت ترجمة حية لمعانى الإسلام ومبادئه وقيمه ، وتعطينا صوراً نابضة لتمثل الإسلام فى السلوك ؛ بحيث صاروا يصدرون عنه فى كل تصرفاتهم وشئونهم بطريقة تلقائية .. ومن أمثلة ذلك :

( أ ) « يا أصحاب الضوء ! » عن قصة عمر مع المرأة صاحبة الأطفال الجياع ، حين كان يتفقد أحوال الرعية ليلا[٢] .

(ب) « دلونى على السوق » عن قصة عبدالرحمن بن عوف مع أخيه الأنصارى ..[٣].

(جـ) « ولدتهم أمهاتهم أحراراً » عن قصة القبطى الذى سابق ابن عمرو بن العاص[٤] .

( د ) « الزوج الشهيد » عن قصة الصحابي « جلبيب » حين وجد إلى جنب سبعة فى غزاة مع الرسول ﷺ قتلهم ثم قتلوه ..[٥] .

٤ — والنوع الرابع « ابتلاء وإيمان » وهو نوع من القصص التى تصور لنا ما واجهه بعض الصحابة فى حياتهم الإسلامية من ألوان شتى من

---

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٣ دار القاموس الحديث ، بيروت ، السنن الكبرى للبيهقى ٩ : ١٤٥ حيدر آباد الدكن ١٣٤٤ هـ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ، فتح البارى لابن حجر ٧ : ٣٣٨ ، المطبعة السلفية ١٣٨٠ هـ ، والبداية ٤ : ٦٢ .

(٢) البداية ٧ : ١٣٦ ، وانظر نحو ذلك فى حياة الصحابة ٢ : ٢٠ — ٢١ .

(٣) الطبقات ٣ : ٣٨ ، البداية ٣ : ٢٢٨ ، والإصابة ٢ : ٢٦ .

(٤) كنز العمال ٦ : ٣٥٥ ، حياة الصحابة ٢ : ١٠٢ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ١٩١٨ — ١٩١٩ ، حياة الصحابة ٢ : ٧٥١ — ٧٥٢ .

الابتلاء والامتحان ، أراد الله بها أن يمتحن قلوبهم ويبلوهم أيهم أحسن عملا ، قال تعالى : ( **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمنَّا وهم لا يُفْتَنُونَ ، ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبِلِهِم فَلَيعلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا ولْيعلمَنَّ الكَاذِبِينَ** )[١] ، وقد قام بعض الصحابة بتسجيل شيء من صور ذلك الامتحان والاختبار الذى أثبت ماينطوون عليه من إيمان عميق .. ومن أمثلة هذا النوع :

( أ ) « الإفك العظيم » عن القصة التى ترويها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى حادثة الإفك[٢] .

(ب) « بلاء الصديق » عن قصة الأذى الذى نال أبا بكر حين قام خطيباً يدعو قريشاً إلى الإسلام[٣] ..

( جـ) « مقاطعة وصبر » عن قصة كعب بن مالك حين تخلف مع اثنين غيره عن غزوة تبوك[٤] .

( د ) « الهارب من جهنم » عن قصة « فتى من الأنصار »[٥] .

والحقيقة أن هذه القصص الذاتية التى أنشأها الصحابة ، تشكل رصيداً فنياً ضخما ، يضاف إلى عطاء فترة النبوة والخلفاء الراشدين فى المجال الأدبى ، وتمثل لوناً من ألوان الإبداع الذى جاد به ذلك العهد الزاهر .

---

(١) العنكبوت ١ - ٣ .

(٢) البخارى ٣ : ٢٢٧ - ٢٣١ ، مسلم ٤ : ٢١٣٠ - ٢١٣٧ ، ابن هشام ٣ : ٣١٠ - ٣١٥ ، البداية ٤ : ١٦٠ - ١٦٣ ، زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٢ : ١١٣ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، مجمع الزوائد للبيهقى ٩ : ٢٣٢ ، دار الكتاب بيروت ١٩٦٩ م .

(٣) البداية ٣ : ٣٠ - ٣١ ، حياة الصحابة ١ : ٢٥٩ - ٢٦٢ .

(٤) البخارى ٦ : ٣ - ٩ ، مسلم ٤ : ٢١٢٠ - ٢١٢٨ ، البداية ٥ : ٢٣ - ٢٦ ، ابن هشام ٤ : ١٧٥ - ١٨١ ، الطبرى ٢ : ٣٧٤ ، سنن البيهقى ٩ : ٣٣٠ .

(٥) كتاب التوابين لابن قدامة ١٠٦ - ١٠٨ .

## ٤ - القصص الوعظى :

ولعل آخر المظاهر التى تعطينا دليلا حياً أيضاً على بروز العنصر القصصى بشكل واضح بعد الإسلام ، ما نجده من نشأة نوع من أنواع القصص الدينى ، ذلك هو قصص الوعظ والتذكير « المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة »[١] ، وهذا اللون نشأ والرسول ﷺ لا يزال موجوداً يدل على ذلك ما ورد فى المسند :

« حدثنا عبدالله حدثنى أبى ثنا محمد ثنا شعبة عن أبى التياح قال : سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى أُمامة قال : خرج رسول الله ﷺ على قاص يقص ، فأمسك ، فقال رسول الله ﷺ : قص ، فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحبّ إلىّ من أن أعتق أربع رقاب ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس أحبّ إلىّ من أن أعتق أربع رقاب »[٢] ، وهذا التشجيع من الرسول ﷺ للقاص وقصصه حين يكون ملتزماً لسنن الاعتدال ومخلصاً فى قصده فى بيان الطريق المستقيم والحث على سلوكه ، أما حين يكون الهدف منه التعاظم والتعالى والتباهى بالعلم فهو مستكره مرفوض ، ويدل على هذا ماورد فى سنن الدارمى « عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مراء »[٣] ومما يفسر لنا أن المقصود بنهى الرسول ﷺ عن القصص ، التحذير من الانحراف عن غاية القصص النبيلة وهدفها الراشد فى وعظ الناس وحثهم على لزوم طريق الحق ، يفسر ذلك الحوار الذى دار بين الحارث بن معاوية وبين عمر عن القصص : « عن الحارث بن معاوية الكندى ، أنه ركب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث

---

(١) التفسير الكبير للرازى ٢ : ٤٧٤ ، ط الأولى القاهرة ، المطبعة الخيرية ١٣٠٧ هـ .
(٢) المسند ٥ : ٢٦١ ، ( صادر ) .
(٣) الدارمى ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وانظر : المسند ٤ : ٢٣٣ ( صادر ) .

خلال ، قال : فقدم المدينة فسأله عمر : ما أقدمك ؟ قال : لأسألك عن ثلاث خلال ، قال : وما هن ؟ قال : ... وعن القصص فإنهم أرادونى على القصص ؟ فقال عمر : ما شئت ، كأنه كره أن يمنعه ، قال : إنما أردت أن أنتهى إلى قولك ؟ قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم فى نفسك ، ثم تقص فترتفع ، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا ، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بعد ذلك »[١] فكان القصد من ذلك النهى وهذا التحرج هو ألا ينساق القصاص وراء الزهو والعجب الذى قد يدفع بهم إلى خداع العامة بإيراد الغرائب والمناكير ، أما حين يكون القاص ثقة ورعاً فإنه بلاشك يلاق التقدير والتشجيع ويدخل فى نوعية القصاص الذين أثنى الرسول ﷺ على صنيعهم وشجع عليه ؛ ولهذا نجد عمر بن الخطاب وهو المتشدد فى قبول الرواية يأذن فى عهده للصحابى تميم الدارى بأن يقص[٢] على الناس ، وكان كثير من الصحابة يمارسون هذا النوع البناء من القصص ، فأبو هريرة رضى الله عنه كان يقص : « عن أبى سنان أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه وهو يقص فى قصصه وهو يذكر رسول الله ﷺ »[٣] و « عن أبى بكر قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقص ، يقول فى قصصه .. »[٤] ، ومن الصحابة أيضاً « أبو ريحانة » و « عن أبى الحصين الهيثم ابن شفى أنه سمعه يقول : خرجت أنا وصاحب لى يسمى أبا عامر ، ورجل من المعافر ليصلى بإلياء ، وكان قاصهم رجلا من الأزد يقال له أبو ريحانة من الصحابة ، قال أبو الحصين : فسبقنى صاحبى إلى المسجد ثم أدركته فجلست إلى جنبه ، فسألنى هل أدركت قصص

---

(١) المسند ١ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ( شاكر ) .
(٢) أسد الغابة ١ : ٢١٥ ط الموهبية .
(٣) البخارى ٢ : ٦٨ - ٦٩ .
(٤) مسلم ٢ : ٧٧٩ .

أبى ريحانة ؟ فقلت : لا . فقال : سمعته يقول : .. »[١] وكان الأسود بن سريع الصحابى أول من قص فى مسجد البصرة[٢] .. واستمر هذا اللون الوعظى من القصص من عهد الرسول ﷺ وطوال فترة الخلفاء الراشدين فى مظهر سهل خفيف رزين « فعمر لا يأذن إلا لتميم الموثوق ، وعثمان يأذن لقاص يقص يومين فقط فى الأسبوع ، وعلىّ لا يسمح لأحد يقص فى مسجد البصرة إلا للحسن البصرى[٣] وحده بعد أن استمع له واطمأن إلى مايقول ، ولكن ما أن ينتهى عهد الخلفاء الراشدين ويبدأ العصر الأموى حتى ينشط الوعظ والقصص بشكل كبير بارز ، وإذا به يأخذ طابعاً رسمياً فى عهد معاوية رضى الله عنه ، وإذا كل مدينة من مدن الإسلام يشتهر فيها وعاظ وقصاصون ، عرفوا بالبلاغة والتمكن من ناحية البيان[٤] ، وإذا بالحلق تتخذ للقصص الذى يلقى بالمسجد كالحلق التى تتخذ للدروس ، وأول من لزم ذلك مسلم بن جندب ، « وكان قاص مسجد النبى ﷺ بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبدالعزيز : « من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب »[٥] وكان فى الكوفة زيد بن صوحان[٦] ، وكان هؤلاء أهل تأثير شديد على المستمعين إلى درجة أن عبدالله بن عمر كان يبكى من التأثر بقاص المدينة عبيد بن عمير[٧] ، وقد استمر تيار القصص

---

(١) المسند ، ( صادر ) ٤ : ١٣٤ .

(٢) ابن حجر فى الإصابة ١ : ٥٩ ، وانظر : المعارف لابن قتيبة ص ٥٥٧ .

(٣) دراسات فى القصة العربية محمد زغلول سلام ٦٥ ، ٦٦ ، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٣ م .

(٤) انظر : البيان والتبين ، تحقيق عبدالسلام هارون ١ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٥) المصدر السابق ١ : ٣٦٧ .

(٦) ابن سعد ج ٦ ص ٨٤ .

(٧) المصدر السابق ٥ : ٣٤١ .

الوعظى فى هذا العصر متدفقاً مندفعاً ، وإزاء هذا النشاط الزائد نلاحظ أن بعض الصحابة الذين أدركوا هذا العصر يبدون تحفظاتهم حول هذا الاندفاع فى مجال القص ، فابن عباس يقول : « حدث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرار ، ولا تملَّ الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى حديث من حديثهم فتقص عليهم ، فتقطع عليهم حديثهم ، فتملهم ، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه .. »[١] ، وعائشة رضى الله عنها تقول لابن أبى السائب قاص أهل المدينة : « ثلاثاً لتبايعنى عليهن أو لأناجزنك فقال : ما هن ؟ بل أنا أبايعك يا أم المؤمنين ، قالت : اجتنب السجع من الدعاء فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لايفعلون ذلك ، وقص على الناس فى كل جمعة مرة ، فإن أبيت فثنتين ، فإن أبيت فثلاثاً ، فلا تمل الناس هذا الكتاب ، ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى حديث من حديثهم فتقطع عليهم حديثهم ولكن اتركهم فإذا جرَؤوك عليه وأمروك به فحدثهم »[٢] وهو تحفظ دفع إليه كما يبدو من خلال النصوص طغيان هذا التيار القصصى ، وشيوعه فى بيئات متعددة ، وبشكل حاد ، خشى معه الصحابة أن يصل بالناس إلى أن يملوا من هذه القصص ، وهى قصص بطبيعتها مشتملة على آيات من القرآن وأحاديث من السنة النبوية ، ومن هنا كان حرصهم على التخفيف من هذا النشاط الزائد ، والمباعدة بين مرات القص فى الأسبوع الواحد .

وهكذا يتضح لنا بشكل قوى ما حفلت به فترة العصر الإسلامى منذ ظهور الإسلام إلى ظهور الدولة الأموية من مظاهر قصصية متعددة ، تعبر عن خصوبة قصصية ينطوى عليها المجتمع الأدبى بطرفيه ، الملقى والمتلقى ؛ المنشىء للعمل القصصى وهو القاص ، والمستمع لهذا العمل وهم جموع الناس التى

---

(١) البخارى ٨ : ٩١ - ٩٢ .

(٢) المسند ( صادر ) ، ٦ : ٢١٧ .

تحفل بهذه النصوص وتنصت لها فى تأثر واستمتاع ، وهى خصوبة تحفز إلى أن يتجه الدارسون إلى العناية بتلك المظاهر ، ووضعها فى مكانها اللائق فى مسيرة الأدب العربى وفنونه ، وذلك بتجميع نصوصها أولا ودراستها على ضوء هذه النصوص ، ومن هنا وجدتنى أختار مظهراً من تلك المظاهر القصصية فى تلك الفترة ، وهو « القصة النبوية » ، وأمنحها كل جهدى وعنايتى ، فجمعت نصوصها أولا ، ثم عدت إلى هذه النصوص الكثيرة ، استنطقها ما احتوت عليه من خصائص وسمات ، وفى الفصول التالية سجلت تلك الرحلة ، مع النصوص النبوية بما جنته من نتائج ، وما انتهت إليه من آراء ، فماذا قالت هذه النصوص ، وماذا نطقت به من خصائص ؟ والجواب فى فصول البحث الآتية !

---

# الفصل الأول

# البنية العامة للقصة النبوية

- البداية
- الوسط
- النهاية

# فى بناء القصة النبوية

**تمهيـــد :**

يجدر بنا قبل أن نشرع فى دراسة « القصة النبوية » من الناحية الفنية ، أن نحدد الرؤية التى ندرس على أساسها تلك « القصة » ونلفت النظر إلى الأصل الذى ننطلق منه فى هذه الدراسة ، ذلك أن هذه الدراسة تأتى فى زمن يسوده مفهوم حديث « للقصة » ويكاد يطغى هذا المفهوم إلى حد أنه يتبادر إلى الذهن حين يذكر لفظ « القصة » مع أن القصة فى الواقع ليست محصورة فى هذا المفهوم الحديث بمعنى أن ما خرج عنه فقد خرج من عالم القصة ، ولكنها أرحب مجالاً من هذا المفهوم الذى يشكل فى حقيقته حلقة مهمة وكبيرة وناضجة من حلقات التطور الذى تقلبت فيها القصة عبر أزمان طويلة من تاريخ الحضارة الإنسانية .

ونحن حين نتحدث عن القصة فى عهد قديم ، هو العهد النبوى والخلافة الراشدة ، وبالذات حين نتناول لوناً من القصة فى ذلك العهد ، هى « القصة النبوية » محاولين إخضاعها للدراسة الفنية لاستكشاف ما فيها من خصائص فنية ، وموضوعية معينة ، فلا يعنى ذلك أننا نريد من القصة فى ذلك العهد القصة بمفهومها الحديث ؛ ذات المواصفات المعروفة لدى نقاد القصة ومؤلفيها اليوم ، ولا يعنى أننا سنقوم بتطبيق معايير « قصة اليوم » على القصة النبوية ، وهى معايير نبتت فى ظل ظروف معينة ، وفى بيئات معقدة ، خلعت آثارها على بناء الرواية اليوم ، فغدت ذات نظام معقد وتقنية خاصة ، ومن هنا فالفرق شاسع بين هذين اللونين من القصه ، فكل لون له ظروفه البيئية الخاصة ، وله مجاله المعين ، ولا سبيل لأحدهما على الآخر ؛ فلا سبيل للقصة

النبوية بأن تدرس من منظار قصة اليوم ؛ لأنها تختلف عنها ، ولا سبيل « للقصة الحديثة » بأن تكون هي المقياس والميزان لسائر ألوان الفن القصصى الذى وجد قبل أن يكون لها ذكر ما ، نعم لا سبيل لأن نجعل القصة الغربية فى صياغتها الخاصة بها وإطارها المرسوم لها مقياساً نزن به القصة فى الماضى ، ولا حجة على القصة فى تراثنا القديم ، فما وافقها فهو من قبيل القصة ، وما خالفها فقد خرج من عالم القصة ، نعم لا سبيل لذلك ، لأن فيه من المغالطة ، والمناقضة الموضوعية ما هو واضح بين .

وحين نقول إن تلك « القصة » ليست كقصة اليوم ، ليس معنى هذا أنها تخرج عن مجال القصة ، وأننا نحاول أن نتكلف إدخالها فى هذا الباب لا ، ليس هذا هو الواقع ، وليس هذا بالتأكيد مانعنيه ، ولكن الواقع أن « القصة النبوية » تمثل عصرها ، وتعكس الفترة التى وجدت فيها وتدور فى إطارها من حيث الشكل الفنى ، وهى بذلك تمثل مرحلة من مراحل تطور القصة التى تدرجت فيها حتى وصلت إلى الطور الذى هى عليه الآن ، وأنه ليس من الحق فى شىء أن نقصر القصة على ماكان سائراً على المنوال فى عصرنا الحاضر ، وأن نطالب العصور الماضية بأن تتوافر فى قصتها الشروط الفنية لقصة اليوم ، حتى تعد قصة تماماً كما نجمع كلنا على أنه ليس من الحق فى شىء على الإطلاق لو قال أحد بأن القصة يجب أن تكتب فى هذا الزمان على الطريقة التى كانت تكتب بها قبل قرون خلت ..

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يحق لنا أن نتطلع فى هذه الدراسة إلى أن نواجه قصصاً تنطبق عليها معايير القصة الحديثة التى لم تبدأ إلا فى القرن التاسع عشر ، وأرجو ألا يؤدى إلحاحى على هذه القضية وتأكيدها ، إلى أن تصور العلاقة بين القصة النبوية ، وقصة اليوم بأنها علاقة افتراق مطلق لامجال فيه للالتقاء بأى وجه ، فأنا لا أريد هذا ، كما أن الواقع الذى تجرى فيه النصوص النبوية يحمل فى ثناياه أوجه التقاء مع القصة اليوم فى عناصرها الأصيلة

وصورتها العامة من مثل سوقها فى أسلوب قصصى يتتبع الحوادث ويوردها فى إطار من التشويق والإثارة فى عرض ترتب فيه الحوادث فى مواضعها ، وتحرك الشخصيات فى مجالها ، ويجد القارىء أو المستمع لها ، أنه أمام مشاهد تعبر عن زاوية من زوايا الحياة ، أو جانب من جوانب الفكر ، بل إننى أذهب إلى أبعد من ذلك ، انطلاقاً مما تمليه النصوص نفسها ؛ إلى أن « القصة النبوية » تلتقى مع الرواية الحديثة فى جانب مهم جداً ذلك هو « التعبير عن القيم » ، ومن الواضح جداً أن « القصص النبوية » قصص « فكرة » بمعنى أنها مهدفة من أجل خدمة « قيم معينة » وتعميقها فى نفوس المجتمع الذى نشأت فيه « القصة النبوية » وهى القيم « الإسلامية » ، وغنى عن البيان ماتحمله القيم الإسلامية من الأصالة والعمق تجاه الحياة الإنسانية والوجود بعامة .

والتعبير عن القيم فى الرواية جانب مهم جداً ، يجعلها ذات قيمة خاصة فى نظر النقاد ، ولذلك نجد « فورستر » فى معرض حديثه عن الرواية يؤكد على أهمية هذا الجانب فيها ، حيث يقول : « ... فما تفعله الحكاية هو أنها تحكى حياة فى زمن ، أما ماتفعله الرواية بأكملها فهو أنها تشمل أيضاً الحياة بالقيم ، هذا إذا كانت رواية جيدة .. »[1] وهذه الناحية وغيرها من العناصر العامة التى تلتقى فيها القصة النبوية مع قصة اليوم ، جانب أرجو أن أوفق فى توضيحه وتعميقه أكثر من خلال البحث والدراسة ..

وتبقى كلمة سريعة فى هذا التمهيد ، وهى أن طريقتى فى دراسة القصة النبوية فى بنائها الفنى تقوم على أن أواجه النصوص نفسها بالاستقراء أولا ، وأستمليها هى ما فيها من عناصر قصصية تعد مقاييس ذاتية نابعة من ذلك الاستقراء ، بمعنى أننى لا أواجه النص ابتداء بعناصر جاهزة ، ولا بمصطلحات

---

(١) أ . م . فورستر ، أركان القصة ص ٣٧ ، ترجمة كمال عياد جاد ، ومراجعة حسن محمود ، نشر دار الكرنك ١٩٦٠ .

قصصية ، أحاول أن أركبها عليه ولو بالقسر ، لا ، ولكنى أدرس فقط ما ينطق به النص من عناصر قصصية ، وخصائص فنية ، وأشير إلى ما يلفتنى هو إليه من أوجه يلتقى فيها بمدلولات قصصية معاصرة ، وأجعلها مجالا للمقارنة وبخاصة حين تكون هذه الأوجه أصيلة فى القصة التى أدرسها ، ونابعة منها ، بعيداً عن محاولات التكلف والتعسف التى تثقل كاهل النص وتفسد الدراسة دونما طائل يذكر ..

ولا يفوتنى أن أعترف هنا أننى أفدت كثيراً من قراءة بعض الكتب والدراسات[1] التى تناولت فن كتابة القصة الحديثة بالدراسة والتحليل ، كما أفدت من قراءة بعض القصص القصيرة والروايات ، فقد أتاحت لى هذه القراءة فرصة كبيرة فى إضاءة الطريق وفتح الآفاق ، مما زودنى بقدرة أكبر فى تعمق النص عند قراءته واستبطان ما فيه من خصائص وسمات ..

* * *

آثرت أن أدرس الجوانب الفنية التى يحتويها بناء القصة ، موزعة على ثلاثة فصول . فأدرس الهيكل فى فصل ، والنسيج فى فصل ، والعناصر الأخرى فى فصل ، ثم أتناول كل عنصر على حدة ، فأقف عند البداية وحدها ، ثم آخذ فى دراسة وسط القصة وحده ، وكذلك الشخصيات ،

---

(١) مثل : فورستر فى أركان القصة ، ومثل حسين القبانى فى فن كتابة القصة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، مصر ، ١٩٦٥ وكذلك د. رشاد رشدى فى فن القصة القصيرة ، مكتبة الأنجلو المصرية المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ط الثالثة ١٩٧٠ ، وأدوين موير فى بناء الرواية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ترجمة إبراهيم الصيرفى ، مراجعةد. عبدالقادر القط ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، وكذلك نظرية الرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث ، دراسات لمجموعة مؤلفين ترجمة وتقديم د. انجيل بطرس سمعان مراجعة د. رشاد رشدى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، ١٩٧١ وغير ذلك .

والأحداث إلى آخر سائر العناصر الفنية ، وقد شعرت وأنا أفعل هذا أننى فصلت كل عنصر من عناصر القصة عن الآخر ، مع أنها فى الواقع لا يمكن أن يتحقق لأى عنصر منها وحده وجود ما ، فهو لا يقوم بذاته ، وإنما كل عنصر يكتسب قيمته ، وتتحدد شخصيته حين يأخذ مكانه مع غيره فى سياق معين ، بل إن كل عنصر يشكل مادة أساسية لابد منها للعنصر الآخر ، ولكن هذا الفصل فى حقيقة الأمر فصل شكلى تضطرنا إليه الدراسة التحليلية ، حين نريد أن نقف عند كل جانب على حدة لندرسه بالتفصيل والتحديد .

## البنية العامة للقصة النبوية
## « الهيكل العام »

يقوم الهيكل العام للقصة النبوية فى الأغلب الأعم على ثلاث دعائم ، تشكل إطاراً يحدد شكلها القصصى ، ونستطيع أن نقول : إن هذه الدعائم تبرز لنا فى البداية ، والوسط ، والنهاية ، وهى مراحل لا تكاد تتخلف فى أكثر النصوص القصصية التى استقصيتها ، وهى بالضرورة ملحوظة فيما تناولته بالدرس من تلك النصوص .

وهذه التركيبة الهيكلية قائمة على أساس من الترابط العضوى الذى يشد بعضها إلى بعض ، بحيث نحس ونحن نقرأ هذه القصص ، قراءة متعمقة ، أن هناك خيوطاً منظورة وغير منظورة تؤدى وظيفتها فى تحقيق التلاحم بين دعائم الهيكل الثلاث .

## البدايــة :

وجدت من خلال استقراء النصوص وتتبعها أن هناك نوعين من البداية للقصة :

١ – بداية مسبوقة بمقدمات تمهيدية .

٢ – وبداية بالحدث مباشرة .

**البداية المسبوقة بمقدمات :**

**أولا : المقدمات التمهيدية : وهى مقدمات اتخذت صوراً عدة :**

**( أ ) تمهيد بالتقرير .**

**(ب) تمهيد بتحديد الموقف .**

**(ج) تمهيد حوارى .**

**(د) تمهيد بسؤال من الرسول ﷺ .**

**(هـ) تمهيد بسؤال من الصحابة .**

**(و) تمهيد باستثارة التساؤل .**

**(ز) تمهيد بالسؤال ثم التقرير .**

**(ح) تمهيد بإثارة قضية .**

**(ط) تمهيد بالتقرير والسؤال .**

**(ى) تمهيد بالتوجيه والتقرير .**

**ثانياً** : بداية الحدث بعد المقدمة .

ولنأخذ الآن فى تفصيل الحديث عن النوع الأول من أنواع البداية :

**المقدمات التمهيدية وعناصر التشويق فيها :**

تتكون هذه المقدمات التمهيدية من كلمات سريعة ، تشكل جملة أو عدة جمل قصيرة ، تسبق عرض القصة ، وسرد حوادثها ، بحيث تعطى للسامع فرصة يتهيأ فيها ذهنه لتلقى أحداث القصة ، وهى بذلك تمهد الأرضية التى تعرض عليها مشاهد الأحداث ، بما تثيره من جو معين فى نفس المتلقى مستمعاً أو قارئاً ..

وهى مقدمات لا تعد من صميم الحدث ، ولا بداية له ، ولكنها فى الوقت نفسه ليست خارجة عن الهيكل العام الذى تخرج القصة فى إطاره ، ومن هنا فهى تعد جزءاً من البداية التى تنطلق فى جوها أحداث القصة .

ونستطيع أن نلحظ هذه المقدمات فى أكثر من مظهر ، حيث تبدو لنا فى صور عدة :

**( أ ) التمهيـد بالتقريـر :**

جاء فى أول قصة « الثلاثة المبتلون »[1] :

« **إن ثلاثةً فى بنى إسرائيل أبرصَ وأقرعَ وأعمى ، فأرادَ الله أنْ يبْتَلِيَهم** . »[2] فنحن هنا أمام مقدمة وجيزة ، تمهد للقصة ، بما تقدمه لنا من وصف خارجى للأبطال الذين تقوم عليهم القصة « أبرص ، وأقرع ، وأعمى » .

وكما تقرر وصفهم ، تقرر عددهم فهم « ثلاثة » ، وتتضمن أيضاً التحديد التاريخى المجمل لزمن القصة بكونها حدثت فى الماضى ، وبالذات فى

---

(١) مابين الأقواس الصغيرة عنوان للقصة من وضعى ، إذ أننى حرصت على أن أسم كل نص بعنوان معين يدل عليه .

(٢) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ ، مسلم ٤ : ٢٢٧٥ – ٢٢٧٧ .

بنى إسرائيل ، وأن هؤلاء الثلاثة خضعوا لتجربة الابتلاء والامتحان بإرادة الله تعالى .

والمقدمة فى صورتها هذه نجدها تحفل بعناصر تشويقية تحفز المستمع إلى الاهتمام بمتابعة القصة ، والحرص على معرفة نتيجة هذا الامتحان ، وتبدو لنا هذه العناصر فى :

١ – « إن ثلاثة فى بنى إسرائيل » فهذه الكلمات تثير الاهتمام ، لأنها بداية قصة عن بنى إسرائيل ، وهم قوم كثيراً ما تنقل عنهم الأحداث العجيبة ، والأحداث العجيبة عادة مثار اهتمام وتطلع ...

٢ – وصف أبطال القصة بأوصاف مثيرة « أبرص ، وأقرع ، وأعمى » ..

٣ – تقرير أن الله أراد أن يبتليهم ، حيث يصعد ذلك التقرير فى نفوس المستمعين درجة التشوق إلى معرفة الكيفية التى تمت بها تجربة الابتلاء ، والنتيجة التى انتهت إليها ..

وفى قصة الذى فقد راحلته ، قال رسول الله ﷺ : « **لله أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبده حينَ يتوبُ إليه من أحدكم ، كان على راحِلتِهِ بأرضِ فلاة ...** »[1] إن القصة تبدأ بتمهيد يقرر فكرة معينة هى فرح الله تبارك وتعالى بتوبة عبده حين يتوب إليه ، وهذه الفكرة تأتى فى صيغة تشد المستمعين إلى قصة التى ستأتى ، وهى صيغة أفعل التفضيل التى تربط هذه الفكرة أو هذا التمهيد بالقصة مباشرة إذ تأتى هكذا « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان .. الخ » وهنا تتجمع حواسنا لنعرف خبر هذا « الأحد »

---

(١) مسلم ٤ : ٢١٠٤ ، وانظر : الحديث فى سنن الترمذى برواية فطار ٤ : ٦٥٩ والمسند برواية عبدالله بن مسعود ٥ : ٢٢٥ – ٢٢٦ بتحقيق شاكر وسنن الدارمى ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

منا الذى يفرح الله بتوبة العبد حين يتوب إليه فرحاً أشد من فرحه .

وفى قصة « فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ » قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : « **احتبسَ عنا رسول الله ﷺ ذاتَ غداةٍ عن صلاة الصبح حتى كِدْنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعاً فثوَّب بالصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز فى صلاته ، فلما سلم دعا بصوته ، قال لنا : على مصافكم كما أنتم ، ثم انفْتل إلينا ، ثم قال :**

**أما إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل .. الخ** »[1] .

القصة هنا تأتى فى ظروف وملابسات خاصة حيث يبين الراوى أن الرسول ﷺ احتبس عنهم ذات غداة ، عن صلاة الصبح ، حتى كادوا أن يتراءوا عين الشمس ، كما يبن أن الرسول ﷺ خرج عليهم مسرعاً ، وصلى مسرعاً ، ثم قال بعد أن سلم : « على مصافكم كما أنتم » ، ثم أخذ ﷺ يمهد للقصة التى سيذكرها بتقرير أنه سيحدثهم ماحبسه عنهم الغداة ، وفى هذا التمهيد السريع تشويق للمستمعين وجلب لانتباههم ، فالرسول ﷺ لم يقل سأحدثكم وسكت ، فيكون حديثاً مطلقاً أو عاماً ، ولكنه مخصوص مرتبط بهذا الاحتباس الذى حصل للرسول « سأحدثكم ماحبسنى عنكم الغداة » فهو إذاً حديث عن أمر غير عادى ، وعن حدث مثير ..

وفى قصة « أول من يقضى عليه » قال أبو هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٣٦٨ - ٣٦٩ ، قال أبو عيسى « هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال هذا أصح من حديث الوليد ابن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر » ، وانظر : المسند بتحقيق شاكر ٥ : ١٦٢ برواية ابن عباس ، وقال شاكر : إسناده صحيح ، والمسند ( صادر ) ٤ : ٦٦ برواية بعض الأصحاب ، وانظر : سنن الدارمى ٣ : ٥١ برواية عبدالرحمن بن عائش .

« **إنَّ أولَ الناس يقضى يوم القيامة عليه ..** »[١] وفى رواية : « **أول الناس يقضى لهم يومَ القيامة ثلاثة ...** »[٢] وفى رواية ثالثة : « **إن أول الناس يقضى فيه يومَ القيامة ثلاثة** »[٣] ، جملة واحدة من عدة كلمات يسوقها الرسول ﷺ فى مطلع القصة مقرراً فيها أن هناك ثلاثة هم أول من يقضى فيهم يوم القيامة ، والمقدمة التمهيدية على قصرها تحفل بعناصر الإثارة والتشويق بشكل واضح ، حيث تبدو لنا مقومات التشويق فيها فى عدة أشياء :

١ — « أول الناس » فهذه الأولية أمر ملفت للنظر ، مثير للتطلع ؛ لأن الأوليات فى أى شأن ذات طبيعة غير عادية فى الغالب .

٢ — « يقضى فيه أو عليه » حدث خطير رهيب .

٣ — ثم هو حدث يأتى يوم الحشر العظيم ، إنه يوم القيامة ، وحسبك به يوماً يثير فى النفوس شتى الإيحاءات الباعثة على الرهبة والترقب ...

٤ — ثم هذا الإجمال والتحديد « فى العدد — ثلاثة » فهو عدد مجمل لا يوصف بشىء من الأوصاف المثيرة أو غير المثيرة ، مما يثير فى النفوس عوامل الحرص على معرفة التفصيل لهذه المقدمة المجملة .

وجاء فى قصة « مومسة وكلب » : « **غفر لامرأة مومسة ..** »[٤] جملة قصيرة ، تستهل بها القصة ، فيها خبر تقريرى لشىء حصل فى الماضى « غفر لامرأة » ، والمقدمة تحمل عنصر الإثارة فى أقصى مظاهرها ، فهذه المرأة التى غفر لها امرأة مومسة ، وهذا موطن الإثارة والعجب ، وإنه لعنصر مهم من

---

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٥١٣ — ١٥١٤ .

(٢) سنن النسائى ٦ : ٢٠ — ٢١ .

(٣) المسند ( صادر ) ٢ : ٣٢٢ ، وانظر أيضاً الترمذى ٤ : ٥٩١ — ٥٩٣ .

(٤) المسند ، صادر ٢ : ٥١٠ .

عناصر القصة الجيدة أن تنجح فى إثارة القارىء أو المستمع من أول كلمات فيها ، وأن توقظ فيه عوامل التحفز والتوفز .

ونلاحظ هنا أيضاً أن مقدمة القصة تبدأ بالنهاية التى ختمت بها القصة ، وهى الغفران للمرأة المومسة ، وقد بدئت بها القصة ؛ لما تحمله فى طياتها من عنصر الإثارة القوى ، فقد ختم الرسول ﷺ القصة بقوله : « ... **فغفر لها بذلك** » .

وجاء فى مطلع قصة « المتكلمون فى المهد » : « **لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة .. الخ** »[1] تمهيد سريع بمقدمة تربط السامع لأول وهلة بما سيأتى بعد هذه المقدمة ، من تفصيل عن هؤلاء الثلاثة الذين تكلموا فى المهد ، فهذه المقدمة على قصرها ، قد اشتملت على « قضية » مهمة جداً وغير عادية ؛ لما فيها من جانب الغرابة ، وهى « الكلام فى المهد » وهذا فى حد ذاته كاف لاستقطاب تطلع المستمع ، وإثارة التساؤل فى نفسه كيف كان ذلك ؟ إنها مقدمة فنية بلا شك ، أدت مهمة كبيرة فى خلق « الارتباط » بين المتلقى ، وما يتلقى ، حيث أصبح من أول كلمات فى القصة سمعها حريصاً على سماع آخر كلمة فيها ، ولاشك أيضاً أن القصة وهى تنجح من الألفاظ الأولى فى السيطرة على المستمع ، لابد أنها ستؤدى وظيفتها فى التأثير على نفسية هذا المتلقى ، وهو يحرص على الاندماج فى أحداثها بدوافع كثيرة من إشباع رغبة الاستطلاع فى نفسه من ناحية ، وإشباع حاجته الملحة التى أثارها هذا التساؤل : كيف كان ذلك الأمر الخارق للعادة ولم كان ؟ . والمقدمة هنا تمهيد لأكثر من قصة تذكر فى الحديث ، إذ يشير الحديث إلى ثلاث قصص ؛ قصة عيسى عليه السلام ، ثم لا يفصل الحديث عنها ، اعتماداً على مالدى السامع من

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ٢٠١ – ٢٠٢ ، مسلم ٤ : ١٩٧٧ ، المسند بتحقيق شاكر ١٥ : ٢٠٩ .

معهود ذهنى عن القصة بما ورد فى القرآن الكريم[١] ، وقصة جريج ، وقصة الطفل الرضيع مع أمه ، وقد جاء هذا التمهيد للقصص الثلاث التى أشار إليها الحديث ضمناً أو صراحة لأنها كلها تدور حول محور واحد ، ويجمعها الموضوع والفكرة ، بل إننا حين نتعمقها كلها بالنظر الفاحص نجد هناك صلات قربى بين القصص الثلاث فى كل من أسباب القصة وغايتها فى النهاية ، وهناك أوجه شبه واضحة تشير إلى الجو المتقارب للقصص الثلاث :

١ – الكلام فى المهد .

٢ – كل متكلم فى المهد ، نطق لإحقاق حق ، وإزالة تهمة وريبة .

٣ – بروز عنصر « الأم » فى كل القصص الثلاث .

٤ – وجود الاتهام « بالفاحشة السيئة » فى جميع القصص الثلاث .

ولو عدنا لنلقى نظرة على مقدمات القصتين اللتين ذكرتا فى الحديث ، لوجدنا أن قصة « جريج » تبدأ هكذا : « **وكان جريج رجلا عابداً** »[٢] « **وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج** »[٣] « **وكان من بنى إسرائيل رجل عابد يقال له جريج** »[٤] . تمهيد للقصة بذلك الوصف التقريرى لجريج ، وهو الشخص الذى تدور حوله أحداث القصة ، حيث تعرفنا المقدمة بهذا البطل فهو :

١ – رجل .

٢ – من بنى إسرائيل .

---

(١) سورة مريم ١٥ – ٣٤ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٩٧٧ .

(٣) صحيح البخارى ٤ : ٢٠١ .

(٤) المسند بتحقيق شاكر ١٥ : ٢٠٩ .

٣ – وكان عابداً ، وبعد هذا التمهيد السريع تتابع أحداث القصة ، وفى رواية أخرى فى المسند[١] : « **كان رجل من بنى إسرائيل تاجراً ، وكان ينقص مرة ويزيد أخرى ، قال : مافى هذه التجارة خير ، ألتمس تجارة هى خير من هذه** .. الخ » نجد هنا أن المقدمة التقريرية تسترسل أكثر نوعاً ما ، وتعطينا معلومات تفصيلية عن هذا البطل فى ماضيه ، من أنه كان تاجراً ، وكانت تجارته غير مستقرة على حال ، فهو مرة فى خسارة ، ومرة فى ربح ، وهو بين ذلك فى عناء وهم دائم ، مما جعله يلتمس سبيلا أفضل ، إذ تحول إلى الرهبنة ..

أما مقدمة القصة الأخرى فهى ذات مهمة تحديدية للموقف عند بداية الحدث[٢] .

وفى مطلع قصة « أدنى أهل الجنة » قال النبى ﷺ : « **إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا** ... »[٣] هكذا تبدأ القصة بتمهيد يقرر معرفة الرسول ﷺ لشىء خطير ومثير جداً ، وهو شىء متعلق بأحداث اليوم الآخر ، ومن مشاهد القيامة : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولا .. » وهى مقدمة شائقة تشغل على المستمع جميع حواسه ، وتشد انتباهه لمعرفة أمر هذا الرجل فى شأنه الخطير ؛ الخروج من النار ، والدخول فى الجنة ..

وفى مستهل قصة « الدجال والمسيح » قال الرسول ﷺ : « **يكونُ للمسلمينَ ثلاثةُ أمصار ، مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر**

---

(١) المسند ، طبعة صادر ٢ : ٤٣٤ .

(٢) سأتعرض لها عند تناول التمهيد بتحديد الموقف .

(٣) البخارى ٨ : ١٤٦ ، مسلم ١ : ١٧٣ ، سنن الترمذى ٤ : ٧١٢ – ٧١٣ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٠٩ ، ٦ : ١٨٢ – ١٨٣ .

**بالشام ، فيفزع الناس ثلاثَ فزعات .. »**[1] تأتى بين يدى القصة هذه المقدمة التقريرية تمهد لها ببعض التعريف لصورة من الملابسات التى تصاحب أحداث القصة التى تتحدث عن خروج الدجال فى نهاية الزمان حيث تقرر :

١ – أنه يكون للمسلمين وقت حدوث القصة ثلاثة أمصار .

٢ – وتحدد هذه الأمصار :

( ا ) مصر بملتقى البحرين .

(ب) « بالحيرة » .

( جـ) مصر بالشام .

٣ – وأن الناس يفزعون ثلاث فزعات .

وفى بداية قصة « سوق الجنة » قال الرسول ﷺ :

« **إن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤْذن فى مقدار يوم الجمعة** .. الخ »[2] فنلاحظ أن القصة تبدأ بمقدمة ممهدة وقصيرة تقرر أن هل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم بعد ذلك تبدأ أحداث القصة فى التتابع ..

ومثل ذلك قصة « الملائكة الطوافون » :

« **إنَّ لله ملائكةً يطوفونَ فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تَنَادوا** .. الخ »[3] وفى الترمذى : « **إن لله ملائكةً سيَّاحين فى الأرض فضلا عن كتَّاب الناس** » وهكذا تسبق القصة بعدة

---

(١) المسند ، صادر ٤ : ٢١٦ – ٢١٧ .

(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ .

(٣) صحيح البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ صحيح مسلم ٤ : ٢٠٦٩ – ٢٠٧٠ ، سنن الترمذى ٥ : ٥٧٩ – ٥٨٠ ، المسند ( شاكر ) ١٣ : ١٥٦ – ١٥٩ ، وقال شاكر : إسناده صحيح .

كلمات تقريرية تعرفنا بنوع من الملائكة : نوع سياح ، غير الملائكة الذين يقومون بكتابة أعمال الناس ، فهؤلاء نوع طواف فى الأرض يلتمسون مجالس الذكر وأهل الذكر ، ولاشك أنه نوع ملفت لنظر السامع ، ومثير لتطلعه نحو متابعة أحداث هذه القصة التى تتحدث عن الملائكة ، وليس هذا فحسب ، ولكنها فوق ذلك تتحدث عن نوع خاص من الملائكة ..

وفى قصة : « يطلب أن يحرق » :

**« كان عبدٌ من عباد الله ، وكان لايدين لله دِيناً ، وأنه لبث حتى ذهب عُمْر وبقى عُمْر ، فعلمَ أنه لم يبتئِرْ عند الله خيراً .. الخ »**[1] بداية تقريرية تعرف بحال الرجل الذى تدور حوله القصة ، وفى الوقت الذى تقدم لنا القصة فيه ، تحمل لنا فى ثناياها جوانب تشويقية تنبه تطلع القراء والمستمعين :

١ – كان عبد من عباد الله « وكان » هذه فى حد ذاتها ، تكفى لأن تثير انتباه المستمع إلى أنه سيأتى سرد حكاية ، أو قصة ما ..

٢ – ثم وصف هذا العبد من عباد الله بأنه « كان لايدين لله ديناً » وصف يدل على أن أمر هذا الرجل الذى هو بطل القصة أمر عجيب ، ولابد أن نضع فى الاعتبار بأن وصفه بأنه « لايدين لله ديناً » وصف يثير الرهبة فى النفوس ، ذلك أن القصة تلقى على صحابة الرسول ﷺ الذين يدركون خطورة ألا يكون للإنسان دين يدين لله به .

---

(١) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٧ ، وانظر أيضاً : البخارى برواية أبى سعيد ، ٩ : ١٧٨ ، ١٧٩ ، صحيح مسلم ٤ : ٢١١٠ برواية أبى هريرة وسنن النسائى ٤ : ٩١ ، وبرواية حذيفة ٤ : ٩٢ ، وسنن ابن ماجة برواية أبى هريرة ٢ : ١٤٢١ ، والموطأ على شرح الزرقانى ٢ : ٨٥ ، ٨٦ ، والمسند صادر =

٣ – وأنه لبث مدة طويلة على هذه الحال ، حتى ذهب منه عمر وبقى عمر ، فعلم أنه لم يدخر عند الله خيراً يشفع له عند ربه حين يلقاه ، وهنا تتهيأ كل الحواس للتعرف على مصير هذا الرجل العجيب ، فلابد أن له شأناً وأى شأن !!

وفى قصة « أنا لها » قال رسول الله ﷺ :

**« إنه لم يكن نبى إلا له دعوة قد تنجّزَها فى الدنيا ، وإنى قد اختبأتُ دعوتى شفاعةً لأمتى ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر ، وبيدى لواءُ الحمد ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائى ولا فخر .. »**[1] إنها مقدمة تقريرية لعدة أمور يتصف بها الرسول ﷺ دون غيره ، وبخاصة دعوته التى اختبأها شفاعة للأمة الإسلامية ، حيث تقرر المقدمة أن الرسول ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وبيده لواء الحمد ، وأن آدم ومن دونه تحت لوائه ، وهى صفات تتضمن عناصر عجيبة ومثيرة :

١ – سيادة الناس يوم القيامة .

٢ – انشقاق الأرض عن الجمجمة .

٣ – رفع لواء الحمد يوم القيامة ، وهى مقومات تشد المستمع إلى القصة منذ البداية ، كما أنها أمور وأوصاف تهيىء أذهان المستمعين من ناحية أخرى ، وتجعلهم أكثر استعداداً لتقبل الأحداث التالية ، فهى أمور تبين فضل الرسول ﷺ وعلو شأنه عند ربه عز وجل ، واستحقاقه لما سيأتى من الشفاعة

---

= ٢ : ٣٠٤ ، وبرواية أبى سعيد الخدرى ٣ : ١٣ ، ٦٩ – ٧٠ .

(١) المسند ، شاكر ٤ : ١٨٧ – ٨٩ ، وقال شاكر : « إسناده صحيح » والحديث فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٧٢ – ٣٧٣ .

للناس فى موقفهم العصيب ، فمن حصلت له هذه الأشياء والفضائل لايستكثر عليه أن تحصل منه الشفاعة عند الله تبارك وتعالى ..[١] .

**ب - التمهيد بتحديد الموقف :**

وهذا النوع من التمهيد يشارك سابقه فى إيجازه ، حيث يأتى فى عدة كلمات أو جمل خاطفة ، تربطنا بجو القصة ، بما تقدمه لنا من صورة للموقف عند بداية الأحداث ؛ حيث تحاول أن تحدد لنا نقطة البدء وما يحيط بها من ظروف وملابسات ، والمقدمات من هذا النوع قد نلمس فيها معنى التقرير للمعلومة التى تقدم ، ولكن هذه المعلومة يبرز فيها جانب التحديد للموقف العام الذى تنشأ القصة فى جوِّه ، وبهذا الاعتبار آثرت أن أجعلها نوعاً مستقلا من أنواع التمهيد ، إذ إنها بهذا التحديد للموقف تؤدى وظيفة فى إنشاء علاقة أوثق بين السامع أو القارىء وبين القصة ..

فمثلا قصة « المذنب والعابد » يمهد لها بأنه :

---

(١) هناك قصص أخرى ذات مقدمات تمهيدية كثيرة نكتفى بالإشارة إلى بعضها :

١ - قصة « سيد ولد آدم يوم القيامة » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٢ - قصة « عتقاء الجبار » الدارمى ١ : ٣١ - ٣٢ ، المسند ، صادر ٣ : ١٤٤ .

٣ - قصة « صاحب العمل والأجراء » وهى قصة داخل قصة « الغار والصخرة » المسند صادر ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٤ - قصة « عرض على ماهو كائن » المسند شاكر ١ : ١٦١ .

٥ - قصة « نزول عيسى عليه السلام » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٢١ .

٦ - قصة « ساره والملك » مسلم ٤ : ١٨٤٠ - ١٨٤١ ، المسند صادر ٢ : ٤٠٣ - ٤٠٤ .

٧ - قصة « ريح قبر الماشطة » سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٣٧ - ١٣٣٨ ، المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ قال شاكر : إسناده صحيح ، والحديث فى مجمع الزوائد ١ : ٦٥ .

« **كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يذنبُ والآخر مجتهد فى العبادة** .. إلخ »[١] إن البداية هنا تعطينا صورة عن الموقف الذى تدور فى إطاره أحداث القصة ، فنحن نتعرف من خلال هذا التمهيد على رجلين من بنى إسرائيل ، وهما على علاقة وطيدة بينهما فهما متآخيين ، ولفظ الاخوة يوحى لنا بأنها صلة حميمة ، وإذا كان هذا شيئاً يلتقيان فيه ، فإن هناك شيئاً آخر يختلفان فيه كل الاختلاف ، والمقدمة تحرص على أن تضع أيدينا على هذا الشيء أيضاً ليكتمل الموقف ويتحدد فى أذهاننا ، فأحدهما يذنب ، والآخر مجتهد فى العبادة ، ومن هذا الموقف ينطلق الحدث حين ينهى العابد أخاه المذنب عما يقترفه من عمل فاسد ، ذلك أنه يقدم على نهيه بدافع من أخوته التى تجعله مشفقاً من ناحية على هذا الصديق وبدافع من كراهيته للفعل الذى يباشره هذا المسرف على نفسه المنغمس فى الذنب إلى مدى بعيد ..

وفى التمهيد لقصة « الأخدود » قال رسول الله ﷺ :

« **كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر** .. إلخ »[٢] تبدأ القصة بهذا التمهيد الموجز ، المتضمن عدة معان تسهم فى صنع صورة معينة لطبيعة الموقف الذى تنشأ فى ظله أحداث القصة ، فهى تشير إلى شخصية مهمة من شخصيات القصة « ملك » ، وأنه كان فيمن كان قبلكم وفى هذا تحديد تاريخى مجمل حيث يفيد أنه حصل فى الماضى ، دون ذكر للزمان أو المكان بالتحديد لتتجرد المعانى وتبقى مطلقة يمكن الاستفادة منها بتطبيقها فى أى وقت ، ولتظل تجربة قائمة إلى نهاية الزمان[٣] ، ومع التجريد ربط للماضى

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ٥٧٣ – ٥٧٤ ، المسند ( صادر ) ٣ : ٣٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ ، المسند ( صادر ) ٦ : ١٦ – ١٩ ، سنن الترمذى ٥ : ٤٣٧ – ٤٣٩ .

(٣) انظر : أصحاب الأخدود ، لرفاعى سرور ص ٩ – ١٠ .

بالحاضر ممثل فى إضافة القبلية إلى المخاطبين ، لتعميق إحساسهم بواقع هذه التجربة ، التى ترسم المقدمة صورة الموقف الذى تنطلق فى ظلاله أحداثها ، ولاتكتفى المقدمة بذكر الملك ، مع مايدل عليه من معنى السلطة والقهر التى يسيطر من خلالها على واقع الناس ، ولكنها تشير إلى أنه «كان له ساحر» فهذا الملك يعتمد فى ملكه وسيطرته على الناس على السحر والدجل والشعوذة التى يروجها له ويشيعها ساحره ، وقد كبر هذا الساحر ، وأحس بقرب نهايته ، ولكنه حريص على أن يظل المنهج السحرى بالوهم والهوى مسيطراً على واقع الناس وعقولهم ، وهو يدرك أن الملك صاحب مصلحة أيضاً فى استمرار هذا المنهج الذى يساعد فى إخضاع الناس حين يحكمهم بالوهم والكذب والخرافة ، ومن هنا فالساحر يطلب من الملك أن يحضر له غلاماً حتى يعلمه السحر ، ويحرص على أن يكون المتلقى غلاماً ، حتى يضمن مدة أطول يسيطر بها السحر والساحر من جيل إلى جيل[١] وهكذا تضعنا المقدمة أمام موقف معين بكل أبعاد هذا الموقف وملابساته ، وتعطينا صورة الجو الذى تنشأ فيه الأحداث عامة ، وفى الوقت نفسه تثير فى نفوسنا عوامل التشوق لمعرفة ما انبثق عن هذا الموقف من أحداث القصة ، وما جرى عليه مستقبل هذا الملك وساحره ..

وفى قصة « الرضيع والأم » : قال رسول الله ﷺ :

**« ... وبينا امرأة فى حجرها ابن لها ترضعه إذ مرَّ بها راكب ذو شارة .. الخ »**[٢] التمهيد هنا يعطينا صورة عن حالة أهم أبطالها « الأم – والطفل » أم فقيرة بائسة تقف على قارعة الطريق أمام الغادين

---

(١) د. عز الدين السيد ؛ انظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، ص ٤٤٧ .

(٢) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ رواه أبو هريرة ، وروى فى البخارى ٤ : ٢٠١ وجاء فيه : « وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بنى إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة ... » .

والرائحين ، تطعم وليدها من ثديها ، وبينما هى على تلك الحال ، إذ تجد نفسها فجأة أمام راكب ذى شارة ، إنها أمام رجل غير عادى ، عليه مظاهر العز والمنعة والغنى فهو ذو شارة يتميز بها عن غيره . ومن هذا الموقف تبدأ أحداث القصة ..

وفى قصة « يوم يكشف عن ساق » قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **إذا جمعَ الله العباد فى صعيدٍ واحد نادى منادٍ ...** »[1] تمهيد قصير يبين لنا ظروف القصة ، والوقت الذى تحدث فيه ، وهو اليوم الآخر ، فنحن أمام مشهد حاشد من الخلائق أجمعين وقد اجتمعوا فى صعيد واحد ، فى موقف رهيب يترقبون فيه بين لحظة وأخرى كلمة الفصل فى هذا الحشد العظيم ، وتبدأ المقدمة بحرف الشرط « إذا » حيث يكون فعل الشرط هو التمهيد الذى يعطينا صورة للموقف الذى تبدأ منه أحداث القصة ، وفى هذه البداية بإذا وفعل الشرط يكمن عنصر من عناصر التشويق ، لأن المستمع يتعلق اهتمامه - وقد عرف الموقف من فعل الشرط - بما سيأتى فى جواب الشرط وأنه ليتساءل ماذا سيحصل بعد أن يجمع الله الناس فى صعيد واحد ، ولاشك أنه أمر جد خطير ، وهنا تأتى بداية الحدث فى جواب الشرط « نادى مناد ... الخ » .

وفى قصة « الكفل » :

« عن ابن عمر قال : سمعت النبى ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ، ولكنى سمعته أكثر من ذلك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع عن ذنب**

---

(١) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٤ .

**عمله ، فأتته امرأة .. الخ »**[١] يمهد للقصة بتعريف سريع عن بطل القصة ، ويسمى الكفل ، وأنه من بنى إسرائيل ، ثم تحدد المقدمة أبعاد شخصيته المعنوية ، حين تصفه بأنه لا يتورع عن ذنب عمله ، فنحن أمام رجل مسرف على نفسه أيما إسراف ، فهو لايتورع أن يقدم على فعل ما يمتع شهوته وهواه كلما أتيحت له الفرصة ، وبعد أن تحدد المقدمة صورة الكفل لنا ، تشرع الأحداث فى البدء ... « **فأتته امرأة ..** » .

**وفى قصة « صوت فى سحابة » عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال :**

**« بينما رجل بفَلاة من الأرض ، فسمع صوتاً فى سحابة .. »**[٢]

مقدمة سريعة ، تعطينا فكرة عن واحد من أبطال القصة « رجل فى فلاة » وفى فلاة من الأرض إشارة إلى ملابسات المكان ، فالرجل وحيد فى الخلاء الواسع المنبسط ، الخالى من الناس والحياة ، وهكذا ترسم المقدمة صورة لحالة الموقف الذى تنطلق منه البداية ، ولذلك فالتمهيد يبدأ بـ « بينما » الظرفية حيث تفيد بيان الحالة التى كان عليها الرجل قبل أن يسمع الصوت ، وهى بداية تمهيدية فنية ، إذ أنها حددت الموقف الذى بنى الحدث فوق أرضيته ، وكان يمكن أن تأتى البداية هكذا : « سمع رجل صوتاً فى سحابة وهو بفلاة من الأرض » ولو أتت هكذا لفقدت الحيوية الفنية ، ولخسر بناء القصة فرصة كبيرة تجعله أكثر عطاء وفنية ..

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ - والمسند بتحقيق شاكر ٦ : ٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، وقال شاكر : « إسناده صحيح ... والكفل المذكور فيه هو غير ذى الكفل ، النبى كما هو بين ، وكما رجح ابن كثير ظنًّا ، وإن لم يقطع .. » ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٨٨ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٢٩٦ .

وبعد ذلك يبدأ الحدث المثير .

وفى قصة « قاتل المائة » ، عن النبى ﷺ :

« **كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ قتل تسعةً وتسعين إنساناً ، ثم خرج يسأل ..** »[١] وعند مسلم : « **كانَ فيمن كان قبلكم رجل قتلَ تسعةً وتسعينَ نفساً ، فسأل عن أعلم أهلِ الأرض ..** »[٢] تمهيد قصير للقصة ببيان أنها حدثت فى الماضى ، ومحاولة ربط المخاطبين بهذا الماضى بإضافة القبلية إليهم ، ثم تحدد لنا موقف بطل القصة ، وتعرفنا عليه بصفته المثيرة « قتل تسعة وتسعين نفساً » وإنه لوصف يدعو إلى العجب من أمره ، ويبعث إلى التطلع نحو تفاصيل قصته الغريبة ..

وفى قصة « المعراج » يقول الرسول ﷺ فى مقدمتها :

« **بينا أنا فى الحَطيم ، وربما قال فى الحجرِ مضطجعاً ، إذ أتانى آت .. الخ** »[٣] وفى سنن النسائى : عن مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ قال :

« **بينا أنا عند البيت بينَ النائم واليقظان ، إذْ أقبل أحدُ الثلاثة** »[٤] تمهيد بين الظرف المكانى ، والحالة التى كان عليها الرسول ﷺ عند بداية أحداث القصة ، حيث كان عند بيت الله الحرام وبالذات فى الحجر ، أقدس البقاع على ظهر الأرض . وكان مضطجعافى حالة هو فيها بين النائم واليقظان ،

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ ، وانظر أيضاً سنن ابن ماجة ٢ : ٨٧٥ ، والمسند ( صادر ) ٣ : ٢٠ .

(٣) صحيح البخارى ٥ : ٦٦ - ٦٩ .

(٤) سنن النسائى ١ : ١٧٨ - ١٧٩ .

وهو إرهاص بأن ماسيأتى من أحداث له أهمية بالغة ، مما يجعل السامع يستشرف لأن يعرف ماذا حصل للرسول ﷺ ، وهو فى هذه الحالة ...

وكذلك قصة « الأولاد الشفعاء » ، قال رسول الله ﷺ فى مطلعها :

**« ما من مُسْلمَين يموتُ لهما ثلاثة أولاد ، لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة .. »**[1] تمهيد يحمل فى تضاعيفه مضمون القصة كلها ويحدد جو القصة العام وملابساته ، وتزود ذهن السامع بصورة الموقف الذى ينشأ فى إطاره الحدث وينمو إلى أن يصل إلى النهاية ، وتحدد المقدمة أبعاد الصورة من ثلاث زوايا :

١ - « وجود مسلمين » وهذا يعنى ضرورة إسلام الأب والأم اللذين يموت لهما ولد .

٢ - وهذان الأبوان فجعا بأكثر من ولد ، وبالتحديد « بثلاثة أولاد » فكارثتهم فى أولادهم أكثر عمقاً .

٣ - وهؤلاء الأولاد لايزالون فى مقتبل العمر حين اخترمتهم المنية : « لم يبلغوا الحنث » إذ إن الإحساس بالحسرة عليهم وهم زغب صغار يكون أقوى عند الوالدين مما لو كانوا كباراً ...

وهكذا وفى جمل قصار موزونة تنجح المقدمة فى رسم صورة الموقف ، وتحديد هذه الصورة ..

ومثل ذلك قصة « شفاعة الرسل » فقد قال رسول الله ﷺ :

**« إذا ميزَ أهل الجنة وأهلُ النار ، فدخل أهل الجنة الجنة وأهل انار النار .. »**[2]

---

(١) المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٠ .

(٢) المسند ( صادر ) ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

تبدأ القصة بتمهيد يبين ظروف القصة وملابساتها ، فهى تعرفنا بالوقت الذى تحدث فيه ، وذلك بعد أن يتميز أهل الجنة ، وأهل النار ، وبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، كما نفهم من المقدمة أن مسرح أحداث القصة هو العالم الآخر بعد أن تقوم الساعة ويتم الجزاء والحساب ، فالقصة إذاً تحكى أحداثاً فى يوم عصيب ، ومشهد مريع ، ولاشك أن شـوق المستمع إلى تفاصيل القصة ليحتدم فى نفسه مثيراً هذا السؤال : ماذا بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ؟ لابد أن هناك أحداثاً مهمة وخطيرة !! ..[1]

---

(١) هناك كثير من المقدمات التمهيدية التى تؤدى وظيفة تحديد الموقف الذى تبدأ فى جوه أحداث القصة ، نكتفى هنا بالإشارة إلى بعضها :

١ – قصة « الموت يوم القيامة » برواية أبى سعيد الخدرى ، البخارى ٦ : ١١٧ – ١١٨ ، ومسلم ٤ : ٢١٨٨ ، سنن الترمذى ٥ : ٣١٥ – ٣١٦ ، المسند ( صادر ) ٣ : ٩ ، المسند (ش) ٨ : ١٩٠ – ١٩١ ، سنن النسائى ٤ : ٩٦ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٤٧ ، سنن الدارمى ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

٢ – قصة « الموعد » برواية صهيب ، سنن الترمذى ٥ : ٢٨٦ ، المسند ( صادر ) ٤ : ٣٣٢ ، سنن ابن ماجه ١ : ٦٧ .

٣ – قصة « الرجل والمرأة » داخل قصة « الغار والصخرة » ، المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ ، برواية النعمان بن بشير ..

٤ – قصة « الرجل البار » داخل قصة « الغار والصخرة » المسند ( صادر ) ٢٧٤ – ٢٧٥ ، برواية النعمان بن بشير .

٥ – قصة « آخر رجل يدخل الجنة » برواية عبدالله بن مسعود ، مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ ، المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٦٩ – ٢٧٠ ، المسند ( ص ) ٣ : ٢٧ ، وبرواية أبى سعيد وأبى هريرة المسند ( ص ) ٣ : ٧٤ – ٧٥ ، وبرواية أبى سعيد المسند ( ص ) ٣ : ٢٥ – ٢٦ .

٦ – قصة « الأسئلة الثلاثة » برواية البراء بن عازب المسند ص ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ، سنن أبى داود ٢ : ٥٤٠ – ٥٤١ ، وبرواية أنس بن مالك البخارى ٢ : ١١٣ ، سنن النسائى ٤ : ٧٩ – ٨٠ ، المسند ( ص ) ٣ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، سنن أبى داود ٢ : =

والتمهيد بالتقرير ، وبتحديد الموقف هما النوعان الغالبان على المقدمات فى القصة النبوية ، وما عداهما مما يأتى يعد صوراً نادرة من صور التمهيد ، لايشكل ظاهرة عامة يمكن أن يقف عندها الدارس طويلا ، ولكننا نلم بها هنا من باب استقصاء مظاهر التمهيد التى وردت فى النصوص .

**جـ - تمهيد حوارى :**

نجد فى قصة « الأسئلة الثلاثة » :

**عن أنس بن مالك « أن النبى ﷺ دخلَ نخلاً لبنى النجَّار فسمع صوتاً ففزَع ، فقال : مَن أصحَابُ هذه القبور ؟ قالوا : يانبىَّ الله ناسٌ ماتوا فى الجاهلية .**

**قال : تعوَّذوا بالله من عذابِ القبر ، وعذابِ النار ، وفتنة الدجال !**

---

٥٣٩ - ٥٤٠ ، وبرواية أبى هريرة ، سنن الترمذى ٣ : ٣٧٤ - ٣٧٥ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٢٦ ، المسند ( ص ) ٢ : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

٧ - « الأم والسكين » برواية أبى هريرة ، البخارى ٤ : ١٩٨ .

٨ - قصة « المكاره والشهوات » برواية أبى هريرة ، سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ - ٦٩٤ ، سنن أبى داود ٢ : ٥٣٧ - ٥٣٨ سنن النسائى ٧ : ٣ - ٤ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٩ - قصة « داود وملك الموت » برواية أبى هريرة ، المسند ( صادر ) ٢ : ٤١٩ .

١٠ - قصة « الرجل ينشر بالمنشار » برواية خباب بن الأرت ، البخارى ٤ : ٢٤٤ ، سنن أبى داود ٢ : ٤٤ .

١١ - قصة « جرة الذهب » برواية أبى هرية ، البخارى ٤ : ٢١٢ ، صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٥ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٨٣٩ ، المسند ( ص ) ٢ : ٣١٦ .

١٢ - قصة « جزع فانتحر » رواية جندب بن عبدالله ، البخارى ٤ : ٢٠٨ .

١٣ - قصة « الذى كان ينظر المعسر » برواية حذيفة ، البخارى ٤ : ٢٠٥ وأبو مسعود الأنصارى سنن الترمذى ٣ : ٥٩٠ - ٥٩١ . وبرواية أبى هريرة المسند ( صادر ) ٢ : ٣٣٢ وأيضاً فى ٣٦١ .

**قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : إن هذه الأمةُ تبتلى فى قبورها ، فإن المؤْمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك .. الخ »**[١] يأتى التمهيد للقصة هنا فى صورة حوار قصير بين الرسول ﷺ وبين الصحابة ، حول أشياء ذات صلة بموضوع القصة ، وتدخل فى إطارها العام ، فالرسول ﷺ يسمع صوتاً يفزع منه فيسأل أصحابه : من أصحاب هذه القبور ؟ وما أخالهم إلا أجابوا فى دهشة تثيرها فى نفوسهم حالة الرسول ﷺ ، وسؤاله عن أصحاب القبور ، وفى هذا الجو المثير ، يوجههم الرسول ﷺ إلى التعوذ من عذاب القبر ، وعذاب النار ، وفتنة الدجال ، ويصعد هذا التوجيه درجة الدهشة عند الصحابة ويعبرون عن ذلك فى سؤال صريح : وما ذاك يا رسول الله ؟ وهكذا ينجح هذا التمهيد الحوارى فى إثارة المستمعين وتوجيه تطلعهم لاستقبال أحداث القصة ، التى سيسردها الرسول ﷺ بعد أن هيأ الجو ، ومهد المناخ الذهنى لدى الصحابة لاستماعها واستيعاب ما فيها من عبرة وعظة ، حيث ابتدأ الرسول ﷺ فى عرض قصته عن الابتلاء فى القبر حين قال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها .. الخ .

وفى قصة « الصراط »

روى البخارى قال : « **حدثنا أبو اليمان ... أن أبا هريرة أخبرهما ، أن الناس قالوا :**

**يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟**

---

(١) المسند ( صادر ) ٣ : ٢٣٢ – ٢٣٤ ، وللحديث شواهد كثيرة فى المسند ( صادر ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ، برواية البراء بن عازب ، والبخارى ٢ : ١١٣ ، برواية أنس ، وسنن أبى داود برواية البراء ٢ : ٥٤٠ – ٥٤١ ، وسنن الترمذى ٣ : ٣٧٤ ، برواية أبى هريرة ، وسنن النسائى برواية أنس ٤ : ٧٩ – ٨٠ ، وسنن أبى داود ٢ : ٥٣٩ – ٥٤٠ ، وسنن ابن ماجه ٢ : ١٤٢٦ برواية أبى هريرة ، والمسند ( صادر ) ٢ : ٣٦٤ – ٣٦٥ .

**قال : هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟**
**قالوا : لا يا رسول الله !**
**قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟**
**قالوا : لا .**
**قال : فإنكم ترونه كذلك . يحشر الناس يوم القيامة .. الخ »**(١)

القصة من حيث المبدأ عبارة عن إجابة من الرسول ﷺ عن سؤال طرحه عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، عن إمكان رؤيتهم لله تبارك وتعالى يوم القيامة ، وهو سؤال يوحى بأن هناك نوعاً من الاستبعاد يختلج فى شعورهم نظراً لعدم تصور الأذهان لإمكان الرؤية من قبل الجميع لله جل وعلا ، ولكن الرسول ﷺ قبل أن يجيبهم بالقصة التى تتضمن رؤية المؤمنين لله يوم القيامة ، يمهد لذلك بما يحرك الذهن والنفس ، ويقرب القضية التى ستتناولها القصة للتصور والإدراك ، فيحاورهم بأسئلة عن رؤيتهم للشمس والقمر ، وأنهم يتمكنون من رؤيتهما فى يسر وسهولة ، باعترافهم هم ، والحوار هنا كما يقرب الصورة لأذهان السامعين فإنه فى الوقت نفسه يشدهم إلى متابعة القصة ، ويثير فى حسهم جذوة الشوق والتطلع لما يأتى ..(٢) .

---

(١) صحيح البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، صحيح مسلم ١ : ١٦٣ - ١٦٦ ، وانظر أيضاً منه : ١ : ١٦٧ - ١٧١ ، المسند ( شاكر ) ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ ، وقال شاكر : « إسناده صحيح » وانظر أيضاً منه : ١٥ : ٥١ - ٥٦ ، وقال شاكر : « إسناده صحيح » .

(٢) وانظر أمثال هذا الحوار فى نصوص أخرى مثل :
١ - قصة « هل نرى ربنا ؟ برواية أبى سعيد ، البخارى ٩:١٥٨ - ١٦٠ ، البخارى ٦ : ٥٦ - ٥٧ ، مسلم ١ : ١٦٧ - ١٧٠ .
٢ - قصة « شفاعة المؤمنين لإخوانهم » رواية أبى سعيد الخدرى المسند ( صادر ) ٣ : ١٦ - ١٧ ، وأيضاً ١١ ، ١٢ وسنن ابن ماجه ١ : ٢٣ .
٣ - قصة « مساءلة الله للعباد » برواية أبى هريرة ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٩ .

**( د ) تمهيد بسؤال من الرسول ﷺ :**

وفى قصة « المسئولية والجزاء » :

عن سَمُرَة بن جندب قال : « **كان النبى ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ قال : فإن رأى أحد قصها ، فيقول ماشاء الله ، فسألنا يوماً فقال : هل رأى أحد منكم رُؤيا ؟ قلنا : لا ، قال : لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى .. الخ** »[1] يمهد الرسول ﷺ للقصَّة بسؤال يطرحه على الصحابة ، فيثير انتباههم ، ويهيىء أذهانهم للإقبال على القصة ، فهو قبل أن يقص عليهم القصة يلقى هذا السؤال : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ وكان الجواب بالنفى ، ومع الجواب تطلع نحو السائل ﷺ ، إذ إن السؤال يوحى لهم بأن الرسول ﷺ قد رأى شيئاً ، وأنه سيحدثهم عنه ، وهكذا يصنع التمهيد جواً مناسباً ، تسرد فيه القصة ..

ونجد فى قصة « سلام عليكم بما صبرتم » :

« **عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، . قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون .. الخ** »[2] يلقى الرسول ﷺ بين يدى القصة بسؤال على أصحابه ، ليسترعى انتباهم ، ويستثير شوقهم لما يأتى من تفاصيل ، وهو سؤال ذو أهمية بالغة ، فهو عن أمر خطير من أمور الغيب التى تحدث فى الحياة الآخرة « هل تدورن أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » والرسول فى الواقع وهو يطرحه لا يريد

---

(١) صحيح البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ ، المسند ( ص ) ٥ : ١٤ – ١٥ وانظر رواية أخرى فى البخارى مع اختلاف كبير ٩ : ٥٦ – ٥٨ .

(٢) المسند ١٠ : ٧٦ – ٧٧ ، تحقيق شاكر وقال فيه : « إسناده صحيح » وانظر أيضاً بإسناد صحيح : المسند ١٠ : ٧٧ – ٧٨ .

حقيقة الاستفهام ، وهو طلب الإفهام عن هذا الأمر ، ولكنه أراد غرضاً آخر من وراء ذلك وهو إثارة فضول المستمعين إلى المعرفة ، كما يثير أيضاً شوقهم لأحداث القصة فى ذاتها ، وهو مطلع تمهيدى موفق يربط السامعين بأحداث القصة منذ أول كلمات فيها ...

**( هـ ) تمهيد بسؤال من أحد الصحابة :**

وهذا السؤال هو بلاشك من خارج القصة ، والذى يطرحه ليس هو مقدم القصة ، ولا شخصية من شخصياتها ، ولكن الذى يدفع إلى دراسته ضمن مظاهر مقدمات القصة ، إنه بالرغم من صفته الخارجية ، يؤدى وظيفة حيوية فى تهيئة ذهن السامع أو القارىء ، وتوجيهه إلى الارتباط بالقصة القادمة ؛ بما يثيره السؤال فى نفسه من معلومات غير محددة ، أو قضية مبهمة ؛ حيث تبرز عنده مشكلة لايجد حلها إلا فى الجواب عن هذا السؤال ، وهو القصة نفسها ، وهكذا يكتسب هذا السؤال أهمية بارزة فى بناء القصة ، والمشاركة فى هيكلها العام ...

ففى قصة « شق الصدر » :

**عن عتبة بن عبدالسلمى أنه حدثهم – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ – : أن رسول الله ﷺ قال له رجل[١] : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها الخ .** »[٢] فالقصة تأتى جواباً على سؤال طرحه أحد الصحابة على الرسول ﷺ ، حيث بدأ الرسول ﷺ فى سرد وقائع قصة عن أول شأنه محاولا أن يهيىء الجو أمام ذهن القارىء فيبين أن حاضنته من بنى سعد بن بكر

---

(١) ربما كان هذا الرجل أبا ذر الغفارى كما صرح بذلك فى الحديث الوارد فى سنن الدارمى أيضاً ١ : ١٧ .

(٢) سنن الدارمى ١ : ١٦ – ١٧ .

قبل أن يأخذ فى ذكر الحدث .

ونجد مثل هذا أيضاً فى قصة « صوت من السماء » .

**عن عروة ، أن عائشة زوج النبى ﷺ رضى الله عنها ، حدثته أنها قالت للنبى ﷺ : « هل أتى عليك يوم كان أشد مما لقيت منهم يوم العقبة . الخ »**[1] فنلاحظ أيضاً أن القصة كانت إجابة عن سؤال طرحته عائشة رضى الله عنها على النبى ﷺ ، ونلاحظ هنا أن إجابة الرسول تضمنت مقدمة تمهيدية قبل سرد الأحداث ، وهى مقدمة ذات شقين :

١ - زاوية إجمالية ، تستخدم أسلوب « الإبهام » : « **لقيت من قومك ما لقيت** » وهو يصور عظم ما لقيه الرسول ﷺ من قومه من أذى فظيع .

٢ - الزاوية الثانية ، خاصة تأتى كالمثل على ذلك الحكم العام المبهم « **وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة** » وهنا يتطلع المستمع إلى معرفة تلك الشدة التى لقيها النبى ﷺ يوم العقبة ، وفى هذا الإبهام والعموم ، ثم التخصيص يكمن عنصر فنى رائع لاستثارة شوق السامع إلى معرفة تفاصيل القصة ، وهو نجاح تسجله القصة منذ البداية فى الاستثار باهتمام المتلقى ، وشد انتباهه ..

( و ) **تمهيد باستثارة التساؤل** :

قال رسول الله ﷺ فى مطلع قصة « الغار والصخرة » : « **من استطاع منكم أن يكون مثل صاحب فرق الأرز فليكن مثله ! قالوا** :

---

(٣) صحيح البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ ، صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ - ١٤٢١ .

**يا رسول الله ، وما صاحب فرق الأرز ؟ قال : خرج ثلاثة فغيمت عليهم السماء .. الخ »**[1]

قبل أن يشرع الرسول ﷺ فى سرد القصة على أصحابه ، يحاول أن يقدم بين يدى ذلك تمهيداً ، يجعل السامعين أكثر تشوقاً واهتماماً لما سيأتى ، مما يجعل قدرتهم بالتالى على الاستيعاب وتعمق العبرة فى القصة أكثر ، ولذلك يوجههم الرسول ﷺ فى البداية ويحثهم على أن يكونوا مثل صاحب فرق الأرز ! ولكن صاحب فرق الأرز هذا مجهول لهم ، وهم لا يعرفون عنه شيئاً ، من يا ترى صاحب هذا الفرق ؟ وإنه ليتركز فى بؤرة الاهتمام عندهم لأكثر من سبب ؛ فحب الاستطلاع والمعرفة يدفعهم إلى معرفة هذا الصاحب ، ومن ناحية أخرى فلابد أنه ذو شأن عجيب وأمر غريب وإلا لما نصحهم الرسول ﷺ بأن يكونوا مثله ، ثم إنهم قبل ذلك كله وبعده حريصون على معرفته لأنهم حريصون على الاستجابة لنصائح الرسول ﷺ وتوجيهاته ؛ ولذلك بادروا بالسؤال الذى يعبر عن اهتمامهم وتشوقهم لسماع قصة صاحب الفرق ، حين قالوا : وما صاحب فرق الأرز يا رسول الله ؟ وفى هذا الجو الذى هيأه التمهيد الموفق ، راح الرسول ﷺ يسرد عليهم القصة ..

**( ز ) تمهيد بالسؤال ثم التقرير :**

كما فى قصة « الشهب » ، فقد قال عبدالله بن عباس : أخبرنى رجل من أصحاب النبى ﷺ ؛ من الأنصار : أنهما بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ ، رُمى بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « **ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا**

---

(١) المسند ( شاكر ) ٨ : ١٧٨ - ١٨٠ ، إسناده صحيح ، وقد رواه البخارى ومسلم بنحوه ، البخارى ٣ : ١٠٤ - ١٠٥ ، ٣ : ١١٩ ، مسلم ٤ : ٢٠٩٩ - ٢١٠١ .

**نقول : ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم ، فقال رسول الله ﷺ : فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ... الخ »[١] .**

تبدأ القصة كما هو ملاحظ بمقدمة تمهيدية تقوم على فقرتين مختلفتين ؛ الأولى إنشائية طلبية ، تبدو فى هذا السؤال الذى يطرحه الرسول ﷺ على الصحابة ، وقد استنار نجم رمى به ذات ليلة ، وهو سؤال يخدم غرضين مهمين :

الأول : إثارة اهتمامهم وانتباههم ، من أجل التركيز واستحضار الأذهان .

والثانى : معرفة ما كانوا يعتقدونه حيال مثل هذه الشهب ؛ لكى يقر الرسول ﷺ ما كان صحيحاً ، ويصحح ما كان منه باطلا .

والفقرة الثانية ، تتجلى فى جواب الرسول ﷺ الذى يأتى فى صورة الإخبار والتقرير ، بعد أن أجاب السامعون ، وأبانوا عما كانوا يعتقدونه ، فالرسول بعد هذا يقرر الجواب الصحيح لحقيقة هذه الشهب بقوله : « فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته » ثم يربط هذه المقدمة بالقصة بقوله بعد ذلك : « ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه ... الخ »[٢] .

**( ح ) تمهيد بإثارة قضيـة :**

كما جاء فى قصة « سفينة الحياة » حيث قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٧٥٠ – ١٧٥١ ، المسند ( شاكر ) ٣ : ٢٦٨ – ٢٦٩ « إسناده صحيح » ، سنن الترمذى ٥ : ٣٦٢ .

(٢) وانظر مثل هذا التمهيد فى قصة « لمن هذا القصر ؟ » سنن الترمذى ٥ : ٦٢٠ ، قال أبو عيسى : « هذا حديث صحيح غريب » .

**« مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ... الخ »[(١)] .**

نجد هنا أن الرسول ﷺ يمهد للقصة بإثارة قضة معينة عن « القائم على حدود الله والمدهن فيها » وهى قضية ذات حيوية بالغة بالنسبة للدعوة وللمسلمين ، حيث تعالج ناحية الصلة التى يجب أن تكون بين المسلمين وتعاليم الإسلام فى تطبيقها والحرص الأكيد على تحقيقها فى المجتمع ، وهو تمهيد يحمل فى طياته عناصر مثيرة تربط السامع والقارىء بالقصة ربطاً جيداً من ناحيتين : ناحية المعنى ، وهو التجريد فى التمهيد ، فالقضية تثار بصورة ذهنية ، فى شكل فكرة مجملة ، مما يجعل المتلقى للقصة يحرص على مَثل حى ينقله من مرحلة التجريد النظرى إلى مثل واقعى ، وهو ينشد ذلك فى القصة نفسها ، ومن هنا فالقصة بحوادثها وتفصيلاتها هى الفكرة مرة أخرى ، تعرض فى إطار قصصى يجسد الفكرة ، وينقلها من عالم التجريد إلى التشخيص ، وهذا الربط لايقف عند ناحية المضمون فقط ، بل هو بارز أيضاً فى الشكل من ناحية ثانية ، ذلك أن التمهيد يأتى فى اللفظ « مبتدأ » ويأتى « خبره » فى مطلع القصة ، فكأن التمهيد يشد السامع والقارىء مضموناً وشكلا ..[(٢)]

**( ط ) تمهيد بتقرير وسؤال :**

فقد جاء فى قصة « أمتى يارب »؟ :

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٤٧٠ .

(٢) انظر مثل هذا التمهيد فى قصة : « المستأجر والأجراء » صحيح البخارى ٣ : ١٨ - ١٩ ، رواية أبى موسى ، والمسند ( شاكر ) برواية ابن عمر ٦ : ٢٣٥ - ٢٣٦ ، سنن الترمذى ٥ : ١٥٢ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **أتى رسول الله ﷺ بلحم ، فرُفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟** .. الخ »[١] تمهيد موجز وسريع يتكون من جملتين مختلفتين ، الأولى خبرية تقرر للمستمعين أن رسول الله ﷺ هو سيد الناس يوم القيامة ! وهو خبر غير عادى ؛ إذ إنه يتصل بيوم القيامة ، ذلك اليوم العظيم الذى يوحى ذكره بالرهبة والوجل ، وهذا فى حد ذاته عنصر مثير ومشوق .. والجملة الثانية إنشائية تصعد عنصر الإثارة والتشوق فى نفوس السامعين ، « وهل تدورن مم ذلك ؟ » وإنهم لا يدرون ، وأنى لهم أن يدروا ؛ مما يجعلهم أكثر رغبة فى سماع القصة إلى آخر كلمة فيها حتى يكشفوا سر هذه السيادة العظيمة بلا جدال ..

**( ى ) تمهيد بتوجيه وتقرير :**

جاء فى قصة « القبر » :

عن أبى سعيد قال : « **دخل رسول الله ﷺ مصلاه ، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون**[٢] ، **قال : إما إنكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت ، فأكثروا من ذكر هادم اللذات ، الموت ؛**

**فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود** ... الخ »[٣] .

---

(١) صحيح البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ وأيضاً ٤ : ١٦٣ – ١٦٤ ، صحيح مسلم ١ : ١٨٤ – ١٨٦ ، سنن الترمذى ٤ : ٦٢٢ – ٦٢٤ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٤٣٥ – ٤٣٦ .

(٢) يكتشرون : أى تظهر أسنانهم من الضحك .

(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ – ٦٤٠ وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه » .

هذه مقدمة تمهيدية تسبق القصة ، والرسول ﷺ يهدف إلى أن يحقق بها غايتين ؛ الأولى توجيه السامعين ، وإرشادهم إلى أن يظلوا على ذكر من هادم اللذات ، وهو الموت ، لأن ذكر الموت سيدفعهم إلى العمل الصالح ، وسلوك الطريق المستقيم ، وسيمنعهم عن الزيغ والانحراف ، والثانية تقرير يخبر فيه عن شيء من واقع القبر ، حيث يقرر ﷺ أن القبر لم يأت عليه يوم إلا تكلم فيه بذلك الكلام الذى يعطى إيحاء رهيباً له أثره على نفسية المستمعين ، وتهيئتها للاستجابة السريعة لهذه التوجيهات ، كما يثير اهتمامهم بشكل أكبر بهذه القصة ومتابعة أحداثها إلى النهاية ، ليزدادوا معرفة أكبر بواقع القبر وما يحدث فيه .

**بداية الحدث بعد المقدمة :**

إن تلك المقدمات التمهيدية ، لاتعتبر فى الواقع بداية حقيقية للقصة ، وإنما هى معبر نحو القصة ، بما تقوم به من إشاعة الجو المناسب ، الذى ينشأ فيه علاقة طيبة بين المتلقى والقصة ، بسبب ما تثيره تلك المقدمات فى نفس السامع ، أو القارىء من أحاسيس وتطلعات وأشواق ، ولكن البداية الحقيقية للقصة نجدها فى بداية الحدث أو الأحداث التى تتفرع عنها تفاصيل القصة ، وتنمو منها أجزاؤها ، وتمثل المرحلة الأولى فى هيكل القصة العام .

وتبدأ القصة أحياناً كثيرة بتقديم صورة لموقف معين ، هو نقطة الانطلاق فى مسار القصة ، وهذا الموقف ، يطالعنا من خلال الصورة التى تقدمها البداية ، بشكل يكاد يكون كاملا أو قريباً من الكامل ، وفى أبعاد مختلفة كما نجد مثلا فى قصة « الكفل »[1] حيث تبدأ هكذا : « **كان الكفلُ من بنى إسرائيل لا يتورَّع من ذنب عمله** » . وبعد هذا التمهيد « **فأتته امرأة**

---

(١) سنن الترمذى : ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

**فأعطاها ستين درهماً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ..** » فنحن أمام صورة لموقف ، فهذه المرأة تأتى بدافع من حاجتها إلى رجل ذى مال ، لتأخذ منه مبلغاً من المال تستعين به على بعض مشكلاتها ، وهو يستغل حاجتها فى أن يطلب منها ثمناً مقابل مايعطيها من مال ، فهو لا يتورع عن ذنب عمله ، وإنها لتستسلم وتمكنه من نفسها ، ولنقرأ بداية أخرى قريبة جداً من هذه البداية فى قصة واحد من الثلاثة أصحاب الغار[1] :
« **كان لى فضل فأصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفاً ، قال : فقلت : والله ماهو دون نفسك فأبت علىّ ، فذهبت ثم رجعت ، فذكرتنى بالله ، فأبيت عليها وقلت : لا والله ماهو دون نفسك ، فأبت علىّ وذهبت ، فذكرت لزوجها ، فقال لها : أعطيه نفسك واغنى عيالك ، فرجعت إلىَّ فناشدتنى بالله ، فأبيت عليها وقلت : والله ما هو دون نفسك ، فلما رأت ذلك أسلمت إلىَّ نفسها ..** » وأبعاد الموقف هنا تتمثل فى هذه الشدة التى أصابت الناس ، مما جعل امرأة ممن يعانى تلك الشدة ، تلجأ إلى رجل وسع الله عليه وأعطاه غنى وفضل مال ، والبعد الثانى يبرز فى موقف الرجل من المرأة حيث طلب نفسها مقابلا لما يعطيها من معروف ، ولكن المرأة تتأبى وتتردد وتلاقى من ذلك حرجاً شديداً حاولت معه أن توقظ فى ضمير الرجل أى معنى يجعله يتراجع عن موقفه فهى تناشده بالله وتلح عليه ولكنه يأبى ، وهى لا تجد إزاء حرجها الشديد إلا أن تحمل مصيبتها إلى زوجها تراجعه وتشاوره ، ولكنه لا يبصر إلا عياله الجياع ولا سبيل إلى سد جوعهم إلا بأن تسلم نفسها إلى هذا الطامع فى جسدها وهذا بعد ثالث تلم به الصورة .

---

(١) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

وفى القصة التى تحدث فيها الرسول ﷺ عن أول شأنه ، وما حصل له من شق صدره وغسل قلبه بالماء والثلج ؛ حيث يعرفنا فى البداية بصورة الموقف العام : « **كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ومكثت عند البهْم ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال الآخر : نعم** .. »[١] فنعرف من هذه البداية أن الانطلاق فى البهم لرعيها ثم دون أن يتزودا بأى زاد ، ثم إنهما تذكرا فيما بعد أنه لابد لهما من زاد والرسول ﷺ فى البداية لا يغفل هذه النقطة ؛ لتكون المبرر الذى من أجله أمر أخاه بأن يذهب ليأتى لهما بالزاد ، وهو عامل أدى لأن يبقى الرسول ﷺ وحيداً مما هيأ للخطوة التالية فى الأحداث حين أقبل الطائران الأبيضان ، ليؤديا مهمتهما فى غيبة الأخ الذى ذهب يتزود ..[٢]

وأحياناً تبدأ القصة بالتركيز على عرض الظروف والملابسات ، التى تشارك فى صنع الأحداث ، أو فى توجيهها وجهة معينة ، فتجعل السامع أو القارىء يحس أن الحدث لا ينشأ من فراغ ، ولا يتحرك فى فراغ ، كما نجد ذلك مثلا فى قصة « الغار والصخرة » : « **خرج ثلاثة**[٣] **، فغيمت عليهم السماء ، فدخلوا غاراً ، فجاءت صخرة من أعلى الجبل حتى طبقت الباب عليهم** .. »[٤] فهؤلاء الثلاثة الذين خرجوا يبحثون لأهلهم عن مواطن للماء والعشب ، نجدهم يلجأون إلى غار بسبب ما واجههم من تغيم السماء

---

(١) سنن الدارمى ١ : ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر من أمثال ذلك : قصص « صوت من السماء » البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ مسلم ٣ : ١٤٢٠ - ١٤٢١ ، وقصة الذى فقد راحلته ، صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(٣) فى رواية أخرى : « انطلقوا يرتادون لأهلهم .. » المسند ( صادر ) ٣ : ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤) المسند ( شاكر ) ٨ : ١٧٨ - ١٨٠ .

وإنذارها بالمطر ، فهذا الظرف غير المناسب هو الذى دفعهم إلى الغار الذى انطبقت عليهم فيه صخرة لتسد الباب ، وليواجهوا بالتالى مصيراً مجهولا .

ولنقرأ مقدمة قصة أخرى ، قصة « الأخدود » : « **كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر** » وبعد المقدمة تأتى البداية . « **فلما كبر قال للملك : إنى قد كبرت ، فابعث إلىَّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان فى طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه** .. »[1] فالبداية تعرفنا بالملابسة التى دفعت الساحر إلى أن يطلب من الملك غلاماً يعلمه السحر ، وهى أنه كبر ، ومع كبره أحس بقرب النهاية ، ومن هنا فلابد من خليفة له ، وأن يكون هذا الخليفة غلاماً ؛ ليمتد به العمر زماناً طويلا ، وتعطينا البداية ملابسة أخرى ، تتيح لهذا الغلام أن يتكون تكويناً آخر يختلف عما يريده له الساحر ، فقد شاء الله أن يكون فى طريق هذا الغلام إلى الساحر « راهب » فإذا هو يلتقى به وعلى غير ميعاد سابق ، وإذا هو يسمع كلامه ، فيعجبه ، وهكذا صار يتردد عليه كلما ذهب إلى الساحر[2] ..

وأحياناً تبدأ القصة بمشهد معين ترسم لنا فيه الحدث نفسه ، وتصوره ببعض الكلمات، مثلما نجد فى قصة « آخر رجل يدخل الجنة » : « **آخر من يدخل الجنة رجل يمشى مرة ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين** .. »[3] والبداية هنا وهى ، تقدم لنا الصورة بأكثر من عبارة « يمشى مرة » و « يكبو مرة » و « تسفعه النار

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

(٢) انظر أيضاً قصة « الماشطة » سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٣٧ – ١٣٣٨ .

(٣) صحيح مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ ، المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٦٩ – ٢٧٠ .

مرة » تعطينا القدرة من خلال هذه العبارات على تصور حركة الرجل فى مختلف أوضاعها ، فى مشيه ، وفى كبوه ، وفى حركة ألسنة النار وهى تسفعه أحياناً وهو فى حركته المتعثرة فهذه الوسائل اللفظية تمكننا من تمثل هذا الرجل وتمثل حركته بشكل كبير وشامل ، مما يجعلنا نندمج فى جو القصة من خلال صورة الحدث المرسومة ..

**البداية بالحدث مباشرة ، وعناصر التشويق فيها :**

هذا هو النوع الثانى من البداية حيث تستهل به القصة ، دون أن يسبق بأى مقدمات تمهيدية كما لاحظنا فى النوع الأول ، الذى تحدثنا عنه فيما سلف فى بداية هذا الفصل ، وهذا النوع وإن كان أقل من النوع الأول فإنه يمثل مجموعة كبيرة جداً من النصوص التى جمعتها[1] .

وتبدأ قصص هذه المجموعة مباشرة بحدث أو أحداث تكون اللبنات الأولى فى مرحلة البداية ، من مراحل هيكل القصة العام ، والتى تنمو عنها بالضرورة المراحل التالية ، وإذا كانت المقدمات فى النصوص السابقة تعطى القصص حيوية معينة بما تقدمه للقارىء من مشوقات تجعله يقبل على القصة ، فإن البداية المباشرة هنا هى الأخرى ذات حيوية بارزة، تكتسبها من طبيعة الحدث ذاته من ناحية ، كما أنها فى الوقت نفسه لا تخلو أيضاً من عناصر تشويقية ، تجعل المتلقى أكثر إقبالا على القصة ومتابعة لها ، ولنقرأ بعض الأمثلة ، نتعرف من خلالها على طبيعة هذا النوع من بدايات القصة النبوية ، وقبل عرض هذه الأمثلة ، نبادر بالقول بأن الوظيفة البارزة للبداية فى القصة ، هى أنها تحرص على أن تقدم لنا – فى أكثر الأحيان – تحديداً للموقف بشكل

---

(١) حيث بلغ مجموع البدايات المباشرة ( ٤٨ ) نصاً ، وبلغ مجموع البدايات المسبوقة بمقدمات تمهيدية ( ٧٧ ) نصاً .

ما ، وهو النقطة التى تنشأ منها أو فيها الأحداث ، كما أن هذا الموقف يترتب عليه أحداث أخرى ؛ بمعنى أنه يكون عاملا مهماً فى وجودها فيما بعد .

وفى قصة « يدور فى النار » تأتى البداية هكذا :

« **يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى فى النار ، فتندلق أقتابُه فى النار فيدور كما يدور الحمارُ برَحاه ..** »[1] فالبداية هنا بالحدث مباشرة « يجاء بالرجل .. فيلقى .. » ومتى ؟ يوم القيامة ! وأين ؟ فى النار ، وهنا يبدو تحديد الموقف فى الزمان والمكان ، وليتم التحديد ويكتمل الموقف تبرز البداية حالة الرجل وقد ألقى فى النار فى صورة عجيبة فنية ، فهذا الرجل تخرج أمعاؤه فى حركة تشبه حركة الماء وهو يندلق من الإناء ، وهو يدور بفعل حركة إلقائه فى النار وقد تعلقت به أمعاؤه المندلقة ، كما يدور الحمار برحاه ، وفى البداية حيوية لا تخفى ، تبدوا فى الحدث الفظيع الذى يقف منه شعر الرأس خوفاً ورهبة ، فما أفظع أن يلقى بإنسان فى نار ، فضلا عن أن تكون هذه النار هى نار يوم القيامة ، وبهذه الصورة البشعة ، وفى هذه الحيوية يكمن عنصر التشويق الذى يربط السامع ببقية أحداث القصة فهذه الأحداث القوية المؤثرة تجعله مهتماً بمتابعة الموقف إلى نهايته ، ومع بداية أخرى :

وفى قصة « البطاقة الثقيلة » :

« **يُصاحُ برجلٍ من أمتى يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فينشرُ له تسعةٌ وتسعونَ سجلاً كلُّ سجل مَدُّ البصر** »[2] بداية بحدث مثير ، ويستعمل معه الفعل المبنى للمجهول « يصاح » ليكون فى ذلك إثارة أكثر ، فمن الصائح ، لا ندرى ! ولكن البداية تعطينا آخر يُصَعِّدُ فى البداية عنصر

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٠ - ٢٢٩١ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٣٧ ، سنن الترمذى ٥ : ٢٤ - ٢٥ ، المسند ( شاكر ) ١١ : ١٧٥ - ١٧٧ .

الإثارة والحيوية ، حين تعرض لنا ظروف القصة وملابساتها ، فهذا الذى يصاح به رجل من أمة محمد ﷺ ويصاح به ، متى ؟ يوم القيامة ! وعلى أى وضع ؟ على الملأ ؛ إنه على رؤوس الخلائق ، كل الخلائق فى مشهد عظيم ينشر له فيه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر !![1] .

وأحياناً تبدأ القصة بالحدث القولى الذى يحمل إيحاءات غير عادية ، مثل هذه البداية فى قصة « المتصدق » ، « **قال رجل : لأتصدقنّ الليلة بصدقة** .. »[2] فالقصة تبدأ بما يثير فضول السامع أو القارىء ؛ لما تحمله من إيحاءات غير عادية ، فالقائل « رجل » فهو نكرة ، غير معروف ، وماذا قال ؟ « لأتصدقن الليلة بصدقة » و « صدقة » منكرة ، وهو تنكير يدل على أنها صدقة من نوع معين ، وغير عادية أيضاً ، ثم تأكيد عزمه على القيام بالصدقة بالقسم ، أمر هو الآخر يجعل المتلقى يحفل بما يأتى من أحداث ..

ومثل هذا البداية قول الرسول ﷺ فى قصة « الرضوان » : « **إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ؟ فيقولون : لبيّك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟** .. »[3] بداية بكلمات وجيزة تثير التطلع والاهتمام لدى المستمعين ، لأنها تتصل بالله جل وعلا « إن الله » ، وتتضمن قولا له – عز من قائل – وهو قول لأهل الجنة ، وهذه كلها عدة عناصر تشويقية تأتى بين يدى القصة لتشد المستمعين ، الذين يزداد شوقهم بهذا

---

(١) انظر نماذج أخرى : قصة « الله يعصمك » صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٦ – ١٧٨٧ ، وقصة « الكلب اللاهث » صحيح البخارى ٨ : ١١ وصحيح مسلم ٤ : ١٧٦١ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٧ ، سنن أبى داود ٢ : ٣٢ – ٣٣ ، الموطأ ٤ : ٣٠٥ – ٣٠٦ ، وقصة « موسى والخضر » صحيح البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ ، سنن الترمذى ٥ : ٣٠٩ – ٣١٢ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ٧٠٩ ، سنن النسائى ٥ : ٤٢ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٢٢ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢١٧٦ ، سنن الترمذى ٤ : ٦٨٩ – ٦٩٠ .

السؤال فى نهاية البداية : « هل رضيتم ؟ » .

وأحياناً أخرى نجد البداية تكوّن مشهداً مكتملا بكل أبعاده كفصل من القصة ، يبرز فيه عنصر الحوار مما يعطى للمشهد حيوية خاصة كما فى قصة « المؤمن والدجال » .

« **يخرجُ الدجال فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين ، فيتلقاه المسالح**[١] ، **مسالح الدجال ، فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذى خرج ! قالوا : فيقولون له : أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول : مابربنا خفاء ؟ فيقولون :اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ، قال : فينطلقون به إلى الدجال** ... »[٢] . إنه مشهد حافل ينتهى بهذا الموقف الذى أجمع عليه أعوان الدجال حين استقر أمرهم على أن يذهبوا بالرجل المؤمن إلى الدجال ، ويعطينا « الفعل المضارع » « فينطلقون به » فرصة أن نتصور الحركة كلها ، وقد أمسكوا بالرجل وأخذوه عنوة إلى الدجال ، ونكاد نشيعه بنظراتنا الراغبة فى رؤية الفصل الثانى وقد مَثَلَ هذا الرجل بين يدى الدجال ...

ومثل هذه بداية قصة « المستلف ألف دينار » ، فقد جاء فيها أن الرسول ﷺ « **ذكر رجلا من بنى إسرائيل ، سأل بعض بنى إسرائيل ، أن يسلفه ألف دينار ، فقال : ائتنى بالشهداء ، أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيداً ، قال : فأتنى بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلا ، قال : صدقت . فدفعها إليه إلى أجل مسمى** .. »[٣] .

---

(١) أى قوم الدجال المسلحون .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٦ ، وانظر البخارى ٣ : ٢٨ ، والمسند ( صادر ) ٣ : ٣٦ .

(٣) صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

إنه مشهد عجيب فهذا رجل يريد أن يستلف ألف دينار ولاكفيل له ولا شاهد إلا الله ، والطرف الآخر يرضى بالله شاهداً وكفيلا ، ويدفع إليه الألف فى ثقة واطمئنان ويفترقان كل فى سبيل ، ويسدل الستار على هذا الفصل ، ويظل السامع أو القارىء فى حالة تطلع إلى مستقبل الأحداث ، ليكتشف إلى أين ينتهى المطاف بهذين الرجلين العجيبين ، وهكذا تنجح البداية فى امتلاك المتلقى وإثارة اهتمامه بمتابعة القصّة إلى النهاية ..

## وسط القصة

تشكل منطقة الوسط فى القصة النبوية نقطة مهمة جداً – إذ نجد أنها تشكل مجمعاً حيوياً لكثير من العوامل والعناصر المختلفة التى تنشأ أساساً عن الموقف منذ البداية ، أو تكون مرتبة عليه بطريقة ما ؛ بحيث تتفاعل هذه العوامل والعناصر محدثة آثاراً جديدة فى شخصية القصة وبنائها ...

**مرحلة نامية :**

ومن هنا فإن « الوسط » فى القصة مرحلة نامية ومتطورة أصلا عن بداية القصة ، وهذا يعبر عن أن هناك علاقة وثيقة بين البداية والوسط ، مما يؤكد التلاحم العضوى بين مرحلتين مهمتين فى بناء هيكل القصة العام ، فالبداية تحمل فى تضاعيفها الأسباب التى يمكن أن تحدث عنها مضاعفات تالية ، وبتلك الدوافع النابعة من البداية ينشأ موقف جديد .

ولنأخذ مثالا على ذلك قصة « الذى يدور فى النار » :

١ – فى البداية : « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق اقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه .. »

٢ – الوسط : « فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ؟

ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟؟!! » .(١)

فإلقاء ذلك الرجل فى النار بتلك الصورة الشنيعة التى سجلتها البداية ، هو السبب فى حدوث الموقف الجديد ، وهو اجتماع أهل النار على هذا الرجل من كل ناحية ، وقد تملكتهم الدهشة ، وبدا عليهم الاستغراب والتساؤل ؛ حيث أخذوا فى سؤال الرجل : مالك يا فلان ؟! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ وهى مشكلة مثيرة يحملها الموقف الجديد ..(٢).

وقد تكون البداية مشهداً معيناً ، كما فى قصة « المستلف ألف دينار » ، وعن ذلك المشهد يترتب مشهد جديد يمثل وسط القصة وفصلا تالياً متطوراً عن الفصل الأول « البداية » ، والقصة تأتى هكذا :

١ – البداية ( المشهد الأول ) :

**عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل « سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيداً ، قال : فأتنى بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلا ، قال : صدقت . فدفعها إليه إلى أجل مسمى .**

**٢ – الوسط ( المشهد الثانى ) :**

**« فخرج فى البحر فقضى حاجته . ثم التمس مركباً يركبها ، يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفةً منه إلى صاحبه ثم زجَّج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألنى كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضى بك ، وسألنى شهيداً ، فقلت : كفى**

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ .

(٢) اقرأ قصة : « مومسة وكلب عطشان » المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٠ .

**بالله شهيدا ، فرضى بك ، وأنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر ، وإنى أستودعكها ، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف ، وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً جاء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة »**[1]

فهذا المشهد كما هو واضح مترتب على المشهد الأول ، فالمقترض يريد الوفاء بعد أن قضى حاجته التى من أجلها استلف المال ، وهو حريص على أداء الدَّين فى الوقت المحدد الذى اتفق عليه مع صاحبه فى المشهد الأول ، وهو لذلك يلتمس مركباً ، ولكنه لايجد مركباً ، ولنا أن نتصور مبلغ الأزمة التى هو فيها ، والقلق الذى لابد أن يستبد به ، وهو الرجل الحريص على الوفاء ، وعلى تحقيق التزاماته التى أشهد الله عليها ، وكان له كفيلا أيضاً ، وفى مُدلهمِّ حيرته يفتح الله عليه بفكرة ، رأى فيها المخرج الوحيد من هذه المشكلة ، وهو تصرف يمليه الموقف الحرج الذى هو فيه ، ونلفت النظر إلى ما هنا – فى هذا المشهد – من الترتب على المشهد الأول حتى فى الأبعاد غير الملحوظة لأول وهلة ، فهذا الموقف الذى يتخذه الرجل هنا حين أخذ خشبة وجوفها ، ووضع فيها المال والصحيفة إلى صاحبه إنما هو من آثار الموقف الأول الذى اتخذه فى البداية ، ألم يطالبه صاحبه بالشاهد والكفيل ، ولكنه وقتها لم يجد شاهداً ولا كفيلا إلا الله ، وقد رضى به صاحبه ، ولذلك فهو هنا يفعل ما يفعل وقد توجه إلى الله الشاهد الكفيل ، الذى من أجله يجد نفسه ملزماً بسداد الدين ، وقد وقف على البحر ليرمى فيه بالخشبة ، ومن الجانب الآخر نرى « الرجل المقرض » ، يخرج فى الميعاد الذى حدد « فى المشهد الأول » منتظراً ماله ، فإذا به يجد الخشبة ، فيأخذها حطباً لأهله ، ويلهمه الشاهد

---

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

والكفيل أن ينشرها ليجد ماله ، وقد أوصله إليه الشاهد والكفيل الذى آمن به ووثق واطمأن إليه ..[١]

**منطقـة الثقـل :**

وتتميز مرحلة الوسط ، بأنها المنطقة الحافلة بتشابك العناصر المتاحة فى الموقف الأول فى البناء الذى ابتدأ بسيطاً ، وبأنها محور التأزيم للمواقف الأولية ، ونقطة التطور للمشكلة ، بمختلف أنواعها وشتى صورها ، بما فى تلك المشكلات من عناصر درامية ، تثير أنواعاً من الصراع الذى يؤدى إلى سلوك أو تفكير معين[٢] وهذا واضح فى المثالين السابقين[٣] .

ونستطيع أن نقول إن جميع القصص النبوية لاتخلو على الإطلاق فى هذه المرحلة من مظهر ما للمشكلة أو العقدة ، وقد لمست فى كل نص وقفت عنده على حدة مثالا على هذه الظاهرة ، ووجود عنصر المشكلة ، فى وسط القصة يعطى لجسم القصة توازناً طبيعياً ، يثرى الحركة الصاعدة فى سياق القصة ، ويدفع بالعناصر والعوامل المحيطة بالموقف إلى خلق مواقف جديدة كما نجد مثلا فى قصة « جريج » :

١ — البدايــة :

**« .. وكان فى بنى إسرائيل رجل عابد يقال له : جريج ، فابتنى صومعة وتعبد فيها ، قال : فذكر بنو إسرائيل يوماً عبادة جريج ، فقالت بغى منهم : لئن شئتم لأصبينه ؟! فقالوا : قد شئنا ..**

---

(١) اقرأ قصة « المؤمن والدجال » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٦ .

(٢) نكتفى هنا بالإشارة إلى هذه الجوانب فى المشكلة اكتفاء بالتفصيل الذى سيأتى عن هذه الجوانب فى الفصل القادم إن شاء الله عن نسيج القصة .

(٣) قصة « الذى يدور فى النار » ، وقصة « المستلف ألف دينار » .

٢ - الوسـط :

**« فأتته فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأمكنت نفسها من راع كان يأوى غنمه إلى أصل صومعة جريج ، فحملت ، فولدت غلاماً ، فقالوا : ممن ؟ قالت : من جريج ، فأتوه فاستنزلوه ، فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنيت بهذه البغى ، فولدت غلاما ، قال : وأين هو ؟ قالوا : ها هو ذا ، قال : فقام فصلى[1] ودعا ، ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه ، وقال : بالله يا غلام ، من أبوك ؟ قال : أنا ابن الراعى .. »[2] .**

هنا تبرز المشكلة المثيرة ، التى تواجه البطل « التهمة بالزنا » وما صاحب ذلك الاتهام من سب وضرب وبلاء ، مع أنه برىء من كل ما ألصق به زوراً ، وحتى جمهور المستمعين يشاركون « البطل » فى هذه الأزمة ؛ لأنهم يعرفون أنه برىء ، فقد كشفت لهم القصة عن الموقف الذى تم بين البغى وبين الراعى فالحقيقة ظاهرة لهم ، ولكنها خافية عن بقية أبطال القصة ، هذه الجماهير المندفعة فى غير روية ، تصب جام غضبها على المتهم ، الذى هو فى حسبانهم فى تلك اللحظات منافق مخادع ، يتزيا بلباس العابدين الصالحين « زنيت بهذه البغى » وهذا هو الدليل . « فولدت منك » يا للمصيبة .. إنها طامة كبرى تقع على رأس « جريج » مشكلة فى أقصى درجات الحدة ، أنسته مأساته فى ضربه وهدم صومعته ! ومن هذا الموقف يتحرك فى تصرف معين يمليه عليه الواقع الذى هو فيه ، فيطلب منهم « أن

---

(١) فى صحيح مسلم ٤ : ١٩٧٧ ، فقال : « دعونى حتى أصلى . فصلى » .

(٢) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ ، وانظره فى البخارى ٤ : ٢٠١ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم ٤ : ١٩٧٧ .

يدعوه يصلى » ؛ فهو واثق من نفسه ومن براءته ، فيتجه إلى علام الغيوب الذى لاتخفى عليه خافية لينقذه مما هو فيه من ورطة ، وبعد صلاته يتجه إلى الغلام – وهذا أيضاً موقف جديد – فيطعنه بإصبعه قائلا : بالله ياغلام ! من أبوك ؟ وهنا تتكشف الحقيقة وتنجلى الأزمة على لسان هذه الطفل ، والموقف هنا حافل بالمفاجأة والحيوية ، نظراً للحدث غير العادى الذى احتواه ، مما أدى أيضاً إلى خلق موقف جديد فى المرحلة الأخيرة من القصة ..[١] ، [٢] .

**مرحلة الذروة :**

وفى هذه المرحلة – أعنى مرحلة الوسط – نلاحظ نقطة الذروة فى الأحداث أو النقطة الحرجة فى تطور الحدث ، ولعل المثال هنا خير من المقال ، ولنأخذ قصة « الأم والسكين » :

١ – البداية : **خرجت امرأتان معهما صبيان لهما ، فعدا الذئب على إحداهما فأخذ ولدها .**

٢ – الوسط : « **فأصبحتا تختصمان فى الصبى الباق إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى منهما . فمرتا على سليمان فقال : كيف أمركما ؟ فقصتا عليه ، فقال ائتونى بالسكين أشق الغلام بينهما ، قالت الصغرى : أتشقه ؟ قال : نعم ؟ فقالت : لاتفعل ، حظى منه لها ...** »[٣] .

نرى أول خيط فى المشكلة يبدأ حين يذهب الذئب بابن إحدى المرأتين ، وتتأزم المشكلة حين تدعى كل واحدة منهن أن الصبى الباق هو ابنها

---

(١) سنعرض لها عند الحديث عن النهاية .

(٢) ومن النماذج أيضاً قصة « آخر رجل يدخل الجنة » المسند ( صادر ) ٣ : ٢٧ ، « **قصة** الكفل » الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ الخ .

(٣) سنن النسائى ٨ : ٢٠٦ – ٢٠٧ ، وانظر البخارى ٤ : ١٩٨ .

ويتفاقم الأمر إلى حد الوصول إلى الحاكم ويحكم داود للكبرى ، ويبدو أن هذا الحكم لم يحسم الأمر ، فخرجتا إلى سليمان عليه السلام[١] ، وشرحتا قصتهما ، وهنا يصل الحدث إلى ذروته ، حين طلب سليمان – عليه السلام – سكيناً ، إنه يريد أن يشق الصبى بينهما ، وهنا تكمن النقطة الحرجة وخاصة بالنسبة للصغرى ، التى حركتها عاطفة الأمومة فى رعب واستنكار لتقول : أتشقه ؟! وحين أجابها بالإيجاب ، سارعت تتوسل إليه ألا يفعل ، مبدية تنازلها عن حظها من الصبى[٢] .

وحين تصل الأحداث إلى ذروتها فى هذا المرحلة ، نلاحظ انحدارها نحو الانفراج متدرجة فى طريق النهاية[٣] .

## النهايــة

إن أول كلمة يجب أن تقال عن النهاية فى القصة النبوية هى أنها تأتى فى قوة بدايتها ، فقد أتيح لها من مقومات القوة وعناصرها ما يجعلها تضارع البداية فى امتلاكها للمتلقى ، وتأثيرها عليه ، والنهاية جزء مهم فى كيان القصة ، له قيمته الحاسمة فى تقدير القصة والحكم عليها ، وعلى النهاية يتوقف الأثر النهائى فى نفس القارىء أو السامع ، فإما أن تفسد النهاية ماسعت القصة منذ أول خطواتها فى بنائه ، هذا إذا كانت نهاية فاشلة ، وإما أن تؤكد هذا البناء ، وتحمل ثمرته فى المعنى الأخير الذى سيظل عالقاً فى ذهن المتلقى وقتاً طويلا حين تكون نهاية جيدة ، وهكذا كانت النهاية فى القصة النبوية ؛ فقد

---

(١) فى رواية البخارى ٤ : ١٩٨ : « فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه .. » .

(٢) ومثل ذلك قصة « فاقد الراحلة » صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ ، الترمذى ٤ : ٦٥٩ ، المسند ٥ : ٢٢٥ – ٢٢٦ حيث نلاحظ وصول الحدث إلى نقطة الذروة حين اضطجع الرجل فى ظل الشجرة مستسلماً للموت بعد أن عيته الحيلة فى النجاة .

(٣) سنفصل ذلك فى الحديث عن نسيج القصة .

حظيت بعناصر عدة تجلت فى أكثر من مظهر منحها القوة والحيوية :

**١ - التفسير :**

هناك ظاهرة عامة نلاحظها فى كثير من نهايات القصة النبوية ، وهى أنها تشتمل على تفسير معين للأحداث التى سبقت أثناء السرد القصصى فى بداية القصة أو وسطها ، وخاصة حين تكون تلك الأحداث غريبة أو غامضة ، وهذا التفسير يعطى للقصة معنى جديداً ويدعم مضمونها ويجعله أكثر ثراء ، كما أنه من زاوية أخرى يعطى للقصة تأثيراً أكثر وأعمق فى نفس المتلقى ؛ نظراً لأن هذا التفسير يشبع فيه رغبة المعرفة من ناحية ، ويلبى حاجة الكشف عن الجوانب الخفية فى الحدث والتى كانت تقلقه وتثير فى نفسه تطلعاً شديداً لحل رموزها ، ومن هنا تنجح القصة فى السيطرة على القارىء أو السامع إلى آخر كلمة فيها .

ومن أجل أن نتعرف على نوعية هذا التفسير بشكل أوضح ، نعرض هنا بعض النماذج المختلفة كما فى قصة « مدينة الذهب والفضة » التى جاء فيها :

« **أتانى الليلة آتيان فابتعثانى ، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال ؛ شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا ، قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة .**

النهاية : **قالا لى : هذه جنة عدن ، وهذاك منزلك ، قالا : أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن ، وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، تجاوز الله عنهم** »[(١)] .

---

(١) صحيح البخارى ٦ : ٨٧ .

بعد سياق الأحداث الغريبة يأتى فى النهاية الكشف الغيبى عن حقيقة تلك المشاهد العجيبة على لسان الملكين ، حين فسرا غوامض تلك الأمور ، وجلياها للرسول ﷺ فى آخر المطاف ..

ومثل ذلك قصة « المسئولية والجزاء » :

**« هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ ، قال : فقلنا : لا ، قال : لكن أنا رأيت رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى أرض فضاء ، أو أرض مستوية[(١)] فمرا بى على رجل ، ورجل قائم على رأسه بيده كلُّوب من حديد فيدخله فى شِدقيه فيشقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يخرجه فيدخله فى شقه الآخر ويلتئم هذا الشق فهو يفعل ذلك به قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقت معهما فإذا رجل مستلق على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه فيتَدهْدَى الحجر فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان ، فيصنع ذلك ، فقلت : ما هذا قال : انطلق ، فانطلقت معهما ، فإذا بيت مبنى على بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق، فانطلقت معهما فإذا نهر من دم فيه رجل ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فيقبل الرجل الذى فى النهر فإذا دنا ليخرج رمى في فيه حجراً فرجع إلى مكانه ، فهو يفعل ذلك به ، فقلت : ما هذا ؟ فقالا : انطلق ، فانطلقت فإذا روضة خضراء فإذا فيها شجرة عظيمة ، وإذا شيخ فى أصلها حوله صبيان ، وإذا رجل قريب منه بين يديه نار فهو يحششها ويوقدها فصعدا بى فى الشجرة ، فأدخلانى داراً لم أر داراً قط أحسن منها ، فإذا فيها رجال وشيوخ وشباب ، وفيها نساء وصبيان ، فأخرجانى منها فصعدا بى فى الشجرة فأدخلانى داراً**

---

(١) فى البخارى : « فأخرجانى إلى الأرض المقدسة » ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ .

**هى أحسن وأفضل منها ، فيها شيوخ وشباب . فقلت لهما :**

النهاية : « **إنكما قد طوفتمانى منذ الليلة ، فأخبرانى عما رأيتُ فقالا : نعم ، أما الرجل الأول الذى رأيتَ فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة ، فتحمل عنه فى الآفاق فهو يُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة ، ثم يَصنع الله تبارك وتعالى به ماشاء ، وأما الرجل الذى رأيتَ مستلقياً ، فرجل آتاه الله تبارك وتعالى القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل بما فيه بالنهار ، فهو يفعل به مارأيت إلى يوم القيامة ، وأما الذى رأيتَ فى التنُّور فهم الزنُّاة ، وأما الذى رأيتَ فى النهر فذاك آكلُ الربا ، وأما الشيخ الذى رأيتَ فى أصل الشجرة ، فذاك إبراهيم عليه السلام ، وأما الصِّبّيان الذى رأيت فأولاد الناس ، وأما الرجل الذى رأيت يوقد النار ويحششُها فذاك مالكٌ خازن النار ، وتلك النار ، وأما الدار التى دخلتَ أولا فدار عامة المؤمنين ، وأما الدارُ الأخرى فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، ثم قالا لى : ارفع رأسك فرفعتُ رأسى ، فإذا هى كهيئة السحاب ، فقالا لى : وتلك دارك ، فقلت لهما ! دعانى أدخل دارى ، فقالا : إنه قد بقى لك عمل لم تستكمله ، فلو استكملته ، دخلتَ دارك ..** »[١] .

فالنهاية تأتى لتفسر الأحداث الغريبة ، وتكشف عن هوية الأشخاص المجهولين الذين مروا فى سياق القصة ..

وفى قصة « المتصدق » :

« قال رجل : لأتصدّقنَّ الليلة بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ، قال : اللهم لك الحمد على زانية[٢] . لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنىّ ،

(١) المسند ( صادر ) ٥ : ١٤ – ١٥ ، وانظر صحيح البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) أى على تصدق عليها ، انظر سنن النسائى ٥ : ٤٢ .

فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غنيّ ، قال : اللهم لك الحمد على غنيّ لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، وعلى غنيّ ، وعلى سارق .

النهايـة :

**فأتِىَ فقيل له : أمّا صدقتك فقد قبلت ، أما الزانية فلعلها تستعفُ بها عن زناها ، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته** »[١] تقوم النهاية كما هو بين بتفسير معنى الأحداث غير المألوفة ، التى وردت فى أثناء القصة ، وتكشف مدلولها للقارىء أو السامع ، فتفسر الصدقة على هؤلاء الثلاثة ، بأنها تحمل معنى بعيداً ، لا يتبادر لوعينا فى الوهلة الأولى ؛ وهو أنها ستكون عاملا مساعداً يدفع هؤلاء إلى العفة والعبرة ..

وفى قصة « صوت فى سحابة » :

« **بينما رجل بفلاة من الأرض إذ سمع صوتاً فى سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حرة ، فانتهى إلى الحرة فإذا هو فى أذناب شراج**[٢] ، **وإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتبع الماء ، فإذا رجل فى حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله؟ : ما اسمك؟ قال : فلان، بالاسم الذى سمع فى السحابة فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ قال : إنى سمعت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها؟؟**

النهايـة :

---

(١) صحيح مسلم ٢ : ٧٠٩ ، سنن النسائى ٥ : ٤٢ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٢٢ .

(٢) الشرج : مسيل الماء من الحرة إلى السهل .

**« قال : أما إذا قلت هذا ؛ فإنى أنظر إلى ماخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثه ، وأرد فيها ثلثه »**[١] .

يتركز فى النهاية هنا موطن العبرة ، والمغزى الحقيقى وراء القصة ، وتأتى تفسيراً يكشف حقيقة الأحداث التى سبقت ، ويبين الدافع الذى كان وراءها فهذا الرجل صاحب الحديقة ، كان رجلا صالحاً ، مجاهداً على نفسه وعلى عياله ، متصدقاً على الضعفاء والمساكين ، فهو ينظر إلى مايخرج منها فيتصدق بثلثه ، ويأكل هو وعياله ثلثاً ، ويرد فيها الثلث الباق ..

وفى قصة « الأم والرضيع » :

**« وبينما امرأة فى حجرها ابن لها ترضعه ، إذا مر بها راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، قال : فترك ثديها ، وأقبل على الراكب فقال : اللهم لاتجعلنى مثله ، قال : ثم عاد إلى ثديها يمصه ، ( قال أبو هريرة : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى على صنيع الصبى ووضعه أصبعه فى فمه فجعل يمصها ) ثم مر بأمَة تُضرب ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثلها ، قال : فترك ثديها ، وأقبل على أمه فقال : اللهم اجعلنى مثلها ، قال : فذلك حين تراجعا الحديث ، فقالت : حلقى**[٢] **مر الراكب ذو الشارة فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، ومر بهذه الأمة ، فقلت : اللهم لا تجعل ابنى مثلها ، فقلت : اللهم اجعلنى مثلها ؟!**

---

(١) المسند ( صادر ) ٢ : ٢٩٦ ، وانظر صحيح مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

(٢) أى مصيبة حالقة ، وهى هنا على التعجب ، وانظر : ابن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث ١ : ٢٥١ ، وانظر : الزمخشرى ، الفائق ١ : ٣١٣ ، تحقيق البجاوى وآخر ، عيسى الحلبى ، ط الثانية .

النهايــة :

**« فقال : يا أمتاه ، إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة ، وإن هذه الأَمَة يقولون : زنت ، ولم تزن ، وسرقت ، ولم تسرق ، وهى تقول : حسبى الله »**[1] إن الأم الحيرى من أمر ابنها تراجعه الحديث ، وقد اطمأنت إلى نطقه غير المألوف ؛ علها تجد عنده مايريحها من هذه الحيرة المستبدة التى نشأت من التناقض بين دعائها له ، ودعائه لنفسه ، وإذا به يتجه إليها ، يكشف لها ولنا معها السر فى تلك المفارقة ، ويفسر ذلك الموقف الغامض العجيب ببيان حقيقة ذلك الراكب الذى يبدو فى مظهر الخير ، وتلك الجارية التى تبدو فى مظهر الشر ، مع أن الواقع أن كلا منهما على نقيض ما يظهر للناس من أمره ، وهو كشف غيبى يجريه الله القدير الفعال لما يريد ، على لسان هذا الرضيع ..

وفى قصة الذى « يدور فى النار » :

**« يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أى فلان ما شأنك ؟! أليس كنت تأمرنا بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟**

النهايــة :

**« قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه ! »**[2] .

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ ، وانظر البخارى ٤ : ٢٠١ – ٢٠٢ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٩٥ .

(٢) صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٠ – ٢٢٩١ .

وهكذا تنتهى القصة بكلمات تأتى على لسان الرجل صاحب المأساة ، تكشف عن سر وجوده فى النار مع أنه كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فيفسر الموقف والأحداث التى تجرى ، والتى تثير دهشة أهل النار وتساؤلهم . إنه يقول : بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه !! ، فينكشف الأمر أمام الجمهور المتجمع ، وتستنير الأحداث[١] .. وهذا التفسير[٢] يشبه إلى حد كبير جداً ما يعتبر سمة هامة من سمات القصة القصيرة فى النقد الحديث ، وهى لحظة التنوير ، وهى النقطة التى تتجمع فيها كل القوى التى احتوتها القصة ، حين تعطى للحدث معناه ، وتحقق له الاكتمال المطلوب ..[٣]

وهذا التشابه يعطينا وجهاً من أوجه الالتقاء بين القصة النبوية وبين القصة القصيرة بمفهومها الفنى ؛ مما يصور العلاقة بين اللونين بأنها ليست علاقة افتراق مطلق ، كما أن هذا التشابه أيضاً يضع أيدينا على الطبيعة الفنية التى تبدو فيها القصة النبوية .

---

(١) نكتفى هنا بهذا القدر من النماذج ، ونشير هنا إلى نماذج أخرى للقراءة :

١ – قصة – « موسى والخضر » صحيح البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ ، سنن الترمذى ٥ : ٣٠٩ – ٣١٢ .

٢ – قصة – « مساءلة الله للعباد » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٩ .

٣ – قصة – « أصحاب الأخدود » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ ، المسند ( صادر ) ٦ : ١٦ – ١٩ ، سنن الترمذى ٥ : ٤٣٧ – ٤٣٩ .

٤ – قصة – « لو قال إن شاء الله » صحيح مسلم ٣ : ١٢٧٦ ، المسند ( شاكر ) ١٤ : ١٣٤ .

٥ – قصة – « المستأجر والأجراء » صحيح البخارى ٣ : ١١٨ – ١١٩ ، المسند ( شاكر ) ٦ : ٢٣٥ – ٢٣٦ ، سنن الترمذى ٥ : ١٥٣ .

(٢) وهذا قريب مما يعرف بالكشف فى المسرح اليونانى أو التعرف ، انظر لاسل كرومبى فى قواعد النقد الأدبى ص ١٠٢ ، ١٢٧ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نقله إلى العربية محمد عوض محمد ، مصر ، ط الثانية ١٩٤٤ م

(٣) د. رشاد رشدى – فن القصة القصيرة ص ١٧ .

٢ – المفاجـأة :

تبرز المفاجأة فى النهاية عنصراً آخر من عناصر قوتها ، ذلك أن المفاجأة بطبيعتها ذات أثر خاص فى نفس الإنسان ، ثم إنها هنا تأتى بطريقة رائعة تدهش القارىء ، أو السامع ، وبخاصة أنها تبدو فى صورة معقولة ، تنسجم مع ظروف القصة وملابساتها وتلائم الجو العام الذى تحدث فيه ، كما أنها لاتخرج عن سياق القصة العام ونطاق أحداثها ، وهناك كثير من الأمثلة التى تحمل هذا النوع من المفاجأة المدهشة ، كما نجد فى نهاية قصة « فاقد الراحلة » :

**« لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حينَ يتوبُ إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة ، فاضطجع فى ظلها ، قد أيس من راحلته » .**

النهايـة :

**« فبينما هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم ؟ أنت عبدى وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح »[١] .**

تنتهى القصة بالمشهد الأخير من فصول هذه القصة المثيرة على قصرها الشديد ، فها هو الرجل قد اضطجع فى ظل الشجرة مستسلماً للموت الذى ينتظره ، ولا شيء غير الموت يفكر فيه ، وفجأة ، إذا هو بها ، وإذا هنا هى « إذا » الفجائية ، وهى تعطى دلالة فنية رائعة فى حَبك القصة ، فالراحلة فى الواقع قد فاجأت الرجل بوقوفها « قائمة عنده فأخذ بخطامها » والألفاظ هنا تشارك فى تصوير تمكنه منها بعد اليأس الذى انتزعته المفاجأة منه ، هذه

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ ، انظر سنن الترمذى ٤ : ٦٥٩ ، المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٢٥ – ٢٢٦ ، سنن الدارمى ٢ : ٢١٣ – ٢١٤ .

المفاجأة التى جعلته يفرح فرحاً طاغياً ، ولنا أن نتصور مقدار الفرحة التى تغمر كيان هذا الرجل الذى عاد إلى الحياة بعد أن عادت إليه راحلته ، إنه فى فرحة تطغى على الحد المعتاد ؛ تخرجه عن طوره حتى ليختلط عليه التعبير حين يريد أن يثنى على ربه الذى أعاد إليه راحلته ، إنه فى فرح شديد يتجاوز كل فرح . ويعجز عنه الوصف ، ولذلك فالرسول ﷺ يلتقط لنا « مشهدا » نستشف نحن من خلاله مدى الفرحة الطاغية التى غمرت هذا الرجل « فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » وهكذا استطاعت القصة بنهايتها الفنية الرائعة ، أن تحقق المغزى فى تقريب المستمعين – فى حدود قدرتهم – لإدراك مدى فرح الله بتوبة عبده ، من خلال تصورهم لفرح هذا الرجل .

وفى قصة « صوت من السماء » :

**« لقد لقيتُ من قومك مالقيتُ ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبدياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بَعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم » .**

النهايــة :

**« فنادانى ملك الجبال ، فسلم علىَّ ، ثم قال : يامحمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبى ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ! »**[١] ..

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٣٩– ١٤٠ ، صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ – ١٤٢١ .

إن المستمع ليتطلع ، وتتسع حدقتا عينيه فى لهفة وترقب ؛ إن الرسول ﷺ قد لقى من العنت والعناء والهم مالا حد له من هؤلاء القوم الجاحدين للحق ، وها هو الآن يملك – بأمر الله – أن يأمر ملك الجبال فينزل بهم عذاباً ساحقاً ، إنه يملك أن يطبق عليهم الأخشبين ، فهل تأتى نهاية هؤلاء القوم على يد الملك القادر بأمر ربه ، فينهى أمرهم فى لحظات ، ولكن النهاية تفاجؤنا بالموقف الرائع المثير ، إن الرسول ﷺ لايريد أن يُطبق عليهم الأخشبان ، إنه حريص على قومه حدِب عليهم ، ينظر بعين بصيرة إلى المدى البعيد ، ويأمل الخير لهم ، وهو حين اهتم واغتم ، لم يكن مغتما لما حصل لنفسه ولا لما وقع على ذاته ، ولكنه هم من أجلهم هم ، كما كان يقول دائماً ﷺ حين يلقى الأذى منهم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » نعم إنه يريد لهم الهداية والسلامة ، لا أن يطبق عليهم الأخشبين[1] ، وتنتهى القصة بالمفاجأة التى تحمل الرد الكريم اللطيف الشفيف على ملك الجبال : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً !! »[2] .

---

(١) الأخشبان جبلان بمكة .

(٢) هناك أمثلة كثيرة نذكر منها :

١ – قصة – « الذى طلب من بنيه أن يحرقوه » صحيح البخارى ٩ : ١٧٨ ، صحيح مسلم ٤ : ٢١١٠ ، سنن النسائى ٤ : ٩١ – ٩٢ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٢١ ، الموطأ بشرح الزرقانى ٢ : ٨٥ – ٨٦ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٠٤ ، ٣ : ١٣ ، ٦٩ – ٧٠ سنن الدارمى ٢ : ٢٣٧ .

٢ – قصة – « الرضوان على أهل الجنة » صحيح مسلم ٤ : ٢١٧٦ ، سنن الترمذى ٤ : ٦٨٩ ، ٦٩٠ .

٣ – قصة – « العبد يصيب الذنب فيستغفر » صحيح البخارى ٩ : ١٧٨ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٢٩٦ ، ٤٠٥ .

٤ – قصة – « الأبرص والأقرع والأعمى » صحيح البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٥ – ٢٢٧٧ .

**٣ – تشخيص المشهد :**

إن المشهد المشخص فى القصة النبوية ، عنصر بارز فى القصة كلها ، فنحن نلحظه فى بداية القصة ، ونلحظه فى وسطها ، كما نجده فى النهاية ، ولكنه فى النهاية أكثر بروزاً ، ذلك أن النهايات التى تأتى حاملة صوراً ومشاهد معينة كثيرة جداً ، مما يعطى للنهاية قيمة كبرى فى تحقيقها للغرض الذى تهدف إليه ، إذ أن طبيعة المشهد بما تحفل به من شتى الصور ، وحيوية الحركة ، تجعل المتلقى أكثر قدرة على المتابعة للحدث ، وأكثر استيعاباً لمضمون القصة ؛ نظراً لما يثيره المشهد من التجاوب العاطفى بالتأثر والانفعال وما يثيره فى عقله من الاستيحاء والتصور بخلاف ما لو عرضت بطريقة سردية تقريرية ، تبعدنا عن حركة الأحداث والشخصيات .

ومن أمثلة ذلك ما نجد فى « قصة أصحاب الأخدود » التى تحكى قصة الغلام الذى أحضره الملك إلى ساحره ليعلمه السحر ، ولكن الغلام تعلم الإيمان من الراهب الذى كان فى طريقه ، والغلام علم هذا الإيمان إلى جليس الملك ، وإلى غيره من الناس ، ثم اكتشف الملك هذه الدعوة الجديدة ، فقتل الراهب والجليس ، وفشل فى قتل الغلام برغم محاولاته الكثيرة ، فقال له الغلام إنك لن تستطيع قتلى إلا إذا جمعت الناس فى صعيد ثم ترمينى أمامهم بسهم وأنت تقول : باسم الله رب الغلام ، وفعل ذلك[١] .

**« فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ماكنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخدت ،**

(١) لم آت بالقصة كاملة هنا نظراً لطولها ، فرأيت الاكتفاء بتلخيص صدرها ونقل النهاية لأنها موضع الاستشهاد .

**وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه ، فاحموه فيها ، أو قيل له اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه ! اصبرى ، فإنك على الحق ! »**[١] .

فالنهاية هنا مشهد من مشاهد حية تموج بشتى الصور المتحركة وتحمل مختلف المعانى وتصور كثيراً من الانفعالات النفسية ، وتسجل قمة الانتصار لهذا الغلام[٢] الذى قدم نفسه ضحية من أجل انتصار دعوته ، فما إن مات حتى انطلق الناس يهتفون فى كل اتجاه : آمنا برب الغلام ، كما تصور الغضب المجنون ، والثورة المعربدة التى فجرها الملك الطاغى على المؤمنين حين أمر بالأخاديد تضرم فيها النيران ، ويلقى فيها كل من تمسك بدينه ، وهنا يسجل المشهد الانتصار الحقيقى[٣] للمؤمنين الصابرين ، إن الثبات على العقيدة والمبدأ هو الانتصار الحقيقى برغم أقسى مظاهر العنف والإرهاب والقتل بالنار ، وهذه حقيقة كونية انطلقت من بين شفتى طفل صغير ، لم يصل مبلغ القدرة على الكلام ، ولكن قدرة الله المهيمنة على هذا الكون وقوانينه تنطقه ليعلن الانتصار الحقيقى لأصحاب الأخدود وهم يلقون بأنفسهم فى النار « اصبرى فإنك على الحق » وماذا بعد الحق ؟ وهى لقطة رائعة من الرسول ﷺ وهو يعرض هذا المشهد ، ترسم لنا كيف يواجه الإيمان إحساس التعلق بالحياة ، فقد « جاءت الأم بولدها متمسكة به إلى النهاية لم تفصلها أهوال الأحداث عنه حتى جاءت إلى حافة الأخدود ، واشتعلت مشاعر الأمومة وكراهية الموت فيها

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ ، وانظر المسند ( صادر ) ٦ : ١٦ – ١٩ سنن الترمذى ٥ : ٤٣٧ – ٤٣٩ .

(٢) هو الغلام الذى وقف فى وجه الملك وأنكر ألوهيته ، انظر القصة .

(٣) أنظر : سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، تفسير سورة البروج ، وانظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٤٨ .

فترددت أن تقع بابنها ، ولكن الطفل يطفىء فى إحساس أمه لهيب النار ذات الوقود لتلقى بنفسها وتنجو من الضعف ، والتقاعس ، وكان حديث هذا الصبى هو آخر كلمات القصة عند حافة الأخدود ، قمة الانتصار للحق ، وتبقى مشاهد العذاب وأخاديد النيران بشررها المتطاير ولهيبها ترتفع ألسنته بأجساد المؤمنين الطاهرة ، ويبقى أثر تلك النار فى قلب كل مؤمن استضعافاً فى الأرض ، وجاهلية فى الحياة ، ترتفع ألسنتها كلما استشهد فى سبيل تلك الدعوة ومن أجل التمكين لها فى تلك الأرض وهذه الحياة »[1] وإلى نموذج آخر نجده فى قصة « قاتل المائة » :

**« كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب ، فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله ، فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء .**

النهايــة :

**« فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى ، فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا مابين الأرضين ، فإلى أيتهما كان**

---

(١) رفاعى سرور ص ٦٤ .

**أدنى ، فهو له ، فقاسوا ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »** .[١] .

تظل القصة فى خاتمتها وفى نهاية المطاف محتفظة بعنصر الإثارة والاستقطاب ، وبمظهر الروعة والفنية بسبب اعتمادها على طريقة تشخيص المشهد فى نقل الحدث الأخير وتصويره ، فهذا الرجل فى طريقه إلى الأرض الطيبة ، يواجه الموت ، وفى الوقت الذى يستعد فيه لانتزاع روحه ، ينشب أمامه مشهد مثير لمعركة يختصم فيها الملائكة ! وبشأن من ؟ بشأنه هو ! من يقبضه ؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ إنها مشكلة تثير الفزع والرعب فى هذا الرجل الذى ينتظر الموت ... ومع الموت ينتظر مستقبلا مجهولا ، وإنها للحظات قاتلة يعانيها وهو لا يدرى ما نهايته !! وإن الاختصام فيه ليطول ، وكل فريق يدلى بحججه وبراهينه ، وفى احتدام المخاصمة يأتى ملك فجأة فى صورة آدمى ، فحكموه بينهم ، ولكأنا بالرجل تحتبس أنفاسه فى لحظات قاسية قبل أن ينطق هذا الحَكم بحكمه ، وتكلم فقال : قيسوا مابين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، وإلى هذا الحد لاتزال النهاية مجهولة ، ويبقى الرجل يكتم أنفاسه ، وتبقى الإثارة فى نفوس المستمعين إلى القصة على أشدها ، وينطلق الملائكة فيقيسون ، **فيجدونه** أدنى إلى الأرض التى أراد ، **فتقبضه** ملائكة الرحمة ، وهكذا تأتى النهاية مجهولة إلى آخر كلمات القصة ، ثم تأتى بنهاية سارة تنسجم مع هدف القصة فى تأكيد فسحة الأمل فى باب التوبة المفتوح ، وفى رحمة الله التى وسعت كل شيء[٢] .

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ ، وانظر صحيح البخارى ٤ : ٢١١ - ٢١٢ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٨٧٥ ، المسند ( صادر ) ٣ : ٢٠ ، « وقال قتادة : فقال الحسن : ذكر لنا ، أنه لما أتاه الموت نأى بصدره » صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٢) هناك أمثلة كثيرة فى القصص التالية :

١ - قصة « سلام عليكم » المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

=

### ٤ – وتقدم حلا أحياناً :

وهناك بعض النصوص التى تنتهى بنهايات تحمل فى طياتها الحل للمشكلة الرئيسة فى القصة أو مشكلة أخرى تواجه بعض شخصيات القصة ، وهذا الارتباط بين النهاية والحل يعطى للقصة نوعاً من الإيجابية التى تخلق فى نفس المتلقى شوقاً إلى المتابعة لمعرفة الحل والاطمئنان إلى تحققه ، كما أنه فى

---

= ٢ – قصة « أول من يقضى عليه » صحيح مسلم ٣ : ١٥١٣ – ١٥١٤ ، سنن النسائى ٦ : ٢٠ – ٢١ ، سنن الترمذى ٤ : ٥٩١ – ٥٩٣ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣٢٢ .

٣ – قصة « هل من مزيد » سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ – ٦٩٢ ، سنن الدارمى ٢ : ٢٤٦ .

٤ – قصة « فاقد الراحلة » صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

٥ – قصة « المستلف ألف دينار » صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

٦ – قصة « جريج » المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

٧ – قصة « البطاقة الثقيلة » سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ ، سنن الترمذى ٥ : ٢٤ – ٢٥ ، المسند ( شاكر ) ١١ : ١٧٥ – ١٧٦ .

٨ – قصة « أنا لها » المسند ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ .

٩ – قصة « شفاعة المؤمنين » المسند ( صادر ) ٣ : ١٦ – ١٧ ، ٣ : ١١ – ١٢ سنن ابن ماجة ١ : ٢٣ .

١٠ – قصة « عتقاء الجبار » سنن الدارمى ١ : ٣١ – ٣٢ ، المسند ( صادر ) ٣ : ١٤٤ .

١١ – قصة « هل نرى ربنا » صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ ، ٦ : ٥٦ – ٥٧ ، صحيح مسلم ١ : ١٦٧ – ١٧٠ .

١٢ – قصة « سوق الجنة » سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٥٠ – ١٤٥١ ، سنن الدارمى ٢ : ٢٤٤ .

١٣ – قصة « الدجال والمسيح » المسند ( صادر ) ٤ : ٢١٦ – ٢١٧ .

١٤ – قصة « الدجال والنساء » المسند ( شاكر ) ١٠ – ٦١ .

١٥ – قصة « آخر رجل يدخل الجنة » صحيح مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ .

١٦ – قصة « جبريل عليه السلام » صحيح مسلم ١ : ١٤٤ ، الترمذى ٥ : ٤٢٨ المسند ( صادر ) ٣ : ٣٢٥ .

١٧ – قصة « شق الصدر » سنن الدارمى ١ : ١٦ – ١٧ .

الوقت نفسه يثرى النهاية ذاتها ويجعلها أكثر حيوية وإثارة ، ولنقرأ بعض النماذج :

ففى قصة « البطاقة الثقيلة » :

**« يصاحُ برجل من أمتى يوم القيامة ، على رؤوس الخلائق ، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول الله عز وجل : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يارب ! فيقول : أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ ثم يقول : ألك عن ذلك حسنة ؟ فيهاب الرجل ، فيقول : لا . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : فقال : يارب ؟ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم .**

النهايــة :

**« فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة »**[١] . وأخيراً تنفرج الأزمة ، وتنحل المشكلة بعد أن وضعت السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات من خفتها فى مقابل **ثقل الشهادتين العظيم .**

**وفى قصة « جرة الذهب » :**

**« اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض :**

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ ، وانظر سنن الترمذى ٥ : ٢٤ – ٢٥ ، المسند ( شاكر ) ١١ : ١٧٥ – ١٧٧ ، وقال شاكر : « إسناده صحيح » .

**إنما بعتك الأرض وما فيها ؟ فتحاكما إلى رجل »** .

النهاية :

« **فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، قال : انكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه ، وتصدقا** »[١] .

خاتمة موفقة يصل إليها هذا الحكم الحصيف ، الذى أدرك ماذا يعتمل فى نفس كل من هذين الرجلين الورعين ، فالتمعت فى ذهنه فكرة رائعة يحل بها هذه المشكلة ، ألكما ولد ؟ ومن جميل المصادفة أن يكون لأحدهما غلام ، وللآخر جارية ، فقال : انكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما وتصدقا . إنه حل مرض لكلا الطرفين ، فكل سيأتيه نصيبه بطريق غير مباشر عن طريق ولديهما ، ثم إنهما يتصدقان شكراً لله على هذه النعمة ، وهكذا تشتمل النهاية على حل موفق ونهاية سعيدة[٢] ..

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ٢١٢ ، صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٥ ، سنن ابن ماجة ٢ : ٨٣٩ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٣١٦ .

(٢) وانظر أمثلة أخرى نحو :

١ – **قصة « قل تسمع واشفع تشفع »** صحيح البخارى ٦ : ٢١ – ٢٢ ، ٩ : ١٤٩ – ١٥٠ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٤٢ – ١٤٤٣ ، المسند ( صادر ) ٣ : ٢٤٤ – ٢٤٥ .

٢ – **قصة « الأم والسكين »** صحيح البخارى ٤ : ١٩٨ .

٣ – **قصة « المؤمن والكافر »** المسند ( صادر ) ٣ : ٨١ .

٤ – **قصة « الأولاد الشفعاء »** المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٠ .

٥ – **قصة « سارة والملك »** صحيح البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٠ – ١٨٤١ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٤٠٣ – ٤٠٤ .

٦ – **قصة « الله يعصمك »** صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٦ – ١٧٨٧ .

٧ – **قصة « قاتل المائة »** صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

**النهاية والتفاؤل :**

مما يلفت النظر فى النهاية ، أنها تحرص على أن تقدم للمستمع أو القارىء أحداثاً ومشاهد تختم بنهايات سارة ومفرحة بالنسبة لبطل القصة أو مجموعة من أبطالها ، وهى بالتالى ذات آثار تنعكس على نفسية المتلقى ؛ حيث تعطيه الرضا والطمأنينة ، والاستئناس بهذه المشاهد والخواتيم التى تزرع فى نفسه بطريق غير مباشر بذور التفاؤل والأمل .. وهناك العديد من القصص التى تختم بنهايات سعيدة ، مثل قصة « أمَّتى يارب » التى تحدثنا عما يحدث حين يجتمع الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ، فى موقف عصيب ، فيضج الناس مما هم فيه من كرب ، ويلجأون إلى الأنبياء ويستشفعون بهم إلى الله لإنهاء هذه المشكلة ، فيأتون آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم عيسى ، وكل واحد منهم يعتذر ويقول : نفسى نفسى ، ويشير إليهم أن يذهبوا إلى غيره إلى أن يصل الناس إلى محمد ﷺ الذى ينطلق فيأتى تحت العرش فيقع ساجداً لله عز وجل ، ثم يؤمر برفع رأسه ﷺ ، وتقول القصة :

« .. **فأرفع رأسى فأقول : أمَّتى يارب ، أمتى يارب ؟ فيقال : يا محمد أدخِل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحِمير أو كما بين مكة وبُصرى** »[(١)] .

فالقصة هنا تنتهى عند مشهد واحد من المشاهد المحببة إلى النفوس ، والتى تثير فيها مظاهر البهجة والانشراح وهو مشهد أمر الله لمحمد ﷺ بأن يُدخل من أمته من لا حساب عليهم من الباب الأيمن للجنة ، ويجب أن يكون

---

(١) صحيح البخارى ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ ، ٤ : ١٦٣ - ١٦٤ ، صحيح مسلم ١ : ١٨٤ - ١٨٦ ، سنن الترمذى ٤ : ٦٢٢ - ٦٢٤ ، المسند ( صادر ) ٢ : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

فى الاعتبار أن الرسول ﷺ كان يقص القصة فى جمع من أمته ، وعلى صحابته بالذات ، فلا ضير أن تتوقف القصة عند هذا الحد ، وأن يتمتع المستمعون بتملى هذا المشهد ، ولذلك نجد الرسول ﷺ يزيد تفصيلا على هذا المشهد الضمنى بتصوير سعة الباب الأيمن من أبواب الجنة ، مؤكداً ذلك بالقسم : « والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى »[1] ، وهو كما يبدو تذييل من الرسول ﷺ علق به على القصة .

### انتصـار الحق :

تسجل النهاية فى القصة النبوية فى أحيان كثيرة انتصار الحق ، وانهزام الباطل مهما كانت الظروف ، ومهما أطال الزمن فى عمر الباطل ، وقد يكون

---

(١) وهناك أمثلة كثيرة على النهايات السعيدة نذكر منها للقراءة :

١ – قصة « جرة الذهب » صحيح البخارى ٤ : ٢١٢ .

٢ – « قاتل المائة » صحيح مسلم ٤ – ٢١١٨ .

٣ – « المؤمن والدجال » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٦ .

٤ – « ينظر المعسر » صحيح البخارى ٤ : ٢٠٥ .

٥ – « هل نرى ربنا » صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

٦ – « الملائكة الطوافون » صحيح البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

٧ – « الكلب اللاهث من العطش » صحيح البخارى ٨ : ١١ .

٨ – « مومسة وكلب عطشان » المسند صادر ٢ : ٥١٠ .

٩ – « شفاعة الرسل » المسند صادر ٣ : ٣٢٥ – ٣٢٦ .

١٠ – « الصراط » صحيح مسلم ١ : ١٦٣ – ١٦٦ .

١١ – « الغار والصخرة » صحيح البخارى ٣ : ١٠٤ – ١٠٥ ، المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ ، ٤٧٥ .

١٢ – « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

١٣ – « سارة والملك » صحيح البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ .

١٤ – « الأولاد الشفعاء » المسند صادر ٢ : ٥١٠

ذلك الانتصار الذى تسجله النهاية معنوياً يتمثل فى الثبات على المبدأ وعدم الرضوخ إلى رغبة طغيان الباطل وأهوائه ، برغم ما يملكه من وسائل الإرهاب والعنف ، كما نجد فى نهاية « قصة أصحاب الأخدود »[١] التى تسجل أروع انتصار يحققه الإنسان ؛ انتصار على الألم والضعف ، ولذة الحياة وحبها ، وفى أغلب الأحيان تقف القصة أمام الانتصار الحسى للحق فى الواقع المشاهد كما نجد فى قصة « الدجال والمسيح »[٢] وقصة « الدجال والنساء »[٣] ؛ حيث تختم كل منهما بمشهد يصور انهزام الباطل ممثلا فى جيش الدجال الذى يندحر ، ويفر أتباعه فى كل اتجاه ، والمسلمون يطاردون فلولهم ، وهى معركة يشارك فى انتصارها مع المسلمين كل حى وجماد ، كل حجر ونبات ، ولا شىء يوارى أحداً من المنهزمين « حتى إن الشجرة لتقول : يا مؤمن هذا كافر ، ويقول الحجر : يا مؤمن هذا كافر » ، وهو مشهد حى نابض يصور طبيعة العلاقة الحميمة بين أجزاء هذا الكون الحية والجامدة ، فى انسجامها مع القانون الإلهى ، حين تقف مع الحق وأهل الحق[٤] ..

**بتر الحدث والاكتفاء بالتعليق :**

وهناك نموذج واحد فى القصة النبوية التى تناولتها بالدرس فى هذا البحث ، هذا النموذج تقف القصة فيه عند نقطة معينة يبتر فيها الحدث ، وينقطع السرد القصصى ، وتبقى نهاية القصة والأحداث مجهولة ، لا يعرف كيف سارت بعد هذه النقطة ولا أين اتجهت ، كما نجد ذلك واضحاً فى قصة :

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٦ : ١٩٠ .

(٤) ومن أمثلة ذلك أيضاً :

١ - قصة « نزول عيسى عليه السلام » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٢١ .

٢ - وقصة « سارة والملك » صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٠ - ١٨٤١ .

« سفينة الحياة » : « **مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين فى أعلاها ، فقال الذين فى أعلاها : لاندعكم تصعدون فتؤذونا ، فقال الذين فى أسفلها : فإنا ننقبها من أسفلها فنستقى ، فإن أخذوا على أيديهم ، فمنعوهم نجوْا جميعاً ، وإن تركوهم غرقوا جميعاً** »[1] .

وهكذا تبتر القصة الحدث عند نقطة مثيرة تطور إليها الموقف ، ولا تكشف لنا النقاب عن خاتمة هذا الموقف المثير ، وتظل نهاية المطاف مجهولة ، هل خرقوا السفينة ؟ لا ندرى ؟!! هل منعوهم من خرقها ؟ لا ندرى !! ونظل لا ندرى ماذا حصل بعد هذه المشادة الكلامية ، نعم لا ندرى ! وهو بتر رائع يتيح للذهن فرصة أكبر يستطيع فيها أن يحلل الموقف على أكثر من وجه ، وينهيه فى خياله أكثر من مرة ، ولاشك أن ذلك أكثر إثراء للخيال وأكثر إمتاعاً للحاسة الجمالية ، وأكثر تحريكاً للوجدان النفسى ، وفى خلال ذلك يتملى المستمع أو القارىء صوراً شتى ومواقف مختلفة ، فهو سيتصور مرة أنهم تركوهم أو عجزوا عن منعهم من نقب السفينة ، وسيتصور النهاية الأسيفة المحققة للجميع ، ثم سيستيقظ خياله على أصل الفكرة والقضية ، وسيرجع للواقع ويتذكر أنه أمام مثل للقائم على حدود الله والمدهن فيها ، فيتصور بالتالى ما يحيق بالمجتمع من جراء التفريط فى حدود الله .

كما سيتصور مرة أخرى أولئك القوم وقد أجمعوا على منعهم من هذا القرار الأرعن ، وأخذوا على أيديهم وحالوا بينهم وبين هذا التصرف الذى سيعود وباله عليهم جميعاً ، ومرة أخرى سيربط المتلقى بين هذا وبين الواقع المعاش ، وسيكون

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٤٧٠ .

أكثر ارتباطاً بالفكرة الأساسية ، وأكثر اقتناعاً بضرورة الأخذ بمنهج الله للنجاة بسفينة الحياة الإنسانية .

ومع هذه النهاية المبتورة ، يأتى تعليق سريع من الرسول ﷺ يساعد الذهن على التعمق فى فهم النهاية الممكنة من شتى جوانبها وزواياها: « فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً ، وإن تركوهم غرقوا جميعاً » وهو خروج من قص الوقائع الحية إلى التجريد الفكرى أو إلى طرح قضية مما يذكرنا بالاتجاه الملحمى فى المسرح والرواية .

**البناء الدائرى :**

وهناك من الحالات النادرة أيضاً فى القصة النبوية ، ما نلاحظه فى بعض النماذج مما يسمى بالبناء الدائرى[١] ، وهو أن تسرد القصة منطلقة من نقطة متأخرة فى أحداث القصة ، بحيث تبدأ من النهاية ، ثم تعود إلى الوراء من أجل عرض تفاصيل القصة إلى أن تصل إلى النهاية التى ابتدأ منها مرة أخرى ، ونجد مثل ذلك فى قصة « المومسة والكلب »[٢] ، وهى تبدأ هكذا : « **غفر لامرأة مومسة** .. » ، ولاشك أن المغفرة كانت نتيجة أحداث سابقة ، ونهاية لها ، ولكن القصة تبدأ بها ، ثم تنتقل إلى سرد الأحداث التى أدت إلى هذه النهاية : « مرت بكلب على رأس رَكىٍّ يلهث قد كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك .

ونجد ذلك أيضاً فى قصة « الماشطة »[٣] التى تبدأ بتمهيد يتضمن نهاية القصة من موت الماشطة ودفنها مع أولادها ، وهى نهاية الأحداث فى القصة ،

---

(١) انظر : محمد رشيد ثابت ؛ البنية القصصية ومدلولها الاجتماعى فى حديث عيسى بن هشام ص ٤١ ، الدار العربية للكتاب . مطبعة شركة فنون الرسم والنشر – تونس ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

(٢) المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٠ .

(٣) المصدر السابق ( شاكر ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .

وبعد هذا التمهيد يبدأ عرض أحداث القصة ، إلى أن تصل مرة أخرى إلى النهاية التى ذكرت فى مطلع القصة .

ونجد مثالا لاستدارة القصة فى القرآن الكريم أيضاً فى قصة يوسف عليه السلام، إذ تعود نهايتها إلى أولها، حيث قال يوسف لأبيه(١) « **يا أَبَتِ إنِّى رأَيتُ أحدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشمسَ والقمرَ رأيتهم لِي سَاجِدينَ** »(٢) .

وهناك أكثر من سبب فى رأى النقاد(٣) لانتهاج هذا الأسلوب فى بناء القصة ، منها تشويق السامع أو القارىء إلى معرفة الأحداث التى أدت إلى هذه النهاية ، وكذلك بيان خطورة مثل هذه النهاية وأهميتها .

---

(١) انظر : ثروت أباظة ؛ السرد القصصى فى القرآن الكريم ص ٤١ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت .

(٢) يوسف : ٤ .

(٣) انظر يوسف الشارونى ؛ القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً ص ١٠٠ ، كتاب الهلال ، دار الهلال عدد ٣١٦ .

# الفصل الثاني

## البناء والنسيج

## مقومات النسيج

- الأسلوب
- الحبكة
- المشكلة
- المناجاة

**البناء والنسيج :**

ليس بناء القصه شيئاً مستقلا عن نسيجها ، كما أن النسيج لايمكن أن يتحقق منفصلا عن البناء ، إنهما حقيقتان لا غنى لإحداهما عن الأخرى لتحقيق كيان القصة ، وإبراز شخصيتها المكتملة ، إن النسيج هو الخيوط الرفيعة والجزئيات المتعددة التى تتشابك وتتعاون فى إقامة بناء الهيكل ، وإرساء دعائمه ، فكل خيط من هذه الخيوط ، وكل جزئية مهما كان حجمها ذات وظيفة حيوية تسهم بكشل ما فى تحقيق الخلق السوى لجسم القصة ، وهذه الجزئيات فى القصة تشبه تماماً الأعضاء فى جسم الإنسان ، وإن بناء القصة لكالإنسان فى مظهره المكتمل بكل أعضائه المختلفة ؛ فالأسلوب بكل مظاهره ، والحبكة بسائر عناصرها ، والمشكلة بما تحمله من تعقيد وصراح ، وعناصر القصة الفنية الأخرى من شخصيات وأحداث وحوار ، كل ذلك لابد أن يقوم على خدمة الحدث أو الأحداث ، ودفع الحركة فى القصة إلى النمو والاكتمال ..

والنسيج فى القصة يتحقق بتلاحم هذه المقومات ، وتداخل بعضها فى بعض وتفاعلها بشكل بارز يؤثر فى التيار القصصى ، ويضمن استمراره فى التدفق ..

## مقومات النسيج : ( الأسلوب - الحبكة - المشكلة - المناجاة )

### ١ - الأسلوب :

إن أسلوب القصة هو ثوبها الذى تخرج فيه على القارىء ، وإن شئت فهو الطريقة التى يختارها القاص ليستخدم بواسطتها مايملكه من وسائل مختلفة ، يصوغ بها أحداث قصته بشكل يحقق الهدف الفنى ، تلك الوسائل التى تبدو فى الألفاظ والعبارات والصور البيانية والأوصاف ، إلى غير ذلك من عناصر الصياغة .

وأسلوب القصة النبوية تبرز فيه البساطة والوضوح ، وهى البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة التى تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية نظراً لما يتمتع به من تنويع فى الصياغة والتعبير حسب مايتطلبه عرض القضايا والعلاقات الموضوعية التى تتناولها القصة .

ومن المناسب أن نقف فيما يلى بعض الوقفات المتأنية نتحدث فيها عن أبرز المظاهر الأسلوبية فى القصة :

## الألفاظ والعبارات :

من أبرز مايحسه قارىء القصة النبوية ، الاستخدام الجيد لطاقة الألفاظ بمختلف أنواعها سواء أكانت فعلا أم إسماً أم حرفاً ، وتوظيفها بالشكل المناسب لتحقيق المعنى المطلوب ، والفعل المضارع بما يملكه من دلالة حيوية ، يأتى فى القصة مستخدماً على نطاق واسع فى أماكن متفرقة من القصص ، ومن أمثلة ذلك : « **فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب : ( سلامٌ عليكُم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ )**[١]» فالقصة هنا بصدد تصوير مشهد حسى ، حافل بالصور الحية ، وهى تلجأ إلى الفعل المضارع ليشارك بدلالته فى نقل الصورة ، فالمضارع بدلالته على الفعل فى حدوثه وتجدده ، يجعل القارىء أو السامع يستحضر الصورة ومعها الحركة أيضاً ، وفى قصة أخرى : « **يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً ، ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ ..** »[٢] وفى قصة ثالثة : « **فيلقى فى النار أهلها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ، قال : ويلقى فيها**

---

(١) قصة « سلام عليكم » المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

(٢) قصة « يوم ندعو كل أناس » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

**وتقول : هل من مزيد ؟ ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ ..** »[١] إلى غير ذلك[٢]

وحين يكون الحديث فى القصة عن مشاهد القيامة التى لم تحدث بعد ، ولكنها ستحدث فى المستقبل ، نجد الرسول ﷺ يستعمل بجانبها الفعل الماضى فى مجال السرد القصصى ، ليعطى طابع التحقق الذى يتطلبه مجال القصة ، كما أنه أمر متحقق من وقوعه بكل تأكيد فلا بأس من استعمال الماضى بجانبه على أساس اعتبار ماسيكون كما نجد فى قصة « مؤمنان على باب الجنة » : « **التقى مؤمنان على باب الجنة ..** »[٣] .

وفى قصة الذى فقد راحلته نجد مظهراً جيداً لتوظيف دلالة الألفاظ والحروف : « **فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ..** »[٤] و « إذا » هنا هى الفجائية كما هو بين وهى تعطى دلالة فنية رائعة فى نقل حقيقة ما حدث ، فالرجل قد فوجىء بوقوف الراحلة عنده وكم هى جميلة ودالة عبارة « إذا هو بها » وهى تجمع بين ( هو ) بـ ( هى ) وجها لوجه ، فجأة ! وإنه لا يكاد يصدق أنها أمامه ، وإنه وهو فى هذه الحالة حريص أشد الحرص على الاستمساك بها ، فهى تمثل بالنسبة له عودة الحياة بعد الموت ، وهنا يأتى دور الألفاظ الأخرى فى تصوير تمكنه منها بعد يأسه ،

---

(١) قصة « افتخار الجنة والنار » المسند ( صادر ) ٣ : ١٣ .

(٢) الأمثلة فى هذا الصدد كثيرة ، ومن ذلك قصة « المغموسون فى النار والجنة » صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٢ ، وقصة « الذى يدور فى النار » صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم يستعمل الماضى أيضاً فى مقام المستقبل كما فى قوله تعالى : « وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكبكبوا فيها هم والغاوون » ، الشعراء ٩٠ - ٩٤ .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

واستمساكه بها « قائمة » ، « عنده » إنها قائمة ! وأين ؟ عنده فهو متمكن منها الآن ، « فأخذ بخطامها » وعملية أخذ « الخطام » ، واستعمال الباء أيضاً يحمل دلالة واضحة على الاستيثاق من الإمساك بهذا الخطام .

وهناك ألفاظ معينة تستخدم فى القصة « كروابط » تشارك فى تحقيق التلاحم بين أجزاء القصة ومراحلها كإذا الشرطية مثلا فى مطلع القصة : « **إذا مُيز أهل الجنة وأهل النار ، فدخل .. قامت الرسل فشفعوا ..** »[١] فهذا الاستفتاح بإذا فى الوقت الذى يشد المستمعين ، يربط أيضاً بين الشرط الذى يأتى هنا تمهيداً للقصة ، وبين الجواب الذى هو بداية الحدث ، فإذا هنا تنشىء علاقة حميمة بين التمهيد وبين الحدث القصصى ، ومثل إذا « بينما » فهى تستعمل فى السياق بطريقة تحقق الانسجام فى العرض حين الانتقال من نقطة إلى نقطة « .. **فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله دواب كنغف الجراد ..** »[٢] وكذلك « لما » تسهم فى تحقيق هذا الجانب الإيجابى فى سياق القصة ومن أمثلة ذلك : « **فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته** »[٣] فلما هنا تقوم بعملية ربط محكم بين البداية والوسط فى القصة .

ومما ينبغى أن يلتفت النظر إليه بصدد استعمال الألفاظ والعبارات فى أثناء العرض القصصى مايلاحظ من أن المضمون حاضر دائماً فى ضمير اللفظة أو العبارة ، بمعنى أننا نحس أن هذه اللفظة أو تلك العبارة توضع فى السياق بعناية بحيث تؤدى دوراً مزدوجاً ؛ إذ إنها فى الوقت الذى تقيم فيه المظهر

---

(١) قصة « شفاعة الرسل » المسند ( صادر ) ٣ : ٣٥ — ٣٦ .

(٢) قصة « يأجوج ومأجوج » سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣ — ١٣٦٦ ، وانظر أيضاً : « المتكبر الذى خسف به » صحيح مسلم ٣ : ١٦٥٣ ، وقصة « الذى أماط الشوك » سنن الترمذى ٤ : ٣٤١ .

(٣) قصة « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ — ٦٥٨ ، وانظر : قصة « المكاره والشهوات سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ — ٦٩٤ .

الخارجي الشكلي لمجرى الكلام ، تجعلنا أيضاً أكثر شعوراً بالمضمون الذى تهدف القصة إلى تجليته ، وبالمعنى الذى يراد لنا أن نخرج به من القصة فى نهاية الأمر ..

فإذا كانت القصة تتحدث مثلا عن متكبر قد انتفخ خيلاء ، وتعرض لنا مصيره فى نهاية المطاف ، فإنها تختار فى مقام ترهيبنا من هذا السلوك المشين اللفظة القوية التى تشارك فوق دلالتها الذهنية بالدلالة الإيحائية والموسيقية فى ترهيبنا من هذه الخصلة الذميمة ، والمصير الأسود ، يقول الرسول ﷺ : « **بينما رجل يمشى قد أعجبته جُمَّته وبُرداه ؛ إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فى الأرض حتى تقوم الساعة** »[1] فلفظتا « خسف » و « يتجلجل » بما تحملانه من قوة وماتشفان به من معنى رهيب يزيد فى تعميقه فى نفوسنا دلالة الفعل الماضى على عملية الخسف التى تشعر بتحققه فعلا ، ودلالة الفعل المضارع على تحقق التجلجل فى أعماق الأرض واستمراره فى صورة تستحضرها فى نفوسنا هنا صيغة المضارع ..

وفى قصة « إبراهيم وآزر » نجد المقام يتطلب استخدام الألفاظ المستكرهة الموحية بالبشاعة والتقزز ؛ ذلك أن القصة بصدد عرض صورة لذلك الكافر « آزر » الذى ضرب صفحاً عن دعوة ابنه وهو يلح عليه فى أن يستجيب لنداء الحق والانضواء تحت لواء الإيمان ، ولكنه أبى ، وعن هذه القصة يقول الرسول ﷺ : « **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصنى ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد : فيقول الله تعالى : إنى حرمت**

---

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٦٥٣ .

**الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار »**[1] فقترة وغبرة وذيخ وملتطخ كلها ألفاظ تشيع في النفس إحساساً بالتنفير من هذا البائس الخاسر الذى يستتبعه تنفير من موقفه في الحياة من رفض الإيمان والاستجابة للدعوة .. والمطالع للقصة النبوية يلاحظ أن حضور مضمون القصة عند اختيار الكلمات المعبرة عن تفاصيل القصة يشكل ظاهرة عامة يلمسها في سائر النصوص القصصية النبوية .

كما أن الألفاظ في القصة بعامة تبدو في صورة بسيطة سهلة بعيداً عن البهرجة اللفظية أو المحسنات التى لاطائل تحتها ، أو التى تنقلب عبئاً على القصة وموضوعها ، ولذلك نجد أن المعنى يقدم لنا في بساطة ووضوح دون تعقيد أو غرابة يطلب منا جهداً في الفهم أو سعياً وراء المعنى المراد من القصة أو بعض ألفاظها ..

وعبارات القصة النبوية ، وسائر تراكيبها قصيرة موجزة ، تتجلى في نظم متماسك جيد الفصل والوصل ، خال من أى نوع من أنواع التعقيد بالتقديم أو التأخير ؛ بحيث يسترسل القارىء أو السامع مع القصة في متابعة جيدة لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعثر ..

كما أن الألفاظ بدلالاتها ، وبما تشعه هذه الدلالات من إيحاء خاص ، ومايفيض عنها من معنى معين ، هى المكونات الأصيلة للصورة ، فالألفاظ تآلف ، وتتلاحم من أجل خلق الصورة المفصلة ، بما تحويه من أبعاد وزوايا ، والواقع أن الألفاظ في القصة النبوية ، قد استخدمت ببراعة في تكوين الصورة البيانية ، ووظفت في هذا على نطاق واسع ، وبخاصة أن الناحية التصويرية سمة بارزة في القصة النبوية .

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٦٩ .

**التصويـر فى القصـة :**

تقوم عملية نسج البناء القصصى فى البيان النبوى – فيما تقوم عليه من ظواهر أسلوبية – على ظاهرة التصوير التى تجعل من العمل القصصى أداة فعالة فى التأثير ، على المستمع أو القارىء كما تنشىء علاقة إيجابية بين العمل الأدبى والمتلقى لهذا العمل ، نتيجة للحركة الحية النابعة من عملية التصوير ، الذى يشيع جواً من الحياة فى ثنايا القصة ، بحيث يحيل المستمعين والقراء إلى جماعة من النظارة الذين ينشغلون بتملى مايعرض أمامهم من مشاهد وحركات ؛ ذلك أن عملية التصوير البيانى تستغل فى الإنسان ملكة التصور والتخيل الذهنى ، حين يستحضر الصورة التى يسمعها أو يقرأها فى كلمات القصة بحيث تصبح مجسدة بكامل أبعادها فى ذهنه ومخيلته .

وقد برز التصوير فى القصة النبوية فى ثلاثة أنواع :

**١ – تصوير المشاهد والمواقف :**

وهذا النوع كثير جداً ، وهو الغالب من أنواع التصوير ؛ حيث نجد أن القصص النبوى يحفل بعروض حية لكثير من المشاهد ؛ بحيث تبدو وكأنها تمثل أمامنا واقعاً ملموساً تتملاه العين مع الحس والخيال ، والأمثلة على هذا النوع متعددة نكتفى هنا بعرض بعضها :

( أ ) « يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أى فلان ؟ ماشأنك ؟! .. الخ »[١]

نحن هنا أمام مشهد حيوى حافل ، يصوره الرسول ﷺ فى كلمات قليلة ، ولكنها معبرة أدق ما يكون التعبير عن هذا الموقف الرهيب الذى وقع

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٠ – ٢٢٩١ .

فيه هذا الرجل المنكود ؛ إنه مشهد غاية فى الإثارة ، فهذا الرجل لا يلقى فى النار وينتهى الأمر ، ولكن القصة تعصينا صورة مفصلة تحوى أبعاد الموقف من زوايا متعددة ؛ فهذا الرجل الملقى قد اندلقت أمعاؤه إلى خارج بطنه وللقارىء أو السامع أن يتصور هيئته ، وقد خرجت أمعاؤه من بطنه من غير أن تنفصل عنه ، وليس هذا فحسب ولكنه مع ذلك يدور بها فى جهنم فى حركة مستمرة ، تشبه حركة الحمار وقد أخذ يدور بالطاحونة ، وهى صورة مزرية شنيعة إلى حد كبير جعلت أهل النار مع ما هم فيه من عذاب شاغل وهمٍّ مقيم ، جعلتهم يلتفتون إلى هذا الرجل المثير فى حركته العجيبة وهو يدور بأمعائه كما يدور الحمار برحاه ...[1]

( ب ) وهذا مثل آخر فى قصة عن الجنة والنار ، جاء فى القصة :

« **قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فإذا هى يركب بعضها بعضاً ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات** ... الخ »[2] فالتعبير هنا عن حركة النار وألسنة اللهب فيها تمتد يميناً ويساراً ، وتعلو وتسفل ، التعبير عن هذا بقول الرسول ﷺ « يركب بعضها بعضاً » تعبير فى غاية الروعة التصويرية والجمال الآسر ، وهى لقطة موفقة فى نقل حركة النار وتلهبها ..

( جـ ) وفى قصة الرجل الذى اشتد عليه العطش يقول الرسول ﷺ :

---

(١) انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٢٤٩ .

(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ - ٦٩٤ ، سنن النسائى ٧ : ٣ - ٤ المسند ( صادر ) ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

**« بينما رجل يمشى بطريق ، اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش .. الخ »**[١]

فالقصة هنا تعطينا صورة عن مدى العطش الذى بلغ بهذا الكلب ، حين تلتقط لنا هذا المشهد المعبر عن عطش هذا الكلب : « يأكل الثرى » وكأنه يبحث عن الماء أو حتى عن رائحة الماء الندية الرطبة ..

( د ) وفى قصة « المسئولية والجزاء » نجد أننا أمام صور عديدة ترسم بالكلمات للمشاهد التى رآها الرسول ﷺ فى الأرض المقدسة ، فقد أخذ الرسول ﷺ يستعرض تلك المناظر الغريبة ، التى أتيح له أن يراها فى المنام ، ويحاول أن ينقلها إلى أصحابه رضوان الله عليهم بالصورة التى رآها عليها : « **عن سمرة ابن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة الغداة أقبل علينا بوجهه فقال : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا : فقلنا : لا . قال : لكن أنا رأيت رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى أرض فضاء أو أرض مستوية**[٢] **فمرا بى على رجل ، ورجل قائم على رأسه بيده كلوب من حديد ، فيدخله فى شدقيه فيشقه حتى يبلغ قفاه ثم يخرجه فيدخله فى شقه الآخر ويلتئم هذا الشق فهو يفعل ذلك به ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقت معهما : فإذا رجل مستلق على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة ، فيشدخ بها رأسه فيتدهدى الحجر فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع ذلك ؟ فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقت معهما فإذا بيت مبنى على بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا ، فإذا**

---

(١) صحيح البخارى ٨ : ١١ ، صحيح مسلم ٤ : ١٧٦١ ، سنن أبى داود ٢ : ٣٢ – ٣٣ ، الموطأ ٤ : ٣٠٤ – ٣٠٥ المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٧ .

(٢) فى صحيح البخارى : « فأخرجانى إلى الأرض المقدسة » ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ .

**أخذت رجعوا فيها ، فقلت : ما هذا ؟! قالا : انطلق ، فانطلقت معهما ، فإذا نهر من دم فيه رجل وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فيقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا دنا ليخرج رمى فيه حجراً فرجع إلى مكانه فهو يفعل ذلك به ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقت ، فإذا روضة خضراء ، فإذا فيها شجرة عظيمة ، وإذا شيخ فى أصلها حوله صبيان ، وإذا رجل قريب منه بين يديه نار فهو يحششها ، ويوقدها ، فصعدا بى فى الشجرة فأدخلانى داراً لم أر داراً قط أحسن منها فإذا فيها رجال وشيوخ وشباب ، وفيها نساء وصبيان فأخرجانى منها فصعدا بى فى الشجرة فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل منها ، فيها شيوخ وشباب ، فقلت لهما : إنكما قد طوفتمانى منذ الليلة فأخبرانى عما رأيت فقالا : نعم ! ... الخ »[1].**

فالرسول ﷺ لا يخبرنا عن الرجل الأول بأنه رآه يشق شدقه ، وعن الثانى بأنه تضرب رأسه وهكذا ، ولكنه آثر أن يضعنا بإزاء الصورة التى تم بها الحدث ، بكل أبعادها وزواياها ، فهذا رجل قائم بيده كلوب من حديد ، على رأس رجل آخر ، وهو يدخل هذا الكلوب فى شدقيه فيشقه إلى النهاية ، ثم يفعل ذلك بالشق الآخر ، وما يكاد ينتهى من شق الشدق الثانى حتى يلتئم الشدق الأول وهكذا فى دورة مستمرة ، نستطيع أن نتصورها تماماً من خلال هذه الكلمات التى تصور الحدث ، ومثل ذلك يقال فى بقية المشاهد ، فهى لم تنقل بطريقة إخبارية تزودنا بالمعلومات وكفى ، ولكنها تنقل بطريقة تصويرية وغير مباشرة يظهر فيها الفن ، حين تنقل هذه المشاهد بالطريقة التى يتم فيها تصوير الحدث الذى يعطينا فوق المعلومات الإحساس – الناتج عن

---

(١) المسند ( صادر ) ٥ : ١٤ – ١٥ ، وانظر : صحيح البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ .

تشخيص الحدث - بالتجربة الكلية للحدث ، تلك التجربة التى تمنحنا بالتالى الشعور بالانفعال والتأثر[١] .

**٢ - النوع الثانى تصوير العواطف والانفعالات :**

ويتجلى هذا التصوير فى إبراز هذه العواطف وتلك الانفعالات من خلال سلوك الشخصية ومواقفها من الأشياء ، ومواجهتها للأحداث ، بحيث يكشف لنا موقف الشخصية وتصرفها عما يدور بداخلها من مشاعر وانفعالات :

( أ ) ولنأخذ مثالا على ذلك فى قصة « أصحاب الأخدود » موقف « الغلام » حين أتى الدابة التى سدت على الناس طريقهم فحبستهم ، وعند هذا الموقف تصور لنا القصة ما يدور فى داخل الغلام من قلق نفسى ، وهم يثقل كاهله ، وهو موزع بين تلقى الدين من الراهب ، وبين تلقى السحر من الساحر ، وهو وإن كان قد استجاب بفطرته إلى صدق ما عند الراهب ، إلا أنه يحس أنه فى حاجة إلى طمأنينة أكثر تنبع من الواقع فوق يقينه الفطرى[٢] ، تقول القصة :

**« .. فبينما هو كذلك ( أى الغلام ) إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟! فأخذ حجراً فقال : اللهم ؟ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر**

---

(١) وانظر : نماذج أخرى فى « قصة المؤمن والدجال » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٦ ، قصة « النفخ فى الصور » المسند ( شاكر ) ١٠ : ٦١ ، قصة « أول من يقضى عليه » صحيح مسلم ٣ : ١٥١٣ - ١٥١٤ ، قصة « المستلف ألف دينار » صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) انظر أصحاب الأخدود لرفاعى سرور ص ٢٨ - ٢٩ ، وانظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٤٦ .

**الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ، ومضى الناس ... الخ »**[١]

( ب ) ومثال آخر يصور صراعاً نفسياً رهيباً يهز كيان امرأة عفيفة تجد نفسها تقدم على فعل « الفاحشة » مع إحساسها الصادق بالكراهية والنفور الشديد من هذا الفعل ولكن لا سبيل لها إلا أن تقدم عليه ، وهذا الصراع العنيف تصوره لنا قصتان تحكى كل منهما تجربة متماثلة فى كل منهما :

١ - « قصة الكفل » : « **كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ، أرعدت وبكت فقال : مايبكيك أأكرهتك ؟ قالت : لا ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملنى عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته ؟ !! اذهبى فهى لك ، وقال : لا والله لا أعصى الله بعدها أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل** »[٢] .

٢ - وفى قصة « أصحاب الغار » عرض أحد أشخاص القصة موقفاً له مع امرأة قال :

« .. **قد عملت حسنة مرة ، كان لى فضل فأصابت الناس شدة ، فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفاً ، قال : فقلت : والله ما هو دون نفسك فأبت علىَّ ، فذهبت ثم رجعت ، فذكرتنى بالله ، فأبيت عليها ، وقلت : والله ما هو دون نفسك فأبت على ، وذهبت ، فذكرتْ لزوجها فقال لها : أعطيه نفسك وأغنى عيالك ، فرجعت إلى فناشدتنى بالله فأبيت عليها ، وقلت : والله ما هو دون نفسك ، فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها ،**

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ ، المسند ( شاكر ) ٦ : ٣٣٤ - ٣٣٦ .

**فلما تكشفتها وهممت بها ، ارتعدت من تحتى ، فقلت لها : ما شأنك ؟ قالت : أخاف الله رب العالمين ، قلت لها : خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء ، فتركتها وأعطيتها مايحق على بما تكشفتها .. الخ »**[١] .

فهذا العرض المصور فى القصة يكشف لنا عن أزمة نفسية حادة تنطوى عليها هذه المرأة الحريصة أشد مايكون الحرص على عفافها وطهرها وبخاصة وهى تملك ضميراً حياً يتردد فى تضاعيفه خوف الله وخشيته ، مما يصعد مأساتهم أكثر ، ولذلك فنحن نراها تتردد أكثر من مرة ومرة وهى فى كل مرة تأتى إلى الرجل فيها تطلب المعروف لتنقذ نفسها وأولادها الجياع تأبى أن تسلم نفسها إليه وتحاول أن تذكره بالله وتخوفه منه ، ولكنه يأبى ، ومالها من حيلة إلا أن تسلم نفسها ، وإذا شعورها بمصيبتها ينعكس على جسدها الطاهر الذى عبر هو الآخر عن إبائه لهذا الفعل : « ارتعدت من تحتى » إنها حركة لا إرادية أبلغ من كل قول فى التعبير عن إحساس هذه المرأة وانفعالاتها المرة إزاء ماهى مقدمة عليه من هاوية سحيقة !!

( جـ ) وفى قصة أخرى نجد تصويراً جيدا لعاطفتى « اليأس » و « الفرح » من خلال سلوك الشخصية وتصرفها ، تلك هى قصة « الذى فقد راحلته » :

« **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة ، فاضطجع فى ظلها ، قد أيس من راحلته ..** » هل هناك أدل من اضطجاعه تحت الشجرة فى انتظار الموت فى تصوير يأسه وقنوطه الذى استولى عليه وأغلق فى نفسه كل سبل الخلاص ؟!

---

(١) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ ، وانظر البخارى ٣ : ١٠٤ – ١٠٥ ، ومسلم ٤ : ٢٠٩٩ – ٢١٠١ .

وتستمر القصة :

« **فبينما هو كذلك ، إذا هو بها ، قائمة عنده ، فأخذه بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم ؟ أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح !** »[1] لقد كان بإمكان الرسول ﷺ أن يقول : ثم أتته ففرح بها فرحاً شديداً ، ولكن القصة لو جاءت كذلك لفقدنا صورة رائعة لمقدار الفرح الذى طغى على هذا الرجل بعد أن كان قبل لحظات فى يأس قاتل ينتظر الهلاك المحقق ، إنها صورة عبرت لنا بدقة وصدق عن مبلغ الفرح الذى انتاب الرجل إلى حد أن تجاوز طوره وهو منفعل فى غمرة فرحه الشديد ، فصار يهذى بما لايدرى : « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » !! .

**٣ – النوع الثالث تصوير الشخصيات :**

حيث نجد أن القصة النبوية تحاول أن تضع أمامنا معالم الشخصية التى تتحرك فى أثناء القصة ، أو تشارك فى صنع أحداثها ، فترسم لنا نوعية الشخصية من خلال العرض القصصى .

( أ ) ولنأخذ مثلا قصة « جرة الذهب » :

« **اشترى رجل من رجل عقاراً له ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أبتع منك الذهب ! وقال الذى له الأرض : إنما ابتعتك الأرض ومافيها ، فتحاكما إلى رجل ، فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، قال : انكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا** »[2] ،

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(٢) صحيح البخارى ٤ : ٢١٢ ، صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٥ .

فالحوار بين الرجلين ، يظهر لنا أى نوع هذين الرجلين ويبين أنهما من الصنف الورع الأمين ، المتحوط لدينه ، الخائف من الوقوع فى الشبهة ، برغم بريق الذهب الزاهى أمامهما !!

( ب ) وفى قصة « الأبرص والأقرع والأعمى » نجد لوناً من تصوير الشخصية ، حيث تعرض لنا الشخصية الجاحدة المكابرة المتبجحة يمثلها كل من « الأبرص والأقرع » اللذين كانا يشعران بالألم لما هما عليه من حال فيها الفقر وفيها العاهة المنفرة ، وبعد أن يبدل الله حالهما إلى حال أحسن ، وابتلوا للكشف عن مدى استجابتهم للخير والشكر بعرض حالتهم السابقة عن طريق رجل مسكين يصور حالة الفقر والمرض الذى كانا فيه ، ويسألهم بعض شىء مما لديهم من مال موفور ونعمة مبسوطة ، ولكنهما يشيحان عنه متعللين بكثرة الحقوق والواجبات ، وحين يذكرهم بحالتهم السابقة ينكرون فى بجاحة ويدعون أنهما إنما ورثا هذه الأموال كابراً عن كابر .. وفى مقابل هذه الشخصية الجاحدة نجد شخصية « الأعمى » العبد الشاكر الشاعر بنعمة الله وفضله عليه ، الرحيم بهذا المسكين السائل ؛ حيث أنه يعترف فعلا بما كان عليه من حال الفقر . والعمى وأن الله أنعم عليه بما هو فيه فهو يقول : « **قد كنت أعمى فردَّ الله علىَّ بصرى ، وفقيراً فقد أغنانى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم لشىء أخذته لله** »[١] ، [٢] .

---

(١) القصة فى صحيح البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٥ - ٢٢٧٧ .

(٢) وانظر أمثلة أخرى فى قصة أصحاب الأخدود صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ ، وموسى والخضر البخارى ٦ : ١١٠ - ١١٢ ، وقصة « الصراط » البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وآخر رجل يدخل الجنة مسلم ١ : ١٧٤ - ١٧٥ .

## مقومات الصــورة :

هذه الصورة التى تقدمها لنا القصة النبوية ، ماهى العناصر التى تشكلها ؟ الواقع أن عملية تصميم الصورة ، وتشكيلها البنائى تحققها فى القصة أمور كثيرة متداخلة كلها تؤدى وظيفة التكوين فى النهاية ، كاللغة والوصف ، والحوار والسرد ودلالة اللفظ على الحركة ، والتشبيهات ، وغير ذلك من المقومات التى قد تجتمع كلها أحياناً لتشارك فى إقامة الصورة ، وقد ينفرد بعضها فى ذلك ، ولكن أبرز المقومات الحيوية المباشرة فى إقامة الصورة ، تتضح أكثر فى الوصف والتشبيه والحركة ، ولذلك فلابد من الوقوف عند هذه الثلاثة لاستجلاء وظيفتها هنا :

### ١ - الوصــف :

إن الوصف بشكل عام فى نسيج القصة كأى عنصر من عناصر النسيج له وظيفته المعينة فى عرض القصة والمساهمة فى تصوير الحدث ودفعه إلى الأمام فى طريق التطور والنمو ، إنه الوسيلة الحيوية فى نقل صورة الحدث ، وفى تشخيصه أمام السامع أو القارىء للقصة ، ولاشك أن هذا وضح فى الأمثلة التى عرضت كنماذج على تصوير المشاهد[١] ، أو العواطف[٢] ، أو الشخصيات[٣] ، والأوصاف فوق ما تقوم به من تحديد الصور وملء إطارها بما يمنحها التكامل فى الشكل ، والنمو فى الحركة هى فوق ذلك ذات أغراض ثانوية فى التأثير ؛ ولنأخذ مثالا على ذلك فى قصة « مدينة الذهب والفضة » جاء فى القصة : « **فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت**

---

(١) مثل قصة « الذى يدور فى النار » وقصة « الجنة والنار » وقصة « الرجل الذى اشتد عليه العطش » وقصة « المسئولية والجزاء » .

(٢) مثل قصة « أصحاب الأخدود » وقصة « الكفل » وقصة « الرجل والمرأة » فى قصة « أصحاب الغار » وقصة « الذى فقد راحلته » .

(٣) مثل « قصة جرة الذهب » وقصة « الأبرص والأقرع والأعمى » .

**راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ... الخ »**[١] فهذا الوصف يوحى للسامعين بجو غامض عجيب ينشأ من هذا التقابل فى الأوصاف بين الحسن والقبح ، وفى الشخص الواحد .. وفى قصة « شفاعة المؤمنين » وعند عرض صورة الصراط وقد وضع بين ظهرى جهنم ، والأنبياء بناحيتيه ، نجد الأوصاف تختار بشكل يهدف إلى التأثير على المستمعين من خلال النعوت المثيرة ، الباعثة على الرهبة والخوف ؛ جاء فى القصة : « ... **ثم يوضع الصراط بين ظهرى جهنم والأنبياء بناحيتيه قولهم : اللهم سلم سلم ، اللهم سلم سلم ، وإنه لدحض مزلة ، وإنه لكلاليب وخطاطيف ، ( قال عبدالرحمن : ولا أدرى لعله قال : تخطف الناس وحسكة تنبت بنجد يقال لها السعدان قال : ونعتها لهم ) قال : فأكون أنا وأمتى لأولُ من مَرَّ أو أول من يجيز ، قال : فيمرُّون عليه مثل البرق ، ومثل الريح ، ومثل أجاويد الخيل ، والركاب فناج مسلم ، ومخدوش مكلم ، ومكدوس فى النار ... الخ »**[٢] فالوصف له جوانب إيجابية فى التأثير والايحاء مما يجعل القصة أكثر عطاء وحيوية .

**٢ – التشبيه :**

التشبيه مقوم مهم يستخدم فى القصة النبوية استخداماً كثيراً نظراً لما يقوم به التشبيه من وظيفة التوضيح والتقريب بين المشبه والمشبه به ، نتيجة للعلاقة التى تربط بينهما ، وهذا الربط يعطى للصورة نوعاً من التحديد والوضوح لدى القارىء أو السامع ، ولنأخذ فى سوق بعض الأمثلة :

( أ ) فى معرض حديث الرسول ﷺ عن عتقاء الله من النار ، الذين يرسل الله تبارك وتعالى إليهم فيخرجون وقد امتحشوا ، نجده ﷺ وهو يصور

---

(١) صحيح البخارى ٩ : ٨٧ .

(٢) المسند ( صادر ) ٣ : ١٦ – ١٧ ، وانظر وصفاً للصراط مثل هذا فى قصة « هل نرى ربنا ؟ » صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

نباتهم وقد أدخلوا نهر الحياة يختار تشبيهاً يقرب فيه لنا الصورة :

« ... **فيدخلون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى غثاء السيل** ... »[١] .

( ب ) فى قصة « هل نرى ربنا » نجد هذا التشبيه يكرر مع شيء من التفصيل وإتباعه بتشبيه آخر يساعد على تجلية الصورة : « .. **فيقول الجبار : بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا**[٢] **فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة ، فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة ، إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ** ... »[٣]

وفى هذه القصة أيضاً تشبه جهنم وهى تعرض بالسراب : « ... **ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب** ... » .

( جـ ) ومن أجل بيان مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها يختار الرسول ﷺ وسلم تشبيهاً عجيباً موفقاً يرسم من خلاله صورة حية معبرة تجسد العلاقة بين الفرد والمجتمع وتأثر المجتمع بسلوك بعض الأفراد ، وأن حرية الفرد لها حد يجب ألا تتجاوزه ؛ يقول الرسول ﷺ :

« **مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين فى أعلاها ،**

---

(١) سنن الدارمى ١ : ٣١ – ٣٢ ، المسند ( صادر ) ٣ : ١٤٤ .

(٢) المحش : قشر الجلد من اللحم .

(٣) صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

**فقال الذين فى أعلاها ، لاندعكم تصعدون فتؤذوننا ، فقال الذين فى أسفلها ، فإنا ننقبها من أسفلها فنستقى ... الخ »**[١] .

والتشبيهات كثيرة فى القصة النبوية لو رحنا نعرضها لطال بنا المقام ويكفى هنا النموذج والمثال[٢] .

**٣ – التعبير الدال على الحركة :**

من السمات البارزة فى الصورة ، أنها تعتمد كثيراً على التعبيرات الدالة على الحركة والمصورة لها ؛ بحيث يحمل التعبير نفسه تشخيصاً حياً لكيفية الحركة وطبيعتها ، مما يجعل جو الصورة الكلية مشحوناً بالحركة والحياة :

( أ ) فى قصة « الموت يوم القيامة » يقول الرسول ﷺ : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ... ثم ينادى يا أهل النار فيشرئبون وينظرون .. الخ »**[٣] فعبارة يشرئبون تعطينا صورة أمينة لحركة أهل الجنة وأهل النار وهم يمدون أعناقهم إلى أعلى فى تطلع واستشراف ..

( ب ) وفى قصة « الذى يدور فى النار » نجد الصورة مشحونة بالحركة من خلال التعبيرات الكثيرة التى تنتشر فى إطار الصورة مثل « **يلقى** » و « **تندلق أقتابه** » و « **فيدور كما يدور الحمار** » و « **يجتمع أهل النار عليه** »[٤] .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٤٧٠ ، وانظر تعليقاً جميلا على الحديث فى كتاب قبسات من الرسول ﷺ لمحمد قطب ص ١٦٧ ، دار الشروق ، مطابع الشروق ، بيروت . د. ت .

(٢) انظر : تشبيه الموت وقد جيىء به يوم القيامة بالكبش الأملح ، صحيح البخارى ٦ : ١١٧ – ١١٨ ، وتشبيه الذى يدور فى النار بأنه كما يدور الحمار برحاه صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ .

(٣) صحيح البخارى ٦ : ١١٧ – ١١٨ ، صحيح مسلم ، ٢١٨٨ .

(٤) انظر القصة فى صحيح البخارى ٤ : ١٤٧ .

( جـ ) وفى قصة « النار والجنة » وعند تصوير منظر النار ، نلاحظ أن الرسول ﷺ يختار الفعل المضارع بدلالته على الحدث والتجدد المستمر لنقل الصورة والحركة : « **فإذا هى يركب بعضها بعضاً ..** »[١] فالصورة هنا ليست منظراً جامداً ، ولكنها تحفل بالحركة ، وإننا فى الوقت الذى نقرأ فيه هذه الصورة على الورق نستحضر الصورة فى مخيلتنا مقترنة بعملية الركوب والنزول وما يحدث أثناء ذلك من علو وانخفاض فى حركة تبادلية مستمرة .

**المظهر الخطابى فى القصة :**

تعتبر القصة النبوية نوعاً من الأدب الشفاهى ؛ فهى أحاديث تلقى على مسامع الصحابة رضوان الله عليهم فى مجلس الرسول ﷺ ، ومن هنا فنحن نلمس فى القصة مظهراً بارزاً للعنصر الخطابى الذى يشيع ويتوزع فى أنحاء النص القصصى ، وقد أكسبت هذه المشافهة القصة حيوية فى السرد والعرض القصصى ، وخلقت نوعاً من الارتباط القوى بين المتحدث والمتحدث إليهم ، فهذه المشافهة تؤدى إلى شد المستمعين إلى القصة ، وتشركهم فيها ، وتحثهم بالتالى على الاهتمام والمتابعة[٢] ..

وتبدو العلاقة بين المتحدث والسامعين ، واعتناء المتحدث بسامعيه فى أكثر من مظهر فيما يلى من أمثلة :

**١ - استعمال ضمير المتكلم :**

فى قصة « عتقاء الجبار » يقول الرسول ﷺ : « **إنى لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر ، وأعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة**

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ - ٦٩٤ .

(٢) انظر : البنية القصصية فى حديث عيسى بن هشام ؛ محمد رشيد ثابت ص ٢٦ - ٢٩ .

**يوم القيامة ولا فخر ، وآتى باب الجنة فآخذ بحلقتها .. الخ »**[١] فاستعمال ضمير المتكلم هنا يحمل ضمناً دلالة شعور المتكلم بحضور جماعة يستمعون له وهو يتكلم إليهم عن نفسه ، كما يشعرهم بحضور المتكلم نفسه ، وهذا الحضور من الجانبين والشعور به ينشيء علاقة متينة بين المبلغ للقصة ، والمبلغة إليه ، والأمثلة فى هذا الصدد كثيرة لا داعى للتكثر منها ، ويكفى الدليل والمثال[٢] .

**٢ – الأسئلة والأجوبة فى المقدمة :**

تبدأ بعض القصص بمقدمات تمهيدية تبرز فيها الأسئلة والأجوبة المتبادلة بين الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم ، التى تحمل طابع المشافهة ، وتتخللها ضمائر الخطاب ، جاء فى مقدمة قصة « شفاعة المؤمنين » « **قلنا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قلنا : لا . قال : فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قلنا : لا . قال : فإنكم ترون ربكم كذلك ..** »[٣] والتفتْ إلى ضمائر الخطاب الثلاثة المتوالية فى : « فإنكم ترون ربكم » إلى غير ذلك من الأمثلة[٤] ..

**٣ – وقد تكون الأسئلة والأجوبة فى أثناء القصة :**

جاء فى قصة « هل من مزيد » : « .. **وهو يأمرهم وينبئهم ، قالوا : وهل نراه يا رسول الله ؟ قال : وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟**

---

(١) سنن الدارمى ١ : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) انظر أيضاً : قصة « سيد ولد آدم » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ – ٣٠٩ ، وقصة « أنا لها » المسند ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ .

(٣) المسند ( صادر ) ٣ : ١٦ – ١٧ .

(٤) انظر : قصة « مساءلة الله للعباد » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٩ ، وقصة « هل نرى ربنا » صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٦٧ – ١٧٠ .

**قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم لا تضارون فى رؤيته تلك الساعة .. »**[١] وأثر أسلوب الإلقاء الشفهى ظاهر فى القصة فيما نراه من سؤال المستمعين أثناء سرد القصة ، كما نجد المتحدث ، وهو الرسول ﷺ يوجه أيضاً سؤالا إلى المستمعين ، فهناك تجاوب ومتابعة بين الطرفين الملقى والمتلقى فى القصة[٢] ..

**٤ - توجيه السؤال بطريق الخطاب :**

أحياناً يلقى الرسول ﷺ أثناء سرده للقصة ، سؤالا عن أحد المواقف وذلك لشد المستمعين وتأكيد متابعتهم للأحداث ، وهو سلوك تفرضه ملابسات القصة ، وطبيعة الجو الشفاهى الذى تلقى فيه ، يقول الرسول ﷺ : « **.. وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم .. »**[٣] .

**٥ - مخاطبة المستمعين بغير سؤال :**

كثيراً ما يتوجه الرسول ﷺ فى ثنايا القصة بالخطاب إلى المستمعين وهو يخاطبهم بطريقة تؤدى إلى دمج السامعين فى جو القصة ، وإتاحة الفرصة أمامهم للمشاركة فى نسج القصة ذاتها ويتضح ذلك بالمثال التالى :

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ .

(٢) انظر أمثلة أخرى فى قصة « سوق الجنة » سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ - ٦٨٦ وقصة « المسيح الدجال » ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٠ .

(٣) صحيح البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، صحيح مسلم ١ : ١٦٣ - ١٦٦ ، وانظر مثل ذلك فى قصة « الصراط » صحيح البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، والمسند ( شاكر ) ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ .

جاء فى قصة « مدينة الذهب » : « **فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ..** »[١] فالخطاب هنا يستحث قدراتهم الذاتية فى تصور هؤلاء الرجال الذى شطر منهم على هيئة حسنة ، وشطر منهم على هيئة قبيحة ، ثم لا يحدد الرسول ﷺ القبح أو الحسن بشىء ، ويترك هذا للمخاطب الذى يجد الفرصة أمامه فى تمثل واقع هؤلاء الرجال من خلال تحريك خياله بطريقة فعالة تثرى انفعاله الذاتى وتصوره لحركة القصة ، ومتابعة التفاصيل بجهده الخاص .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ فى قصة « هل نرى ربنا » : « **.. كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة** »[٢] وكثيراً ما كان الرسول ﷺ وهو يتحدث عن قصص السابقين ، يبدأ حديثه عن القصة بقوله : « **كان ، فيمن كان قبلكم ..** »[٣] مضيفاً القبلية للخاطبين ، وحين يريد توضيح الفكرة يحرص على يقظة المستمعين وإثارة مشاركتهم فيوجه إليهم الخطاب ليكون أدعى فى حضورهم الذهنى كما نجد فى قصة « الذى فقد راحلته » يقول الرسول ﷺ : « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم ، كان على راحلته بأرض فلاة .. الخ** »[٤] ، لقد جاء الخطاب فى « أحدكم » مناسباً جداً لإثارة الاهتمام وبخاصة أن القصة بصدد نقل الفكرة : « شدة فرح الله » من التجريد الذهنى إلى التشخيص فى واقع محسوس ..

---

(١) صحيح البخارى ٦ : ٨٧ .

(٢) صحيح البخارى ٩ : ١٥٨ — ١٦٠ .

(٣) انظر : قصة « جرة الذهب » سنن ابن ماجة ٢ : ٨٣٩ ، وقصة « أصحاب الأخدود » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ ، وقصة « الرجل ينشر بالمنشار » صحيح البخارى ٤ : ٢٤٤ ، أبو داود ٢ : ٤٤ .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

وهكذا نجد أن الطريقة الشفاهية التى خرجت بها القصة النبوية ، أتاحت فرصة طيبة للاستفادة من العنصر الخطابى ، وتحويله من نقطة ضعف فى القصة ، إلى مظهر قوة واضح فى التأثير والإيحاء ..

**الحبكة فى القصة النبوية :**

تبين القصة النبوية - من خلال نصوصها - أنها كانت تسير وفق طريقة معينة ، فى الكيفية التى تبنى فيها الحوادث ، وتركب المواقف ؛ من حيث اختيار نوعية الحدث أو الأحداث التى تصلح لبناء القصة ، واتقان نسيجها من الداخل ، واختيار المكان المناسب الذى يوضع فيه الحدث بالضبط وبكيفية معينة ؛ هل يقدم أو يؤخر فى سياق القصة ، وكيف يتطور هذا الحدث ، وما هى مبررات وجوده واستمراره[١] أو توقفه ، وما نوع الصورة التى يبرز فيها ، والمجرى الذى ينمو فيه من حيث البطء أو السرعة ، وما يقف وراء الحدث من دوافع ومؤثرات تجعله يسير وفق نظام خاص ، وطريقة مرسومة فى التتابع والتراكم من أجل تحقيق الهدف المنشود فى عرض الفكرة أو الموضوع وفق طريقة قصصية تشوق المتلقى وتؤثر عليه ..

وهذه العملية بكل جوانبها وزواياها ، هى مايعرف فى مجال نقد القصة بالحبكة القصصية التى لابد منها فى إقامة الكيان القصصى المتقن للعمل الأدبى الذى يعطيه الاعتبار الفنى[٢] .

ومن هنا فقد كان استعمال مصطلح « الحبكة » مناسباً فى رصد هذه العملية التى تنطق بها نصوص القصة النبوية ، وتنسج بُنيتها على منوالها ، ومناسباً فى استجلاء مظاهر هذه العملية ، وبيان عناصرها .

---

(١) انظر : دراسات فى القصة العربية ، محمد زغلول سلام ص ١٣ . وانظر بناء الرواية لأدوين موير ص ١١ ، ٢١ ، ٢٧ ، وانظر أركان القصة لفورستر ص ١٠٢ وما بعدها .

(٢) انظر تعريفاً للتوقيت فى دراسات فى القصة العربية ص ٢٨ .

ويمكن أن نتحدث عن هذه الحبكة فى القصة من خلال عدة زوايا تبدو فيها الحبكة .

**التوقيت** (١) :

وهو يعنى أن الحوادث فى القصة تسير وفق ترتيب خاص بحيث يكون كل حدث فى مكانه ، كما أنه يوجد فى الوقت المناسب ، وينمو ويكتمل ويتوقف حسب ميزان دقيق ، يحدد انطلاقه فى الحركة ومقدار سرعتها أو بطئها فى التتابع القصصى ..

ونلمس « البنائية المحكمة » فى القصة منذ خطواتها الأولى وقبل أن يبدأ الحدث ، فالكلمات التقريرية التى نجدها فى مطلع القصة ، ليست زوائد لا أثر لها فى جسم القصة ، وليست مقدمات دخيلة مفروضة على بناء الحدث ، وإنما هى ممر طبيعى يعبر المتلقى من خلاله إلى أحداث القصة ، كما أنها من زاوية أخرى تعطى للحدث نفسه المنطلق المناسب ، والمبرر الذى يهيىء الفرصة ، ويمهد الأرضية لكى ينشأ الحدث وينمو[٢] بشكل مقدر وموزون ، فالحدث يبرز على ساحة القصة بعد توقيت مرسوم ، حين عرضت القصة على المتلقى مايشيع فى الجو العام إحساساً معيناً بالحدث ولو فى صورة مبهمة ، وكان يمكن أن يبدأ الحدث بدون التمهيد ، ولكنه حينئذ ينشأ من فراغ ، ويختلف وقعه فى سياق القصة عن وقعه وقد برز فى الصورة الموقوتة السابقة[٢] .

وتسير القصة وفق خطة منظمة ومنطق معين يتحكم فى وجود الحدث ؛ بحيث يخدم هدفاً ما فى نسيج بنية القصة ، ولنأخذ مثالا بعض

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) انظر الحديث عن البداية .

المواقف فى قصة « أصحاب الأخدود » ؛ حيث نجد أن الغلام حين صار يختلف إلى الساحر يمر على راهب فى طريقه وأصبح يجلس إليه ، فمرور الغلام على الراهب جاء فى الوقت المناسب ، قبل أن تتمكن تعاليم الساحر من نفسه وتسيطر عليها ، وهذا اللقاء تم فى اللحظة المناسبة التى لها مابعدها فى مستقبل الأحداث ، وبعد ذلك أيضاً نجد مظهراً آخر للتوقيت الملائم فى وجود الحدث : « توقيت خروج الدابة » التى سدت على الناس طريقهم ، ومر الغلام فوجدها كذلك ، ويجب أن نلاحظ أنه أمضى فترة ما فى تردده على الساحر والراهب وقد اكتسب خلال ذلك التردد من كل منهما ، فيأتى خروج الدابة فى هذا الوقت بالذات ليضيف إلى مجرى القصة موقفاً جديداً يفرضه منطق القصة، وهو موقف مهم بالنسبة لنا بوصفنا متلقين لنحدد نظرتنا بالدقة إلى هذا الغلام ، كما أنه مهم للغلام نفسه ليحدد موقفه من كل من الساحر والراهب ، ومن هنا يتضح لنا إلى أى مدى كان التوقيت مناسباً فى خروج الدابة فى هذه المرحلة ، جاء فى القصة : « .. **فكان فى طريقه ( أى الغلام ) إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر ، فبينما هو كذلك ، إذ أتى على الناس دابة عظيمة قد حبست الناس ، . فقال : اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم ! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ؛ حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ، ومضى الناس** .. »[١] ومن خلال هذا الحدث أصبح للغلام موقفه الواضح من الساحر وأنه يقع فى جانب الشر والباطل ، كما أصبح لنا أيضاً موقفنا المحدد من هذا الغلام المتطلع إلى الحق والخير ..

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ — ٢٣٠١ .

وفى قصة « موسى والخضر » نجد أن موسى وصاحبه يدركهما النوم عند الصخرة ، مما ترتب عليه خروج الحوت من مكتلهم[١] وهم لا يشعرون ، وسقوطه فى البحر ، وهو أمر له ما بعده فى بنية القصة ؛ حيث نجدهم بعد أن سارا يوماً وليلة يدركهم التعب ويحسون بحاجتهم إلى الأكل ، فيقول موسى : ( **آتِنا غداءنا لقد لَقِينَا من سَفَرِنا هَذَا نَصَباً** ) وهنا يتذكر صاحبه أنه نسى الحوت عند الصخرة وكان لابد أن يحصل ذلك ليتأتى منهم الرجوع إلى المكان ؛ ليلتقيا فيه بالرجل الذى علمه الله من لدنه ؛ وليبدأ موسى معه رحلة يتعلم فيها منه مما علمه الله[٢] .. الخ ، ومثل هذا التوقيت المحكم نحس به فى كثير من القصص النبوية عندما نتعمقها بالدرس والتأمل ، مما يدل على أن هناك خيوطاً غير منظورة من الإحكام والتنظيم تسرى فى العمل القصصى .. وأحياناً نجد القصة تتتابع بسرعة لتصل فى النهاية بصورة عجلى وبأقصر وقت مثل « قصة الانتحار » حيث تساق فى سطر واحد تقريباً هكذا : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح ، فجزع ، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة** »[٣] ، فنحن أمام تتابع سريع جداً للأحداث دون توقف عند الحدث وبسط صورته ورصد آثاره فهذا الرجل جرح فجزع فحز يده ، فمات ، فحرم الله عليه الجنة ، وهذه السرعة فى السياق مقصودة فى خطة القصة أساساً ؛ وذلك لغرض الوصول إلى هذه النهاية الأسيفة ؛ لأنها هى بيت

---

(١) المكتل : زنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .

(٢) انظر القصة صحيح البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ ، والآية فى سورة الكهف : ٦٢ . وانظر قصة « إبراهيم وإسماعيل » صحيح البخارى ٤ : ١٧٣ – ١٧٥ : وقصة « آخر رجل يدخل الجنة » صحيح مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ .

(٣) صحيح البخارى ٤ : ٢٠٨ .

القصيد فى الأمر ، وهو الوصول بالقارىء أو السامع إلى نتيجة الانتحار ومآل المنتحر فى نهاية المطاف ، وتقف القصة عند « حرمتُ عليه الجنة » وهى نهاية تبعث صدى رهيباً يظل يتردد فى الأسماع بإيحاءاته الرهيبة وهى الحرمان من الجنة[١] ، وأحياناً نجد القصة تسير فى سياقها القصصى فى بطء وتأن ، ويقف السرد فيها عند كل جزء يصفه ويُفصل الحديث عنه ، ويصور ظروف الحدث وملابساته كما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود » أو فى قصة « أصحاب الغار » أو فى قصة « إبراهيم واسماعيل » أو فى قصة « الصراط » الخ ؛ وذلك لأن تلك الأحداث مقصودة لذاتها فى سياق القصة ، والوقوف عندها له قيمته فى التأثير على المتلقى ؛ لما فيها من جوانب تعليمية أو توجيهية تربوية ..

**مبررات الحوادث :**

من أبرز ما يؤكد وجود الحبكة فى العمل القصصى ، هو التأكيد على « السّببية » التى تقف وراء وجود الحدث أساساً ؛ بحيث نحس أن الأحداث لا تولد هكذا جزافاً دونما سبب أو مبرر ، وهذا الجانب فى الحبكة يراعى جانب الذكاء عند المتلقى ، الذى لابد ن يسأل لماذا حدث هذا ؟ كما أن حضور الذاكرة هنا أمر حيوى من أجل فهم أكثر لأحداث القصة ومغزاها[٢] ؛ ذلك أن فهم دوافع الحدث الحاضر أو مبرراته قد يكون مرتبطاً بحدث مضى فى سياق القصة ولكى ندرك ذلك ونربطه بهذا الحدث نحتاج إلى الذاكرة التى تساعدنا على استيعاب الحاضر فى ضوء الماضى .. والقصة فى البيان النبوى يجرى فيها تتابع الأحداث على أساس من قانون الأسباب والنتائج فالحدث حين يوجد له مايبرره ، وتحرص القصة أحياناً على أن تفصح مباشرة

---

(١) انظر : مثل هذا التتابع السريع فى قصة « الذى طلب من بنيه إحراقه » صحيح البخارى ٩ : ١٧٨ – ١٧٩ .

(٢) انظر : فورستر فى أركان القصة ص ١٠٥ .

عن الدافع ، فتصرح بذلك فى عرض القصة ، ففى قصة « أصحاب الأخدود » مثلا نجد أن طلب الساحر من الملك أن يبعث له غلاماً يعلمه السحر يبرر فى القصة بأن الساحر قد كبر وهذا إيذان بقرب نهايته ومن هنا فلابد من خلف له يقوم على خدمة الملك فى هذا الجانب الأساسى بالنسبة للملك ، ونستطيع أن نقول بأن الطلب أيضاً هو الدافع لأن يبعث الملك إليه الغلام ، والغلام حين أخذ حجراً ليضرب به الدابة ما الذى يدفعه إلى ذلك مع أنها دابة عظيمة قد وقف الناس على كثرتهم عاجزين عن إزاحتها عن طريقهم ؟ فليست له قوة خارقة تؤهله لأن يقدم على هذا العمل ، وسنظل نسأل هذا السؤال لماذا أراد الغلام ضرب الدابة وأقدم عليه ؟ ولكن القصة تحس بأنه سؤال لابد أن يرد عليه ؛ ولذلك فهى تعرض للإجابة وتكشف عن المبرر الذى دفع الغلام إلى هذا التصرف ، وهو ماكان يحس به من قلق يحيره ويؤرقه بصدد الساحر والراهب وأيهما أفضل عند الله وها هى الفرصة قد أتت : **« فبينا هو كذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم ؟ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ؛ حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس .. الخ »**[1].

وفى قصة « الغار والصخرة » نجد القصة تصرح بالمبرر الذى جعل الثلاثة يدخلون الغار الذى انسد عليهم فيما بعد ، وهو أنهم خرجوا فغيمت عليهم السماء منذرة بنزول المطر فكان لابد لهم من أن يلجأوا إلى غار يحتمون به من الماء[2] ، وقد يسأل سائل ؛ حسن ! فما الذى أغلق عليهم الغار ؟ ما سببه ؟ الواقع أن القصة لا تصرح بالسبب الذى أدى إلى أن ينغلق عليهم

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٢) انظر : القصة ، المسند ( شاكر ) ٨ : ١٧٨ - ١٨٠ .

الغار بالصخرة ، ولكنها فى الوقت نفسه ، تدلنا بطريق غير مباشر على السبب الذى أدى إلى ذلك ، وهو أنه كان بسبب المطر الذى انهمر بشدة ، كما نفهم ذلك ، من لجوئهم إلى الغار أساساً احتماءاً به من المطر ، فتغيم السماء ، مما ينذر بالمطر هو الذى ألجأهم إلى الغار ، ومن الأشياء المعهودة أن المطر المنجرف من أعالى الجبال يدفع أمامه الصخور العالية الكبيرة التى يمكن أن تسد المسالك الصغيرة وأفواه بعض الكهوف ، ونحن نشاهد ذلك كثيراً فى الأودية والمناطق الجبلية .

وفى قصة « المقترض ألف دينار » ، يقوم المقترض بأخذ خشبة يضع فيها المبلغ الذى اقترضه ويرميها فى البحر لما عجز عن الحصول على مركب يوصل فيه المال إلى صاحبه الذى أقرضه ، ويستودعها الله وينصرف ، ويخرج الرجل المقرض إلى البحر فيجد الخشبة ، وهنا نلاحظ أن القصة لاتكتفى بعرض الحدث علينا وهو أن الرجل خرج ووجد الخشبة فأخذها حطباً ولما نشرها وجد المال ، القصة لا تعرض الحدث بهذه الصورة الساذجة ، وإنما تعرضه فى صورة تتسم بالحبكة ، فهى تقول لنا لماذا خرج الرجل إلى البحر ، فهو لم يخرج مصادفة ، ولكنه خرج لغاية وهو أنه يترقب ماله على أساس من الاتفاق بينه وبين من أقرضه ، فقد دفع إليه المال « إلى أجل مسمى »[1] وقد حل الأجل وهو الآن خارج فى انتظاره : « فخرج الرجل الذى كان أسلفه لعل مركباً قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطباً ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة .. »[1] ، وقصة « الانتحار » على قصرها الشديد لا تُغفل ذكر المبرر وراء الحدث الذى قام به الرجل ذو الجرح ، وهو أنه حز يده بالسكين ، فهى تبرر ما فعله بنفسه بأنه حصل منه بدافع الجزع الذى استولى عليه من هذا الجرح الذى ألم به وآلمه بشدة أفضت

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

به إلى هذا الجزع : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده** ... »[1] فكلمة « فجزع » هنا ذات قيمة كبرى فى تماسك البنية الفنية للقصة ، ورفعها من مستوى الحكاية الذى يتسم بالطابع الإخبارى الذى يزودنا بالمعلومات إلى هذا المستوى الأرفع فى النسج الفنى المتماسك بعلائق من الأسباب والنتائج التى تنتظم روح النص ، وتسرى فيه ، ويمكننا أن نجد أمثلة كثيرة على هذه الناحية فى القصة النبوية .

## وضع الشخصية فى مواقف جديدة :

من الملاحظ فى تشييد البناء القصصى العام فى القصة النبوية أن الحبكة تتدخل فى توجيه المسار القصصى ، ودفعه إلى النمو ، حين تحرص على الاستفادة من الشخصيات وتوظيفها ؛ بحيث تدفعها إلى الحركة الدائمة بوضعها أمام مواقف جديدة ، تصنعها الحبكة أساساً لهذا الغرض ، مما يجعل الشخصية تتخذ سلوكاً معيناً ، أو تتجه اتجاهاً خاصاً يمليه عليها الموقف نفسه أحياناً ، وأحياناً أخرى يكون هذا الاتجاه نابعاً من ذاتيتها هى وما تلتزم فى نفسها أساساً من قيم ..

ففى قصة « أصحاب الأخدود » مثلا نجد الحبكة تضع فى طريق الغلام إلى الساحر « راهباً » ووجود هذا الراهب فى طريق الغلام ، لم يكن مصادفة ولا شيئاً عابراً ، وإنما كان مقصوداً تطلبته الحبكة القصصية ، وكان له آثاره البعيدة فى حركة القصة ، وتوجيهها بشكل معين .. ونجد الغلام يتخذ تصرفاً معيناً توجهه إليه الحبكة حين تضع فى طريقه هذا الراهب ، فها هو يجلس إلى الراهب ، وسمع كلامه ، ونجد القصة تضيف بعداً جديداً إلى هذا التصرف وهو أن الغلام أعجب بكلام الراهب « فكان فى طريقه إذا سلك راهب ،

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ .

فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه »[١] ، ولو مضينا مع هذه القصة لوجدنا الحبكة تضع الشخصيات فى مواقف جديدة ، كمواقف الغلام من الدابة التى اعترضت طريق الناس ، وموقفه من الملك ، وكذلك المواقف التى وضعت فيها جليس[٢] الملك أمام الملك نفسه حين أخذ يعذبه حتى دل على الغلام ، وموقف الراهب أمام الملك .. الخ .

وفى قصة « المستلف »[٢] نجد الحبكة تضع الرجل المقترض أمام موقف حرج حين التمس مركباً من أجل أن يرد المال على صاحبه المقرض ، فلم يجد مما دفعه إلى أن يفعل ما يفعل من أخذ الخشبة ووضع المال فيها ورميها فى البحر ، وفى قصة « الثلاثة المبتلوْن » من بنى إسرائيل « الأبرص والأقرع والأعمى »[٣] تضعهم القصة أمام مواقف جديدة لم تكن فى حسبانهم ، حين جاء الملك إليهم بعد ذهاب مابهم من سوء ، وتوافر ما يحبون من مال لهم ، فقد جاء الملك إلى كل واحد منهم فى صورته السابقة وما كان عليه من فقر وضيق يطلب منه معروفاً ومعونة ، فإذا بالأبرص والأقرع يتخذان موقفاً متشابهاً ، بينما نجد الأعمى يسلك سلوكاً مغايراً مع هذا السائل المحتاج ، وفى قصة « جريج » يوضع « جريج العابد » فى أصعب المواقف وأكثرها حراجة وحساسية حين يلقى نفسه أمام رحمة الجماهير المتدافعة إليه فى غضبة عارمة ، حين هجموا عليه وأنزلوه من صومعته وشتموه وضربوه وهدموا معبده وواجهوه بتهمة « الزنا » فما كان منه إلا أن يلجأ إلى الصلاة والدعاء وهو تصرف نابع من إيمانه وثقته بنفسه وبراءته ، واطمئنانه إلى أن الله سيكون

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٢) البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

معه ، وبعد صلاته يتجه إلى « الغلام » فيحركه بأصبعه ويقول له : « **بالله يا غلام من أبوك ؟ قال : أنا ابن الراعى** »[١] وقصة « جرة الذهب »[٢] نلاحظ فيها أن وجود الجرة فى الأرض التى اشتراها الرجل من الآخر جعلت كلا من الرجلين بإزاء موقف جديد لم يكن لهما فى الحسبان ، وقد أدى العثور على هذه الجرة إلى مشكلة بينهما فكل واحد منهما يتبرأ من الجرة ويحاول أن يثبت أنها ليست له ، إلى أن وصل بهما الأمر إلى أن يتحاكما إلى شخص ثالث ، وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة[٣] .

**إثارة الانفعالات :**

من الأشياء الإيجابية التى يجب أن تذكر هنا فى بناء القصة النبوية أن حبكتها تعمل على أن تثير فينا نوعاً من الانفعالات المختلفة إزاء مايجرى من أحداث ومواقف ، مما يجعلنا نتجاوب مع العرض القصصى بشىء من الخوف والفزع ، أو بالشفقة والعطف ، أو بلون من ألوان التوقع والترقب ، إلى غير ذلك ، وقدرة القصة على إثارتنا بهذا الشكل يعكس بلاشك مدى الارتباط الوثيق القائم بين العمل القصصى ومتلقيه ، كما يعطى صورة لجودة العمل الفنى وتوفيقه .

حين نقرأ قصة « قاتل المائة »[٤] ونرى أنه قتل الراهب الذى سد أمامه باب التوبة ، وبعد ذلك سأل عن أعلم أهل الأرض مرة أخرى ، ليسأله هل له

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ - ٢٠٩ .

(٢) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٣) انظر مثلا قصة : « الذى طلب من بنيه أن يحرقوه » البخارى ٩ : ١٨٧ ، « الذى يدور فى النار » البخارى ٤ : ١٤٧ ، قصة الرجل والمرأة فى قصة الغار والصخرة ، المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

من توبة وهنا يثور فى أنفسنا شعور بالخوف والفزع وتوقع الشر لهذا العالم ، فمن يدرى فلربما كان جوابه مثل جواب الراهب فيذهب ضحية جديدة لهذا السفاك ، ولكن القصة بعد أن تثير فينا هذا الشعور للحظة قصيرة تمتعنا بجواب الرجل العالم بأنه ليس هناك من يحول بينه وبين التوبة ، فأشار عليه بأن يذهب إلى الأرض الصالحة ، وفى الطريق أدركه الموت واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، وهو موقف يبعث فينا درجة جديدة من الانفعالات تجاه مصير هذا الرجل ، من يا ترى سينجح فى ضمه إليه ، ملائكة الرحمة ، أم ملائكة العذاب ، ونظل نشفق على هذا الرجل وهو فى لحظاته الأخيرة ، يترقب فى رهبة قاتلة ماينتهى إليه هؤلاء المتخاصمون فى شأنه ..

وفى قصة « المرأة والرجل »[1] نجد عرضاً لأحرج موقف يمكن أن تمر به امرأة أم ، حين تجد أطفالها يقتلهم الجوع أو يكاد ، والطعام قريب ، ولكن لابد للوصول إليه من تقديم أعز ماتملكه المرأة العفيفة ثمناً له ، والقصة تعرض الموقف علينا فى صورة فنية تبعث فينا مشاعر الأسى المر ، والرثاء الحزين وهى تتردد بين صاحب المال تطلب معروفه ، وهو يأبى إلا أن تقدم نفسها ، فترجع مقهورة إلى أطفالها الجياع ثم تعود مرة ومرة تذكره بالله ، ولكنه يأبى ، وإنها لبين نارين محرقتين ، وإذا بها تفر إلى زوجها تذكر له ماهى فيه ، فيقول لها : « **أعطيه نفسك واغنى عيالك** .. » يا للهول إنها كمن فر من الرمضاء للنار ، أين المفر ، أين السبيل ، وتسد الطرق أمامها ، ولا سبيل إلا أن تسلم نفسها .. إنه عرض يجعلنا نتابع الأحداث والتطورات بقلوبنا ، ومشاعُرنا ترتجف تعاطفاً مع هذه المرأة المسكينة .. ومثل آخر موقف الناس من « جريج »[2] وقد اتهمته البغى بأنه زنا بها ، وليس ذلك فقط ، بل ولدت منه

---

(١) انظر قصة « الغار والصخرة » المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ ، وانظر أيضاً قصة « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

(٢) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

حين هجموا عليه من كل اتجاه فأنزلوه من صومعته وشتموه وضربوه وهدموا صومعته ، فنحن نعلم أنه برىء مما رمى به ، والقصة تطلعنا فى مطلعها على ماسبق أن حاولته البغى مع جريج من التعرض له ولكنه لم يلتفت إليها ، وأنها أمكنت نفسها من الراعى ، فيثير هذا المشهد فى نفوسنا مشاعر الإشفاق والأسى لما حاق بهذا العابد الصالح البرىء .. والأمثلة كثيرة يجدها المطالع لنصوص القصة النبوية[١] .

**الغموض والمفاجـأة[٢] :**

يعتبر هذا العنصر ذا أهمية بالغة فى إعطاء الحبكة حيوية خاصة فى بناء القصة ، تبدو فى الإيقاع غير الرتيب الذى يسرى فى جسم القصة مثيراً فى عرض القصة شكلا من التنويع والتفاوت الذى يجعل القارىء يتنقل فى القصة بين مستويات مختلفة تستهويه من ناحية وتثير تطلعاته واستكشافه من ناحية أخرى ، كما نجد مثلا فى قصة « صوت فى سحابة »[٣] : « **بينما رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً فى سحابة : اسق حديقة فلان** » فلاشك أن الرجل فوجىء بهذا الصوت الذى يسمعه فى هذا السحاب ينادى اسق حديقة فلان وكذلك كان هذا الحدث مفاجئاً لنا أيضاً بوصفنا متابعين للقصة . ومفاجأته تأتى من غرابته وندرته ، كما أن المفاجأة هنا تحمل فى تضاعيفها شيئاً من الغموض يكمن فى السر الذى ينطوى عليه هذا الحدث العجيب ، فلابد أن هناك أسباباً ودوافع وراء هذا الصوت الذى يدعو باسم فلان من الناس ، مما دفع بهذا الرجل إلى تتبع هذا الماء فى مُنسوباته لكى يصل إلى كشف السر وإزالة الغموض .

---

(١) انظر مثلا قصة « الصراط » صحيح البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ وقصة « أصحاب الأخدود » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ الخ .

(٢) انظر الحديث عن المفاجأة فى النهاية » فى الفصل الأول .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

وفى قصة « أدنى أهل الجنة منزلة »[١] يتردد الرجل بعد خروجه من النار على الجنة حين يأمره الله بالذهاب إلى الجنة والدخول فيها ، ولكنه يذهب فيخيل إليه أنها ملأى ولا مكان له فيها فيرجع ، وفى المرة الثالثة يقول الله له : « **اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا** » وهو قول يفاجىء هذا الرجل وهو فى غمرة خوفه وعدم اطمئنانه إلى وجود مكان له فى الجنة ، إنها مفاجأة تذهله وكيف لا تذهله وهو قبل لحظات يتردد على الجنة فلا يجد بها مكاناً – كما خيل إليه – ويجد الناس قد أخذوا المنازل ، والآن يقال له : إن لك فى الجنة مثل عشرة أمثال الدنيا ، إنه أمر عجب ؛ ولذلك نجده يكشف عن ذهوله ومفاجأته بقوله مخاطبا رب العزة : « **تسخر منى أو تضحك منى وأنت الملك !** » .

وفى قصة « الدجال والمسيح »[٢] حين ينحاز المسلمون إلى مكان بعيد عن الدجال ، ويشتد عليهم الأمر وتصيبهم مجاعة شديدة ، وجهد شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، يفاجأون بمناد ذات مرة ، كما تقول القصة : « **فبينا هم كذلك إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس أتاكم الغوث ثلاثاً ، فيقول بعضهم لبعض بأن هذا لصوت رجل شبعان الخ** »[٣] . ، فهذا الصوت جاء مفاجأة لهم ولنا أيضاً بوصفنا متابعين للأحداث، والمفاجأة هنا تنطوى على غموض، ما فمن هو هذا المنادى؟ وما حقيقته؟ ومن أين جاء وفى هذا الوقت بالذات ؟ ويغيب صوت هذا الرجل بعد نداءاته الثلاثة ، ويغيب معه السر ، ويظل هذا الرجل سراً لا يعرف عنه أشخاص القصة شيئاً ، كما أننا

---

(١) صحيح البخارى ٨ : ١٤٦ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢١٦ – ٢١٧ .

(٣) المسند ( صادر ) ٥ : ١٤ – ١٥ .

بوصفنا متلقين لا نعرف سره أيضاً ، والقصة نفسها لا تحدثنا عن هذا الرجل فيما بعد ، فهو يختفى مع سره فى غياهب المجهول .

وفى قصة « المسئولية والجزاء »[٢] نفاجأ بعرض أحداث غريبة لم نكن نتوقعها وهى تجرى فى صورة غامضة ، لا نملك لها تفسيراً بأى حال ولولا أن القصة تكشف لنا فى النهاية عن حقيقتها ومعناها ، لظللنا طويلا فى تطلع دائم لا ستجلاء هذه الأحداث ومعرفة مغزاها ، وكشف هوية هؤلاء الأشخاص المجهولين الذين يفعل بهم هذه الأفاعيل المثيرة ..

إلى غير ذلك من الأمثلة :[١]

**التدرج والانفراج :**

وهذا العنصر يبدو فى القصة النبوية فى الانتقال بالأحداث فى سياق القصة من مستوى إلى مستوى ، وفق مراحل ومن خلال تسلسل معين ، بحيث لا يأتى الوصول إلى الأزمة ، أو انفراجها دفعة واحدة ، وإنما يتم ذلك من خلال تدرج صاعد نحو التأزيم ، أو تدرج هابط نحو الانفراج ، ونستطيع أن نرصد هذا العنصر فى صور ثلاث :

١ - تدرج نحو التأزيم ، ثم تدرج نحو الانفراج فى القصة الواحدة ، كما نجد فى قصة « البطاقة الثقيلة » : « **يصاح برجل من أمتى يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول الله عز وجل : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يارب ؟ فيقول : أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ ثم يقول : ألك عن ذلك حسنة ؟ فيهاب الرجل ،**

---

(١) انظر مثلا : « صوت من السماء » صحيح البخارى ٤ : ١٢٩ - ١٤٠ ، وقصة « فاقد الراحلة » صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ ، وقصة « رؤية الرسول ﷺ لجبريل » صحيح مسلم ١ : ١٤٤ .

**فيقول : لا . فيقول ( الله )[١] بلى ؛ إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : فيقول : يارب ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة »[٢]** فنلاحظ أن الجزء الأول من القصة ، يرسم مشكلة الرجل من خلال خط صاعد نحو التأزيم ، ومشكلة الرجل تبدأ من نقطة قوية وعنيفة ، فها هو الرجل يُصاح به على رؤوس الخلائق ، وبعد هذه الصيحة الملفته للنظر ينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ، ثم يواجه من قبل الله عز وجل بسؤال تقريرى خطير « هل تنكر من هذا شيئاً ؟ » وأنى له أن ينكر ، فيقر فى وجل وتذلل « لا ، يارب ، فيقول الله : أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ » ولا هذه ، ثم يقول الله : ألك عن ذلك حسنة ، وأى حسنة مع هذه الذنوب التى تحملها هذه السجلات الرهيبة ، فيقول فى هيبة : لا ، وهنا تصل المشكلة إلى ذروتها ، حيث تستحكم الأزمة ، فتبدأ القصة بالانحدار التدريجى نحو الانفراج ، حين يقول الله تبارك وتعالى : إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، إنها بارقة أمل ، وبصيص نور يلوح ، ثم تخرج له بطاقة مكتوب فيها الشهادتين ، ولكنه يحس بالأزمة التى هو فيها تؤثر فى نفسه ولا يزال يتخوف من تلك السجلات العريضة ، يدل على ذلك اتجاهه إلى ربه قائلا : « يارب ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم » وهو تطمين له يزيد فى فسحة الأمل فى نفسه ، ثم تأتى أخيراً لحظة الانفراج ، حين وضعت السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فثقلت كفة الشهادتين ، وفاز الرجل ..

---

(١) ليست فى أصل النص .

(٢) سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٣٧ .

وفى قصة « سيد ولد آدم يوم القيامة »[١] نجد السياق يسير فى طريق التأزيم منذ البداية حين يتجه الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم مما هم فيه من هم وفزع وكلما أتوا نبياً اعتذر وتذكر ذنوبه ، وأحالهم إلى غيره ، وهكذا يتنقلون بمشكلتهم من نبى إلى آخر ، وكلما اعتذر نبى لهم اشتد عليهم الأمر إلى أن وصلوا إلى محمد ﷺ وهنا تأخذ القصة فى التحول نحو الانفراج بالتدريج ، إذ إن انطلاق الرسول ﷺ معهم وعدم الاعتذار عن الشفاعة ، يعد فى حد ذاته بداية انفراج لما يعانونه من الأزمة فى جانبها النفسى على الأقل حين طال بهم التنقل بين الأنبياء دون جدوى ، ثم إن الرسول ﷺ لم يكتف بعدم الاعتذار وإنما انطلق معهم حيث بدأ فعلا فى محاولة الشفاعة وهذه خطوة أخرى فى الطريق إلى رفع المعاناة ، فقد اتجه الرسول ﷺ إلى باب الجنة فطرقه ، ففتح له ورحب به ، ثم يخر ساجداً ، ويحمد الله ويثنى عليه فيقال له : « **ارفع رأسك ، وسل تعط واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك** »[٢] وانظر مثلا آخر فى قصة « أنا لها »[٣] وهى أيضاً فى موضوع الشفاعة[٤] .

٢ — وفى الصورة الثانية يتدرج السياق فيها نحو التأزيم ، ثم يأتى الانفراج فى آخر لحظة بعد أن تصل الأزمة إلى ذروتها ، كما نجد فى قصة « الذى قتل مائة نفس »[٥] إذ تتدرج القصة فى الانتقال من درجة إلى درجة فى طريق الوصول إلى ذروة الأحداث فيها ، وهى النقطة التى تجمعت فيها

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٣٠٨ — ٣٠٩ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح والحديث من قصص الشفاعة يوم القيامة .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ — ٣٠٩ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ، والحديث من قصص الشفاعة يوم القيامة .

(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ ، إسناده صحيح .

(٤) ومن الأمثلة أيضاً قصة « أمتى يارب » البخارى ٦ : ١٠٥ — ١٠٧ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

الأزمة حين أدرك الرجل الموت وهو فى طريقه إلى القرية الصالحة ، وتتصاعد الأزمة حين بقى مصير الرجل مجهولا إلى آخر لحظة فى القصة ، فهؤلاء هم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يتخاصمون فى شأنه ، وفى هذه الأثناء يبرز على الساحة عنصر جديد فى شخصيات القصة ، يتحاكم إليه الملائكة ، ونجده يعطى إضافة جديدة فى الامتداد القصصى ، وبعداً جديداً ، لأزمة الرجل المثيرة ، حين رُتب مصيره على مقدار المسافة التى قطعها ، فإن كان موقعه الآن أقرب إلى القرية الصالحة فهو منها ، وإن كان إلى بلدته أقرب فهو منها ، « فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » وهكذا يأتى الانفراج مع آخر كلمة فى القصة .

ومثل آخر فى قصة « الذئب والمرأتين »[(١)] تبدأ القصة بذهاب الذئب بابن إحدى المرأتين ، وهى مشكلة تبدو منذ الوهلة الأولى فى سياق القصة وتأخذ فى التأزم حين تدعى كل واحدة من المرأتين بأن الابن الباقى هو ابنها ، ويتفاقم الأمر بينهما إلى حد الترافع إلى الحاكم ، فالمشكلة هنا تتعقد وتتطور ، وهى حول قضية بالغة الأهمية « ادعاء بنوة » ، ويحكم داود عليه السلام بالولد للكبرى ، ولكن هذا الحكم لا يحسم الأمر ولا يحل المشكلة ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام ، وعرضتا عليه القصة ، ويبدو أن كل واحدة منهما تلح فى ادعائها بحيث أن الأمر وصل إلى درجة كبيرة من اللبس فى هذا الولد « ابن من منهما فى الحقيقة ؟ » وتصل مشكلة الصغرى منهن إلى ذروتها حين طلب سليمان عليه السلام سكيناً ، ولكن لماذا ؟ إنه يريد أن يشق الولد بينهما ، فترضى الكبيرة بهذا الحل ، ولكن الصغرى تبادر بالتنازل عن حقها حفاظاً على الولد من هذا المصير المحتوم ، والموت المحقق بدافع من حنان

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٩٨ ، سنن النسائى ٨ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الأمومة ، وهنا تتكشف الحقيقة للقاضي الذى يقضى بالولد للصغرى ، وهنا لحظة الانفراج ..

٣ - الصورة الثالثة ، التدرج نحو الانفراج ، والوصول بالقصة إلى نقطة النهاية ، وهى تشعرنا فى الغالب بانحدار السياق وميله إلى التوقف ، ولو أخذنا مثلا قصة « الدجال والمسيح »[1] لوجدنا أنه بينما الناس فى حصار شديد وأزمة مستحكمة ، إذ أخذ التحول نحو الانفراج يلوح ، ونلاحظ أن الانفراج يتم بشكل تدريجى ، ووفق عدة مراحل :

( أ ) صوت المنادى الذى سمعوه بالسحر ينادى « **يا أيها الناس أتاكم الغوث** » فكلمة الغوث ذاتها تشيع فى النفس الأمل والارتياح .

( ب ) وجود مثل هذا الصوت وبهذه القوة يدل على بادرة تحسن فى الجو العام ، وهم يحسون بهذا فيقول بعضهم لبعض : « **إن هذا لصوت رجل شبعان** » .

( ج ) ثم ينزل المسيح عليه السلام ، وهو حدث هام جداً يشيع الطمأنينة فى نفوس المسلمين ، إذ إنهم يعلمون أن نزول المسيح عليه السلام ، معناه نهاية الدجال وأتباعه من الضالين الكافرين .

( د ) ذهاب المسيح إلى الدجال وقتله إياه بالحربة ، ويتحقق الانفراج التام وينهزم أصحاب الدجال : « **فليس يومئذ شىء يوارى منهم أحداً حتى إن الشجرة لتقول : يا مؤمن هذا كافر ، ويقول الحجر : يا مؤمن هذا كافر** »[2] وهنا تتوقف القصة ، وتصل إلى نهاية المطاف .

---

(١) المسند ( صادر ) ٤ : ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق .

ومثل آخر قصة « صوت من السماء »[١] فحين تشتد الأزمة النفسية على النبى ﷺ ، وقد انطلق مهموماً هائماً على وجهه فلم يستفق إلا بقرن الثعالب ، حين ذاك نلاحظ أن القصة تأخذ فى عرض التحول نحو الانفراج رويداً رويداً ، ورد الاعتبار والرضى والاطمئنان لهذه النفس الكريمة المخلصة ، ويبدأ التحول بخروج السحابة التى أظلت الرسول ﷺ ، والسحاب عادة بشير الخير والأمل ، هذه واحدة ، والثانية فإذا فيها جبريل الروح الأمين رسول الخير والوحى ، وليس هذا وحسب بل إنه يحمل رسالة من الله الجليل خالق الكون ومدبره « **إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال فسلم على ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين** ! .. الخ »[٢] ولكن الأزمة تنفرج ، والرضى يعود لهذه النفس الحريصة على هداية قومها ، فيأتى الرد رضياً سمحاً . « **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً** »[٢] وحين يتحقق الانفراج ، يصل العمل القصصى إلى نهايته .

**أهمية القدر فى حبكة القصة :**

الغالب فى أحداث القصة النبوية ، أنها تجرى فى نطاق الأسباب والنتائج ، كما هو الشأن فى عامة أحداث الحياة فى الواقع ، وهى السنة الكونية التى فطر الله الحياة عليها ، ولكننا فى أحيان قليلة نجد أن مجرى الأحداث فى القصة يسير فى اتجاه معين ، من غير أن تبدو لنا الأسباب التى دفعت بالحدث فى هذا الطريق ، ولكنه اتجاه فى واقع الأمر يخدم الحبكة القصصية ، ويحقق الغرض القصصى فى النهاية ، وتوجيه الأحداث بهذه الصورة يشعرنا بالقوة الغيبية الكبيرة التى تقف وراء ذلك ، وتتدخل فى تصريف الأحداث والأمور

---

(١) صحيح البخارى ٤ : ١٣٩ – ١٤٠ ، صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ – ١٤٢١ .
(٢) البخارى ٤ : ١٣٩ – ١٤٠ .

وفق وجهات معينة ، لها أثرها فى النتائج ، هذه القوة هى « القدر » الذى يؤمن به المسلمون وبأنه يجرى وفق أمر الله وإرادته ، ومن هنا يكون عنصر القدر فى القصة النبوية له أهميته فى تقدير الأحداث التى تخرج بهذه الصورة بحيث تتساوى فى تقدير متلقى القصة وهو – أساسا – مسلم بأى حدث آخر يجرى فى نطاق الأسباب والمسببات المنظورة ، فهو يدرك أن القدر لا يجرى فى الواقع بصورة عشوائية لا مبرر لها ولا غاية ، و « شعور الإنسان بقوة غيبية تتدخل فى توجيه الأحداث نحو وجهة معينة ، وتؤثر على نتائجها التى كثيراً ما تأتى على خلاف ما حسب الناس وقدروا ، أو على غير ما عرفوا هو عنصر هام من عناصر التأثير فى هذه القصص يملأ الإحساس رهبة ورغبة ... ولهذا الإحساس صداه البعيد فى النفس ، وذلك أن القدر الخفى الذى يسير الأحداث الواردة فيه هو قوة عظيمة كامنة فى أسرار الغيب ، ولكنها واعية عادلة ، لما تنجلى عنه فى عالم الشهادة من عناية الله بالمخلصين الاخيار وإن كانوا ضعفاء ، ونقمته ومكره بالمبطلين الأشرار ، وإن كانوا أشداء أقوياء »[١] وفى الوقت الذى يسير القدر فيه الأحداث والوقائع لا يتصادم إطلاقاً مع منطق القصة ، أو خطتها العامة ، بل على العكس من ذلك يشارك فى صنع فرص أفضل تحقق للخطة النجاح ، وللحبكة التوفيق ، كما نجد مثلا فى قصة « المستلف ألف دينار »[٢] إذ نجد أن القدر يشارك فى تحقيق سير الأحداث ، ودفع القصة إلى الأمام ، وإتمام بعض المشاهد :

١ – تسيير الخشبة التى وضع فيها المقترض المال ، وتوجيهها فى البحر إلى الجهة التى كان فيها صاحب المال ، دون أن يعترضها عارض ، أو يصرفها صارف إلى مسار آخر .

---

(١) التهامى نقرة ، سيكولوجية القصة فى القرآن ص ٤٣٩ ، وانظر أيضاً : القصص القرآنى للخطيب ص ١٦٥ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ب . ث .

(٢) صحيح البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

٢ – خروج الرجل صاحب المال يلتمس مركباً لعل فيه ماله – فى الوقت نفسه – الذى وصلت فيها الخشبة وبالدقة ، حيث وجد الخشبة فأخذها حطباً لأهله .. الخ .

وفى قصة « الله يعصمك »[1] يتدخل قدر الله فى إنقاذ الموقف الذى وجد الرسول ﷺ نفسه فيه أمام رجل يقف على رأسه والسيف مصلت فى يده ، حيث لا حول له ولا طول إلا بالله ، جاء فى القصة « .. **فلم أشعر إلا والسيف صلتاً فى يده ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قال : قلت : الله ، ثم قال فى الثانية : من يمنعك منى ؟ قال : قلت : الله : قال : فشام السيف** » .

وفى قصة « أصحاب الأخدود »[2] نجد قدر الله تعالى يقف إلى جانب الغلام حين دفعه الملك إلى نفر من أصحابه وطلب منهم أن يذهبوا به إلى جبل شاهق فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه وهناك رجف بهم الجبل فسقطوا وجاء الغلام سليما يمشى إلى الملك ، ومرة أخرى يدفعه الملك إلى نفر آخرين ويطلب منهم أن يتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فى البحر ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا جميعاً ماعدا الغلام الذى جاء مرة أخرى يمشى إلى الملك ، فهذه أحداث غير عادية يجريها الله سبحانه بقدره الذى لا مرد له من أجل نصرة أهل الحق ، وإهلاك الضالين ، كما نحس أنها تضمن للعمل القصصى نوعاً من الاستمرار والنمو فى الأحداث ، فنجاة الغلام كانت سبباً فى نشوء أحداث أخرى وتطورات جديدة فى مسار القصة ..[3] .

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٦ – ١٧٨٧ .

(٢) المصدر السابق ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

(٣) انظر : أمثلة أخرى فى قصة « جريج » المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ ، وقصة « سارة والملك » البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ ، وقصة « الذى قتل مائة نفس » صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

**التشـويق :**

هذا العنصر ذو أهمية كبيرة ، فى إضفاء الحيوية على العمل القصصى وضمان استمرار المتلقى فى متابعة الأحداث ، وإثارة ترقبه وتوقعاته المختلفة لما سيحصل فى المستقبل ، وعلى أى كيفية ستنجلى الأمور ، وقد سبق التعرض لعنصر التشويق فى الحديث عن بداية القصة ، ولكن أهميته فى بناء حبكة القصة ؛ لما ينطوى عليه من تطوير للموضوع[١] وخلق مواقف جديدة ، جعلت من اللازم التحدث عنه ولو سريعاً فى إطار الكلام عن الحبكة .

وبالنظر فى نصوص القصة النبوية نجد أن هناك عوامل عديدة تدخل تحت عنصر التشويق منها مثلا :

**١ – الغموض والإبهام :**

كما نجد فى قصة « المسئولية والجزاء »[٢] حيث تعرض القصة أحداثاً فى منتهى الغرابة والغموض ، تبعث على الإثارة والدهشة ، والقصة لا تكشف لنا عن هذا الغموض مباشرة وإنما تؤجله إلى مرحلة متأخرة فى القصة ، وهو أمر جعل الرسول ﷺ نفسه يصرح بهذا التساؤل حين يقول بعد كل حدث من هذه الأحداث العجيبة : « **قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ... الخ** »[٢] وانظر أيضاً قصة « المدينة المبنية بالذهب »[٣] وقصة « أول من يقضى عليه يوم القيامة »[٤] وقد سبق الحديث عنها فى هذا الصدد[٥] .

---

(١) انظر حسين القبانى ؛ فن كتابة القصة ص ٤٠ – ٤١ .
(٢) البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ .
(٣) المصدر السابق ٦ : ٨٧ .
(٤) سنن النسائى ٦ : ٢٠ – ٢١ .
(٥) من الأمثلة قصة « موسى والخضر » البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

**٢ – المفارقات المتناقضة :**

وذلك مثل المخالفة العجيبة بين دعاء الأم ودعاء طفلها الرضيع فى قصة « الأم والرضيع »[١] حين كانت تدعو له بأن يكون مثل الرجل المهيب صاحب الشارة بما يدل على أنه عظيم من العظماء ، فيدعو بأن لا يجعله الله مثله ، ويمرون بأمة تضرب فتقول الأم : اللهم لا تجعل ابنى مثلها ، فيقول هو : اللهم اجعلنى مثلها ، فنحن هنا أمام حالة عجيبة بين دعاء الطرفين فى القصة ، مما يشوقنا إلى معرفة السبب الكامن وراء هذا الواقع الذى أثار الأم نفسها حيث راجعت الكلام مع ابنها تسأله عن مخالفتها وبخاصة أنها تدعو له بالخير كما هو ظاهر الحال ..

**٣ – تحويل مجرى الأحداث :**

مما يثير الانتباه ، ويصعد شوق المستمعين والقارئين للقصة النبوية ، تنويع الصورة التى تبرز فيها الأحداث على مسرح القصة ، وعدم إستمرارها على وتيرة واحدة ، حيث نجد أن هذا التنويع يعطى تجديداً فى الإيقاع العام ، وتفاوتاً فى درجاته بين مرحلة ومرحلة ، فى بناء القصة ، مما يجدد نشاط المتلقى ويجعل رغبته فى المتابعة حية دائماً ، مثلما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود »[٢] وبالذات فى المرحلة التى اكتشف فيها الملك « الغلام والراهب » فبعد أن أعدم الجليس ، والراهب ، دفع « الغلام » إلى نفر من أصحابه ليذهبوا به إلى جبل شاهق فيطرحونه من أعلاه فقال الغلام « اللهم اكفنيهم بما شئت » فرج بهم الجبل فهلكوا جميعاً ، وعاد هو يمشى إلى الملك .. ثم دفعه إلى نفر آخر وأمرهم أن يذهبوا به إلى البحر فإذا توسطوا فيه ألقو به فى الماء ، وحين

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ – ٢٠٩ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

توسطوا البحر قال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فغرقوا وعاد الغلام يمشى إلى الملك ، وهنا نجد تحويلا لمجرى الأحداث من هذا الاتجاه ، فقد كان يمكن أن يدفع الملك بالغلام إلى أحد من أصحابه ويأمره بأن يقضي عليه فى صورة أخرى من الصور ، ولكن الأحداث هنا تأخذ مساراً جديداً حافلا بالحيوية والتشويق ، فالغلام فى هذه المرة هو الذى يتكلم وهو الذى يقترح على الملك الطريقة التى يمكن بها قتله « **فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتى ، ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل باسم الله ، رب الغلام ، ثم ارمنى ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى .. الخ** »[١] فهذا الاقتراح العجيب يحمل فى تضاعيفه معانى كثيرة وأسراراً خاصة ، تثير تطلعنا ولهفتنا لمعرفة مستقبل الأحداث وماذا ستسفر عنه من نتائج مختلفة ، وانظر مثل ذلك فى قصة « الذى قتل مائة نفس » حين اقترح العالم على القاتل أن يترك قريته السيئة ويذهب مهاجراً إلى القرية الصالحة »[٢] ..

٤ – كما يتخذ القصص النبوى من تصعيد المشكلات ، وظهور المفاجآت والخوارق نوعاً من إثارة المتلقى وإلهاب نشاطه فى المتابعة[٣] .

**المشـــكلة :**

يلاحظ من خلال الاستقراء التام لجميع النصوص التى تعرض لها هذا البحث بالدراسة أن أى نص منها طال أو قصر لا يخلو بشكل ما من مظهر

---

(١) المصدر السابق .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٣) انظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، عزالدين السيد ٪ص ٤٦٢ .

للمشكلة ، وهى تبدو فى القصة النبوية فى نوعين ، نوع نادر ، ونوع كثير غالب .

فهناك نوع من المشكلات التى توجد فى بعض النصوص ، لا نستطيع أن نقول إنها مشكلات حدث ، وبالتالى فهى لاتدرس على هذا الأساس ، لأنها ليست محوراً يؤثر فى سياق القصة ، ولكنها تعد مشكلات بالنسبة لنا بوصفنا متابعين للقصة نفسها ، وهى تعرض علينا ؛ فقد تكون مشكلة للقصة فى مثل الأشياء الآتية :

( أ ) فى غرابة الأحداث المعروضة فى القصة ، بحيث تثير دهشتنا واستغرابنا ، وتبعث فينا التلهف لمعرفة مايكمن وراءها ، وكشف ما تنطوى عليه من غموض وأسرار مثلما نجد فى قصة « المسئولية والجزاء »[١] وقصة « المدينة المبنية بالذهب »[٢] .

( ب ) الخروج عن المألوف فى الحدث نفسه ، مثل قصة « المتصدق على زانية وغنى وسارق »[٣] فالصدقة على مثل هؤلاء الثلاثة حدث غير مألوف ، يثير فضول المستمع وتساؤله فما معنى أن يتصدق هذا الرجل على زانية ؟ وتتصاعد الإثارة فى العقدة أكثر حين يأتى فى اليوم الآخر فيتصدق على غنى ، ثم مرة ثالثة فيتصدق على سارق ، إنها إثارة يبعثها عدم إدراك المعنى وراء هذه الأحداث .

( جـ ) تكرار الحدث ، كما نجد فى قصة « العبد يصيب الذنب فيستغفر »[٤] والقصة تأتى هكذا : « **إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال :**

---

(١) البخارى ٢ : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٨٧ .

(٣) مسلم ٢ : ٧٠٩ .

(٤) البخارى ٩ : ١٨٧ .

**أذنب ، فقال : رب أذنبت ، وربما قال : أصبت فاغفر لى ، فقال ربه : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ثم مكث ماشاء الله ، ثم أصاب ذنباً ، أو أذنب ذنباً ، فقال : رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ، ثم مكث ماشاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال : أصاب ذنباً ، قال : رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لى ، فقال : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثاً فليعمل ماشاء »**[1] فنحن هنا لا نلحظ العقدة التى تجعل من الحدث محوراً أساسياً فى خلق مشكلة ما ، إلا أننا أمام نوع آخر من « التأزيم » فى الموقف الذى نتابعه ، يبدو فى تكرار الحدث نفسه « الذنب والمغفرة » فالحدث « الذنب » حين يحصل يثير فى نفس السامع هذا السؤال « هل سيعاقب المذنب أم سيغفر له ؟ » والمغفرة وإن حصلت فى المرة الأولى فهل ستحصل فى الثانية ، وهو تساؤل يجعلنا فى الواقع أمام مشكلة يصعدها فى نفوسنا التكرار الثالث للحدث .

والنوع الثانى « للمشكلة » يبدو فى تعقيد الأحداث ، وتأزيم المواقف بحيث نحس أن عنصر المشكلة فى القصة موجود ، وبشكل واضح ، له آثاره البعيدة فى كيان القصة ، إذ تصبح « المشكلة » محوراً يوجه حركة القصة ، ويدفع بها إلى التطور والاستمرار فى خلق مواقف جديدة ، وإعطاء تفاصيل حيوية تثرى القصة وتتيح لها كياناً سوياً ..

ولعل الأمثلة خير ما يوضح ذلك ، ولنأخذ « قصة المستلف ألف دينار » حيث نجد المستلف بعد أن قضى حاجته وحضر الأجل الذى حدده مع صاحبه نجده يبحث عن مركب لكى يوصل المال إلى صاحبه فلا يجد ، وهنا

---

(١) البخارى ٩ : ١٨٧ .

تبرز المشكلة ، فهذا المقترض يريد الوفاء ، وهو حريص على أداء الدين فى أقرب وقت ، حتى لا يفوت الموعد المحدد ، ولكنه لايجد مركباً ، ولنا أن نتصور الأزمة التى هو فيها ، والقلق الذى لابد أن يستبد به ، وهو الرجل الحريص على الوفاء ، وعلى تحقيق الالتزام الذى أشهد الله عليه ، وكان له كفيلا أيضاً ، وهنا نجد أن « المشكلة » تدفعه إلى التحرك والتصرف ، حيث أخذ خشبة فجوفها ووضع فيها الدنانير وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم توجه إلى الله « الشاهد والكفيل » الذى من أجله يجد نفسه ملزماً بسداد الدين ، توجه إليه وقد وقف على البحر لكى يرمى فيه بالخشبة داعياً إياه « **اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلاناً ألف دينار ، فسألنى كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضى بك ، وسألنى شاهداً فقلت : كفى بالله شهيداً فرضى بك ، وأنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر ، وأنى استودعتكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف** »[(١)] فهذا التصرف كله إنما جاء فى القصة بدافع من الموقف الحرج الذى أملى على الرجل أن يفعل مافعل ، وفى قصة « الذى قتل مائة نفس »[(٢)] نجد مشكلة الرجل « أنه قاتل » وقاتل بالجملة ، وإن جرائمه لتطارده فتؤرقه ، وتدفعه لأن يلتمس مخرجاً من هذا الكابوس ، المتمثل فى شعوره الدائم بالإثم ، وبدا له أنه ربما وجد هذا المخرج عند أهل العلم ، فيسأل من أعلم أهل الأرض فيدَل على راهب ، فيسأل هذا الراهب فى لهفة « فهل من توبة » ؟ فقال : لا ، وفى لحظة جنون الرعب ، وألم اليأس ، انقض عليه فقتله ، فتزداد مشكلته تعقيداً فى نفسه ، وبعد حين قرر أن يحاول مرة أخرى إلى آخر القصة ، فكل هذه الأحداث والتطورات ، إنما جاءت أصلا بسبب المشكلة ، وبدافع منها .

---

(١) البخارى ؛ ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ .

وفى قصة « جرة الذهب »[١] نجد « المشكلة » وهى أن مشترى الأرض وجد فيها جرة ذهب ، تنشىء أزمة بين المشترى والبائع ، وتحدث موقفاً صعباً بين الرجلين ، فكل منهما يتبرأ من الجرة ويقول إنها من حق الآخر ، وهى مواجهة حاسمة تصل بهما إلى حد التحاكم .. الخ .

وفى قصة « صوت فى سحابة »[٢] نجد الرجل الذى كان بالفلاة أمام مشكلة ، حدث غير عادى ، فهو يسمع باسم واحد من الناس فى سحابة يقال لها : اتجهى إلى حديقة فلان فاسقيها ، وهذه المشكلة تدفعه إلى تصرف خاص ، وإلى حركة فى اتجاه معين ، وهو تطور فى أحداث القصة تخلقه المشكلة ، حين تثير عند هذا الرجل التطلع إلى معرفة السر وراء هذا الأمر غير العادى ، فيحرص على أن يضع يده على السبب فإذا به يتتبع الماء ، حتى دخل حديقة رجل وجده قائماً فى حديقته يصرف الماء بمساحته ، ويجب أن نلاحظ هنا أنه لولا تلك المشكلة التى دفعت بالرجل إلى متابعة الماء لمعرفة السر لما كان للقصة أن تعرض لهذا المشهد الجديد « مشهد الحديقة وصاحبها يصرف الماء فيها » ، ثم ماكان من حوار بين الرجل وصاحب الحديقة اكتشف به واكتشفنا معه السر وراء هذا الحدث ، فكل هذه التفاصيل والامتدادات فى جسم القصة إنما جاء بسبب « المشكلة » وبدافع منها ..

وفى قصة « أمتى يارب » تبرز العقدة منذ الكلمات الأولى فى القصة ، فالناس وقد اجتمعوا فى صعيد واحد يوم القيامة ، قد بلغ منهم الغم والكرب مبلغه ، فهم يواجهون مشكلة لايطيقونها فى هذا الموقف العصيب الذى تدنو منهم فيه الشمس ، فليس بينهم وبينها حجاب يمنع حرارتها اللاهبة ، وإنهم لفى كربهم ذلك يبحثوا عن حل لمشكلتهم العصيبة ، فيحض بعضهم بعضاً فى

---

(١) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

البحث عن شفيع يتوسط عند الله جل وعلا ، فيشير بعضهم بأن يتجهوا إلى آدم ولكنهم حين يجدون آدم لايجدون عنده الحل ، بل إن مشكلتهم لتزداد تعقيداً فهذا آدم أبو البشر نفسه على ماله من مناقب ، يحس بهول ما هو فيه من موقف رهيب ، يزيد من الرهبة فى نفوسهم ، فهو يقول : « إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله » ثم إنه مشغول بخطيئته « وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا إلى غيرى » ، إنهم فى ذروة مشكلتهم المعقدة حيرى إلى من يذهبون ، وكأنما يحس آدم – عليه السلام – بهذه الحيرة فيشير عليهم ، ويفتح لهم طريقاً « اذهبوا إلى نوح » وهكذا يتنقلون بين الأنبياء ، تحفزهم إلى السعى إليهم هذه « المشكلة » وهم فى كل مرة يلتقون فيها بأحد الأنبياء تزداد مشكلتهم نمواً وتسير فى خط بيانى تصاعدى ، ذلك أن كل واحد من هؤلاء الأنبياء يذكر مشكلته وحاجته إلى النجاة بنفسه ، ويشعرهم أن الموقف من العظمة والرهبة بحيث لا يملك لهم شيئاً إلا أن يدفعهم إلى غيره ، وهكذا تظل المشكلة تدفع بالأحداث إلى الأمام إلى أن يصلوا إلى محمد عليه الصلاة والسلام[١] .

وعقدة القصة ، أو مشكلتها قد تنشأ – وهذا قليل – منذ بداية القصة ، إذ يواجه البطل أو الأبطال « المشكلة » منذ الكلمات الأولى فى القصة مثلما نجد فى قصة « البطاقة الثقيلة »[٢] فالمشكلة تأتى مع البداية قوية

---

(١) انظر القصة ، صحيح البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ ، وانظر مثل ذلك فى القصص الآتية :
– قصة « سيد ولد آدم يوم القيامة » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ – ٣٠٩ .
– قصة « أنا لها » المسند ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ .
– قصة « عرض على ماهو كائن » المسند ( شاكر ) ١ : ١١٦ .
– قصة « قل تسمع واشفع » المسند ( صادر ) ٣ : ٢٤٤ – ٢٤٥ .
– إلى غير ذلك من القصص الكثيرة .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ .

عنيفة « يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر »[1] وتأتى حراجة الموقف من أنه يصاح به على رؤوس الأشهاد ، ومع الصيحة هذه السجلات العريضة التى كلها تدينه .

ومثل ذلك قصة « الغار والصخرة »[2] فما يكاد الثلاثة يدخلون الغار حتى تنهد عليهم صخرة عظيمة تسد الباب : « **إن ثلاثة كانوا فى كهف فوقع الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم ، قال قائل منهم : تذاكروا أيكم عمل حسنة لعل الله عز وجل برحمته يرحمنا** »[2] ولاشك أنهم حاولوا إزاحة الصخرة خوفاً من المستقبل الرهيب الذى يتهددهم فى هذا الغار المصمت ، وعبثاً حاولوا ، وإنهم ليقفون حيارى يلفهم غموض النهاية ، ويخيم عليهم همٌّ قاتل وفى قمة شعورهم بالمأساة ، يتذكرون القوة الوحيدة التى يمكن أن تنقذهم مما هم فيه فيتوجهون إلى الله بالدعاء ..

وفى الغالب الكثير أن عقدة القصة أو مشكلتها الأساسية تبرز على ساحة القصة فى مرحلة الوسط ، وهى المرحلة المليئة بعناصر التعقيد والتشابك ، وتأزيم المواقف بشكل ملحوظ[3]، ولنأخذ مثلا لذلك قصة « أصحاب الأخدود »[4] فسنجد أن مشكلة القصة الأساسية الكبرى تتجلى بعد مرحلة متقدمة ، وبعد عدة مواقف مضت فى عرض القصة ، بل إن المشكلة هنا تأتى ولادة طبيعية لما سبقها من مواقف وأحداث فى القصة ، هذه المشكلة هى : اكتشاف الملك للفكرة الجديدة ومحاربته لها ، ولانغفل أنه هناك مشكلة صغيرة سبقت هذه المشكلة ، وذلك حين صار الغلام يعانى من مشكلة تعوق

---

(١) لمصدر السابق ٢ : ١٤٣٧ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) انظر الكلام عن وسط القصة فى الفصل الأول .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

استمراره فى التردد على الراهب[١] ، وهى ضرب الساحر له بسبب تأخره عند الراهب ، ولكن هذه مشكلة فرعية جداً وتأتى فى موقف صغير وتنتهى بانتهاء هذا الموقف ، فهى ليست مشكلة عامة تؤثر فى مجرى القصة وتوجيه أحداثها ، مثل ماهو متوافر فى موقف الملك من الدعوة وأصحابها ، فاكتشاف الملك للفكرة الجديدة والدعوة إليها فى المجتمع الذى أخذ فى التأثر بها ، هى العقبة التى تواجه الدعوة وأتباعها ، فالملك يرى فيها خطراً يهدد وجوده القائم على الجهل بالحق ، وعلى الخرافات والأوهام المعتمدة على السحر والدجل ، وهذه الدعوة ستكشف هذا الباطل وأوهامه ، ونلاحظ أن المشكلة تنشأ بسبب الحوار الذى تم بين الملك وجليسه بشأن شفائه من دائه ، حين صرح الجليس بأن الذى شفاه هو ربه ، « قال الملك : ولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ! »[٢] وهكذا تنشأ « المشكلة » أمام الجميع ؛ أمام الملك فى هذا الفكر الجديد الذى يتهدده ، وأمام الدعوة فى اكتشاف الخصم الألد « الملك » لوجودها ورجالها ، وتبدأ المشكلة فى تحريك الموقف ودفع الأحداث فى اتجاهات مختلفة ، وتصعيدها بصورة متلاحقة سريعة ، فالملك اتخذ موقفاً طاغياً ، حين أخذ الجليس فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، وأحضر الغلام ، فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، وبدأ الطاغية يحارب الدعوة بالعنف تجاه الأتباع تارة ، وبالإغراء للداعى تارة ، حتى إذا عجز فى صد المقبلين ، وأصحاب الدين الجديد أخذهم بالقوة والقتل والتعذيب ، فها هو يشق الراهب والجليس نصفين بالمنشار أمام الغلام وأمام الناس للترهيب والتخويف ، وهو يحاول مع الغلام بالإغراء فيعجز ، ونستشف من هذا

---

(١) انظر الحديث من الوجهة البلاغية ، عزالدين السيد ص ٤٤٧ ، وأصحاب الأخدود لرفاعى سرور ص ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

الإغراء حرص الملك على أن يكسب الغلام بما لديه من قدرات خاصة عجيبة إلى صفه ، وهو لذلك يحاول معه بأساليب مختلفة لعلها ترهبه بعد أن عجز فى ترغيبه ، فهو لا يحاول قتله مباشرة ، بل يبعث به مرة إلى الجبل الشاهق مع أعوانه علِه يتراجع فى مسافة الطريق ، ثم إن الملك قد أوحى إلى أعوانه أنهم قبل أن يلقوه من أعلى الجبل ، أن يحاولوا معه أن يرتد عن دينه ، وحين عاد الغلام سالماً من الجبل ، وقد هلك أعوان الملك ، بعث به الملك إلى البحر مع جند آخرين وطلب منهم أن يعرضوا عليه ترك دينه ، وإلا فليلقوه فى البحر ، ولكن الغلام يعود ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، ويقرر هذا الغلام بأمر الله أن ينهى الأمر مع هذا الملك الطاغية ، فيكشفه أمام الجماهير ، ويكشف عن الناس غمة الشرك والضلال ، وهذا الموقف الذى يقرر الغلام أن يتخذه إنما هو فى الواقع نتيجة غير مباشرة « للمشكلة » التى دفعت بالأحداث فى هذا الطريق ، بحيث ترتب على سيرها بهذه الصورة أن يقف الغلام هذا الموقف حين أشار على الملك برأى قال له فيه : « **إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ، وتصلبنى على جذع ثم خذ سهماً من كنانتى ، ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل : باسم الله ، رب الغلام ، ثم ارمنى ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى** »[1] وفعل الملك ذلك ، وإذا الناس يهتفون من كل اتجاه : « آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام » وتبرز المشكلة فى صورة أفظع أمام الملك ، ويتسع الخرق على الراقع ، لقد كان يواجه فى البداية مشكلة « ثلاثة فقط » وها هو الآن أمام الجماهير الهاتفة بالدين الجديد ، فتثور ثائرته ويتفجر الغيظ فى قلبه ، وينفث فكره المحموم المجرم فكرة خبيثة تصور بها أنه يهزم هذا الإيمان المدوى فى جنبات هذه الساحة التى شهدت مصرع الغلام ، فإذا به يأمر بالأخاديد تشق فى أفواه السكك ،

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

وتضرم فيها النيران ، ويلقى فيها المؤمنين ، وهنا نشهد ذروة هذه المشكلة فى هذه المواجهة العنيفة للمؤمنين الصامدين الصابرين المنتصرين فى الملأ الأعلى ...

والأمثلة على هذا النوع الذى توجد فيه المشكلة فى وسط القصة كثيرة جداً يمكن الرجوع إليها[1] :

---

(١) فيما يلى بيان بنصوص من هذا النوع مع مصادرها :

- المستلف ألف دينار ، البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .
- الكلب اللاهث من العطش ، البخارى ٨ : ١١ .
- المرأة والرجل ، المسند « صادر » ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- الكفل ، الترمذى ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ .
- جريج ، البخارى ٤ : ٢٠١ ، مسلم ٤ : ١٩٧٧ .
- آخر رجل يدخل الجنة ، المسند ( ص ) ٣ : ٢٧ ، مسلم ١ : ١٧٤ .
- الموت يوم القيامة ، المسند ص ٣ : ٩ .
- شفاعة المؤمنين لإخوانهم ، المسند ص ٣ : ١٦ - ١٧ .
- عتقاء الجبار ، المسند ص ٣ : ١٤٤ .
- الثلاثة المبتلون ، البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، مسلم ٤ : ٢٢٧٥ - ٢٢٧٧ .
- صاحب العمل والأجراء المسند (ص) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- المؤمن والدجال ، مسلم ٤ : ٢٢٥٦ .
- الدجال والمسيح ، المسند (ص) ٤ : ٢١٦ - ٢١٧ .
- الله يعصمك ، مسلم ٤ : ١٧٨٦ - ١٧٨٨ .
- سلام عليكم ، المسند (ش) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .
- صوت من السماء ، البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ ، مسلم ٣ : ١٤٢٠ - ١٤٢١ .
- الصراط ، مسلم ١ : ١٦٣ - ١٦٦ . البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- هل نرى ربنا ، البخارى ٩ : ١٥٨ - ١٦٠ .
- أول من يقضى عليه ، مسلم ٣ : ١٥١٣ - ١٥١٤ .
- شق الصدر ، الدارمى ١ : ١٦ - ١٧ .
- جبريل ، مسلم ١ : ١٤٤ .
- موسى والخضر ، البخارى ٦ - ١١٠ - ١١٢ .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

- المرأة والرضيع ، البخارى ٤ : ٢٠١ ، مسلم ٤ : ١٩٧٧ .
- هل من مزيد ، الترمذى ٤ : ٦٩١ – ٦٩٢ .
- لو قال إن شاء الله ، مسلم ٣ : ١٢٧٦
- المسلمون والغنائم ، مسلم ٣ : ١٣٦٦ – ١٣٦٧ .
- نزول عيسى عليه السلام ، مسلم ٤ : ٢٢٢١ .
- النفخ فى الصور ، مسلم ٤ : ٢٢٥٨ – ٢٢٥٩ .
- مساءلة الله للعباد ، مسلم ٤ : ٢٢٧٩ .
- المستأجر والأجراء ، البخارى ٣ : ١١٨ – ١١٩ .
- الدجال والنساء ، المسند ( شاكر ) ٦ : ١٩٠ .
- إبراهيم وآزر ، البخارى ٤ : ١٦٩ .
- ينظر المعسر ، البخارى ٤ : ٢٠٥ .
- الرجل البار ، المسند (ص) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .
- الموعد ، الترمذى ٥ : ٢٨٦ .
- الأولاد الشفعاء ، المسند (ص) ٢ : ٥١٠ .
- سفينة الحياة ، الترمذى ٤ : ٤٧٠ .
- يدور فى النار ، البخارى ٤ : ١٤٧ .
- الذى فقد راحلته ، مسلم ٤ : ٢١٠٤ .
- داود وملك الموت ، المسند (ص) ٢ : ٤١٩ .
- القبر ، الترمذى ٤ : ٦٣٩ .
- المسئولية والجزاء ، البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ ، المسند (ص) ٥ : ١٤ – ١٥
- مدينة الذهب والفضة ، البخارى ٦ : ٨٧ .
- المتصدق ، مسلم ٢ : ٧٠٩ .
- يصيب الذهب فيستغفر ، البخارى ٩ : ١٨٧ .
- جرة الذهب ، البخارى ٤ : ٢١٢ .
- إبراهيم واسماعيل ، البخارى ٤ : ١٧٣ – ١٧٥ .
- سارة والملك ، البخارى ٣ : ١٥٥ – ١٥٦ .
- أمر الساعة ، المسند ( شاكر ) ٥ : ١٨٩ – ١٩٠ .
- أدنى أهل الجنة ، البخارى ٨ : ١٤٦ .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= – الرضوان ، مسلم ٤ : ٢١٧٦ .
– شفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين ، الدارمى ٢ : ٢٣٤ – ٢٣٥ .
– اضرب له مثلا ، المسند ( شاكر ) ٤ : ١٢٩ .
– خمس كلمات ، الترمذى ٥ : ١٤٨ – ١٤٩ .
– الأمة الشاهدة ، الترمذى ٥ : ٢٠٧ .
– آدم وذريته ، الترمذى ٥ : ٢٦٧ .
– الذين آذوا موسى ، الترمذى ٥ : ٣٦١ – ٣٦٢ .
– لمن هذا القصر ؟ ، الترمذى ٥ : ٦٢٠ .
– أحياء يرزقون ، سنن أبى داود ٢ : ١٤ .
– المذنب والعابد ، أبو داود ٢ : ٥٧٣ – ٥٧٤ .
– الذين قتلوا فى سبيل الله ، ابن ماجة ١ : ٦٨ .
– كلمة عضلت بالمكين ٢ : ١٢٤٩ .
– الماشطة ، ابن ماجه ٢ : ١٣٣٧ – ١٣٣٨ .
– يأجوج ومأجوج ، ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣ – ١٣٦٦ .
– اقرأ واصعد ، سنن الدارمى ٢ : ٣٢٤ .
– كرسف والمرأة ، المسند (ص) ٥ : ١٦٣ – ١٦٤ .
– بل أصدقك ! ، المسند (ص) ٥ : ٦٧ .
– وبك أقاتل ، المسند (ص) ٤ : ٣٣٢ .
– يا حنان يا منان ، المسند (ص) ٣ : ٢٣٠ .
– المسيح الدجال ، مسلم ٤ : ٢٢٥٠ – ٢٢٥٥ .
– جيش الخسف ، أبو داود ٢ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .
– الأرض وكنوزها ، الترمذى ٤ : ٤٩٣ .
– مانع الزكاة ، المسند (ش) ١٣ : ٢٨٦ – ٢٩٠ .
– الشهوات والمكاره ، الترمذى ٤ : ٦٩٣ – ٦٩٤ .
– مناداة الله لآدم يوم القيامة ، البخارى ٦ : ١٢٢ .
– سلام عليكم ، المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ – ٧٧ .

والملاحظ فى مشكلات القصة النبوية ، أنها مشكلات حيوية بما تحويه من عنصر درامي يتجلى فى بعض المواقف ، التى تثير فى نفس البطل أو الأبطال فى القصة صراعاً ما يؤدى بالتالى إلى تصرف خاص أو تفكير معين ، ومن المواقف الدرامية التى نستطيع أن نلحظها هنا :

**١ - مواجهة الخطر :**

كما نجد فى قصة « جريج »[١] وهو يواجه غضبة الجماهير المتدفقة عليه فى صومعته ، فأنزلوه منها ، وضربوه وسبوه وهدموها ، ووجهوا له تهمة الزنا مما أثار عنده بلاشك شتى الانفعالات المتصارعة ، والمترددة بين مواجهته لفضيحة كبيرة ، وبين شعوره الحقيقى بأنها تهمة ألصقت به وأنه برىء منها تماماً ؛ مما جعله بدافع الثقة بنفسه وبراءته يتصرف بشكل ما حين طلب منهم أن يدَعوه يصلى ، وما كان منه من دعاء ربه أن ينقذه مما هو فيه ... الخ .

ومثل ذلك أيضاً الخطر الداهم الذى واجه الثلاثة الذين انسد عليهم الغار بالصخرة[٢] من الجبل ، فإذا بهم يتشاورون ويتحاورون فى هذه المشكلة الداهمة ، وينتهى بهم الأمر إلى أنه لا مخرج لهم إلا أن يتجهوا إلى الله بالدعاء بصالح أعمالهم[٣] ..

**٢ - الخوف :**

مثلما هو واضح فى قصة الذى طلب من بنيه أن يحرقوه ويطحنوه[٤] ثم إذا كان يوم شديد الريح ذروه فيه ، حتى يتفرق فى الجو ، كل ذلك خوفاً من

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠١ .

(٢) المسند (ص) ٤ : ٢٧٤ .

(٣) انظر قصة « سيد ولد آدم » ، الترمذى ٥ : ٣٠٨ « أنا لها » المسند (ش) ٤ : ١٨٧ .

(٤) البخارى ٩ : ١٧٨ - ١٧٩ .

أن يقدر الله عليه ، فيجازيه على أعماله السيئة وما أكثرها ..

وكذلك قصة « البطاقة الثقيلة »[١] حيث يواجه البطل موقفاً صعباً مخيفاً حين يصاح به على رؤوس الخلائق وتنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر .

والذى « قتل مائة نفس »[٢] نجده بدافع خوفه الذى استبد به من عدد الأرواح التى أزهقها يطوف فى البلاد بحثاً عن مخرج ، ويظل الرجل يساوره الخوف إلى آخر لحظة فى القصة ، حيث تبقيه القصة فى شتى المراحل التى مر بها ، وتبقينا معه فى حالة خوف وقلق وترقب ، وبصورة مثيرة للغاية .

**٣ - التضحية :**

وهذا الموقف واضح بشكل كبير فى قصة « أصحاب الأخدود »[٣] حين قرر الغلام أن يقدم نفسه قرباناً لله فى سبيل أن ينكشف هذا الملك الطاغية وتتهاوى دعاواه بشأن الألوهية ، أمام الجماهير ، فيقترح على الملك الطريقة التى يمكن بها أن يقتله بعد أن أخفق الملك فى محاولاته المتكررة من أجل قتله ، وينفذ الملك ما أمره الغلام به ، ويحدث ما توقع الغلام من إيمان الناس ، بعد أن اتضح لهم الحق ، واستبان الطريق .

**٤ - الانتقام :**

وهذا أيضاً واضح فى « قصة أصحاب الأخدود »[٤] ، وفى أكثر من جانب من القصة ، فهو موقف يتكرر من الملك الطاغية ، ضد المؤمنين

---

(١) ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ ، الترمذى ٥ : ٢٤ - ٢٥ .

(٢) البخارى ٤ : ٢١١ - ٢١٢ ، مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

بالدعوة الجديدة ، ابتداء من موقفه مع « جليسه » حين عذبه ثم قتله شر قتلة ثم ثنى بالراهب أيضاً ، وتشتعل فيه روح الانتقام حين دفع الغلام إلى أصحابه فى أكثر من محاولة لقتله ، وأخيراً ، يأتى الموقف المشحون بكل معانى الانتقام لدى الملك ، التى فجرتها فى كيانه مواقفه المخفقة فى صد هذا التيار المتدفق بالصحوة والإيمان ، فإذا به ينتقم من المؤمنين بخد الأخاديد فى أفواه السكك ، وإضرام النيران فيها ، وإلقاء المؤمنين فى أحضان اللهب المتصاعد ..

## ٥ - الجريمة :

ونجد هذا الموقف فى قصة « جريج »[١] حين ارتكبت « المرأة البغى » جريمتها مع الراعى ، لما أمكنت نفسها منه ، وتبدو هذه المرأة منطوية على روح الإجرام بشكل مؤكد ، إذ أنها لا تكتفى بهذه الجريمة ، حتى تضيف لها اتهام « جريج » العابد بأنه هو الذى زنا بها ، كما يتضح هذا الموقف الدرامى أيضاً فى قصة « الذى قتل مائة نفس »[٢] حين كمل بالراهب المائة ، فقتله حين قال له : ليس لك من توبة[٣] ، إلى غير ذلك من المواقف[٤] .

فهذه المواقف تؤدى حتما إلى نوع من الصراع ، وهو بلا شك ليس صراعاً ضد الأقدار ولا ضد الآلهة ، كما هو فى الأساطير الإغريقية ، ولكنه نوع من الصراع الذاتى النفسى ، الذى يبعثه الموقف فى نفس البطل ، كما نجد

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠١ .

(٢) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٣) انظر أيضاً قصة « الرجل والمرأة » المسند (ص) ٤ : ٢٧٤ ، وقصة « الكفل » الترمذى ٤ : ٦٥٧ .

(٤) كموقف ، « الطموح » فى قصة « آخر رجل يدخل الجنة » مسلم ١ : ١٧٤ ، وموقف الإدعاء والتظاهر فى قصة « الثلاثة المبتلون » البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، وموقف الطمع فى قصة « صاحب العمل والأجراء » المسند (ص) ٤ : ٢٧٤ .

فى قصة « الكفل » ومثلها قصة « المرأة والرجل » حين تواجه مشكلة الجوع الذى يهددها ويهدد أولادها الجياع ، وحين تذهب إلى رجل غنى . تطلب منه معروفاً يرفض إلا إذا قدمت له نفسها ، إنها أمام مشكلة محرجة للغاية ، إنها بين أن تفقد شرفها وتقع فى المعصية ، وبين أن تموت هى وأولادها جوعاً ، ويثور فى نفسها صراع عنيف غاية العنف تصور القصة جانباً منه فى هذا التردد الكثير على هذا الرجل وفى كل مرة تذكره بالله ، فإذا رفض عادت من حيث أتت وهكذا إلى أن يصل الأمر بها إلى أن تعرض الأمر على زوجها ، ويبدو أن الصراع قد بلغ منها مبلغاً كبيراً أرادت معه أن تتخفف بعض الشيء بإشراك زوجها فى مسئولية هذا الموقف ، والتخفف بنقل بعض انفعالاتها إلى زوجها .. الخ .

وحين تسلم نفسها فى نهاية الأمر تتفجر ذروة الصراع عند هذه المرأة العفيفة المنطوية على خوف الله وخشيته ، وإذا بالجسد الطاهر يعبر عن هذا الصراع بطريقته الخاصة حين ارتعد إحساساً منه بهول الكارثة المقبلة ، وهى حالة غريبة جعلت الرجل يتساءل : ما شأنك فتقول : أخاف الله رب العالمين ، وهنا يفجر الموقف حالة من الصراع من الجانب الآخر عند الرجل نفسه ، فإذا ضميره يصحو وإذا هو يحس بالله وخوف الله ، فيقول : خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء فتركها[١] ..

ومن قبيل الصراع الذاتى ، الذى يحدث بين البطل ونفسه ماتصور جانباً منه « قصة الكلب اللاهث من العطش »[٢] « حيث نجد البطل بعد أن خرج من البئر مروياً ظمأه ، يفاجأ بكلب عند حافة البئر فى حالة يرثى لها من العطش

---

(١) المسند ٤ : ٢٧٤ .

(٢) البخارى ٨ : ١١ .

الشديد ، فقد بلغ الأمر به إلى حد أنه يأكل الثرى من العطش ، إنه أمام كلب عطشان ، ولكن الماء ليس فى متناول اليد ، فهو يتطلب من الرجل نزولا وصعوداً ، فلابد من أجل إرواء هذا الكلب من بذل جهد ليس بالهين ، إنه أمام موقف يثير فى نفسه الشفقة والعطف ويدور فى نفسه صراع ، أيذهب إلى حال سبيله ، أم ينزل ويسقى هذا الكلب ، وحاول أن يدفع نفسه إلى سقيا هذا الكلب برغم المشقة وهو يحدثها محاولا إقناعها : « لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى » وهكذا ينتصر فى نفسه جانب الخير ، ومشاعر العطف « فينزل البئر ويملأ خفه ، ثم يمسكه بفيه ، فسقى الكلب » ويكفى من الجهد الكبير الذى بذله فى سبيل هذا الكلب أن يمسك خفه بفيه ، فضلا عما ستعانيه عضلات الفك من إجهاد .

وقد يكون الصراع مواجهة فعلية بين قوتين ، كما يتضح ذلك فى قصة « أصحاب الأخدود »[1] قوة الملك ، وقوة أهل « الدعوة الجديدة » وما حدث فى ذلك من تنكيل وإرهاب وقتل لأهل الدعوة .. ومثل ذلك ، ما حصل من صراع بين الدجال وبين المسلمين فى قصة « الدجال والمسيح »[2] وانتهت بمصرع الدجال على يد المسيح عليه السلام ، ومثل ذلك قصة « المؤمن والدجال »[3] إذ يواجه المؤمن من الدجال تنكيلا وتعذيباً ، ولكن ذلك لا يصده عن دينه ، ويظل يقاوم ويتحدى ، ويكذب الدجال أمام الناس ويحذرهم منه .

وهذا الصراع فى واقعه – وكما هو بين – صراع بين الحق والباطل ، بين قوة الإنسان وضعفه ، بين معانى الشرفيه وجوانب الخير ، بين الرذيلة

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢١٦ – ٢١٧ .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٥٦ .

والفضيلة ، بين الطهر والخطيئة .. والملاحظ أنه صراع ينتهى فى خاتمة المطاف بانتصار الخير دائماً على الشر ، وقد يبدو أن هذا لايتحقق فى قصة أصحاب الأخدود إذ انتهت بمشهد تقتيل المؤمنين حرقاً فى الأخاديد ، ولكن الواقع أنهم هم الذين انتصروا وهم يلقون بأنفسهم فى النار إيثاراً للعقيدة ، على الاستكانة لهذا الطاغية الخبار ، كم كانت العقيدة تخسر ، ولكم كانت الإنسانية نفسها تخسر ، ولو رضوا بالنجاة من هذه النار الدنيوية ، وخضعوا وذلوا لهذا الإنسان الذى يريد أن يكون لهم إلهاً من دون الله ، لقد كانوا يخسرون - لو فعلوا ذلك - كرامتهم وحريتهم ، إنهم انتصروا على حساب السماء ، وهذا وحده يكفى ، إنهم انتصروا على ضعفهم ، وعلى آلامهم ، لقد سجلوا للإنسانية موقفاً تفخر به ، وهم ينتصرون بأرواحهم على أجسادهم التى تلتهمها هذه النيران[1] .

**المناجـاة :**

من العناصر الفنية البارزة فى القصة النبوية ، عنصر المناجاة ، وهو يأتى على النحو الذى يأتى عليه فى قصص القرآن الكريم[2] ، إذ يبدو على شكل مناجاة من بطل القصة ، أو بعض أبطالها لله تبارك وتعالى ، فى صورة ابتهال أو دعاء ، وهذا العنصر يبرز على ساحة القصة حين يكون البطل فى مأزق ، ويشعر بحاجته إلى معين ومنقذ ، فهو يلجأ إلى الله بالتضرع والدعاء يطلب عونه ، والأمثلة على هذا كثيرة ، نجدها فى قصة « المستلف ألف دينار »[3] حين وجد نفسه فى موقف حرج ، لما لم يحصل على مركب يرد معه المال الذى

---

(١) انظر سيد قطب فى تفسير سورة البروج ، فى كتاب « فى ظلال القرآن » دار الشروق ، مطابع دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

(٢) انظر : خلف الله ؛ الفن القصصى فى القرآن الكريم ط ٤ ص ٣٠٦ .

(٣) البخارى ٣ : ١٢٤ .

اقترضه إلى صاحبه ، فهو يدعو الله : « **اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلاناً ألف دينار .. الخ** » وفى قصة « الغار والصخرة »[١] فأبطال القصة الثلاثة ، لم يجدوا أمامهم إلا أن يلجأوا إلى الله يدعونه ويتوسلون إليه بصالح أعمالهم ، وقد قام كل واحد منهم يناجى ربه بصالح عمله وفى كل مرة ينتهى واحد منهم من دعائه تنفرج الصخرة قليلا حتى إذا دعا الثالث وفرغ من دعائه انزاحت الصخرة كلها وخرجوا سالمين .

وفى قصة « سارة والملك »[٢] لما أُرْسلت « سارة » زوجة الخليل عليه السلام إلى الملك وقام إليها ، قامت تدعو الله وتطلب منه أن يحفظها من هذا الكافر : « **اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تسلط علىّ الكافر** » وقد دعت بهذا الدعاء عدة مرات ، وفى كل مرة يمنع منها وتصيبه حالة معينة حتى ليكاد يهلك فتدعو الله مرة أخرى بأن يرسل ، حتى لا يقال إنها قتلته ، فإذا سلم عاد ليقترب منها فتعود للدعاء ، فتصيبه الحالة مرة أخرى ، ثم تدعو له فيرسل وهكذا إلى أن قال الملك : « **والله ما أرسلتم إلىَّ إلا شيطاناً أرجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها آجر فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام ..** »

**والملاحظ فى كل ذلك أن الله تبارك وتعالى يستجيب للداعين ، ويحقق مايطلبون ، ومثل ذلك مناجاة البطل فى قصة « آخر رجل يدخل الجنة »[٣] حيث يدعو ، فيحقق الله له مطلبه ، وأحياناً لايتحقق مطلب البطل فى المناجاة ، لأسباب أخرى تتعلق بالموقف ، وبطبيعة الموضوع الذى تدور حوله المناجاة ، كما نجد فى مناجاة إبراهيم عليه السلام لربه ودعائه ،**

---

(١) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ .
(٢) البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ .
(٣) مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ .

**بخصوص أبيه يوم القيامة ، فإبراهيم يدعو ربه قائلا « .. يارب إنك وعدتنى أن لاتخزينى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد » فيقول الله تعالى « إنى حرمت الجنة على الكافرين »[1] .**

**وربما لاتكون المناجاة ، لطلب تحقيق شيء فى الحال ، كما هو فى النماذج السابقة ، وإنما يكون غرض البطل منها إظهار الضعف أمام الله وإظهار الحاجة إليه ، والاعتماد عليه وحده ، كما نجد فى مناجاة الرسول ﷺ : « فأنا أقول الآن : اللهم بك أحاول ، وبك أصول ، وبك أقاتل »[2] .**

وقد تكون المناجاة دعاء من أجل قبول فعل يمارسه البطل ، ويعمله فى الوقت الذى يدعو فيه ، كما نرى ذلك فى دعاء إبراهيم وإسماعيل ، وهما يرفعان القواعد من البيت العتيق ، فإبراهيم عليه السلام قائم يبنى ، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجر وهما يقولان : ( **ربنا تقبَّل منَّا إنك أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ** )[3] .

إن المناجاة هنا دعاء من البطل أو الأبطال إلى الله يأتى فى صورة مفعمة بالمعانى الدينية ، والعواطف الروحية المتدفقة ، مما يضفى على السياق القصصى نوعاً من الحيوية .

---

(١) البخارى ٤ : ١٦٩ قصة « إبراهيم وآزر » .

(٢) انظر : قصة « وبك أقاتل » المسند ( ص ) ٤ : ٣٣٢ .

(٣) انظر قصة « إبراهيم واسماعيل » البخارى ٤ : ١٧٣ – ١٧٥ .

# الفصل الثالث

# العناصر الفنية في القصة

- الله جل جلاله في القصة
- الرّاوي في القصة

العناصر

- الشخصيّة
- الحدث
- الحوار
- الزمان والمكان

**تمهيـــد :**

من خلال مطالعة متأنية ، ونظرة مترددة فاحصة دؤوب فى مجموعة النصوص القصصية التى حوتها مصادر البحث ، تكونت عدة ملاحظات مهمة جداً ، تجدر الإشارة إليها هنا بين يدى هذا الفصل ، فى صورة مجملة فيما يلى :

( أ ) يحتوى النص على العناصر الفنية القصصية ، من شخصية وحدث وحوار بصورة ظاهرة ، وتستخدم هذه العناصر بشكل يحقق للقصة بناء فنياً معتبراً ، كما أننا لا نعدم الشعور بعنصرى الزمان والمكان فى عرض القصة بصورة مباشرة أحياناً ، أو غير مباشرة فى أحيان أخرى ، ولكن الملاحظ أن عنصرى الزمان والمكان ليسا ( دائماً ) محل اهتمام القصة المباشر .

(ب) وهذه العناصر تتحقق فى النص فى صورة من التداخل والتشابك بحيث أن بعضها لا يمكن أن ينفصل عن بعض ، وبخاصة عنصرى الحدث والشخصية ، وذلك أن الحدث هو فعل الشخصية ، كما أن الشخصية لا تثبت وجودها إلا من خلال ما تقوم به من أحداث ، أو ما تؤديه من أقوال ، وهذا التداخل الواضح مظهر إيجابى فى بنائية القصة ، يحقق لها توازناً مستمراً فى النمو نحو صورة قصصية متكاملة نوعاً ، كما أنه يجعل بعضها ذا تأثير بين فى بعضها الآخر ، أى أن الحدث مؤثر فى الشخصية ، وأن الحوار له دوره فى بلورة الشخصية أمامنا ، وكشف الكثير من جوانبها ، كما أنه يؤدى وظيفة حيوية فى سبيل تعميق الحدث وتطويره وهكذا ، ومع ذلك فإنه من الممكن جداً عند درس هذه العناصر ، أن نفصل بعضها عن بعض ، وأن نتناول كل عنصر على حدة بالحديث عنه ، وهو الأمر الذى سأسير عليه فى دراسة هذه العناصر .

(ج) كما أن هناك تفاوتاً فى أهمية كل عنصر بحسب طبيعة كل قصة ، وما تهدف إلى تحقيقه من غرض ، فأحياناً يبرز عنصر الشخصية ، وغالبـاً

مايكون الحدث هو العنصر الواضح والأهم ، وربما كان الحوار هو العنصر المسيطر فى القصة ، وهذا ليس تقسيماً توزع عليه كل النصوص ، فهناك صورة رابعة نجد فيها أن هذه العناصر من الشخصية والحدث والحوار توزع بإحكام وتوازن وتساو ، مما يخلق مضموناً معيناً فى نهاية الأمر .

(د) والشىء المطرد دائماً فى كل قصة نبوية ، أنه لا يمكن أن يتخلف فيها عنصرا « الحدث » و« الشخصية » ، بينما قد نفقد عنصر الحوار فى بعض القصص ، لكن هذا النوع الذى ربما فقدنا فيه عنصر الحوار قليل جداً على أى حال .

( ١ )

## الله جل جلاله فى القصة

قبل أن ندخل فى صميم الحديث عن علاقة الراوى بالقصة ، وعن شخصيات القصة من حيث أنواعها ووظيفتها ، وأبعادها ، وما لها من كيان مستقل يحقق لها وجوداً خاصاً غير متأثر بفكرة القصة ، أو ما يتبناه القاص من مبادىء وقيم ، وقبل ذلك ، أجد من المناسب أن أعرض لما تحاول القصة النبوية أن تمدنا به من تصور عن « الله » جل جلاله ، أعرض لذلك فى صورة مستقلة عن أى عنوان يوحى بالتشخيص أو التجسيم ، ذلك أن دواعى التأدب مع الذات الإلهية ، وواجب التنزيه لله عن الشبيه والمثيل تقتضينا أن نفرد الحديث عن « الله » فى القصة بعيداً عن مجال الحديث عن الشخصيات فى القصة ، فالله هو الخالق لكل شىء ، وما فى القصة من شخصيات هى من مخلوقات الله ، بله من مخلوقات القاص الفنية ، ولا يليق أبداً أن يكون الحديث عن الله فى إطار

الحديث عن شخصيات القصة ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء !

والقصة النبوية قد اشتملت فى كثير من نصوصها على أفعال وأقوال صادرة عن الله تبارك وتعالى ، وهى أقوال وأفعال ذات أثر بارز فى سياق القصة ، ولها مكانها الأصيل فى البناء الروائى ، وقد أحصيت القصص التى ورد فيها فعل أو قول أو حوار صادر عن الله تبارك وتعالى ، فوجدتها تبلغ السبعة والستين ، وهذه النصوص تزودنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمعارف ومعلومات ، تعطينا تصوراً ما عن « الله » وتعرفنا ببعض صفاته ، مما يجعلنا بالتالى أكثر قرباً منه ، وشعوراً بوجوده ، وإحساساً بهيمنته الشاملة على هذه الحياة فى أُولاها وأُخراها .

وينبغى أن أشير إلى أن القصة النبوية لا تعطينا تصوراً كاملا عن الله تبارك وتعالى ، لأنها ليست كل ما جاء عن الرسول ﷺ من أحاديث ، فهناك أحاديث كثيرة ليست قصصاً ، وقد تحدثت عن العقيدة وعن الله فى ضوء التصور الإسلامى .

وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم شفت ووفت فى إعطاء الصورة الدقيقة الشاملة عن الله والكون والحياة فى التصور الإسلامى ، ولكن القصة النبوية هنا ، ألمت ببعض الصورة ، فكان من المناسب جداً أن نقف عندها ، نستجلى بعض ملامحها ، وسماتها .

ويجدر بنا قبل ذلك أن نقدم لهذا المبحث الحيوى بنبذة وجيزة عن التصور الإغريقى الذى نقلته أساطيرهم عن الآلهة ، لما فى هذه الإلمامة من خدمة للموضوع الذى نحن بصدده ، إذ أنها ستكشف عن الصورة المقابلة لهذه الصورة الإسلامية ، ولنرى فى النهاية أى الصورتين كانت أليق بحق من له الأمر فى هذا الكون ، وأى الصورتين كانت هى الأمينة فى إعطاء التصور الحق الصحيح .

ونجد فى إحدى الأساطير اليونانية فكرة عن نشأة دينهم وآلهتهم ، وهى تصور لنا أن الكون بدأ بظهور ثلاث مخلوقات : الفوضى ، والأرض ، والحب ، وبعد هذه المخلوقات ، نشأت السماء ، وجماعات من الشياطين والعمالقة ، وعن تزاوج هذه المخلوقات فيما بعد نشأت أجيال أخرى ، كان منها جيل الآلهة : « زيوس » و« هيراو هاديس » و« بوسيدون »[١] .

ونلاحظ أنها آلهة قد نشأت من مخلوقات ، ثم هى أيضاً غير متفقة على شىء معين بشأن الناس ، وبعضها يحاول أن يخدع بعضاً ، وأن يقضى عليه .

وكم هى زرية هذه الصورة التى تعبر عنها الأساطير الإغريقية القديمة عن الله أو الآلهة ، إنها صورة طافحة بكل معانى الحقد والكراهية والصراع بين الآلهة والبشر ، ولننظر كيف كانت الأسطورة الإغريقية تصور الله .. أو الآلهة ؟ وذلك على لسان كاتب مسلم[٢] قرأ فى الأساطير الإغريقية ، يقول : « .. لن نستعرض هنا الأساطير كلها ، ولا الصورة الزرية التى كانت تعرض بها الآلهة فتصورهم - على أحسن تقدير - بشراً فائقى القوة ، ولكن نفوسهم مشحونة بالنزوات الطائشة ، والانحرافات النزقة التى يتورع عنها البشر العاديون ، وإنما نستعرض أسطورة واحدة ذات دلالة ، هى بروميثيوس سارق النار المقدسة !

« فبروميثيوس » كائن أسطورى كان الإله زيوس يستخدمه فى خلق الناس من الماء والطين ، وقد أحس « بالعطف » نحو البشر ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأعطاها لهم ، فعاقبه زيوس على ذلك بأن قيده بالسلاسل فى جبال القوقاز حيث وكل به نسراً يرعى كبده طول اليوم وتتجدد الكبد فى

---

(١) انظر محمد صقر خفاجة ، تاريخ الأدب اليونانى ص ٦٣ ، نشر مكتبة النهضة المصرية - إشراف دار الثقافة العامة ( الألف كتاب - ٦١ ) مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٦ م .

(٢) محمد قطب فى كتاب « منهج الفن الإسلامى » ، دار القلم ، القاهرة د . ت .

أثناء الليل ، ليتجدد عذابه فى النهار ، ولكى ينتقم زيوس من وجود النار المقدسة بين أيدى البشر أرسل إليهم « باندورا » - أول كائن أنثى على وجه الأرض - ومعها صندوق يشتمل على كافة أنواع الشرور ليدمر الجنس البشرى !! فلما تزوجها ابيميثيوس - أخو بروميثيوس - وتقبل منها هدية « الإله ! » فتح الصندوق فانتثرت الشرور وملأت وجه الأرض !!

« تلك طبيعة العلاقة بين البشر والله ؟ النار المقدسة ، نار « المعرفة » قد استولى عليها البشر سرقة واغتصاباً من الآلهة ، ليعرفوا أسرار الكون والحياة ، ويصبحوا آلهة ! والآلهة تنتقم منهم فى وحشية وعنف ، لتنفرد وحدها بالقوة ، وتنفرد دونهم بالسلطان !(١) .

إنه تصور مقيت لحقيقة الألوهية فى خيال الإغريق ، فأى آلهة هذه التى تنظر للبشر نظرة كره وعداء ، وتحاول أن تحرمهم من الانتفاع بالنار المقدسة ، ثم هى متصفة بالعجز ، وحب الشر ، فحين تسرق منها النار لا تقدر على استردادها منهم ، ولكنها تلجأ إلى الانتقام وتحتال فى سبيل ذلك إذ ترسل للبشر بصندوق هو فى ظاهره هدية .. وفى باطنه كافة أنواع الشرور ، من أجل القضاء على النوع البشرى وإهلاكه ، وحرمانه من السعادة فى ظل المعرفة والسلام ..

ولكن لا عجب أن ينشأ مثل هذا التصور ويعشعش فى رؤوس ظلت بعيدة عن وحى الله ونور هداه !!

وحين نرجع إلى القصة النبوية ، لنستجلى بعض ملامح التصور الإسلامى من خلال نظرة شاملة لجميع المواضع فى النصوص التى ورد فيها ذكر الله تعالى أو حديث عن بعض أفعاله أو أقواله تبارك اسمه نستطيع أن نستنتج أن كل تلك

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ - ٣٢ ، وانظر أيضاً للمؤلف كتاب « قبسات من الرسول » ص ٤٦ - ٤٧ ، دار الشروق ، مطابع الشروق ، بيروت ط ٢ .

المواضع يمكن أن ترد إلى عنصر واحد ، وإلى حقيقة واحدة من حقائق الألوهية ، تلتقى عليها جميع النماذج والأمثلة لتعطى تصوراً جيداً عنها ، تلك هى حقيقة العلاقة بين الله وخلقه ، وبخاصة العلاقة بين الله والبشر .

ويمكن أن نلمح هذه العلاقة فى جوانب مختلفة :

( أ ) فمن حيث علاقته تبارك وتعالى بالكون نجد أن النصوص تشير إلى أنه سبحانه وتعالى هو الخالق للحياة والكون ، ونحن نجد نصاً على ذلك فى بعض القصص : « **لما خلق الله عز وجل الأرض ، جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ، فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ : قال : نعم ، الحديد ، قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار ، قالت : يارب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء ، قالت : يارب : هل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم ، الريح ، قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم « ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله** » [١] . وفى قصة آدم وذريته ، يقول الرسول ﷺ : « **لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط عن ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة** .. » [٢] ، وإذا كان الله تبارك وتعالى هو الخالق الموجد فهو المهيمن القادر على خلقه قدرة مطلقة ، يتصرف فيه كما يشاء ، ويفعل به ما يريد ، وتحرص القصة على أن تشعرنا ببعض مظاهر هذا التصرف ، وتوجيه قوى الكون وطاقاته حسب أوامر الله ، ففى قصة الذى طلب من بنيه أن يحرقوه ويذروه فى الرياح حتى لا يقدر عليه الله فيعيده إلى الحياة مرة أخرى ، نجد أن الله تبارك وتعالى يبعثه حياً بأمره الذى لا يرد

---

(١) المسند (ص ) ٣ : ١٢٤ .
(٢) سنن الترمذى ٥ : ٢٦٧ .

سبحانه ، تقول القصة : « **فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ففعلوا ثم أذروه فى يوم عاصف ، فقال الله عز وجل : كن . فإذا هو رجل قائم ، قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك ، أو فرق منك .. الخ** » (١) وفى رواية مسلم : « ... **فقال للأرض : أدى ما أخذت . فإذا هو قائم ..** » (٢) .

والرياح يرسلها الله إلى حيث يشاء ، ولتؤدى ما يريده سبحانه : « **ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم ، فلا يبقى على وجهٔ الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه ، حتى تقبضه ..** » (٣) والبحر يسخره الله تبارك وتعالى لمساعدة المؤمنين كما نجد فى قصة « المستلف ألف دينار » حيث أن الرجل المقترض يستودع الله المال ويضعه فى الخشبة ويرمى به فى البحر وبأمر الله تصل الخشبة إلى صاحبها ، وحين التقى الرجلان ، يقول صاحب المال للمقترض : « **فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة ، فانصرف بالألف الدينار راشداً .** » (٤) ويسخر البحر أيضاً لإهلاك أهل الشر والكفر ، كما هو واضح فى قصة « أصحاب الأخدود » حين أمر الملك أصحابه أن يذهبوا بالغلام ويتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا قذفوه فيه ، ولكن الغلام يدعو الله أن يكفيه إياهم بما شاء سبحانه « .. **فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ..** » (٥) ومثل البحر فى هذه القصة الجبال فهى خاضعة لأمر الله وإرادته ، فقد دفع الملك الغلام إلى نفر من

---

(١) البخارى ٩ : ١٧٨ — ١٧٩ .
(٢) مسلم ٤ : ٢١١٠ .
(٣) مسلم ٤ : ٢٢٥٨ — ٢٢٥٩ .
(٤) البخارى ٣ : ١٢٤ — ١٢٥ .
(٥) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ — ٢٣٠١ .

أصحابه وطلب منهم أن يصعدوا جبلا شاهقاً فإن رجع عن دينه وإلا رموه من قمته وهناك دعا الغلام ربه قائلا : « **اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ..** » (١) .

والملائكة جند الله الذين لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يوجههم بوحيه وأمره ، وفى قصة « صوت من السماء » يبعث الله ملك الجبال إلى محمد ﷺ ليأمره بما يشاء فى قومه حين لقى منهم ما لقى من العناء والصدود والأذى ، يقول الرسول ﷺ : « **... فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال ، فسلم على ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟..** » (٢) ، (٣) .

وكذلك الحيوانات والطيور ، خاضعة لأمر الله محققة لإرادته شأنها شأن غيرها من خلق الله ، فحين يخرج يأجوج ومأجوج ويحصر المسلمون ومعهم نبى الله عيسى ، كما يقول الرسول ﷺ فى قصة « المسيح الدجال » نجد أن الله تبارك وتعالى يرسل عليهم دواب تهلكهم فى رقابهم ، وطيراً تحمل جثتهم وترميها بعيداً عن المسلمين : يقول الرسول ﷺ : « **.. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى(٤) وأصحابه ، فيرسل الله عليهم**

---

(١) المصدر السابق .

(٢) البخارى ٤ : ١٣٩ – ١٤٠ .

(٣) سيأتى تفصيل أكثر عن الملائكة عند الحديث عن الملائكة فى حديثنا عن الشخصيات فى القصة النبوية .

(٤) أى يرغب إلى الله بالدعاء .

**النغف**(١) **فى رقابهم**(٢) **، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم**(٣) **ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله »** (٤) .

وكذلك المطر يرسله الله تعالى لتحقيق ما يريد ، فحين ينفخ فى الصور ويصعق الناس ، يرسل الله المطر حيث تنبت منه أجساد الناس ، جاء فى قصة « النفخ فى الصور » : « .. **ثم ينفخ فى الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى .. ويصعق الناس ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – مطراً كأنه الطل أو الظل ( نعمان الشاك ) فتنبت منه أجساد الناس ...** » (٥) .

وهكذا نجد أن القصة تصور العلاقة بين الله والكون ، علاقة بين خالق مالك متصرف ، وكون مخلوق خاضع لأمر الله وإرادته .

(ب) وعلاقة الله جل جلاله بالبشر فى القصة النبوية تبدو فى جوهرها علاقة تشف عن ود ورحمة .. وتشع بالشفقة والعطف من الله تبارك وتعالى للناس من بنى آدم ، وهى تتمثل فى إرادة الخير للناس من الله ، وقربه من المؤمنين خاصة ، وغفرانه ورحمته التى تتجاوز إلى المذنبين ، كما تبدو فى أنه – جل وعلا – وهو يحاسب الناس ويجازيهم إنما يحاسبهم بالعدل المطلق فلا يظلم أحداً مثقال حبة خردل ، وهى تبدو أيضاً فى الترفق التكريمى بالعباد من البشر ، وهو يخاطبهم ويحاورهم فى حنان ودود ، ولنأخذ فى تفصيل ذلك بالأمثلة ، فمما نلاحظه فى القصة أنها تصور إرادة الله الخير للناس ، ولعل خير

---

(١) نوع من الدود .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٥٠ – ٢٢٥٥ .

(٣) رائحتهم المنتنة .

(٤) وجاء فى سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٦٣ – ١٣٦٦ : « فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله دواب كنغف الجراد ، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد » .

(٥) مسلم ٤ : ٢٢٥٨ – ٢٢٥٩ .

ما يمثل ذلك ، شدة فرح الله بتوبة العبد ، حين يرجع إلى الله تائباً منيباً مقلعاً عما هو عليه من ذنب أو معصية ، وهذا فوق أنه فتح باب التوبة للمنيبين إليه ، وفتح باب التوبة فى حد ذاته دليل على أن الله مريد للناس الخير محب لأن يمتد عليهم ظلاله ، ولكن هذه الإرادة تبدو فى صورة أعمق حين يصل الأمر إلى الفرح بتوبة الإنسان ، يقول الرسول ﷺ مصوراً ذلك : « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح** » .

ومما يدل على إرادة الله الخير للإنسان ، أنه يتفضل – تبارك وتعالى – حين يحب إنساناً لفضيلة عنده ، يتفضل بإعلامه بهذا الحب ، ليسعد هذا الإنسان بهذا الحب ويأنس به من ناحية وليكون دافعاً له أن يظل مستمسكاً بهذه الفضيلة التى من أجلها استحق حب الله ، وليكون لغيره قدوة وأسوة مما يكون سبباً لكثرة الأخيار والفضلاء ، وهذا ما توحى به هذه القصة : « **خرج رجل يزور أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله عز وجل على مدرجته ملكاً فلما مر به قال : أين تريد ؟**

**قال : أريد فلاناً .**

**فقال : للقرابة ؟**

**قال : لا .**

**قال : فلنعمة تربها ؟**

**قال : لا .**

**قال : فلم تأتيه ؟**

**قال : إنى أحبه فى الله عز وجل .**

**قال : فإنى رسول الله إليك أن الله عز وجل يحبك بحبك إياه فيه »** [(١)] .

ولما وجد الشهداء من المنزلة والتكريم عند الله ، تمنوا لو يعلم إخوانهم من المسلمين ما هم فيه من عظيم المنزلة حتى لا يزهدوا فى الجهاد ، وحتى تكتب لهم الشهادة فيحصلوا على هذا النعيم المقيم ، وهنا تتجلى إرادة الله لخير الناس ، وما فيه مصلحتهم ونفعهم فيتكرم – سبحانه – بأن يبلغ الناس فى الدنيا ما للشهداء من المنزلة العظيمة حتى يرغبوا فيها ويجدوا فى طلبها ، يقول الرسول ﷺ فى قصة « أحياء يرزقون » : « **لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا ، أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : « أنا أبلغهم عنكم » قال : وأنزل الله : ( ولَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عند رَبِّهم يُرْزَقُونَ )** [ آل عمران : ١٦٩ ][(٢)] .

والله قريب من خلقه فى الدنيا بلطفه وعنايته وتأييده ونصره فهو يستجيب لدعائهم ويسخر لهم ما فى بره وبحره كما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود »[(٣)] حين استجاب الله لدعاء الغلام فأنقذه مما أراد به أتباع الملك من إغراقه مرة فى البحر ، ومن رميه مرة من قمة الجبل الشاهق ، وكما هو واضح من نداء جبريل للرسول ﷺ حين انطلق مهموماً ولم يستفق إلا بقرن الثعالب على نداء جبريل بأن الله قد بعث إليه ملك الجبال ليأمره بما شاء فى قصة

---

(١) المسند ( صادر ) ٢ : ٥٠٨ .

(٢) سنن أبى داود ٢ : ١٤ .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

« صوت من السماء »(١) ومثل ذلك « مساعدة الرجل المؤمن المقترض فى إيصال المال إلى صاحبه الذى اقترض منه عن طريق البحر بأمر الله وقدرته »(٢) ولعل أوضح ما يمثل قربه من عباده المؤمنين قصة « الله يعصمك » يقول الرسول ﷺ : « **إن رجلا أتانى وأنا نائم فأخذ السيف . فاستيقظت وهو قائم على رأسى ، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً فى يده ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قال : قلت : الله ! ثم قال فى الثانية : من يمنعك منى ؟ قال : قلت : الله ! قال : فشام السيف !** » (٣) .

ذلك فى الدنيا أما فى الآخرة ، فهناك القرب العظيم حيث ينعم المؤمنون بربهم والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ، حيث لا أحسن من نعمة النظر إلى الله ، ونكتفى هنا بقصة تصور ذلك ، هى قصة « سوق الجنة » يقول الرسول ﷺ : « **إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنى على كثبان المسك والكافور ، وما يرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة قلت يا رسول الله ، وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، قال : هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا . قال : كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم كذا وكذا ؟ فيذكر ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : يارب ، أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فسعة مغفرتى بلغت بك منزلتك هذه ، فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، ويقول ربنا تبارك وتعالى :**

---

(١) البخارى ٤ : ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) البخارى ٣ : ١٢٤ — ١٢٥ .

(٣) مسلم ٤ : ١٧٨٦ — ١٧٨٧ .

**قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى ، فيروعه ما عليه من اللباس ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه ، وذلك لأنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلا ، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا »** (١) .

والرحمة والغفران من أبرز الصفات الإلهية التى تنطق بهما معظم نصوص القصص النبوية التى تفيض بشتى المشاهد والمواقف المعبرة عن غفران الله للكثير من عباده مهما كانت ذنوبهم .. ورحمته تبارك وتعالى بهم ، وفى قصة « الذى يذنب ويستغفر »(٢) الشاهد الحى على صفة المغفرة ، حيث يصيب الذنب فيستغفر فيغفر الله ، وفى المرة الثالثة قال : « .. **رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لى فقال : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثاً فليعمل ما شاء »** (٢) وفى قصة « الملائكة الطوافون » يشهد الله تبارك وتعالى ملائكته بأنه قد غفر لأولئك الذاكرين ، جاء فى القصة « .. **فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » (٣) وفى قصة الكفل الذى راود المرأة عن نفسها مستغلا حاجتها إلى

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ .

(٢) البخارى ٩ : ١٧٨ .

(٣) البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

المال ، يستيقظ ضمير الكفل من موقف المرأة المضطرب وبكائها من خشية الله فيتوب ويدع المرأة دون أن يمسها ويقسم ألا يعصى الله أبداً ، فيموت من ليلته ، وفى الصباح يكتب على بابه : « **إن الله قد غفر للكفل** » [١] ، والمرأة الموسة فى قصة أخرى يغفر الله لها بسبب كلب وجدته على رأس ركيٍّ يلهث فسقته ، فيغفر لها بذلك [٢] .

أما رحمة الله فقد وسعت كل شىء ، وهذا رجل فيما سلف تخيفه ذنوبه إلى درجة رهيبة جعلته حين حضرته الوفاة يأخذ العهود والمواثيق على أبنائه بأن يحرقوه بعد موته ويسحقوه ، ثم يذروه فى يوم ريح عاصف ، كل ذلك خوفاً من عذاب الله ، وفعلوا به ذلك حين مات « **فقال الله عز وجل : كن ، فإذا هو رجل قائم ، قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك ؟ أو فرق منك . قال : فما تلافاه أن رحمه عندها** » [٣] فهذا الرجل الذى أسرف على نفسه حياً وميتاً أدركته رحمة الحنان المنان ، ويجب ألا نمر بهذه القصة دون أن نتوقف طويلا عند قول الله تبارك وتعالى : أى عبدى ، فإضافة العبد إلى الله ، ومخاطبته بهذا التركيب الإضافى المشع بالحنان والتلطف إنما هو لون من رحمة الله وبخاصة وهذا رجل فى حالة نفسية صعبة تجعله يرتاح ولو قليلا فى هذا الجو الرؤوف الذى تشيعه هذه اللفظة الحانية « أى عبدى » .

ولعل جميع قصص الشفاعة وأحاديثها إنما هى مظهر من مظاهر رحمة الله الذى يقبل شفاعة الشافعين من رسل وأنبياء ومؤمنين وغيرهم فيخفف من وطأة الحشر العظيم ، وقبول الشفاعة فى إخراج بعض أهل النار مما هم فيه من عذاب أليم ، ولنعرض لبعض الأمثلة على ذلك ، ففى قصة « شفاعة الرسل » يقول الله للرسل حين شفعوا : « **انطلقوا أو اذهبوا فمن عرفتم فأخرجوه** ،

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ — ٦٥٨ .

(٢) المسند (ص) ٢ : ٥١٠ .

(٣) البخارى ٩ : ١٧٨ — ١٧٩ .

**فيخرجونهم قد امتحشوا فيلقونهم فى نهر أو على نهر يقال له الحياة ، قال : فتسقط محاشهم على حافة النهر ويخرجون بيضاً مثل الثعارير[١] ، ثم يشفعون ، فيقول : اذهبوا أو انطلقوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجوه ، ثم يقول الله عز وجل : أنا الآن أخرج بعلمى ورحمتى ، قال : فيخرج أضعاف ما أخرجوا وأضعافه ، فيكتب فى رقابهم عتقاء الله عز وجل ، ثم يدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميون »** [٢] فرحمة الله تتجاوز أولئك الذين أخرجهم الشفعاء إلى أضعاف مضاعفة من أهل النار ، يخرجهم تبارك وتعالى بفضله وكرمه ورحمته الواسعة[٣] .

وفى محاسبة الله خلقه بالعدل المطلق سنكتفى بمثالين يعرضان مشهدين من مشاهد الحساب يوم القيامة ، وهما يصوران لنا الطريقة التى يتم بها الحساب ، وهى طريق تكفل للمناقش حق الدفاع عن نفسه ، والأخذ عنها ، ويتكرم المولى بسماع أقواله ودفاعه ، فهو لا يظلم مثقال ذرة وفى قصة « مساءلة الله العباد » يستقر الله العباد بذنوبهم فإن أقروا وإلا أقيمت عليهم الحجة بالدليل والشاهد ، جاء فى القصّة: « .. **فيلقى العبد فيقول أى فل ؟ ألم أكرمك ، وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى ، قال فيقول : أفظننت أنك ملاقىّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإنى أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقى الثانى ، فيقول : أى فل ؟ ألم أكرمك وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ! فيقول : بلى ، أى ربى ! فيقول : أفظننت أنك ملاق ؟ فيقول : لا . فيقول : فإنى أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل**

---

(١) نوع من النبات .

(٢) المسند ( ص ) ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣) وانظر : قصة شفاعة المؤمنين لإخوانهم المسند ( ص ) ٣ : ١٦ - ١٧ .

**ذلك ، فيقول : يارب ! آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع . فيقول : ههنا إذاً ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه »** (١) . إنه العدل الرباني الذي أسمع هذا الرجل نطق أعضائه بشهادتها عليه حتى يعذر من نفسه .

وإذا كان هذا موقف رجل يدعى لنفسه ما ليس لها من الفضل ويثني عليها بما لا تستحقه من ثناء ، حتى لتشهد عليه أعضاؤه بحقيقة عمله ، فإن هناك موقفاً آخر لرجل آخر يقابل هذا الموقف في قصة « البطاقة الثقيلة » حيث يؤتى هذا الرجل بتسعةٍ وتسعين سجلاً كل سجل مدّ البصر ، وكلها تدينه ، وهو يقربها وحين يسأل في هذا الموقف العصيب ! ألك عن ذلك حسنة ؟ فيهاب من هول الموقف ، فيقول : لا ! ولكن العدل الإلهي لا يغمطه حقه ، فإن له حسنة قد غفل عنها ، وإذا كان هو قد نسيها فإن الله العادل لا ينسى ولا يظلم ، ومن الأفضل هنا أن نترك القصة تحدثنا عن هذا الفصل المثير :

**« ... ثم يقول : ألك عن ذلك حسنة ؟ فيهاب الرجل ، فيقول : لا ! فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله قال : فيقول : يارب ؟ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ! فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات**

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٧٩ .

**وثقلت البطاقة** » [١] إنه ميزان عادل دقيق ولا يظلم ربك أحداً ، وكل سيجد ما قدم فى رحاب العدل المطلق أمام محكمة العدل الإلهية .

**يخاطب الله العباد ويحاورهم** : وهذا مظهر للترفق بالعباد ، وإسباغ الفضل عليهم من خالقهم العظيم الذى يتنزل ، فيجود عليهم بأن يحادثهم ويحاورهم ، والنماذج الدالة على ذلك كثيرة ، وقد مر فى هذا الصدد قصص كثيرة تحمل فى ثناياها حواراً بين الله وكثير من خلقه ، من ذلك مانجده فى قصة « الذى طلب إحراقه » حين يسأل الله هذا الرجل عن سبب ما فعل بنفسه .. وفى قصة « مساءلة الله للعباد » تبدو فى مناقشة الله للناس عن أعمالهم ، وفى قصة « البطاقة » ومحاورة صاحبها عن حسناته . وهناك غير هذا قصة محاورة موسى عليه السلام مع ربه عن المؤمن والكافر فى الدنيا والآخرة[٢] .. وكذلك قصة « الذى طلب أن يزرع فى الجنة »[٣] حين استأذن ربه فى أن يزرع فقال الله له : « **أو لست فيما شئت ، قال : بلى ولكنى أحب أن أزرع ... الخ** » [٣] إلى غير ذلك من الأمثلة ..

(ج) أما علاقته جل شأنه بالمخلوقات غير البشرية ، فتتمثل فى إشعار البشر بقيمة هذه الكائنات الحية ، وضرورة احترامها والرفق بها .. كما تتمثل فى مكافأة الله لمن يقدم لها أى عون أو مساعدة مهما كانت .. ومعاقبة من أساء إليها أو آذاها ..

فقد غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على ركى يلهث قد كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها ، فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك[٤] ..

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ .

(٢) المسند ( ص ) ٣ : ٨١ .

(٣) البخارى ٩ : ١٨٥ .

(٤) المسند ( ص ) ٢ : ٥١٠ .

وفى قصة أخرى نجد أنه : « **بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر** »[1] .

وقد عاتب الله نبياً من الأنبياء فى شأن نملة لدغته فأمر بإحراق قريتها ، « **فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة !** » وفى رواية « ... **فأوحى الله إليه أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبّح !** »[2] إنها حشرة من الحشرات صغيرة ، ولكنها خلق محترم ، وذات كيان له شأن عند الله ، ولا غرو فهى أمة تسبح ، وحرى بمثلها أن يكون له شأن ، وأن يعاتب فى شأنها نبى من أنبياء الله .

وبعد .. فتلك صورة عن الله ، قدمتها لنا القصة النبوية ، وهى بالتأكيد ليست الصورة الكاملة عن الله تبارك وتعالى ، ولكنها مع ذلك صورة ذات أبعاد مهمة فى تجلية حقيقة العلاقة بين الله من جهة والكون والحياة والإنسان من جهة أخرى ، وهى حقيقة بالغة الخطورة عن الألوهية فى التصور الإسلامى .

---

(١) البخارى ٨ : ١١ .

(٢) سنن أبى داود ٢ : ٦٥٦ .

## ( ٢ )
## الراوى فى القصة

من المناسب قبل أن ندخل فى الحديث عن عناصر القصة النبوية ، أن نلمح العلاقة بين الراوى والعمل القصصى ، فهناك تقارب لاينكر بين الراوى وعمله ، تنشأ منه علاقات مختلفة ، منها مايكون بين الراوى والمتلقى للقصة ، كما أن هناك علاقة بينه وبين أحداث القصة وشخصياتها ، وهناك علاقة بينه وبين مجتمعه ، سواء كان ذلك المجتمع فى داخل القصة ( بما فيها من ناس ) ، وباعتباره قد يكون أحد هذه الشخصيات ، أو كان المجتمع الخارجى الذى توجه إليه القصة .

وتبدو علاقة الراوى فى القصة النبوية بالمتلقى فى :

١ – من خلال العناصر الخطابية البارزة فى أنماط العرض القصصى ، والتى تُشعر بحضور المتلقى فى اعتبار الراوى ، كما أنها ناشئة أيضاً من طريقة الإلقاء الشفاهى فى القصة ، والرّواية المباشرة ، وقد مضى تفصيل الكلام عن هذه المظاهر الخطابية مع عرض كثير من الأمثلة فى فصل نسيج القصة .

٢ – كما تبدو هذه العلاقة أيضاً فى المقدمات التمهيدية باختلاف أنواعها وقد بينتها أيضاً فى الفصل الأول عند الحديث عن البداية .

٣ – كما نجد هذه العلاقة واضحة أيضاً بشكل جيد فى تعليقات الراوى المتكررة على الأحداث أثناء العرض ، أو ما يشبهها من تعقيبات تفصيلية ، والأمثلة على هذا كثيرة نجدها فى قصة : « خمس كلمات » وقصة

« الصراط » وقصة « المؤمن والدجال » وقصة « سفينة الحياة » إلى غير ذلك[١] .

أما علاقة الراوى بأحداث العمل القصصى وشخصياته ، فتأتى من أنه قد يكون أحد هذه الشخصيات المشاركة فى صنع أحداثها ، فيكون الراوى متحدثاً عن نفسه فى القصة وكأنما هو يكتب مذكرات ، ويقص بعض تجاربه التى مرت به ، كما نجد مثل ذلك فى القصص الواقعة للرسول ﷺ[٢] ، كما تأتى هذه العلاقة فى غير التجارب الذاتية ، من أن الراوى هو الموجه لطبيعة سير الحدث فى القصة ، والتصرف فى حركتها ، حيث أنه يستطيع أن يوجهها حسبما يريد ، باعتبارها مادة طيعة فى يده ، يصنع منها ما يشاء .

ونستطيع من خلال هذه القصص أن نحدد شخصية الراوى وعلاقتها بمجتمعها ، سواء كان ذلك المجتمع داخل القصة أو خارجها ، ففى داخل القصة نجد أن الرسول ﷺ كان متعاطفاً مع شخصيات القصة الأخرى ، متعاوناً معها ، كما نجد فى قصة « أمتى يارب » حيث يلجأ إليه الناس بعد أن اشتد عليهم الكرب ، طالبين منه أن يشفع لهم ، فيبادر بالانطلاق ، فيأتى تحت العرش ، فيقع ساجداً لله عز وجل .. إلخ[٣] ، كما نستطيع أن نلمح هذا التعاطف فى طريقة عرضه للأحداث ، بحيث تنتهى نهايات سارة ومفرحة تكون فى صالح البطل أو الشخصية[٤] .

كما نجد أيضاً فى سلوك الرسول ﷺ ومواقفه فى القصة صورة من حياته ﷺ كما فى قصة المعراج حين حاول ﷺ أن يخفف عن أمته ، كلما أشار عليه

---

(١) انظر أيضاً قصة « فاقد الراحلة » وقصة « المساءلة » ، انظر دليل القصة .

(٢) انظر دليل القصة .

(٣) البخارى ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٤) انظر النهاية والتفاؤل فى الفصل الأول .

موسى – عليه السلام – إلى أن انتهى الأمر إلى خمس صلوات ، فأشار عليه موسى بأن يراجع ربه أيضاً ، وهنا اعتذر وقال : سألت ربى حتى استحييت !(١) .

ونلمس فى تلك المراجعة لله تبارك وتعالى ، من أجل التخفيف ، صورة من التعاطف مع المجتمع الخارجى عن القصة ، وهو التعاطف مع الأمة ، ونجد صورة أخرى لتعاطف الرسول ﷺ مع مجتمعه فى القصة ، مع شخصياتها ، وفى خارج القصة أيضاً ، مع الناس فى قصة « صوت من السماء » حيث لم يحاول الرسول ﷺ أن ينتقم ممن آذاه ، مع أن ملك الجبال قد فوض من الله بأن يفعل ما يأمره به الرسول ﷺ فى هؤلاء القوم الذين آذوا رسول الله ﷺ ، فقد قال ملك الجبال : « **يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟! فقال النبى ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً** » إنها صورة رائعة مشرقة للتسامح والحب ، والحرص المؤكد على هداية الناس وإسعادهم .

كما أن المتلقى أيضاً يستريح لمثل هذه النهايات السارة والمواقف الإنسانية ، ويسعد بها ، وتشيع فى نفسه جواً من الرضى والطمأنينة ، تجعله أكثر ارتباطاً بالقصة ، وتعاطفاً مع راويها ، ومن هنا يكوّن العمل القصصى صلة قوية تربط بين المتحدث والمتحدث إليه ، باعتبار أن هذا العمل هو المادة الموجهة من الأول إلى الآخر .

( ٣ )

يمكن أن ننظر إلى الشخصية فى القصة النبوية حين تريد أن نعرف أنواعها ،فى اتجاهين مختلفين : من حيث طبيعة ذاتها وطبيعة تكوينها .

---

(١) انظر قصة « المعراج » البخارى ٥ : ٦٦ – ٦٩ .

١ – التعرف على أنواعها من حيث ذاتها وطبيعتها بشرية أو غير بشرية .

٢ – التعرف على أنواعها من حيث وصفها بالنمو أو التسطيح .

فمن حيث ذات الشخصية نجد أن هناك أنواعاً كثيرة من الشخصيات حفلت بها القصص النبوية ، فهناك شخصيات بشرية من أنبياء ورجال ونساء وجماهير ، وهناك شخصيات غير بشرية كالملائكة المكرمين ، والحيوانات والطيور والجمادات وغير ذلك .

ولنأخذ فى تفصيل الحديث عن هذه الأنواع :

**١ – من حيث ذات الشخصية :**

**( أ ) الشخصيات البشرية :**

**١ – الأنبياء :**

من أبرز شخوص القصة النبوية شخصيات الرسل والأنبياء ، وقد حظيت هذه الشخصيات من الرسول ﷺ فى قصصه باهتمام كبير ، يشهد لذلك كثرة النصوص القصصية التى كانت شخصياتها ، أو معظمها ، أو بعضها شخصيات أنبياء ، ويكفى أن نعرف أنه قد بلغ عدد القصص التى تعرضت للأنبياء خمسين قصة ، وجاءت شخصياتهم فيها فى أربعة وثمانين موضعاً ، ويكفى أن نعرف ذلك لنحس بمدى الانتشار لهذه الشخصيات الكريمة فى القصص النبوى ..

والغالب فى شخصيات الأنبياء أنها تذكر محددة بأسمائها ، كمحمد ﷺ ، وعيسى ، وإبراهيم ، وموسى ، وسليمان ، وآدم ، وداود ، ونوح ، ويحيى ، وإسماعيل ، ويوسف ، وهارون ، وإدريس عليهم جميعاً الصلاة

والسلام وقد رتبتهم هنا حسب أغلبية ورودهم فى القصص[1] .

ولا شك أن ذكر الشخصية محددة باسمها يعطيها نوعاً من الواقعية فى اعتبار السامع ، مما يجعله أكثر قرباً منها وارتباطاً بها ، وأكثر إحساساً بها من حيث إنها شخصية حقيقية كان لها وجود فى الواقع ، وهذا معنى يحرص الرسول ﷺ على تأكيده فى نفوس الصحابة والمسلمين بعامة ، لما له من أثر فى ترسيخ ظاهرة النبوة ، واستمرارها عبر كثير من الأنبياء إلى أن انتهت إلى محمد ﷺ .

كما أن ذكر الأنبياء محددين بأسمائهم أدعى إلى الاقتداء بما يصدر عنهم من مواقف ، باعتبار أن إسناد الموقف إلى شخصية نبوية معروفة ، يعطى أهمية للموقف نفسه ، أو الرأى الذى تتبناه الشخصية ، مما يجعل السامع أو القارىء أكثر تقبلا وإقبالا على ما يصدر منها من آراء وما تلتزمه من مواقف .. كما يجعله أيضاً أكثر إيماناً بها .. واستعداداً للإقرار بما نجم عنها من سلوك أو قول ، فثمة هدف وراء ذكر أسماء الأنبياء هو تعريفنا بهم ، وبما يصدر عنهم من مواقف وآراء ، وتزويدنا بالمعلومات عن هذه الشخصيات الكريمة ، التى كانت نخبة الأجيال البشرية وصفوتها ، وقادتها إلى الحق والنور والحضارة إنها تهدف إلى خلق وعى ثقافى بهذه النماذج الرفيعة التى كانت تتلقى الوحى من الله ، لربط المسلمين بالسلسلة الذهبية التى تَعاقب الوحى عن طريقها على مر الزمان ، حيث أن العقيدة الإسلامية تشير إلى وحدانية الدين منذ خلق الله الأرض ومن عليها وإلى أبد الآبدين ، إذ يقول جل شأنه فى محكم آياته : ( **شرَعَ لكم من الدِّينِ ما وَصَّى به نُوحاً والذى أوْحينا إليكَ وما وصَّينا به إبراهيم وموسى**

---

(١) بلغ عدد ورود كل منهم حسب الترتيب المذكور كالآتى : ( ٢١ ) ، ( ١٢ ) ، ( ١٠ ) ، ( ٩ ) ، ( ٥ ) ،( ٥ ) ، ( ٤ ) ، ( ٣ ) ، ( ٢ ) ، ( ١ ) ، ( ١ ) ، ( ١ ) ، ( ١ ) .

**وعيسى أن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقوا فِيه** ) [١] وفى أحيان قليلة يُذكر الأنبياء من غير تعيين بالاسم ، حيث ترد الشخصية فى القصة بلفظ « نبى » كما فى قصة « قرية النمل » : « **أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء** » [٢] . وفى رواية : « **نزل نبى تحت ظل شجرة فلدغته نملة** ... » [٣] وجاء فى قصة « المسلمون والغنائم » « **أنه غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة .. الخ** » [٤] وأحياناً يرد بلفظ « النبى » كما فى قصة « الأمة الشاهدة » من أنه يجىء النبى يوم القيامة معه الرجل ، والنبى معه الرجلان[٥] وربما ذكر بلفظ « الأنبياء » بصيغة الجمع كما فى قصة « شفاعة المؤمنين » حيث يوضع الصراط بين ظهرى جهنم والأنبياء بناحيتيه ، قولهم « **اللهم سلم سلم ، اللهم سلم سلم .. الخ** » [٦] .. أو بلفظ « الرسل » كما فى قصة « شفاعة الرسل » : « **إذا ميز أهل الجنة وأهل النار ، فدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قامت الرسل فشفعوا** ... » [٧] .

والملاحظ هنا فى علم ذكر الاسم إما لأن العناية أصلا مقصود بها الحدث أو الموقف نفسه كما فى قصتى « قرية النمل » ، « والمسلمون والغنائم » ، وإما لأن الموقف نفسه عام ليس خاصاً بنبى بعينه ، وإنما هو صادر من مجموع الأنبياء والرسل ولهذا جاءت صيغة الجمع كما فى الأمثلة السالفة .

---

(١) الشورى : ١٣ .

(٢) سنن النسائى ٧ : ١٨٦ .

(٣) سنن أبى داود ٢ : ٦٥٦ .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٣٦٦ - ١٣٦٧ .

(٥) المسند ( ص ) ٣ : ٥٨ ، وانظر قصة « سبعون ألفاً يدخلون الجنة » المسند ٥ : ٣٠٧ - ٣٠٨ شاكر .

(٦) المسند ( ص ) ٣ : ١٦ - ١٧ ، وانظر قصة « هل نرى ربنا » البخارى ٩ : ١٥٨ - ١٦٠ .

(٧) المسند ( ص ) ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

والقصة النبوية تعرض الأنبياء فى مواقف تحمل العبرة والدرس ، حتى يستفيد المسلمون منها فى واقع حياتهم ، فليست هذه المواقف سوى دروس تعليمية وتربوية ، يعرضها الرسول ﷺ ، لتساعد فى صياغة الشخصية المسلمة وتكوين بنائها فى ضوء هذه المثل النبوية ..

ففى قصة « داود وملك الموت » تصور لنا القصة غيرة داود عليه السلام الشديدة ، بحيث إنه إذا خرج أغلق على أهله الأبواب حتى لا يدخل عليهم أحد ، وفى هذا اهتمام بشأن المحارم وصيانة الأعراض ، والحرص الشديد على المحافظة عليها ، كما تعطينا القصة موقفاً آخر لداود عليه السلام فى ارتياحه للاستجابة لأمر الله حتى ولو كان ذلك الأمر هو قبض روحه حيث قال لملك الموت حين أتاه : « **أنت والله ملك الموت فمرحباً بأمر الله** ... » [١] .

وفى السياسة والحكم يعرض لنا الرسول ﷺ حكومة سليمان عليه السلام الناجحة الفطنة بين المرأتين المتخاصمتين فى الطفل[٢] ، حيث استعمل ذكاءه فى قضية غاب دليلها والتبس الحق فيها بالباطل ، وبتصرفه السديد النابع من رأى ثاقب استطاع أن يتبين وجه الحق فى هذه الخصومة ..

ومن أجل تحذير المسلمين من معصية الرسول ، يبين لهم جزاء الكافر به وبما جاء به من عند الله ، وأن هذا الجزاء هو الحرمان من الجنة ، ومهما كان المنكر المكابر قريباً من الرسول فإنه لا يغنى عنه من الله شيئاً ، والرسول ﷺ يعرض ذلك فى مشهد مثير بين النبى إبراهيم عليه السلام ، وبين أبيه آزر يوم القيامة ، وهو موقف أكثر دلالة وأعمق أثراً من مئات التوجيهات والتحذيرات الوعظية المباشرة ، يقول الرسول ﷺ : « **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة**

---

(١) المصدر السابق ( ص ) ٢ : ٤١٩ .

(٢) البخارى ٤ : ١٩٨ .

**وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ، فيقول الله تعالى : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ! ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار »** [١] وهناك الكثير من المواقف فى هذا الصدد ولا داعى للتكثر فى تفصيلها ، وتكفى الإشارة إلى بعضها ، كموقف الرسول ﷺ من قومه وما لاقاه منهم من صدود وعناء ، وصفحه عنهم برغم ذلك [٢] ، والموقف الذى عاتب الله فيه موسى حين ادعى العلم [٣] ، وموقف عيسى عليه السلام من الرجل الذى رآه يسرق ، وحين أقسم له بأنه لم يسرق صدقه احتراماً للقسم [٤] ، وقصة سليمان عليه السلام مع نسائه حين لم يستثن [٥] .. إلى غير ذلك .

كما تتعرض القصة للأنبياء فى بعض مواقفهم الإنسانية ، التى يظهرون فيها أناساً من البشر ، فى عواطفهم وانفعالاتهم ، وطبائعهم ، كما مر من غيرة داود عليه السلام ، وعاطفة إبراهيم عليه السلام تجاه أبيه يوم القيامة ، وعاطفة الأبوة والبنوة بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى « قصة إبراهيم وإسماعيل » حين التقيا لأول مرة وتصور القصة ذلك اللقاء بإيجاز موح معبر « **... ثم جاء ( إبراهيم ) بعد ذلك ، وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد »** [٦] .

---

(١) المصدر السابق ٤ : ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق ٤ : ١٣٩ – ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

(٤) سنن النسائى ٨ : ٢١٨ – ٢١٩ .

(٥) مسلم ٣ : ١٢٧٦ .

(٦) البخارى ٤ : ١٧٣ – ١٧٥ .

وكما نجد فى قصة « الذين آذوا موسى » تصويراً حياً لطبيعة الحياء والستر التى جبل موسى عليه السلام عليها وأنه « **كان رجلا حيّياً ستّيراً ما يرى من جلده شيء ، استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقال : ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده ، إما برص وإما آفة ، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا ، وأن موسى عليه السلام ، خلا يوماً وحده فوضع ثيابه على حجر ، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن الناس خلقاً ، وأبرأه مما كانوا يقولون ، قال : وقام الحجر ، فأخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر عصاه ثلاثاً ، أو أربعاً ، فذلك قول الله تعالى : ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لا تكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فبرَّأه الله مما قالوا وكانَ عندَ الله وَجِيهاً )** »[١]

وفى هذه القصة جانب من شخصية موسى عليه السلام من حدة الطبع وسرعة الغضب والانفعال يظهر لنا من فعله بالحجر ، كما نشهد صورة أخرى لهذا الجانب من شخصيته – عليه السلام – فى قصة « موسى والخضر » تتمثل فى موقفه من الخضر عليه السلام ، إذ نرى موسى – عليه السلام – متعجلا سريع الغضب لا يطيق صبراً على ما يرى من أفعال مثيرة يقوم بها الخضر طوال الرحلة[٢] .

وتبقى كلمة تقال هنا فى نهاية الكلام عن الأنبياء عليهم السلام ، وهو أن القصة تعبر عن أنهم خلق مكرمون ، ولهم قيمتهم الكبيرة عند الله تبارك

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٣٦١ – ٣٦٢ ، وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، وفيه عن أنس عن النبى ﷺ » والآية من سورة الأحزاب : ٦٩ .

(٢) البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

وتعالى ، ولا أدل على ذلك من أن الناس يتوجهون إليهم يوم الحشر العظيم يطلبون منهم أن يشفعوا عند الله من أجل إنهاء الموقف العصيب .. كما تدل على ذلك نصوص قصص الشفاعة[١] ..

وفى موقف آخر حيث يضرب الصراط ، ويبدأ الناس فى مجاوزته ، وحينئذ يسكت الخلق جميعاً فلا يتكلمون إلا الرسل صلوات الله عليهم ، وكلامهم يومئذ : اللهم سلم سلم[٢] ..

**٢ - والنوع الثانى فى شخصيات القصة رجال ونساء عاديون :**

إذا كان المنحى فى شخصيات الأنبياء هو ذكرها فى الغالب معينة بأسمائها ، فإنه هنا يختلف ، فالشخصية فى الكثير الغالب لا تسمى ، وإنما تذكر بوصفها بلفظ « رجل » أو « امرأة » ، أو ما يرادفهما ، بينما نجد الشخصيات المعينة بأسمائها أو كنيتها منحصرة فى عدد قليل لا يتجاوز الاثنى عشر شخصية بين رجل وامرأة ، فمن الرجال سمى تسعة ، هم : الخضر ، وبلال ، والكفل ، وجريج ، ويوشع ابن نون ، وأبو جابر بن عبد الله ، وآزر ، وابن عبد ياليل بن عبد كلال ، ومن النساء ثلاث هن : سارة زوجة الخليل عليه السلام ، وهاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وخديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وهى شخصيات تاريخية فى معظمها .. وفى مقابل هذه الشخصيات المعينة نجد مائة واثنتين وخمسين شخصية غير مسماة ، منها مائة وواحد وعشرون شخصية رجالية ، ورد منها بلفظ « رجل » خمسة وستون

---

(١) أ - « شفاعة الرسل » المسند ( ص ) ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .
ب - « أنا لها » المسند ( ش ) ٤ : ١٨٧ .
ج - « عرض على » المسند ( ش ) ١ : ١٦١ .
د - « قل تسمع » ، البخارى ٦ : ٢١ - ٢٢ .
هـ - « أمتى يارب » المصدر السابق ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ وغير ذلك .

(٢) قصة « الصراط » المصدر السابق ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥

شخصية ، وبلفظ مرادف نحو ، « عالم » أو « راهب » ، أو « ملك » أو « صاحب كذا » ، أو « راكب ذو شارة » وما شابه ذلك ست وخمسون شخصية ، كما كان نصيب الشخصيات النسائية إحدى وثلاثين ، ورد منها بلفظ « امرأة » ثمان عشر شخصية ، وبلفظ مرادف نحو « أمة » أو « جارية » ، أو « أم » أو « أخت » أو « عمة » ثلاث عشرة شخصية .

والسبب فى اتجاه القصة إلى عدم ذكر الاسم فى الغالب ، هو عدم الاهتمام بالشخصية فى ذاتها ، إنما المقصود بالاهتمام ، ومحور التركيز هو ما تؤديه من عمل ، أو تتبناه من رأى ، أو تلتزمه من موقف ، وهذا هو مذهب القرآن الكريم ، فقد سار على هذه الطريقة فى شخصيات غير الأنبياء عليهم السلام ، فكان يذكرها بلفظ رجل أو امرأة أو ما يرادفهما نحو قول الله تعالى : ( **وجاءَ رجلٌ من أقْصَى المدِينَةِ يَسْعَى** ) [١] ، ( **وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانه** ) [٢] ، ( **قالَ له صاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ) [٣] ، ولعدم الاهتمام بالشخصية فى ذاتها ، أغفل اسمها ، إذ لا أثر للاسم على المراد الذى هو موقف الشخصية نفسه ، وما يصدر عنها من فعل ، ويرى محمد خلف الله أن هناك اختلافاً فى علة العدول عن التسمية بين شخصيات الرجال وشخصيات النساء ، فهو يقول : « وثانى الأمور هو العدول عن التسمية وإن اختلفت العلة هنا عنها هناك ، فقد كنا نرى الأمر بالنسبة للرجال عدم الاهتمام بالشخصية كعنصر رئيسى فى القصة ، ونرى العدول عنها إلى غيرها من العناصر كالأحداث والحوار ، ولكنا هنا نجد للمسألة تعليلا آخر هو سلطان البيئة .

---

(١) القصص : ٢٠ .

(٢) غافر : ٢٨ .

(٣) الكهف : ٣٧ ، وانظر آيات أخرى تذكر لفظ امرأة من غير الاسم ، مكتفية بإضافتها إلى معارف تاريخية تعطيها نوعاً من التحديد كما فى سورة يوسف : ٣٠ ، وسورة الأعراف : ٨٣ ، وسورة النمل : ٢٣ .

والحرص على مراعاة التقاليد المعروفة فى العربية إذ ذاك .. »[١] وهذا تعليل ضال وظاهر الخطل من وجهين : الأول : أنه إذا كان من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم ، أن ينزع كل سلطان من النفوس غير سلطان الله المتمثل فى قيم الإسلام ومبادئه ، فكيف يمكن أن يقال : إنه هنا يساير سلطان البيئة .. ويحرص على مراعاة التقاليد المعروفة فى البيئة العربية إذ ذاك ؟! والثانى : أنه ليس صحيحاً أيضاً بالنسبة لتقاليد العربية ، فقد كانت المرأة تسمى .. وتدعى باسمها ، بل هناك ملوك من العرب كانوا ينسبون إلى أمهاتهم كعمرو ابن هند[٢] .

والحقيقة أن عدم ذكر الاسم فى القرآن الكريم ، لا يتعلق به أى غرض وليس لذكره أى فائدة ، لا فنية فى بناء القصة ، ولا موضوعية فى مضمونها ، والمعروف أنه لا يذكر شىء فى القرآن الكريم إلا لغرض ، فلما لم يتعلق بذكر الاسم أى غرض ، ولم يكن له أى فائدة ترك ذكره ، ولذلك نجد القرآن الكريم يعدل عن هذه الطريقة مرة واحدة ، فيذكر اسم المرأة صريحاً ، لأنه وُجد ما يدعو إلى ذلك ، كما فى قصة « مريم » حيث ذكر اسمها صريحاً ، دون أن يبالى بالتقاليد المعروفة المزعومة ، ودون أن يراعى سلطان البيئة ! وهذا دليل قاطع على خطأ تعليل الدكتور خلف الله ، لأنه لو كان تعليلا صحيحاً لكان القرآن الكريم – حاشاه – متناقضاً ، لأننا نجده مرة يحرص على مراعاة التقاليد ، ومرة يضرب بها عرض الحائط كما يفهم من كلام الدكتور الذى يقع فى خطأ أكبر حين يجد القرآن قد عدل عن مراعاة التقاليد وسمى المرأة باسمها الصريح ، يقع فى هذا الخطأ حين يقول فى تعليل هذه الحالة : « ومرة واحدة

---

(١) الفن القصصى فى القرآن الكريم ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

(٢) انظر ابن قتيبة ، المعارف ( ص ) ٦٤٨ ، تحقيق وتقديم د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ذخائر العرب ( ٤٤ ) ١٩٦٩ م .

يعدل القرآن عن هذه الطريقة إلى التسمية المباشرة وذلك عند حديثه عن مريم ، ولم يكن ذلك إلا لظروف خاصة قاهرة !.. »[١] . إن الأمر ليس أمر ظروف قاهرة ، فما كان للقرآن أن يخضع للظروف ، ولكنه مقتضى الحال يدعو إلى ذكر الاسم ، إن المرأة هنا مقصودة بذاتها ، فالقرآن يهدف إلى إزالة الاعتقاد بأن عيسى ابن الله ، ويريد القضاء على هذه الفكرة التى تسيطر على قوم عيسى ، إنه يريد أن يقول : إن عيسى ليس ابن الله وإنما هو ابن امرأة ، وامرأة تعرفونها .. إنها مريم المرأة المسماة بهذا الاسم ، والمشهورة به ، فهو عيسى ابن مريم – عليه السلام – وليس ابن الله كما يزعمون ، فاسم مريم هنا لابد أن يصرح به لأنه بالنسبة لعيسى لقبه الذى ينسب إليه وينوب عن اسم أبيه الذى لم يكن أبداً .

وهذه الشخصيات ، رجالية أو نسائية تصور الإنسان بما فطر عليه من طباع ، وما جبل عليه من غرائز مختلفة ، تتكشف من وقت لآخر فى أحداث القصة ، وتعكس ما تنطوى عليه النفس الإنسانية من خير وشر ، ومن هنا نستطيع أن نقول إنها شخصيات غير نمطية أو بوقية ، تروج لخلق معين تتسم به دون كشف لبقية الأبعاد الأخرى ، وإنما هى شخصيات حية فيها كل ما فى الشخصيات الحية من أبعاد ، والقصة النبوية أمينة مع النفس الإنسانية ، ففى الوقت الذى تعرض فيه شخصيات تعكس الجانب الأصيل فى الإنسان ، وهو جانب الخير ، فإنها تعطينا صورة عن جوانب الإنسان الأخرى : جوانب الضعف والشر فيه ، تلك الجوانب غير الأصيلة فيه .

ولعل جانب الخير فى هذه النفس أكثر أصالة وعمقاً ، والقصة تعرض علينا هذا الجانب للنفس البشرية من منطلقات متعددة وفى ظروف مختلفة ، ففى قصة « المستلف » نجد رجلا يقرض آخر وهذا مظهر من مظاهر الخير

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .

والمساعدة والتعاون على متاعب الحياة ، ثم إن هذا المقرض يقدم ماله فى ظرف صعب حيث لا شاهد ولا كفيل من الناس ، يكون دليلا له على ماله ، ولكنه مع ذلك يقدم ماله راضياً بالله شاهداً وكفيلا ثقة فى الله ، واطمئناناً إليه(١) ، وصورة أخرى فى قصة « الذى ينظر المعسر » فهذا إنسان صاحب مال وأعمال كان يداين الناس ، وكان يقول لغلامه إذا بعثه يتقاضى منهم : « **خذ ما تيسر واترك ما عسر ، وتجاوز لعل الله عز وجل يتجاوز عنا** » (٢) وهذا التعاطف أصيل فى الإنسان لا يقتصر على التعامل الإنسانى بين الإنسان وأخيه الإنسان ولكنه يتجاوز ذلك إلى صورة أروع ، تبدو فى عطف الإنسان على الحيوان الأعجم ، فهذا رجل يصيبه العطش ، فينزل بئراً ويروى ظمأه ، وحين يخرج منها يجد كلباً قد بلغ به العطش أنه يأكل الثرى ، ويجد الرجل نفسه فى موقف صعب ، فهو يحس أن هذا الكلب يتألم من شدة العطش .. ولكن الماء ليس قريباً إنه فى بئر يحتاج إخراجه إلى جهد كبير فى النزول والصعود ، ولكنه أخيراً يقنع نفسه فى إسعاف هذا الكلب حين قال فى نفسه : « **لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى** » (٣) . « **فنزل فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ..** » (٣) وأصالة الخير لابد أن تبرز على سلوك الإنسان ، مهما تلبدت على سلوكه غيوم من الشر ، فهذه امرأة طالما ارتكست فى حمأة الرذيلة ، وذات يوم « **مرت بكلب على رأس ركىّ يلهث قد كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك** » (٤) وفى قصة أخرى ، نجد تأكيداً على هذا المعنى من زاوية أخرى تصور انطواء هذه النفس الإنسانية من الداخل على بذرة الخير التى لابد أن

---

(١) البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) المسند ( ص ) ٢ : ٣٦١ .

(٣) البخارى ٨ : ١١ .

(٤) المسند ( ص ) ٢ : ٥١٠ .

تثمر يوماً ما فقد : « **كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأتته إمرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ، أرعدت وبكت فقال : ما يبكيك أأكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملنى عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا ، وما فعلته ؟!. اذهبى فهى لك ، وقال : لا والله لا أعصى الله بعدها أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل** » [١] . ومثل هذه قصة « المرأة والرجل » التى تتحدث عن الموضوع نفسه[٢] .

وفى قصة « جرة الذهب »[٣] نجد أنفسنا أمام أمثلة لانطباع النفوس على الخير ، وتطهرها من الطمع ، فلما وجد الرجل المشترى فى الدار التى اشتراها جرة ، وهى ليست جرة عادية ، إنما هى جرة فيها ذهب !! ذهب باختياره بهذه الجرة الذهبية إلى صاحب الدار التى باعها إليه وقال له : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب . وفى المقابل كان البائع يشبه المشترى ورعاً وتعففاً عن مال فيه شبهة فهو يرى أنه « إنما باعه الأرض وما فيها » إلى أن تطور الأمر بينهما إلى حد التحاكم إلى رجل ليفصل فى هذه القضية الناطقة بمعانى الزهد والورع والحذر من الوقوع فى الحرام[٤] !!

وفى قصة « الثلاثة » الأبرص والأقرع والأعمى ، نجد فى الأعمى صورة للإنسان الشاكر النعمة ، المقر بفضل الله ، وآلائه عليه ، حين رد عليه بصره ، وأعطاه أموالا كثيرة ، فلما جاءه الملك ليختبره فى صورة رجل

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٤) انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٦٢ – ٦٣ .

مسكين فقير ، أعمى ، لم يجحد ولم يكابر كما فعل صاحباه وإنما قال : « **قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيراً فقد أغنانى ، فخذ ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم شيأً أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك** »[١] .

والضعف الإنسانى تعرض القصة لنا صورة منه فى مواقف مختلفة : فهناك ضعف أمام الإغراء ، كما نجده فى قصة « آخر رجل يدخل الجنة » فهذا الرجل حين أخرج من النار ، لم تسعه نفسه من الفرحة ، وأحس أنه أسعد مخلوق فى الوجود حين قال : « .. **لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين** » وفى هذه اللحظات ترفع له شجرة فيقول : « **أى رب ! ادننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول : لا ، يارب ؟ ويعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لاصبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول** : أى رب ! **ادننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها . فيقول : يا ابن آدم ؟ ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ فيقول : لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين ، فيقول : أى رب ! أى رب ! ادننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها** .. »[٢] فيدنيه الله عز وجل منها ، ويعاهد الله ألا يسأله غيرها ، ثم يسمع أصوات أهل الجنة ، فيعود مرة أخرى يسأل الله أن

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) مسلم ١ : ١٧٤ - ١٧٥ ، وانظر أيضاً المسند ( ص ) ٣ : ٢٧ .

يدخله الجنة ، فيدخله الله الجنة ، فهذا الرجل يجد نفسه ضعيفاً أمام هذا الإغراء العنيف من الأشجار والظلال .. حيث ترفع أمامه فى كل مرة شجرة أحسن من الأخرى فلا يطيق صبراً ! فيعود يسأل ربه .. ويصل الإغراء ذروته حين يسمع الرجل أصوات أهل الجنة .. والجنة منتهى الآمال .. فيغلبه إغراؤها على ما أبرمه من عهود وميثاق .. إنه ضعف فى هذا الإنسان يعذره الله تبارك وتعالى عليه ، وهذا من رحمة الله وفضله ..

وهناك ضعف أمام المرأة ، وإغرائها ، ولحظة الضعف هذه قد تدرك حتى الرجال الصالحين ، وكما قال الرسول ﷺ : « **ما للشيطان من سلاح أبلغ فى الصالحين من النساء** » [١] ويعرض لنا الرسول ﷺ مثالا لهذا الضعف فى قصة « كرسف والمرأة »[٢] وكرسف هذا رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام يصوم الليل ، ويقوم النهار ثم إنه كفر بالله العظيم بسبب امرأة عشقها ، وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل .. ولكن الله لطف به فى نهاية الأمر فتاب .. فتاب الله عليه .

وهناك ضعف أمام عاطفة الأمومة الحانية ، وهو ضعف ربما دفع بالأم إلى أن تضحى بأعز ما تملك كما تعرض لنا قصة « الرجل والمرأة » صورة إنسانية رائعة من هذا القبيل .. « إنها قصة امرأة وجدت نفسها فى شدة وحاجة فذهبت تسعى فى الأرض بحثاً عما يقيم أودها وأود أطفالها الجياع ، وجاءت إلى رجل تطلب منه معروفاً ، فأبى إلا أن تقدم نفسها له ثمناً لذلك ، فأبت إباء الشريفة الحريصة على عرضها وعفافها .. وعادت إلى أطفالها بلا شيء ... ولكنها لم تصبر ، فعادت إلى الرجل تذكره بالله وتحاوله ، ونكنه أبى مرة أخرى ، فعادت إلى أطفالها ، ولكنها أمام منظر الأولاد ، وهم يتضورون جوعاً لم تلبث أن عادت إلى الرجل مرة ثالثة وناشدته الله فأبى فلما رأت ذلك

---

(١) المسند ( ص ) ٥ : ١٦٢ — ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق .

أسلمت نفسها إليه »[١] ، إنه الضعف الإنسانى أمام العاطفة الأصيلة ، الذى كان لابد أن يدركها فى هذا الموقف العصيب ، فماذا تفعل أم تشاهد أطفالها يموتون موتاً بطيئاً ، وهى تملك أن تنقذهم من الموت .. ولكنه إنقاذ بثمن باهظ .. باهظ .

وأما جانب الشر لدى الإنسان فتعرضه القصة النبوية فى عدة مظاهر مختلفة ، فمرة فى صورة نزوة شريرة كالتى استعرت فى داخل البغى من بنى إسرائيل ، فدفعتها إلى ارتكاب أكثر من جريمة فى وقت واحد كما تصور ذلك قصة « جريج » وقد كان جريج رجلا عابداً صالحاً « **فذكر بنو إسرائيل يوماً عبادة جريج ، فقالت بغى منهم : لئن شئتم لأصبينه ؟! فقالوا : قد شئنا ، قال : فأتته فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأمكنت نفسها من راع كان يأوى غنمه إلى أصل صومعة جريج ، فحملت ، فولدت غلاماً ، فقالوا : ممن ؟ قالت : من جريج ؟ فأتوه ، فاستنزلوه ، فشتموه ، وضربوه ، وهدموا صومعته ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنيت بهذه البغى ، فولدت غلاماً** ... »[٢] لقد أثار ثناء الناس على جريج فى نفس هذه البغى شعوراً حاداً بالنقمة عليه ، فهذا الرجل بصلاحه ، ترى فيه هذه المرأة صورة معاكسة لما هى عليه من انحراف ، إنه بصلاحه يذكرها بالطريق القويم الذى لا تسير هى عليه ، ومن هنا ، من صلاحه وفسادها نشأت النقمة ، وكم تود - شأن المنحرفين دائماً - لو ينحرف عن هذا الطريق ، حتى لا يبقى شاهداً على فسادها ، ومن هنا انطلقت فى محاولة لإغوائه ، وحين فشلت فى هذا ، أسعفها تفكيرها الشرير بطريقة أخرى تستطيع بها أن تلوث سمعته ، فأمكنت الراعى منها ، وحملت منه ، ولما وضعت ، اتهمت بالوليد الرجل

---

(١) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

الصالح ، ولكن الله مع عباده المخلصين ، فأنطق الله الصبى ليكشف للناس حقيقة المجرم ، وغموض الجريمة !!!.

ومرة نرى الشر فى صورة جحود للنعمة ، ونكران للفضل ، كما نجد ذلك واضحاً فى قصة « الأبرص والأقرع » حيث كانا مريضين أحدهما بالبرص والآخر بالصلع ، ومع هذا كانا فى فقر مدقع ، فغير الله حالهما من المرض إلى الصحة ومن الفقر إلى الغنى ، فقد أعطاهما الله على يد الملك الذى بعثه الله إليهما إبلا وبقراً ، حتى كان لهذا واد من الإبل ، وللآخر واد من البقر وبعد مدة جاء الملك إلى كل واحد فى صورته وهيئته التى كان عليها قبل أن تتغير حاله ، يطلب منهما معروفاً ، فـ « **أتى الأبرص فى صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ اليوم ، إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيراً أتبلغ عليه فى سفرى فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال له : كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ..** » [١] وأتى الأقرع فقال له مثل ذلك ، فرد عليه مثل رد صاحبه ، هذا الرد الطافح بمعانى الغرور ، المفعم بالجحود والنكران فى أقصى صوره ..

ومن مظاهر الشر فى النفس الإنسانية داء الغيرة والحسد ، كما تعبر عن ذلك قصة « صاحب العمل والأجراء » يقول صاحب العمل يروى القصة : « **كان لى أجراء يعملون ، فجاءنى عمال لى فاستأجرت كل رجل منهم بأجر معلوم ، فجاءنى رجل ذات يوم وسط النهار ، فاستأجرته بشطر أصحابه ، فعمل فى بقية نهاره كما عمل كل رجل منهم فى نهاره كله فرأيت علىّ فى**

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

**اللدمام[١] أن لا أنقصه مما استأجرت به أصحابه ، لما جهد فى عمله ، فقال رجل منهم : أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل إلا نصف نهار ، فقلت : يا عبد الله لم أبخسك شيئاً من شرطك ، وإنما هو مالى أحكم فيه ما شئت ، قال : فغضب ، وذهب ، وترك أجره ... »[٢] .**

**ومرة تعرض لنا القصة لوناً من ظلم الإنسان وطغيانه ، والظلم والطغيان شر فى ذاته ، وشر فى آثاره ونتائجه ، والإنسان حين يملك القوة والسلطان وهو بعيد عن هدى الله يطغى ويستبد ، كما قال الله تعالى : ( إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى )** [٣] . والقصة تختار أبطال هذا اللون من الشر من الملوك ، فهم أصحاب المال والنفوذ ، مما يتيح فرصة الظلم والطغيان من أوسع أبوابه ، فإبراهيم النبى عليه السلام يدخل ذات مرة قرية فيها ملك جبار ، وكانت مع إبراهيم عليه السلام زوجته سارة ، وكانت ذات حسن وجمال ، فأسرع الناس بخبرها إلى الملك ، وتحرك الشر فى داخله ، فأرسل بعض أعوانه فأتوا بها ظلماً وعدواناً ولكن الله كان نصير المظلومين ، فمنعه الله من أن يمسها بسوء ، بعد أن لجأت هذه المسكينة وزوجها الصالح إلى الله بالدعاء ألا يسلط عليهما هذا الكافر .. واستجاب الله[٤] .

وفى قصة « أصحاب الأخدود »[٥] نجد أبشع صور الظلم والطغيان يمارسها الملك وأعوانه ، ومن أظلم ممن ادعى أنه الإله من دون الله جل جلاله ، فالملك يقول للجليس بعد أن شفاه الله بفضل دعاء الغلام له ، من رد

---

(١) فى الكتاب المطبوع « فى الزمام » .
(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .
(٣) سورة العلق : ٦ .
(٤) البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ ، مسلم ٤ : ١٨٤٠ – ١٨٤١ .
(٥) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

عليك بصرك ؟ قال : ربى . قال : أو لك رب غيرى ؟! قال : ربى وربك الله ! وهنا أخذ الملك فى تعذيب هذا المؤمن حتى دل على الغلام ، وأحضر الملك الظالم الغلام ولم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، وأحضر الراهب ، ولما عجز الطاغية عن أن يرده عن دينه ، أمر بالمنشار فأحضر ، فوضعه فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه .. وكذلك فعل بالجليس « وهكذا يتعامل الظلمة مع دعاة الحق فلا فرصة للمناقشة ولا سبيل إلى الإقناع ولئن كان الملك ظالماً وسبيل بقائه فى الحكم هو السحر ، إذن فلا قضية عنده ولا مبدأ ، ولهذا لم يجد وسيلة فى مواجهة الموقف إلا التعذيب والتقتيل »[١] ويستعر الطغيان ، ويبلغ أشده عند الملك الظالم حين لجت الجماهير تهتف : « **آمنا برب الغلام .. آمنا برب الغلام** » فيأمر بالأخاديد فتحفر فى أفواه السكك .. ويأمر بالنيران فتضرم فيها ، حيث يلقى فيها كل من لم يرجع عن دينه ، وهو مشهد بشع ، أشد ما تكون البشاعة ينطق بكل معانى الجبروت والتسلط والشر ، والذى تنطوى عليه النفس الخبيثة المستقرة بداخل هذا الملك الطاغية .

* * *

هناك صورة تحاول القصة أن ترسمها للمرأة ، من حيث هى امرأة من خلال شخصيات بعض النساء عبر مواقف مختلفة تعرضت لها المرأة ، فأعطت عنها انطباعاً خاصاً يوحى ببعض الجوانب فى المرأة ، ويمكن أن نستجلى ملامح هذه الصورة فى نقاط ثلاث :

### الأولى : محاذرة المرأة من الوقوع فى الخطيئة :

إن المرأة حريصة على التصون والعفاف ، حريصة على المحافظة على شرفها وعرضها ما أمكنها ذلك ، والمرأة حتى وهى تسلم نفسها أحياناً فى

---

(١) رفاعى سرور ، أصحاب الأخدود ص ٥٤ .

ظروف قاهرة كما نجد فى قصتى « الكفل » ، « والرجل والمرأة » حتى وهى تفعل ذلك ، إنما تفعله بعد صراع مرير مع نفسها وظروفها القاهرة التى تجبرها عليه ، إن القصة تصورها وهى تقسر قسراً عنيفاً ، وهى قبل ذلك تتردد وتضطرب وتحاول أن تتجنب الوقوع فى الإثم بكل وسيلة ، ولكن لا سبيل ! ونجدها حين تسلم نفسها بعد لأى واضطرار ترتعد ويضطرب جسمها وكيانها فى تعبير لا إرادى عن رفضها لهذا الموقف ، وتبكى من أعماقها بكاء المجبرة المقهورة .

وفى قصة « سارة والملك » نجد صورة أخرى من هذا التصون والمحاذرة عند المرأة على أغلى ما تملكه ، فسارة وقد وجدت نفسها فى قبضة الملك الطاغية ، وهو يريد بها السوء هبت مسرعة إلى الله لاجئة إليه عائذة به فى مناجاة عميقة تصور مشاعرها الحادة تجاه الموقف العصيب الذى يهدد كرامتها المحفوظة وعرضها المصون ، إنها تناجى ربها فى حرقة وضراعة : « **اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط علىّ الكافر** » [1] وهى تردد ذلك بشكل يعكس مبلغ المعاناة التى تحسها وهى فى هذا المأزق ، إنها صورة تختارها القصة من صور كثيرة تمثل به على مبلغ محافظة المرأة على عرضها وشرفها ..

**الثانية : تأثر المرأة بالمظاهر :**

فمن طبيعة المرأة الملحوظة فيها فى الواقع ، تأثرها السريع بالمظهر ، مهما كان هذا المظهر كاذباً خداعاً ، طالما أن المرأة تراه براقاً يغرى بلمعانه الزاهى ، وهى لا تكلف نفسها عناء البحث فى ما وراء هذا المظهر أو ذاك ، وما ينطوى عليه من زيف وفساد ، وهى لا تكاد تجد نفسها أمام مثل هذا المظهر حتى تنساق بسهولة عجيبة وراءه . وفى مقابل ذلك تتخذ المرأة موقف

---

(١) البخارى ٣ : ١٠٥ - ١٠٦ .

الرفض السريع لكل شيء يفقد المظهرية الزاهية ، مهما كان منطوياً على الخير والصلاح ، والقصة تلتقط لنا موقفاً عميق الدلالة على هذه الناحية لدى المرأة فى قصة « الأم والرضيع »[١] يقول الرسول ﷺ : « **بينا امرأة فى حجرها ابن لها ترضعه ، إذ مر بها راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ... ثم مر بأمة تضرب ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثلها** ... » فهذهالأم يعجبها مظهر هذا الراكب فى هيئته الحسنة ولباسه الجميل ومركبه الفاره ،

فتبادر بالدعوة لولدها أن يكون مثله دون أن تتأمل حقيقته وأن تعرفها ، وحين مرت بالأمة .. وهى تضرب ، تقف ضدها وتدعو لولدها ألا يكون مثلها دون تعرف لحقيقة الموقف .. ولا حقيقة هذه الجارية ذات المظهر غير المغرى ، إنها غريزة حب المظهر فى المرأة وهى التى تدفعها إلى الانجراف وراء المظهر الغرور ، وقد كان الطفل الرضيع بقدرة الله المتصرف فى كونه ينطق بعد دعاء أمه له بما يخالف ذلك الدعاء مما جعلها تراجعه وتسأله حيث قالت : « **حلقى ؟!**[٢] **مر الراكب ذو الشارة فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، ومر بهذه الأمة ، فقلتُ : اللهم لا تجعل ابنى مثلها ؟!** » ونلاحظ هنا فى مراجعتها ، أنها حين تذكر « الراكب » لا تذكره بلفظ « الراكب » فقط ولكنها تنص على صفته « الراكب ذو الشارة » وحين تذكر الأمة تقول « هذه الأمة » تستعمل اسم الإشارة القريب ، الموحى بأنها دانية وضيعة ، مما يؤكد تركيز المرأة على الناحية المظهرية فى الحالتين ، ولذلك فقد جاء رد « الرضيع » كاشفاً للحقيقة ، مبيناً للأسباب التى من أجلها خالف دعاء أمه ، وكأنه الخضر عليه السلام[٣] :

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) أى مصيبة حالقة .

(٣) انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٥٢ .

**« يا أمتاه ؟ إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وإن هذه الأمة يقولون : زنت ، ولم تزن ، وسرقت ، ولم تسرق ، وهى تقول : حسبى الله ! »** .

**الثالثة : المرأة ليست ضعفاً دائماً :**

والقصة تعرض لنا مواقف لحواء ، تثبت فيها أن المرأة قادرة على أن تتحمل مسئوليتها ، وأن تثبت وجودها فى أصعب الظروف ، وأن تتمسك بمبادئها مهما كلفها ذلك من ثمن ، حتى ولو كان هذا الثمن ، هو حياتها .. إن أم اسماعيل يتركها إبراهيم عليه السلام مع طفل صغير لا حول له ولا طول ، فى واد غير ذى زرع ولا حياة ، فتتقبل الأمر الواقع فى غير ما جزع ولا خوف ، ثقة فى الله واطمئناناً إليه ، وحين عطش رضيعها ولا ماء ، سعت فى حيوية ونشاط يعجز عن بعضه الرجال تبحث عن الماء فى أرجاء الوادى وفى ظروف جبلية صعبة دون أن تمل تكرار هذا السعى ، وحين نزل الجرهميون عندها بعد موافقتها كانت تقبل ذلك من مركز القوة ، فهى تسمح لهم بالنزول وتملى عليهم فى الوقت نفسه شروطها ، بألا يكون لهم حق تصرف فى الماء حتى لا يستبدوا[1] ..

وفى قصة أخرى تسمى « الماشطة » نجد صورة رائعة للمرأة ، ذات المبدأ ، حين تقف فى صلابة لتقول كلمة « الإيمان » التى تعتقدها ، تقولها فى شجاعة وتحد فى وجه الظلم والطغيان لا تبالى الموت أو قطع الرقاب !! ولنقرأ البيان النبوى يقص علينا من خبرها : « **كانت الليلة التى أسرى بى فيها ، أتت على رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ! ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى[2] من يديها ، فقالت :**

---

(١) البخارى ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٢) المشط .

**بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبى ؟ قالت : لا ، ولكن ربى ورب أبيك الله ، قالت : أخبره بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها فقال : يا فلانة ، وإن لك رباً غيرى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك الله ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها ، قالت له : إن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا ، قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً ، إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع ، وكأنها تقاعست من أجله ، قال : يا أمة اقتحمى ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت »** [1] إنها صورة مشرفة للمرأة بعامة ، تعلقها على هام الزمان ، هذه المرأة الشجاعة ، ذات المبدأ والعقيدة ، فهى برغم الضغوط العنيفة التى واجهتها وهى تشاهد فلذات كبدها يرمى الواحد تلو الآخر فى النار وبرغم ذلك لا تنكص ولا تتراجع عن رأيها فى أن فرعون ليس رباً وإنما هو عبد الله ، وفى سبيل ذلك تقتحم الجحيم انتصاراً للعقيدة والمبدأ هاتفة بلسان حالها : نموت وتحيا العقيدة ! إنه شرف يحق لكل امرأة من بنات حواء أن تفاخر به ما شاءت وشاء لها الفخر !! .

* * *

وثمة ملاحظة جديرة بالإشارة ، ونحن بصدد الحديث عن هذه الشخصيات ، وهى أن الرسول ﷺ يختار مواقف لهذه الشخصيات رجالية ، ونسائية ، تتفق مع أحوال المسلمين الذين يواجهون ، مواقف مماثلة .. وهم يتبعون الرسول ﷺ ، ويستجيبون لدعوة الإسلام ، فيشهدون تجارب مماثلة لتجاربهم فى عنفها وقسوتها أو أشد ، تواجهها هذه الشخصيات التى تضرب

---

(١) المسند ( ش ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ « إسناده صحيح والحديث فى مجمع الزوائد ١ : ١٥ » .

أروع الأمثلة فى الثبات للمحن والشدائد التى تواجه المؤمن وهو يستمسك بدينه وعقيدته لا يبغى بها بدلا مهما كلفه ذلك من تضحيات جسام ، ومن هنا تكون الشخصية ليست بمعزل عن القراء أو السامعين ، بل هناك ارتباط قوى بها ، نابع من الإحساس بقيمتها ، لأنها تمر بتجارب ومواقف ، يمكن أن تحدث لنا أو يحدث لنا ما يشبهها ، أو يقرب منها[١] .

ونجد أمثال هذه الشخصيات فى أكثر من قصة ، ففى قصة « أصحاب الأخدود »[٢] نجد « الراهب » و« جليس الملك » و« الغلام » والجماهير المؤمنة .. كلها نماذج حية تعرض وهى تواجه المحنة وتصبر عليها ..

وفى قصة « الماشطة »[٣] نجد نموذجاً نسائياً رائعاً أيضاً ، وفى قصة « الرجل ينشر بالمنشار » يقول الرسول ﷺ : « **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ..** »[٤] وقد كان المسلمون قد شكوا إلى الرسول ﷺ شدة ما يلاقونه من عنت قريش وإيذائها لهم ، وقالوا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ فكان جوابه لهم هذه القصة وأمثالها ، التى تحمل فى طياتها قوة دافعة للمؤمنين تسرِّى عن قلوبهم من ناحية ، وتكون لهم بمثابة الجرعة المنشطة التى تجعلهم أكثر ثباتاً ... وأكثر قدرة على تحمل ما يلقونه فى سبيل الإسلام من الخصو والأعداء .

---

(١) انظر د. شكرى عياد ، البطل فى الأدب والأساطير ص ١٧ وسواها ، دار المعرفة ، القاهرة ط الثانية ١٩٧١ م .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٣) المسند ( ش ) ٤ : ٢٩٥ .

(٤) البخارى ٤ : ٢٤٤ .

**٣ – النوع الثالث الجماعات والجماهير :**

وهذا نوع من الشخصيات التى تذكر فى القصة بصيغة الجمع أو ما فى معناه ، فهى تتخذ مكانها فى القصة على أساس من جماعيتها ، بحيث تشكل فئة ذات شخصية خاصة ، وهى شخصيات جماهيرية تملأ المكان بوجودها المسرحي ، دون أن يكون لها فى الغالب أى أثر على حركة القصة ، من حيث التوجيه لهذه الحركة ، وإنما هي شخصيات توجه ولا توجه ، وهناك قوى أخرى تدفعها فى اتجاهات مختلفة ، وهذا واضح فى قصص مشاهد القيامة ..

والملاحظ أن هذا النوع من الشخصيات أكثره موجود فى قصص البعث والنشور ، واليوم الآخر ومشاهد القيامة ، وقد وردت فى هذا الصنف من القصص فى « ٣٨ » موضعاً ، موزعاً على « ١٢ » فئة كالتالى :

« أهل الجنة » وذكروا « ١١ » مرة[١] ، « أهل النار »[١] وذكروا « ١٠ » مرات ، « الناس الأولون والآخرون » وذكروا « ٥ » مرات[٢] ، « المؤمنون ومنافقوهم » وذكروا مرتين[٣] . « المؤمنون » وذكروا مرتين[٤] ، « أهل الكتاب » وذكروا مرتين[٤] .

و« الذين كانوا يعبدون الشمس » و« الذين كانوا يعبدون القمر » و« الذين كانوا يعبدون الأوثان » و« الذين كانوا يعبدون الأصنام » وكل فئة من هؤلاء ذكرت مرة واحدة وفى قصة واحدة[٥] .

---

(١) انظر : قصة « الموت يوم القيامة » البخارى ٦ : ١١٧ – ١١٨ .

(٢) انظر : قصة « أمتى يارب » البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ .

(٣) انظر : قصة « شفاعة المؤمنين » المسند ٣ : ١٦ – ١٧ ( ص ) .

(٤) انظر : قصة « هل نرى ربنا » ، البخارى ، ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

(٥) انظر : قصة « شفاعة المؤمنين » المسند ٣ : ١٦ – ١٧ ( ص ) .

و« الفقراء والمهاجرون » وذكروا فى قصة واحدة[١] .

« كبكبة من بنى إسرائيل » وذكروا فى قصة واحدة[٢] .

وفى قصص الغيب المستقبل نجد « يأجوج ومأجوج » وقد ذكرت فى ثلاث قصص[٣] والملاحظ أن هذه الجماعة لها أثر فى حركة القصة ، وأثر فى بنائيتها الروائية و« الروم » وذكروا مرة واحدة[٤] ، و« المسلمون » وذكروا أيضاً مرة واحدة[٥] ، و« أشرار الناس » وجاء ذكرهم مرة واحدة[٦] ، و« اليهود » وذكروا مرة واحدة[٧] .

وفى القصص الماضى التاريخى نجد ذكراً لبنى إسرائيل فى مواضع أربعة ، وهذه الجماعة ترد فى القصة بلا أثر يذكر فى حركة القصة[٨] ، وفى قصة « إبراهيم وإسماعيل »[٩] ترد « جماعة من جرهم » وفى قصة « أصحاب الأخدود »[١٠] نجد شخصيات جماعية « الناس » حيث جمع الناس فى صعيد واحد ، ولكن هذه الجماهير ذات وجود حركى فى القصة ، فلإن كانت فى البداية تجمع وتساق إلى الميدان بطلب من الملك لمشاهدة صلب الغلام ، فإنها

---

(١) انظر : قصة « سلام عليكم » المسند ( ش ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

(٢) انظر : قصة « سبعون ألفاً » المسند ( ش ) ٥ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) انظر : قصة « أمر الساعة » المسند ٥ : ١٨٩ - ١٩٠ .

(٤) انظر : قصة « ملحمة الروم » سنن أبى داود ٢ : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

وقصة « الصراط » البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ . وقصة « عرض على » المسند ( ش ) ١ : ١٦١ .

(٥) انظر : قصة « يأجوج ومأجوج » سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣ - ١٣٦٦ .

(٦) انظر : قصة « المسيح الدجال » مسلم ٤ : ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ .

(٧) انظر : قصة « الدجال والمسيح » المسند ( ص ) ٤ : ٢١٦ - ٢١٧ .

(٨) انظر : قصة « الذين آذوا موسى » الترمذى ٥ : ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٩) البخارى ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

(١٠) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

بعد الصلب تتحول إلى جماعة متحركة من ذاتها حين انطلقت تهتف « آمنا برب الغلام » مما دفع بالقصة إلى حركة أخرى زادت فى نموها وسيرها إلى الأمام فى دفع التيار الروائى ، فقد فجر هذا الموقف طغيان الملك ، ودفعه إلى أن يأمر بالأخاديد فتحفر .. وبالمؤمنين أن يحرقوا فيها ..

**(ب) الشخصيات غير البشرية :**

**١ - الملائكة :**

من شخصيات القصة البارزة ، شخصيات الملائكة ، ولهم وجود واضح على مسرح الأحداث بصورة إيجابية ، والغالب أنهم لا يردون فى القصة معينين بأسمائهم ، فلم يذكر منهم باسمه إلا ثلاثة ، « جبريل » عليه السلام وذكر « ١١ » مرة ، و« ميكائيل » وذكر مرتين ، و« مالك » وذكر مرتين أيضاً .. بينما نجد شخصيات ملائكية غير مسماة فى « ٤٥ » موضعاً ، منهم « ٣٧ » أشير إليه بأنه « ملك » صراحة أو ضمناً ، و« ٧ » منهم أشير إليه بلفظ « مناد » ولما كان الدور الذى يقوم به المنادى من الأدوار التى لا يقوم بها إلا الملائكة ، إما لأنها من أحداث اليوم الآخر ، أو لأنها تحتاج إلى قدرات خاصة لا تتوفر إلا عند الملائكة ، ولما كان الأمر كذلك تعين أن شخصية « المنادى » شخصية ملك بلا شك ، ومن هنا أشير إليه بالبناء للمجهول « فأتى » وذلك فى قصة المتصدق على زانية وغنى وسارق ، فالسياق والموضوع ، ونوع الحدث يؤكد أن المقصود بالآتى مَلك ، تقول القصة : « .. **فأتى فقيل له : أما صدقتك فقد قبلت ، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته** » (١) فقبول الصدقة من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا الله ، ومن هنا تعين أن يكون « الآتى » ملك بعثه الله ليبلغ هذا المتصدق بقبول صدقته !!

---

(١) مسلم ٢ : ٧٠٩ .

وهناك عدة صور يظهر بها الملائكة ، منها الصورة التى خلقوا عليها ومن النادر أن يبرزوا بها فى القصة ، ومرة واحدة أشارت القصة إلى ذلك ، فى قصة « جبريل » حين رآه الرسول ﷺ فى الهواء بين السماء والأرض على كرسى ، مما جعل الرسول ﷺ يتهيب هذه الهيئة العظيمة ، وتأخذه رجفة شديدة ، جعلته يسرع إلى خديجة قائلا : « **دثّرونى .. دثّرونى** » (١) .

وهناك الصورة البشرية التى كثيراً ما يأتون فيها حين ينزلون إلى الأرض فى بعض المهمات ، حيث يخاطبون الناس ويتكلمون معهم ، كما مر فى قصة « المتصدق » وكما نجد فى قصة « داود مع ملك الموت » حين وجده واقفاً فى وسط الدار فى هيئة رجل ، ولذلك نجد امرأة تظنه بشراً فى بادىء الأمر ، فتتساءل من أين دخل هذا الرجل الدار (٢)! كما أنهم يظهرون فى صور أخرى غير بشرية ، كأن يأتون على هيئة طيور مثلا ، كما حدث فى قصة « شق الصدر » التى يرويها الرسول ﷺ عن نفسه ، حين أتته الملائكة فشقت صدره وغسلت قلبه ، يقول الرسول ﷺ : « .. **فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال الآخر : نعم ! فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى للقفا ، فشقا بطنى ... الخ** » (٣) .

وللملائكة وظائف متعددة ، منها التسبيح والتقديس لله تبارك وتعالى ، وتصور لنا قصة « الشهب المرمية » طرفاً من ذلك ، حين يقضى الله أمراً : « **سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ..** » (٤) .

---

(١) المصدر السابق ١ : ١٤٤ .

(٢) المسند ( ص ) ٢ : ٤١٩ .

(٣) سنن الدارمى ١ : ١٦ — ١٧ .

(٤) مسلم ٤ : ١٧٥٠ — ١٧٥١ .

ومنها كتابة الأعمال فى الحياة الدنيا ، كما نجد مثالا له فى قصة الرجل الذى قال كلمة من حمد الله عظيمة ، احتار فيها الملكان كيف يكتبانها ، تقول القصة : « .. **فصعدا إلى السماء وقالا : ياربنا ! إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ، قال الله عز وجل ، وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدى ؟ قالا : يارب ! إنه قال : يارب ! لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله عز وجل لهما : اكتباها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجزيه بها** »[١] **وهم الملائكة المتعاقبون ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، يجتمعون فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر**[٢] .

**ومن وظائفهم تنفيذ جميع الأوامر الإلهية ، وهم – ( لَا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ )**[٣] دائماً وأبداً ، فقد يطلب الله عز وجل منهم أن يقوموا بمهمات فى الأرض مع البشر : كإيصال الوحى إلى الأنبياء ، وهذه المهمة يقوم بها « جبريل » عليه السلام كما فى قصة « صوت من السماء » فحين رفع الرسول ﷺ رأسه إذا هو بسحابة قد أظلته ، وإذا فيها جبريل يناديه بأن الله قد سمع قول قوم له ، وما ردوا عليه ، ويبلغه أن الله قد بعث إليه « ملك الجبال »[٤] .

وأحياناً يكلفون باختبار بعض الناس فى الدنيا بنوع من الابتلاء يكشف مدى صلاحهم من فسادهم ، كما نجد فى قصة الثلاثة « الأبرص والأقرع والأعمى » حين أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، أدى مهمته معهم خير أداء[٥] .

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٤٩ .

(٢) انظر : قصة « الملائكة المتعاقبون » سنن النسائى ١ : ١٩٤ .

(٣) سورة التحريم : ٦ .

(٤) البخارى ٤ : ١٣٩ – ١٤٠ .

(٥) المصدر السابق ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

وربما كلفوا بإخبار بعض البشر من غير الأنبياء ، بأشياء يريد الله لهؤلاء البشر أن يعرفوها ، كما فى قصة المتصدق حين أخبر بأن صدقته قد قبلت(١) ، ونجد مثل هذه المهمة واضحة فى قصة الرجل الذى كان فى زيارة لأحد الناس فى قرية أخرى ، بدافع المحبة فى الله ، وقد صادف هذا الرجل ملكاً فى طريقه قال له بعد حوار معه : « **فإنى رسول الله إليك أن الله عز وجل يحبك بحبك إياه فيه** » (٢) .

وهناك ملائكة لله مهمتهم أنهم « **يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ..** »(٣) .

ومن المهمات التى أوكلت إلى واحد من الملائكة ، مهمة قبض الأرواح وقد كلف بها عزرائيل ملك الموت(٤) .. وفى اليوم الآخر نجد الملائكة هم المكلفون بتنفيذ أوامر الله تبارك وتعالى ، فالله يأمرهم أن يأتوا الفقراء والمهاجرين ، وأن يحيوهم فتأتيهم الملائكة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب : ( **سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ) (٥) وكذلك يكلفهم الله بإخراج من يشاء من النار ، كما نجد فى قصة « الصراط » من أنه « **إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ...** » (٦) ومنهم من هو موكل بخزانة النار ، وهو الملك « مالك »(٧) .

---

(١) مسلم ٢ : ٧٠٩ .

(٢) المسند ( ص ) ٢ : ٥٠٨ .

(٣) البخارى ٨ : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) المسند ( ص ) ٢ : ٤١٩ ، والبخارى ٤ : ٢٠٥ .

(٥) المسند ( ش ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

(٦) البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٧) سنن الترمذى ٤ : ٧٠٧ .

كما أنه من الأعمال التى يقومون بها بأمر الله ، مشاركتهم فى الشفاعة للناس يوم القيامة ، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده ، وذلك حين يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون كما فى قصة « هل نرى ربنا »[١] .

والملائكة مع قدراتهم العظيمة التى جبلهم الله عليها ، فإنهم يتساوون مع غيرهم من الخلق فى أنهم لا يعلمون الغيب ، ولا يدرون شيئاً منه إلا ما أطلعهم الله عليه ، ولذلك نجد فى قصة « المعراج »[٢] حين يستفتح جبريل عليه السلام كل سماء يسأل الملائكة : من هذا ؟ فيقول : جبريل ، فيقول : ومن معك ؟ فيقول : محمد ﷺ ، ويسألون أيضاً : وقد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم ، مما يدل على أنهم لا يعرفون شيئاً عن هذه الأمور التى سألوا عنها ، وجاء فى قصة أخرى أنه حين خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فألقاها عليها ، فاستقرت فتعجب الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل من خلقك شىء أشد من خلق الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد .. الخ[٣] وهكذا ظلوا يسألون الله عما هو أشد من الحديد .. والنار .. والماء .. والريح .. كما هو مفصل فى القصة مما يعكس عدم درايتهم بهذه الأشياء .. وأنهم لا يعرفون إلا ما عرفهم الله به ..

### ٢ – النوع الثانى : حيوانات وطيور وجمادات :

وهذه الشخصيات قد تكون ذات أدوار بارزة فى القصة ، وتعامل كأنها شخصيات بشرية ، فهى تخاطب مثلا كالطير فى قصة « داود ملك الموت » حين قال سليمان عليه السلام للطير : « **أظلى داود فأظلته ، ثم طلب**

---

(١) البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ٥ : ٦٦ – ٦٩ .

(٣) المسند ( ص ) ٣ : ١٢٤ .

**منها أن تقبض جناحاً جناحاً ففعلت »[١] أو تتكلم كالقبر فى قصة « روضة أو حفرة » وقد ذكرت لنا القصة أنه لم يأت يوم على القبر إلا تكلم فيه[٢]. وكالشجر والحجر ، فى أكثر من قصة حين يقول للمسلم : يا مسلم إن تحتى كافراً ، فتعال فاقتله[٣] ، والجنة والنار فى افتخارهما وكلامهما فى ذلك[٤].**

**وأحياناً تكون الأدوار عادية ، بحيث تعرض القصة أمثال هذه الشخصيات فى صورة عادية ، كأن يكون لها دور تكميلى للحدث ، أو لها أدنى صلة به ، كالحوت فى قصة الخضر وموسى ، وكذلك العصفور الذى وقع على حرف السفينة[٥] وكالدابة التى ظهرت فى طريق الناس وسدتها فى قصة « أصحاب الأخدود »[٦] وكالطائر العائف الذى دل الجرهميين على الماء فى قصة « إبراهيم وإسماعيل »[٧].**

أو تكون سبباً للحدث كالكلب العطشان فى قصتى « المومسة والكلب »[٨] و« الكلب اللاهث من العطش »[٩] وكالذئب فى قصة المرأتين[١٠]أو النملة التى لدغت النبى[١١].

---

(١) المصدر السابق ( ص ) ٢ : ٤١٩ .
(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ — ٦٤٠ .
(٣) المسند ٥ : ١٨٩ — ١٩٠ ( ش ) ، وانظر المسند ( ش ) ٦ : ١٩٠ ، والمسند ( ص ) ٤ : ٢١٦ — ٢١٧ .
(٤) المسند ( ص ) ٣ : ١٣ .
(٥) اليخارى ٦ : ١١٠ — ١١٢ .
(٦) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .
(٧) البخارى ٤ : ١٧٣ — ١٧٥ .
(٨) المسند ( ص ) ٢ : ٥١٠ .
(٩) لبخارى ٨ : ١١ .
(١٠) لمصدر السابق ٤ : ١٩٨ .
(١١) سنن أبى داود ٢ : ٦٥٦ .

**٣ - الجـن :**

ولم يذكر الجن فى القصة النبوية إلا مرة واحدة فى قصة « الشهب المرمية »[١] فى بيان سبب الشهب التى يراها الناس فى بعض الأحيان حيث بين الرسول ﷺ أنها شهب ترمى بأمر الله تبارك وتعالى على الجن الذين يقومون باستراق السمع ، كما قال الله تعالى فى سورة الجن : ( **ومَن يَستمع الآنَ يجد له شِهاباً رَصَدا** ) [٢] .

**٤ - الشيطان ( إبليس ) :**

وقد وردت شخصية « الشيطان » من حيث هى شخصية لها دور فى بعض الأحداث فى قصتين فقط ، مرة فى قصة « النفخ فى الصور » حيث يتمثل الشيطان للناس فيدعوهم إلى عبادة الأوثان .. [٣] .

ومرة أخرى فى قصة « نزول عيسى » عليه السلام ، فقد جاء الشيطان إلى المسلمين وهم يقتسمون الغنائم بعد أن فرغوا من قتال الروم ، وصاح فيهم بأن الدجال قد خرج ، وأنه قد خلفهم فى أهليهم وهو فى ذلك كاذب فى الواقع[٤] ، وإنما يريد إرباكهم وإرهابهم ، وهى أدوار شيطانية كما هى واضحة تنسجم مع هدف الشيطان العدو المبين للإنسان .. الحريص على إغوائه وإهلاكه !!.

**( ٥ ) شخصيات معنوية :**

كالعمل الصالح ، والعمل الطالح حين أسند لهما أدوار يقومون بها كأنهم أشخاص من البشر فى قصة « الأسئلة الثلاثة » حيث نجد الميت يأتى إليه

---

(١) مسلم ٤ : ١٧٥٠ - ١٧٥١ .
(٢) سورة الجن : ٩ .
(٣) مسلم ٤ : ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ .
(٤) مسلم ٤ : ٢٢٢١ .

عمله الصالح وهو « **آت حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب فيقول : أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح .. الخ** » . وهكذا ينشأ بينهما حوار وكلام !!.

ومثل ذلك العمل الطالح يأتى إلى الميت ويقوم بينهما حوار وكلام !![١] .

ومن هذه الشخصيات المعنوية التى تبرز فى القصة وكأن لها كياناً مادياً مجسداً « الموت » يوم القيامة حيث يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح .. ويوقف على السور بين الجنة والنار .. ويذبح ذبحاً[٢] بعد أن يطلع عليه كل من أهل الجنة ..وأهل النار ..[٣] .

---

(١) المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) أورد العلامة المحقق أحمد شاكر فى تحقيقه للمسند كلاماً لبعض العلماء عن هذا الموضوع ، وعقب عليه تعقيباً جميلا ، من الفائدة أن ننقله هنا : « قال الحافظ فى الفتح :(قال القاضى أبو بكر ابن العربى : استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل ، لأن الموت عرض والعرض لا ينقلب جسما ، فكيف يذبح ؟! فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته ، وتأولته طائفة فقالوا : هذا تمثيل ، ولا ذبح هناك حقيقة ) الخ !. وكل هذا تكلف وتهجم على الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، وليس لنا إلا أن نؤمن بما ورد كما ورد ، لا ننكر ولا نتأول ، والحديث صحيح ثبت معناه أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى عند البخارى ، ومن حديث أبى هريرة عند ابن ماجة وابن حبان ، وعالم الغيب الذى وراء المادة لا تدركه العقول المقيدة بالأجسام فى هذه الأرض ، بل إن العقول عجزت عن إدراك حقائق المادة التى فى متناول إدراكها ، فما بالها تسمو إلى الحاكم على ما خرج من نطاق قدرتها ومن سلطانها ؟! وها نحن أولاء فى عصرنا ندرك تحويل المادة إلى قوة ، وقد ندرك تحويل القوة إلى مادة ، بالصناعة والعمل من غير معرفة بحقيقة هذه ولا تلك ، وما ندرى ماذا يكون من بعد ، إلا أن العقل الإنسانى عاجز قاصر ، وما المادة والقوة والعرض والجوهر ، إلا اصطلاحات لتقريب الحقائق فخير للإنسان أن يؤمن وأن يعمل صالحاً ، ثم يدع ما فى الغيب لعالم الغيب ، لعله ينجو يوم القيامة : ( قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مدداً ) » هامش المسند ٨ : ١٩٠ - ١٩١ ، والآية فى سورة الكهف رقم ١٠٩ .

(٣) البخارى ٦ : ١١٧ - ١١٨ وقصة « الموت يوم القيامة » وفى سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ ، قصة « هل من مزيد » .

**٢ - الشخصية من حيث النمو والتسطيح :**

( أ ) من حيث التسطيح : فمن الملاحظ أن أغلب شخصيات القصة النبوية شخصيات مسطحة ، ذلك أن هذه الشخصية ذات جانب واحد ، تختاره القصة وتركز عليه ، وغالباً ما يكون هو الجانب المهم فى الشخصية ، أو الباعث على الإثارة فيها كما هو الشأن فى شخصيات القصة فى القرآن[١] ، ولعل أكثر الشخصيات فى القصة تأتى أمثلة على هذه الناحية فمعظمها لا تكشف لنا إلا جانباً واحداً منها ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو أن القصة تعرض الشخصية علينا فى صورة ناضجة من غير أن تصحبنا فى رحلة عبر حياة هذه الشخصية ، ومن غير أن تعرض علينا التطورات التى تقلبت فيها ، إلى أن وصلت إلى ذلك الاستقرار والنضج ، والقصة النبوية وهى ذات حيز محدود من حيث الطول ، إذ تميل إلى القصر الشديد ، غير متمكنة من عرض الشخصيات بجوانب متعددة وبصورة أرحب ، وبخاصة أنها تلقى إلقاء شفهياً مرتبطاً بزمن محدود ، وبأناس مستمعين لابد - فى أثناء عملية القص - من ملاحظة قدرتهم على المتابعة والاستيعاب ، ولا شك أنه كلما كانت القصة متقاربة فى مراحلها أثناء العرض ، كان تأثيرها أعمق باعتبار أن المستمعين سيكونون أكثر قرباً من هذه المراحل وأكثر تذكراً لها فى بدايتها ووسطها ونهايتها ، وهذا التذكر سيعينهم على الربط بين المقدمات والنتائج فى القصة ، وهذا ملحظ له أثره فى تضييق الفرصة أمام القصة النبوية ، والحيلولة بينها وبين التوسع فى عرض الشخصيات .

(ب) وفى حالات نادرة جداً فى القصة النبوية نصادف نوعاً آخر من الشخصيات ، نجد فيه صورة ما للشخصية النامية ، التى تعطينا من خلال نموها ، برغم كونه نمواً محدوداً ضيقاً ، تعطينا جوانب متعددة للشخصية من

---

(١) انظر السرد القصصى فى القرآن الكريم ، ثروت أباظة ص ٥٤ - ٥٥ .

جراء حركة الحدث ونموه ، كما نجد مثلا فى قصة « الكفل »[١] ومثلها « الرجل والمرأة »[٢] فموضوعهما واحد وطريقة عرضهما واحدة أيضاً ، وفيها نجد شخصية « الرجل » تعرض علينا بصورة يتكشف لنا أكثر من جانب فيها ، ففى المرحلة الأولى من القصة تصور لنا فى البطل جانب الإسراف فى المعصية واقتراف الذنب والإصرار عليه ، وهو جانب شرير فى هذه الشخصية ، ولكن هذه الشخصية لا تلبث أن تنمو مع الأحداث عبر صراع نفسى فجّره الموقف المثير للمرأة فى تصونها وخشيتها من مقارفة الفاحشة ، وإذا بها تثور على واقعها السيء فى لحظة إشراق تحولت فيها إلى الخشية والخشوع ، وهذا جانب آخر جديد كشفته لنا القصة عبر هذا الموقف الجديد للشخصية ، وفى صورة فنية مقنعة ..

وفى قصة « الثلاثة المبتلون » نجد مثالا آخر ، حيث تعرض لنا أكثر من جانب للشخصيات التى تعرضت لها « الأبرص والأقرع والأعمى » فهى قد كشف لنا فى هذه الشخصيات الرئيسة فى القصة عن جانبين مهمين من خلال نمو حركة الأحداث وتطورها ، فعكست من خلال ذلك تلك الجوانب فى الشخصية .

ففى الفصل الأول من القصة صورت جانباً مشتركاً بين الشخصيات وهو جانب الشعور الإنسانى بالنقص ، والإحساس بالمرارة النفسية بسبب الواقع الذى تعانيه الشخصيات ، وهو واقع المرض والفقر ، فكل واحد من الثلاثة لديه شعور بالأسى لما هو فيه من مأساة .. يتمنى أن ينجو منها ..

وفى الفصل الثانى تطالعنا القصة بجوانب جديدة لهذه الشخصيات بعد أن تغيرت حالها ، وأصبحت تعيش واقعاً آخر ، مفعماً بالصحة والثراء ، حيث يتكشف لنا فى شخصيتى « الأبرص والأقرع » جانب مشترك بينهما

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

أيضاً هو جانب الجحود والنكران والمكابرة ، فحين أتاهما « الملك » فى صورتهما التى كانا عليها من المرض والفقر يطلب منهما معروفاً أعرضا عنه ، وحين ذكرهما بحالتهما السابقة ، وبإنعام الله عليهما أنكرا ذلك فى صلف وغرور ، وزعما فى بجاحة ، أنهما قد ورثا هذا المال كابراً عن كابر[١] ..

ولكن شخصية الأعمى تكشف عن جانب جديد آخر ، يختلف عن صاحبيه الجاحدين ، ذلك هو جانب الاعتراف بالنعمة ، والشكر عليها ، وهو شديد الشعور بفضل الله ، إلى حد أنه ما يزال يتذكر حاله السابقة من العمى والفقر ، وهو لا يجد غضاضة فى أن يصرح بذلك لهذا الفقير الذى جاءه يطلب العون ، فها هو يقول له : « **قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيراً فقد أغنانى ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله** .. »[٢] والواقع أن هناك علامة فارقة ميزت الأعمى بهذا الموقف عن زميليه ، ويمكن أن نستكنهها من واقع شخصية الأعمى كما قدمتها القصة النبوية ، وهى فداحة المأساة بالنسبة للأعمى ، فالمعاناة العنيفة لدى الأعمى ، هى السبب فى اختلاف موقفه عن صاحبيه ، فالبصر حاجة ضرورية جداً ، وأساسية بالنسبة للإنسان ، أما اللون والشعر ، فهى أشياء كمالية تعطى حسناً وجمالا فقط ، ولكنها ليست فى الأهمية مثل نعمة البصر ، وشتان شتان ! وفى قصة « أصحاب الأخدود »[٣] نجد نموذجاً آخر للشخصية التى يتكشف لنا منها أكثر من جانب من خلال عرضها النامى ، تلك هى شخصية الغلام ، التى عرضت فى القصة منذ مرحلة مبكرة ، سواء فى القصة أو فى شخصية الغلام نفسه حيث بدأ يبرز على مسرح الأحداث وهو غلام صغير اختير ليتلقى فن السحر على يد الساحر ، وقد أخذت هذه الشخصية تتطور وتنمو شيئاً فشيئاً

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

من خلال صراع مستمر مع الأحداث والمواقف التى تعرضت لها ، وفى هذه الأثناء وعبر هذا النمو تتجلى لنا عدة جوانب ، تتمثل فى فطرته السليمة التى جعلته يميل إلى الراهب ، حين أعجب بكلامه ، بعد أن قعد إليه وسمعه ، بينما نجده يتأخر عن الساحر برغم أنه صاحب المنزلة الكبيرة عند الملك وعند الناس ، وبرغم ما كان يناله بسبب هذا التأخر من ضرب !

وجانب آخر يظهر فى هذه الشخصية بعد أن تمضى القصة بنا شوطاً ، ذلك هو جانب القلق والصراع ، الناشىء من تلقيه فى وقت واحد من الساحر والراهب معاً ، ومن هنا نراه يطلب اليقين من الواقع ، بعد شعوره باليقين من الفطرة التى جعلته يميل إلى الراهب ويتأثر به ، مما أنشأ عنده حرجاً وقلقاً أراد أن يحسمه ، ومن خلال تجربة واقعية (١) ، سنحت بها الفرصة ، حين اعترض طريق الناس دابة عظيمة سدته عليهم « **فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ! فأخذ حجراً فقال : اللهم : إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس** » . وهنا تأكد عنده باليقين الواقعى ما كان قد اختاره بالفطرة ، ومن الجوانب الأخرى التى تدلى بها هذه الشخصية وضوح التصور تجاه الله ، والدعوة إلى هذا التصور السليم ، وهو موقف يتضح من خلال حواره مع جليس الملك الذى جاء إليه يطلب منه الشفاء ، فأخبره الغلام أنه لا يشفى ، إنما الذى يشفى هو الله ، وهو يدعوه إلى هذا التصور الإيمانى فيقول : فإن أنت آمنت بالله دعوت الله ، فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله .

ومن جوانبها أيضاً الذى كشفتها الأحداث ، الصبر عند البلاء فى سبيل الثبات على المبدأ وعدم الحيدة عنه مهما كلفه ذلك من عناء التعذيب ، وحتى

---

(١) رفاعى سرور ، أصحاب الأخدود ص ٢٨ – ٢٩ .

لو قتل أمامه من قتل إرهاباً وتخويفاً كما فعل الملك بالراهب والجليس حين شقهما بالمنشار أمام الغلام ولكنه لم يرجع عن دينه ..

ومن الجوانب الفذة فى هذه الشخصية ، جانب التضحية والفداء الذى يتجلى فى أروع صورة ، حين قدم الغلام نفسه إلى الإعدام بطريقة اقترحها على الملك ليتمكن بها من قتله بعد أن فشلت جميع محاولات الملك فى القضاء على الغلام فقد أشار على الملك أن يجمع الناس فى مكان واحد وأن يرميه بسهم قائلا : بسم الله رب الغلام ، ولما فعل الملك ذلك ، وعرف الناس أن الملك لم يقدر على قتل الغلام إلا بعد أن قال : باسم الله رب الغلام ، وهنا اتضح الطريق المستقيم وأدركوا أن الله رب الغلام ، هو ربهم جميعاً ، فانطلقوا فى كل صوب يهتفون : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، وهذه هى النتيجة التى كانت فى تقدير الغلام وهو يقدم نفسه تضحية لها ..

**وظيفة الشخصية :**

الملاحظ أن القصص النبوى حافل بالكثير من الشخصيات ، فقد نجد فى القصة الواحدة على قصر القصص النبوى عدة شخصيات قد تتجاوز أصابع اليد ، وقد تقل حتى لا نجد فى القصة الواحدة إلا شخصية بشرية واحدة كما فى قصة الذى خسف به ، وكذلك قصة الذى أماط الأذى عن الطريق ، وفى قصة المومسة والكلب ، والرجل والكلب ، وهذه الشخصيات مهما كثرت فى القصة أو تعددت ، فإنها تأتى فى القصة ، وهى ذات وظيفة ، إنها تبرز على ساحة القصة محققة هدفاً معيناً ، ودور الشخصية فى القصة النبوية دور مزدوج ، ذلك أنها تحقق فى وقت واحد وظيفة فنية ، ووظيفة موضوعية ، ويمكن أن تصنف هذه الشخصيات من حيث الوظيفة الفنية التى تؤديها فى بناء القصة ، وإقامة كيانه فى صورة سوية إلى قسمين ، شخصيات رئيسة ، وشخصيات ثانوية ، ولن نتمكن هنا من استقراء جميع الشخصيات فى كل قصة وعرضها بالأمثلة ، لأن ذلك سيطول بنا لو فعلناه ، ولعله من الأفضل أن

نكتفى بعرض الخصيصة السائدة فى هذه الشخصيات من حيث وظيفتها الفنية ، من خلال ضرب النماذج الدالة عليها فى القصة .

ولنأخذ قصة « أصحاب الأخدود »(١) فسنجد فيها شخصيتين رئيستين ، هما « الملك » و« الغلام » فهاتان الشخصيتان ظاهرتان فى القصة ، ومستمرتان فى العرض حتى النهاية ، ولهما دور بارز فى أغلب الحوادث وتطورها ، فهما المحوران المحركان لمجرى القصة ، والدافعان لها فى طريق النمو ، فالملك كان وراء وجود الساحر ، فالساحر « كان له » وهو الذى بعث الغلام إلى الساحر ، وهو الذى عذب جليسه حتى دل على الغلام ، ولم يزل يعذب الغلام حتى دل على الراهب ، وقام بإعدام الجليس والراهب فى صورة رهيبة أمام الغلام لتخويفه ، وهو الذى دفع بأصحابه أكثر من مرة ليقضوا على الغلام ، ولكنهم يفشلون فى كل مرة ، ثم قام بصلب الغلام أمام الجماهير عملا بمشورة الغلام عليه ، ثم أمر بالأخاديد تحفر وتضرم فيها النيران ويلقى فيها بالمؤمنين ، وهكذا نلاحظ أن الملك له دور مهم ورئيس فى إثراء البناء القصصى ، وإنماء التراكم فى الأحداث إلى النهاية ، وإن كانت نهايته هو تبهمها القصة ، فلا تحدثنا عنها بأى شيء .. ولا ندرى إلام صار أمره ! والغلام يشترك مع الملك فى أن له دوراً رئيساً أيضاً فى توجيه مسار القصة ، فهو يقعد إلى الراهب من تلقاء نفسه ، ويعجب بكلامه ، ويظل يتلقى عليه ، مما نمى شخصيته وأعطاها بعداً جديداً كانت له آثاره فى مستقبل الأحداث ، فهو يرمى الدابة التى اعترضت طريق الناس ويقضى عليها ، مما يلفت إليه نظر الناس ، وإلى قدراته الخاصة طبيباً موفقاً ، وقد أثر عن طريق عمله هذا فى توجيه نظر جليس الملك إلى الإله الحق والعقيدة الصحيحة ، وهو الذى دل على الراهب فيما بعد .. وكان إصراره على دينه دافعاً للملك إلى محاولة قتله

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

أكثر من مرة ، ثم هو الذى أشار على الملك بصلبه بالطريقة التى اختارها ، مما كان فيما بعد وراء إيمان الناس ، مما أدى إلى أن يثور الغضب فى رأس الملك الطاغية .. فيحرقهم بالنار ..

وأما بقية أشخاص القصة فكانت أدوارهم ثانوية ، بحيث تنتهى شخصياتهم بنهاية الدور الذى يقومون به ، فهم عناصر مساعدة فى تحقيق النمو القصصى ، وتعضيد شخصيات القصة الرئيسة ، فالساحر له دور تمهيدى ، ولكنه مع ذلك له أهمية كبرى فى القصة ، إذ أنه كان المبرر المنطقى المعقول لوجود شخصية الغلام وبروزها على مسرح الأحداث ولذلك نجده ينتهى من حساب القصة ، بعد أن حقق وظيفته فى إيجاد الغلام على الساحة ، ثم بعد ذلك لا تهتم به القصة ، ولا تخبرنا عن أى شىء عنه ، والراهب هو الآخر ، كان له دور من لون آخر بالنسبة للغلام وهو صياغة شخصية الغلام وطبعها بطابع جديد من القيم والمبادىء ، مما أعطاها كياناً قوياً ذا أبعاد خاصة ، وبعد أن يحقق هذه الوظيفة ينتهى ..

والجليس كان دوره الفنى يتركز أكثر ما يتركز فى أن يقوم بالدلالة على الغلام وكشف أمره للملك ، ولأمر ما ركزت القصة على موقف الغلام منه حين دعاه إلى الدين الجديد وبين له أن الله هو ربه ، لأنه هو الشافى ، مع أن الجليس ليس الشخص الوحيد الذى عالجه الغلام .. ودعاه إلى التوحيد ، ولكن لما كان للجليس دور فنى فى القصة سيؤديه بعد ذلك ، نظراً لصلته بالملك فهو جليسه ، لما كان الأمر كذلك كان لابد أن تعرض القصة لموقف الغلام معه بالتفصيل ، فلما دل على الغلام انتهى أيضاً من حساب القصة فقد قتله الملك وانتهى أمره .

وأعوان الملك كانت أدوارهم ثانوية تتضح فى خدمة الملك وتنفيذ أوامره التى لا يفتأ يصدرها فى كل حين ، وليست لهم أية وظيفة فى القصة غير ذلك .

وأما الجماهير المؤمنة ، والمرأة وطفلها الرضيع فكانت أدوارهم هى المشاركة فى رسم المشهد الختامى الرائع الذى انتهت به القصة ، فقد كانوا أبطال الفصل المثير فى نهاية المطاف ..

والدابة وهى شخصية حيوانية كان دورها الثانوى فى القصة هو أنها حققت للغلام يقيناً واقعياً شجعه على الاستمرار فى طريق الدعوة ، بإصرار عجيب ، كما أنها فى الوقت نفسه كشفت للناس أهمية هذا الغلام ، وفتحت قلوبهم له ، وجعلتهم ينظرون إليه باعتبار كبير ، وهذا له أثره فى تسهيل مهمة الغلام فى الدعوة والتأثير ..

ومع قصة أخرى « جريج »[١] وفى هذه القصة خمس شخصيات ، منها ثلاث شخصيات رئيسة ، واثنتان ثانويتان هما « الراعى » و« الغلام » فكل من « جريج » و« البغى » و« الناس » الذين هم بنو إسرائيل ، أشخاص رئيسة ، لهم أدوار أصيلة وثابتة فى القصة ، أما جريج فهو الشخصية « الأصل » والأساس فى القصة ، وبسبب وجودها تنشأ فى القصة الشخصيات الأخرى بما فيها ، الشخصيات الرئيسة الأخرى ، فالقصة تبدأ بالحديث عنه وعن عبادته وصلاحه ، حتى أنه بنى صومعة يتعبد فيها ، وهو بهذا الصلاح وهذه العبادة الفريدة لفت الأنظار إليه ، حتى صار مادة للحديث فى مجالس بنى إسرائيل ، مما دفعهم إلى الائتمار به ، وحين تتعرض له « البغى » لا يلتفت إليها ، وتوجه إليه تهمة الزنا ، ويواجهه الناس بالغلام المنسوب إليه ، بعد أن شتموه وضربوه ، ولكنه يقوم يصلى ويدعو حتى أنطق الله الغلام بالحقيقة ، فنلاحظ هنا استمرارية « جريج » على طول العرض القصصى إلى النهاية بوصفه شخصية رئيسة فى القصة .

---

(١) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .

وكذلك « البغى » شخصية أساسية فى كيان القصة ، فهى تبرز منذ الفصل الأول للقصة ، وهى تشارك القوم فى حديثهم عن « جريج » بل إنها تتبرع بأن تقوم بدور إيجابى ضد « جريج » حيث عرضت على الإسرائيليين أن تغوى جريجاً إن شاءوا ، ووافقوها على ذلك وانطلقت إلى جريج تتعرض له ، ولما لم تفلح معه ، لجأت إلى كيد النساء العظيم حين أمكنت نفسها من راع وقع عليها فحملت وولدت منه غلاماً ، ثم نسبته إلى جريج ، مما دفع الناس فى ثورة عارمة على جريج ، وواجهوه بتهمة الزنا من هذه البغى ، وهكذا نلاحظ وظيفتها فى القيام ببطولة « الشر » بنجاح كبير .

والعنصر الرئيس الثالث فى شخصيات القصة هو « هذه الجماعة من بنى إسرائيل » التى تذاكرت عبادة جريج فى مجالسها ، وانطلقت فى هذه المجالس تفكر فى الإيقاع بهذا العابد حسداً من عند أنفسهم ، وكان لهم دورهم الإيجابى فى تشجيع « البغى » على محاولة إغواء « جريج » وهم يبرزون مرة أخرى على مسرح الأحداث حين يحين الحين وتلد هذه البغى ، وتتهم به « جريجاً » فيندفع هؤلاء الناس فى غوغائية مجنونة فينزلون العابد من صومعته ويقعون فيه شتما وضرباً .. ولكنهم حين تتكشف لهم الحقيقة حين ينطق الغلام بقدرة الله تبارك وتعالى ، يرجعون إلى الحق ويندمون على فعلهم ، ويثبون على جريج يقبلونه ، ويتوددون إليه ، ويعرضون عليه أن يبنوا صومعته من ذهب ، ولكنه يفضل أن تبنى من طين كما كانت ، وذلك فى مشهد ختامى رائع ..

ولكن حين نرجع إلى الشخصيتين الأخرتين : « الراعى » و« الغلام » نجد أنهما شخصيتان ثانويتان ، كل منهما ذات دور محدد فى القصة بحيث ينتهى بانتهاء هذا الدور ، « فالراعى » يظهر حين دعت إليه الحاجة وذلك حين فشلت « البغى » مع جريج وكانت تطمع فى أن يواقعها فتحمل منه ، ولما رفض كان لابد أن تتجه إلى شخص آخر يؤدى معها هذا الدور ، وكان هذا الشخص هو « الراعى » فواقعها ، وبعد ذلك انتهى ، وانتهى دوره .

والغلام من حيث هو شخصية ثانوية ينتهى بعد أن يؤدى دوره العجيب المزدوج ، حقاً كان دور هذا الغلام من أعجب العجب .. فقد كان هو الدليل على اتهام جريج بالزنا من هذه « البغى » فقد قالوا : « إنك زنيت بهذه البغى فولدت غلاماً ، قال : وأين هو ؟ قالوا : ها هو ذا » . فقد كان هذا الغلام شاهد الإثبات فى اعتبار هؤلاء الذى يتهمون جريجاً .. ومثار العجب أن هذا الغلام كان أيضاً شاهد النفى عن جريج ، حين قام هذا العابد البرىء فصلى ودعا ثم أقبل على الغلام « فطعنه بإصبعه وقال : بالله يا غلام من أبوك ؟ قال : أنا ابن الراعى ! » واعجباً .. كان دوره أن يكون شاهد الإثبات .. وشاهد النفى فى الوقت نفسه ..

وهكذا تدور شخصيات القصة فى وظيفتها الفنية ، بين أدوار رئيسة ، وأدوار ثانوية ، ويمكن أن نذكر قصصاً أخرى كنماذج أيضاً ، ولكننا نكتفى بذكر صورة سريعة ، نشير فيها إلى الشخصيات الثانوية والرئيسة من غير تفصيل اكتفاء بالنماذج السالفة ، فهناك مثلا قصة « الماشطة »[(١)] وفيها شخصيتان رئيستان هما : الماشطة ، وفرعون ، وأشخاص ثانوية أخرى تبدو فى « ابنة فرعون » و« أولاد الماشطة » و« رضيعها » ، وأيضاً قصة « الخضر وموسى »[(٢)] فشخصيتا « موسى » و« الخضر » رئيستان ، وأما بقية الشخصيات من « بنى إسرائيل » و« يوشع ابن نون » و« أصحاب السفينة » و« الغلام » و« أهل القرية » وكذلك « الحوت » و« العصفور » فكلها أشخاص ثانوية ذات أدوار محدودة ، وهناك أيضاً قصة « الذى قتل مائة »[(٣)] وفى هذه القصة نجد « القاتل » هو الشخصية الرئيسة فيها ، وأما « الراهب » و« العالم » و« الملائكة » باختلاف أنواعهم ، فكلهم أصحاب أدوار ثانوية فى

---

(١) المسند ( ش ) ٤ : ٢٨٥ — ٢٩٦ .

(٢) البخارى ٦ : ١١٠ — ١١٢ .

(٣) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

القصة ، تتضافر كلها فى مساندة الشخصية الأساسية ، وتحقيق مسارها فى طريق القصة ، نحو النمو والاكتمال ..

وإلى جانب هذه الوظيفة الفنية للشخصية ، هناك وظيفة موضوعية لا تقل أهمية ولا أثراً فى تحقيق بنائية متكاملة لكيان القصة شكلا ومضموناً ، ذلك أن الشخصية تستخدم فى القصة كوعاء للمعانى والأفكار التى تسعى القصة إلى تصويرها وتجسيدها أمام السامع أو القارىء ، وهذا الاستخدام الإيجابى يثرى ولا شك قضية التعبير عن القيم المعنوية فى القصة بما تمثله هذه القيم من جوانب الإنسان المختلفة من خير وشر ، وكفر وإيمان ، وحب وكره ، كما أن هذه الشخصيات بما تحمله من قيم معنوية معينة ، أو ما تعبر عنه من أفكار وأخلاق تمثل أيضاً نماذج بشرية مختلفة فى طباعها واتجاهاتها من خلال ما تمارسه من سلوك ينزع إلى الخير أو إلى الشر ، إلى الفضيلة أو إلى الرذيلة .. الخ .

وهذه الوظيفة الموضوعية واضحة فى القصة النبوية بشكل كبير ، بحيث يلمسها كل من يطالع هذه القصص أو يستمع إليها ، ولعلنا ندرك ذلك بصورة أعمق حين نعرف أن القصص النبوى فى الأساس قصص مهدف ، له غايات يهدف إلى تحقيقها فى نفوس الناس من مستمعيها ، فى سبيل ترسيخ قيم الدين الجديد ، وتأكيد نظرته للحياة والناس ، فكان لابد من أن تحمل هذه الشخصيات بالمعانى والأفكار التى يراد للإنسان المسلم أن يدركها بصورة غير مباشرة عبر هذه الشخصيات التى تتحرك أمامه فى القصة ..

ومن هنا فلا أشعر أن هناك ما يدعو إلى عرض النماذج الدالة على هذه الناحية فى وظيفة الشخصية ، كما أنه قد سبق فى الحديث عن أنواع الشخصيات ، أن تعرضت الدراسة إلى ما تصوره الشخصيات من طباع الإنسان ، وما جبل عليه من غرائز ، وما تحمله النفس البشرية من جوانب الخير والشر فى تفصيل مدعم بالنماذج .

كما أنه من الملاحظ أن الشخصيات التاريخية ، كثير منها شخصيات أنبياء .. أو رجال ونساء من بنى إسرائيل وهذه الشخصيات التاريخية توظف بصورة إيجابية تحمل بالمعانى والأفكار والقيم الإسلامية التى يراد نشرها بين الناس ، وتعميقها فى نفوسهم .. وتأكيدها فى سلوكهم فى واقع الحياة ..

**أبعاد الشخصية :**

لم يكن فى اعتبارى أن أتناول فى دراسة الشخصية فى القصة النبوية ناحية « الأبعاد » فى الشخصية ، وذلك لأكثر من سبب من أهمها أن « الأبعاد » اصطلاح فنى حديث لدى نقاد القصة اليوم ، وهو منقول عن كلمة أجنبية ، يقصد بها جوانب الشخصية الثلاثة ، التى تتكون منها وهى « الجانب الخارجى » و« الجانب الداخلى » و« الجانب الاجتماعى » . وهذه الجوانب فى القصة ، تحتاج بلا جدال إلى حرفية قصصية ، لم توجد فى عالم القصة إلا فى وقت متأخر جداً عن وقت القصة النبوية[١] .

وكنت أعتقد أن مثل هذه الأبعاد ربما لا تتحقق فى القصة النبوية ، لأنها محدودة الفرصة ، ولأن منشئها وهو « الرسول ﷺ » ليس محترفاً لفن القصة ، وإنما كان يقص حسب ما يواتيه طبعه ، وحسب ما تمليه عليه الفطرة ، وقد نضيف على هذه الفطرة تلمذة على طريقة القرآن البيانية ومنها طريقته القصصية .. وهو ما سنخصه بالدراسة فى إبانه .

وثمة سبب آخر وهو أن مثل هذه الأبعاد إنما يهتم بها بوجه خاص كتاب المسرح[٢] ، ولكنى عبر رحلة طويلة مع نصوص القصة النبوية ، ومن خلال القراءة المستمرة فيها ، تجمع لدى شواهد متناثرة فى عديد من النصوص عن بعض جوانب الشخصية من شكلية ، ونفسية ، واجتماعية ، ضممت بعضها

---

(١) انظر : فن كتابة القصة لحسين القبانى ص ٧٠ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧١ .

إلى بعض ، وبدا لى أنها يمكن أن تنتمى بصورة ما إلى ناحية « الأبعاد » فى الشخصية .. ومن هذا المنطلق وجدتنى راغباً فى عرض هذه الشواهد ، ووضعها بين يدى قارىء القصة النبوية بصورة مباشرة ، فلربما كانت له قراءة أفضل لهذه النصوص ، فى سبيل فهم أكثر عمقاً ، وملاحظة أكثر بصيرة .

وقد كان الجانب الاجتماعى للشخصية أكثر الجوانب حظاً من الشواهد وأكثرها حظاً من اهتمام القصة نفسها ، حيث تصل هذه الشواهد إلى خمسة عشر قصة ، نجد فيها محاولة للفت النظر إلى مركز الشخصية وموضعها من الناحية الاجتماعية ، سواء كان هذا الموضع رفيعاً عظيماً ، أو كان موضعاً دنيئاً سافلا ، أو موضعاً مرتبطاً بمهنة معينة تحدد مركز صاحبها ومكانته فى الحياة ..

ففى قصة « أمتى يارب » نجد مثالا لذلك فى شخصيات الأنبياء عليهم السلام ، الذين ذكروا فى القصة ، حيث يتحدث الناس عنهم وهم بصدد طلب الشفاعة ، بأوصاف تبين أهميتهم ، وتشير إلى أن لهم مركزاً خطيراً فى حساب المجتمع ، فهم يقولون لآدم : « **أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك** » . ونوح يقولون له : « **إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً** » ويقولون لإبراهيم : « **أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ..** » ويقولون لموسى : « .. **يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس** » ويقولون لعيسى : « **يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وكلّمت الناس فى المهد صبياً ..** » ويقولون لمحمد ﷺ : « .. **يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ..** » [١] .

---

(١) البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ ، وانظر قصصاً أخرى فى المسند ٣ : ٢٤٤ . المسند ( ش ) ١ : ١٦١ ، المسند ( ش ) ٤ : ١٨٧ ، سنن الدارمى ١ : ٣١ – ٣٢ ، سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ .

وفى قصة « جريج » نجد جريجاً يوصف بأنه « رجل عابد »[١] مما حدد له وضعاً اجتماعياً معيناً ، وفى القصة نفسها ، تذكر المرأة بأنها « بغى منهم » ولم تقل القصة « امرأة منهم » وذلك لأن فى وصفها بالبغاء ما يعطى شخصية هذه المرأة بعداً أخلاقياً فى سلوكها فى المجتمع الذى تعيش فيه ، حتى يتسنى لنا من خلال معرفة وضعها الاجتماعى هذا ، أن نضع تصرفها إزاء جريج ، واستعدادها لإغوائه ، أن نضعه فى إطاره الصحيح ، وليكون موقفها متطابقاً تماماً مع شخصيتها ، كما تختار القصة لفظة « الراعى » ، لما فيها من إيحاء خاص له دلالته على شخصية الرجل الذى أمكنت البغى نفسها منه ، وفى قصة الذى طلب من الله أن يزرع فى الجنة ، يوصف هذا الطالب بأنه : « رجل من أهل الجنة » فهو ذو منزلة عظيمة ، ومن هنا تأتى له أن يطلب ذلك الطلب من الله تبارك وتعالى[٢] .

وفى قصة « المرأة والرجل » توصف المرأة بأنها « **امرأة تطلب معروفاً** »[٣] وهو وصف يحدد مكانتها الاجتماعية ، وأنها امرأة فقيرة معدمة الحال ، وفى قصة « الكفل » تحدد القصة سلوك الكفل الاجتماعى حيث تقول : « **كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله** » [٤] فهو مسرف فى اقتراف الخطايا لا يرعوى عنها ، وفى قصة « سلام عليكم » نجد وصفاً للفقراء والمهاجرين ، يبين قيمتهم التى من أجلها أمر الله الملائكة بأن يذهبوا إليهم فيحيوهم : « **الذين تسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء** » [٥] وفى قصة

---

(١) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .
(٢) البخارى ٩ : ١٨٥ .
(٣) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٤) الترمذى ٤ : ٦٥٧ .
(٥) المسند ( ش ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

« المذنب والعابد » يوصف هذان بما يصور واقعهما السلوكى « **كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة** »(١) .

وفى قصة « الخضر وموسى » يوصف الخضر بما يحدد مكانته فى العلم « **إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك** » (٢) وفى قصة « الذى قتل مائة » تحدد أبعاد القاتل من ناحية وضعه الإجرامى فى سفك الدماء ، وارتكاب الكثير من جرائم القتل بأنه « **قتل تسعة وتسعين** » كما يوصف الرجل الذى أخبر القاتل بأن باب التوبة مفتوح على مصراعيه ، يوصف بأنه « **رجل عالم** » (٣) .

ويأتى بعد الجانب الاجتماعى من حيث قلة الشواهد ، البعد الجسمى ، ورسم الشخصية فى مظهرها وشكلها الخارجى ، حيث نجد ثمانى قصص متضمنة بضعة شواهد على هذه الناحية ، إذ نجد فى قصة « الأم والرضيع » وصف الرجل الراكب بأنه « **راكب ذو شارة** » (٤) والشارة هى جمال المظهر فى الملبس والمركب ، وهذا المظهر الحسن هو الذى دفع الأم إلى الإعجاب بهذا الراكب ، والدعاء لولدها بأن يكون مثله ، ويوصف « يوسف » عليه السلام فى قصة « المعراج » بأنه : « **قد أعطِى شطر الحسن** » (٥) وفى قصة « الأبرص والأقرع والأعمى » تنص القصة على أشكالهم الخارجية بأنهم : « **ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى** » (٦) حتى نستطيع أن نتصور هيئات

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ٥٧٣ – ٥٧٤ .

(٢) البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

(٣) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٤) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٥) مسلم ١ : ١٤٥ – ١٤٧

(٦) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

هؤلاء الثلاثة الخارجية ، وما هم عليه من عاهات ، لندرك بصورة أعمق موطن العبرة فى هذا الامتحان الذى هم مقبلون عليه .. وحين تغيرت الحال ، نجد القصة تنص مرة أخرى على هيئاتهم الجديدة فتقول عن الأبرص بأنه « أعطى لوناً حسناً ، وجلداً حسناً » والأقرع « أعطى شعراً حسناً » والأعمى « رد الله عليه بصره .. » .

وفى قصة « صاحب العمل والأجير » ترسم هيئة الأجير على لسان صاحب العمل بقوله : « **فمر لى بعد حين شيخاً ضعيفاً** » (١) وفى قصة « إبراهيم وإسماعيل » تصف زوجة إسماعيل إبراهيم بأنه « شيخ حسن الهيئة »(٢) وفى قصة « إبراهيم وزوجته والملك » تصف القصة سارة بأنها « أحسن الناس »(٣) وفى قصة « الأسئلة الثلاثة » نجد رسماً لهيئة كل من العمل الصالح ، والعمل الطالح ، حين يأتى كل منهما صاحبه فى قبره ، جاء فى القصة : « .. **ثم يأتيه آتٍ حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب** » وعن الآخر : « .. **ويأتيه آتٍ قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، نتن الريح** » . وتوصف الملائكة التى تنزل على الأخير بأنها ( **ملائكة غلاظ شداد** ) (٤)..

والملاحظ بشكل عام أن القصة النبوية برغم هذه الأوصاف الخارجية المتناثرة ، لا تهتم كثيراً بالرسم الخارجى للشخصية ، لأن الشخصية فى ذاتها ليست مقصودة ، وإنما المقصود هو ما تمثله من خير فيتأسى به . أو شر فيحذر منه ..

---

(١) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ ، وانظر أيضاً قصة « الابن البار » حين وصف أبويه « كان لى أبوان شيخان كبيران » المصدر نفسه .

(٢) البخارى ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

ونأتى أخيراً إلى الجانب النفسى أو الداخلى للشخصية ، وشواهده قليلة جداً تنحصر فى أربع قصص لا غير ، فمثلا فى قصة « الثلاثة » نجد القصة ترسم لنا إحساسهم النفسى بما يعانونه من نقيصة تجعلهم يدارون أعين الناس ، ويتخوفونها ، وتجعلهم يتلهفون على الخلاص مما هم فيه من حال سيئة فى ذواتهم بعاهاتهم ، وفى عيشهم بفقرهم ، فالأول يقول معبراً عن هذا الإحساس القاتل حين سأله « الملك » عن أحب شىء إليه : « **لون حسن ، وجلد حسن ، قد قذرنى الناس** » والثانى يقول : « **شعر حسن ، ويذهب عنى هذا قد قذرنى الناس** » والثالث قال : « **يرد الله إلىّ بصرى ، فأبصر به الناس** » [١] وفى قصة « الكلب اللاهث من العطش » تنقل لنا القصة الحديث النفسى الذى تردد بداخل الرجل ، وهو يواجه كلباً يصارع الموت من العطش ، أيسقيه من البئر وهذا سيكلفه جهداً مرهقاً ، أم يتركه ويذهب ؟ ولكنه يحاول أن يقنع نفسه فى حواره معها فينجح ، « .. **فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى** » [٢] وفى قصة « الذين آذوا موسى » تنقل لنا القصة صورة عن نفسية موسى عليه السلام وما تنطوى عليه من حياء شديد : « **كان رجلا حيِّيًا ستّيرا ، ما يرى من جلده شىء .. الخ** » [٣] وفى قصة « سوق الجنة » وحين يتجلى الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى روضة من رياض الجنة ، تلتقط لنا القصة صورة لمجلس أدنى أهل الجنة ، وما فيهم دنىّ ، فتبين لنا أنهم يجلسون على كثبان المسك والكافور ، وتدخل بنا القصة فى عالمهم الداخلى حين تقول لنا عنهم : « **وما يرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً** » [٤] **إنه** تصوير للحالة النفسية السعيدة لهؤلاء الجالسين على كثبان المسك والكافور .

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ٨ : ١١ .

(٣) الترمذى ٥ : ٣٦١ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ .

ومهما يكن فإن محاولة كشف البعد النفسى للشخصية ضئيل ، بحيث لا يمثل اتجاهاً ظاهراً فى القصة ، كما هو الحال فى القصة الحديثة ، التى يصل الأمر فيها أحياناً إلى أن تكون رصداً للحركة الداخلية للشخصية ، كما فى « المونولوج » ويرى الشارونى أن السبب وراء ضآلة التغلغل فى نفسية الشخصيات فى القصص القديم ، هو الاعتماد على الرواية الشفاهية ، دون الاعتماد على الكلمة المقروءة ، ولا شك أن الكلمة المقروءة أكثر استعداداً وقدرة على تتبع الإحساسات النفسية ، وتصويرها فى يسر ، بينما تضيق الفرصة فى هذا المجال أمام القصة القديمة التى كانت وسيلتها البارزة هى المشافهة المباشرة ، حيث لم يتوفر لها بعد ما توفر للقصة الحديثة من وسائل حيوية مهمة ، كشيوع التعليم ، وتيسر سبل الطباعة والنشر[١] ..

( ٤ )

يعتبر الحدث فى أى قصة روحها الذى يمنحها الحياة والحيوية ، وهو فى القصة النبوية العنصر المهم والغالب فيها ، بحيث نجده هو المسيطر ، وهو البارز ، وهو محط الاعتبار فيها ، ومنبع التطلع والإثارة ، ولذلك فالشخصيات نفسها حين ترد فى القصة ، لا يهتم بها لذاتها ، وإنما تكون العناية بما سيحدث لها ، وتكون العناية بمواقفها ، وأفعالها ومن هنا نجد الكثير من هذه الشخصيات ترد فى القصة ، وهى فى صورة « نكرة » امرأة أو رجل أو ما شابه ذلك من الألفاظ المرادفة ، وقد مضى تفصيل ذلك أثناء الحديث عن الشخصيات ، إنها نكرات تقتصر مهمتها فى القصة على أن تقوم بوظائف ، هى فيها كأدوات للأحداث التى تعرض فى القصة تحركها ، وتدفع بها فى طريق النمو .. ولعل

---

(١) انظر يوسف الشارونى ، فى القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً ، ص ٣٦ - ٣٧ .

هناك أكثر من سبب لهذه العناية بالحدث فى القصة النبوية ، يجدر بنا أن نتلمسها ونحن بصدد دراسة الحدث فى القصة ، وقد أثار الدكتور خلف الله فى دراسته للفن القصصى فى القرآن الكريم ملاحظة جديرة بالاهتمام والعناية ، لما تلقيه من ضوء على ظاهرة العناية بالحدث فى القصة النبوية ، فقد لاحظ أن القرآن الكريم وبخاصة فى عهده الأول لم يكن يعنى بتصوير الشخصيات ، وعزا ذلك – وهذا ما يهمنا هنا – إلى أنه هو المذهب السائد فى اعتبار قصاص العربية ، لأن العرب كانوا « يهتمون بالحادثة أكثر من اهتمامهم بالبطل ، ويهتمون بالفكرة والرأى أكثر من اهتمامهم بالأشخاص ، وهذا هو الواضح تماماً فيما يروى عن العرب من قصص ، فنجد فى العقد الفريد بعض هذه النوادر التى وإن تكن إسلامية ، إلا أنها قد حافظت – إلى حد ما – على الشكل والصورة فى لون من ألوان القصص والنوادر »[1] .

ومما يؤكد هذه الملاحظة التى تحمل قدراً كبيراً من المعقولية ، أن البيئة التى عاش فيها العربى ، بيئة أحداث تتردد أصداؤها كل يوم فى مسامعه ، فهو منذ أن يتفتح وعيه على الحياة ، إلى أن يغمض عينيه فى نومة الموت ، وهو يعيش أعنف صور الأحداث ، متمثلة فى تلك الحروب التى لا تبقى ولا تذر ، ولا تفتأ تشتعل بين وقت وآخر عن يمينه وعن شماله ، عبر مسارح الصحراء الشاسعة ، التى تشجع على مثل هذه الحروب والوقائع وتذكى أوارها ، مما أعطى هذا العربى وعياً خاصاً « بالحدث » وجعل له مكانة معينة فى حسه ونفسه ، بحيث يزن به الأمور والأشياء ، ويقيمها من خلال تصوره للحدث نفسه ، ومن هنا نجد أن الإسلام قد ترَسخ على الساحة العربية بصورة مؤكدة عبر أحداث عظيمة من صور الجهاد الرائعة تمثلت فى غزوات الرسول ﷺ وفتوحات أصحابه ، وما كان لهذا الدين أن يستقر فى أعماق الحياة العربية ، لولا تلك الأحداث العظيمة التى صاحبته فى صراع عنيف بين الحق والباطل .

(١) خلف الله : الفن القصصى فى القرآن الكريم ص ٢٨٩ .

وقد كان أمراً منطقياً أن تعتنى القصة النبوية « بالحدث » وأن تسخره وتجعله مظهر قوة فيها ، من أجل تأثير أكثر عمقاً فى نفوس مستمعيها وقارئيها .

ومن أجل التأثير بالحادثة وهو ما تحرص عليه القصة ، نجدها تعرض « الحدث » فى صور أكثر إثارة ، مستعينة فى ذلك بكل ما يمكنها من وسائل ، ويمكن أن نلاحظ بعض تلك الوسائل فيما يلى :

١ – تصوير الحادثة بما يثير عوامل الرغبة ، أو الرهبة فى نفوس الناس من المستمعين ، ونجد ذلك أكثر وضوحاً فى قصص البعث والنشور ومشاهد القيامة ، حيث تعرض بصورة مؤثرة ، ومن الصنف الأول الذى يثير رغبة السامع وتطلعه ما نجده فى قصة « سوق الجنة » حيث تصور حوادثها بصورة دقيقة مغرية ، فالقصة تنقل لنا « حديث الرؤية » لله تبارك وتعالى ، نقلا تصويرياً ، يحدد فيه الزمان ، ويرسم المكان ، ثم يعرض الحدث فى هذا الإطار ولنقرأ معاً : « **أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم ، وما فيهم من دنىّ على كثبان المسك والكافور ، وما يرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً .. ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم كذا وكذا ؟ فيذكر بعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : يارب أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فسعة مغفرتى بلغت بك منزلتك هذه ، فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ... الخ** »[1] .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ .

ومثل ما نجد فى قصة « أحياء يرزقون » فحدث تكريم الله للشهداء تبرزه القصة ، فى صورة تموج بالحركة ، فهذا التكريم يتمثل أمامنا ونحن نشهد هذه الطير الخضر التى جعلت فيها أرواح الشهداء ، وهى تسرح وتمرح ، تغدو وتروح هنا وهناك ، فى تحليق رفاف طليق ، فى جو حفته مظاهر البهجة والحبور ، ولنقرأ بعض ما تقوله القصة : « .. **جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش** ... » [١] إنها صورة تجعل قلوبنا تخفق شوقاً إلى الشهادة .. رغبة فى هذا النعيم الرائع .

ومثل آخر فى قصة « سلام عليكم » فحدث تحية الفقراء والمهاجرين الذى يقوم به الملائكة بأمر الله تنقله القصة فى صورة حية نابضة « .. **فتأتيهم الملائكة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار** » [٢] .

أما الصنف الثانى الذى يثير الرهبة والخوف ، فنجد أمثلة له فى قصص كثيرة ، منها قصة « الصراط » التى يعد إقامة الصراط بين ظهرانى جهنم من أهم أحداثها ، وهو يصور كالآتى : « .. **فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو** .. » [٣] .

وفى قصة « الجنة والنار » ترسم لنا القصة حدث تسعر النار وتضرمها

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ١٤ .

(٢) المسند ( ش ) ١٠ : ٧٦ — ٧٧ .

(٣) البخارى : ٢٠٤ — ٢٠٥ .

فى هذه الصورة « ... **فإذا هى يركب بعضها بعضاً** »(١) ولنا أن نتصور هذا المشهد الفظيع للنار وهى يركب بعضها بعضاً .. وهناك أمثلة أخرى لنقل الحدث مصوراً فى القصة ، نجدها فى قصة « الذى يدور فى النار كما يدور الحمار »(٢) وفى قصة « المسئولية والجزاء »(٣) التى يصف الرسول ﷺ أحداثها وصفاً تصويرياً دقيقاً ، يبعث فى النفس الخوف والوجل ..

٢ — عرض الحوادث المثيرة فى ذاتها ، كما هو واضح فى حوادث قصة المسئولية والجزاء(٤) ، وكما نجد أيضاً فى قصة الذى طلب من بنيه أن يحرقوه(٥) فقد كان حدث هذه القصة مثيراً للغاية ، فبطل القصة يجمع أولاده ، ويأخذ عليهم المواثيق أن يحرقوه إذا مات ، وليس ذلك وحسب ولكنه يطلب منهم أيضاً أن يسحقوه ، وأن يذروه فى يوم عاصف .. كل ذلك خوفاً من الله تبارك وتعالى ، حتى لا يقدر عليه الله بزعمه .. وتتصاعد درجة الإثارة فى الأحداث حين يقول الله تعالى ، بعد أن فعل به أبناؤه ما طلب ، يقول الله : كن فإذا هو قائم أمامه بكامل شخصيته !!

ومن هذه الأحداث المثيرة فى ذاتها ما نجد فى قصة « صوت فى سحابة » حين فوجىء الرجل الذى كان يسير فى أرض فلاة بصوت فى سحابة يقول : اسق حديقة فلان ، فالصوت الذى ينادى بصوت إنسان باسم فلان مثير فى ذاته باعث على العجب ، وتزداد إثارته ، حين يستجيب ذلك السحاب للنداء فيتنحى ويفرغ ماءه .. وإذا الماء يتجه إلى حديقة الرجل صاحب الاسم(٦) ..

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ — ٦٩٤ .

(٢) البخارى ٤ : ١٤٧ .

(٣) المسند ( ص ) ٥ : ١٤ — ١٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) البخارى ٩ : ١٧٨ — ١٧٩ .

(٦) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

٣ - ومن وسائل القصة فى التأثير بالحدث ، محاولة التنقل السريع فى تسلسل الأحداث ، والاعتماد على تتابع الأحداث تتابعاً سريعاً ، لخلق جو ملىء بالحركة ، وكأنما نحن أمام مسرح حافل بالنشاط فى مشاهد حيوية متتابعة (١) ، كما نجد مثلا فى قصة « أصحاب الأخدود »(٢) حيث تعرض فيها الأحداث بشكل متلاحق إلى أن تصل إلى النهاية على الوجه الآتى ؛ الساحر يطلب الغلام ، ثم يلتقى الغلام بالراهب ويتأثر به ، والساحر يضرب الغلام ، حل المشكلة ، خروج الدابة وضربها من قبل الغلام ، اشتهار أمر الغلام وعلاجه للناس ، إيمان جليس الملك وشفاؤه ، علم الملك بالغلام ، إحضار الراهب عند الملك ، إعدام الراهب والجليس ، إرهاب الغلاَم ومحاولة إرجاعه عن دينه ، فشل محاولات الملك فى قتل الغلام ، اقتراح الغلام على الملك أن يصلبه بالطريقة التى اختارها ، إيمان الناس بعد صلب الغلام ، غضبة الملك على الناس ، إضرام النيران وإلقاء الناس فيها ، فنلاحظ من هذا الاستعراض السريع للأحداث ، أن الأحداث تجرى فى القصة بشكل متنقل سريع ..

ومثل ذلك فى قصة « المعراج »(٣) حيث تتابع الأحداث فيها ابتداء من ركوب الرسول ﷺ للبراق ، ثم إتيانه بيت المقدس ، وصلاته فيها ، ثم خروجه منه ، ثم إتيان جبريل بآنية الخمر واللبن ، ثم العروج إلى السماء ، حيث أخذ الرسول ﷺ ومعه جبريل فى التنقل من سماء إلى سماء صعوداً إلى أعلى ، وفى كل مرة يستفتح جبريل فيفتح لهم ، وفى كل سماء يقابل الرسول ﷺ نبياً من الأنبياء ، وفى السماء السادسة شاهد الرسول ﷺ إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، ثم أوحى الله إليه ، وفرض الصلاة خمسين صلاة ، ثم

---

(١) انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٤٨ .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٤٥ - ١٤٧ .

مرور الرسول ﷺ على موسى وإخباره بما فرض الله عليه ، وطلب موسى منه أن يراجع ربه يسأله التخفيف ، مراجعة الرسول ﷺ ربه أكثر من مرة ، حتى خُففت الصلاة إلى خمس بدل خمسين ..

وانظر قصصاً أخرى تجرى على هذا النحو من استعراض الحوادث بصورة متلاحقة سريعة ، مثل قصة « المسيح الدجال »[١] و« الدجال والمسيح »[٢] و« النفخ فى الصور »[٣] وغيرها[٤] .

٤ – الحرص على ترابط الحدث من الداخل ، بحيث يؤدى هذا الترابط إلى وحدة فى الأثر لدى المتلقى بصورة قوية ومركزة من خلال تطور الحدث من نقطة تكون هى السبب فى وجوده من حيث الأصل ، إلى نقطة ينتقل إليها بشكل منطقى ، فكل جزء فى الحدث يؤدى إلى الجزء الذى يليه بصورة مقنعة مبررة ، ولا شك فى أن تدرج تطور الأحداث يمثل مظهراً جيداً لترابط بنائية الحدث من الداخل ، كما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود » وفى قصة « جريج » وغيرهما من النماذج[٥] .

والأحداث فى القصة النبوية أنواع مختلفة ، وكل نوع له طبيعته الخاصة ، ويمكن أن نستجلى هذه الأنواع فيما يلى :

١ – نوع من الأحداث يكون من قبيل القضاء والقدر ، بحيث تحدث فى القصة بصورة تجعلنا ننسبها مباشرة إلى تدخل قدر الله فى إجرائها كما نجد فى بعض أحداث قصة « المستلف ألف دينار » حيث يُسيِّر القدر فيها الأحداث ،

---

(١) المصدر السابق ٤ : ٢٢٥٠ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢١٦ – ٢١٧ .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٥٨ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٢١١٨ .

(٥) انظر : الحبكة فى القصة النبوية ، حيث تناولت هناك فى نسيج القصة مبررات الحوادث فى القصة النبوية ، كما تناولت خصيصة التدرج والانفراج فى هذه الأحداث مع عرض النماذج .

وذلك بتسيير الخشبة فى البحر إلى الجهة التى كان فيها صاحب المال ، وكذلك خروج الرجل صاحب المال فى الوقت الذى وصلت فيه الخشبة ، فإذا هو بالخشبة فأخذها حطباً .. الخ[١] . ومثل ذلك نجده فى قصة « الله يعصمك » حين يتدخل قدر الله فى إنقاذ الموقف الذى يتهدد حياة الرسول ﷺ وقد وقف الرجل على رأسه بالسيف مصلتاً .. وهنا شام السيف .. وامتنع عن ضرب الرسول ﷺ[٢] ..

وكذلك نجد بعض أحداث قصة « أصحاب الأخدود » لا تخلو من هذا النوع ، وذلك عندما قضى الله أن يلطف بالغلام حينما حاول أعوان الملك قتله مرة يعود فيها الغلام إلى الملك يقول له : « **كفانيهم الله** » [٣] ، ومثل ذلك ما نجد فى بعض أحداث قصة « موسى والخضر » حينما نام موسى وصاحبه ، نجد فى بعض أحداث قصة « موسى والخضر » حينما نام موسى وصاحبه ، فخرج الحوت من المكتل ، ولما استيقظا انطلقا يوماً وليلة ثم أرادا الحوت فلم يجداه فعادا فى طلب الحوت ، ولما وصلا إلى الصخرة وجدا الخضر عندها ، فقد قدر الله أن يخرج الحوت ، وألا يذكراه حتى يبتعدا عن المكان وذلك لكى يرجعا فى الوقت الذى يصادف وجود الخضر لأمر قضاه الله وقدّره[٤] ..

٢ — خوارق ومعجزات ، يجريها الله تبارك وتعالى ، بحيث تتم فى صورة مخالفة لسنن الحياة الطبيعية ، وإنما تحدث بإرادة الله المتصرف فى كونه ، لقصد نصرة مظلوم كما نجد فى قصة « إبراهيم وزوجته والملك » حين طلب الملك إحضار سارة ، وأرادها عن نفسها ، وهنا تتجه المرأة المؤمنة العفيفة مستنجدة بالله ، فمنع الملك أن يصل إليها بمعجزة إلهية ، بحيث أنه كلما حاول

---

(١) البخارى ٣ : ١٢٤ — ١٢٥ .

(٢) مسلم ٤ : ١٧٨٦ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٢٢٩٩ .

(٤) البخارى ٦ : ١١٠ — ١١٢ .

أن يقترب تصلبت رجله ، وحدث ذلك ثلاث مرات ، وبعدها أمر بإخراجها ، دون أن يمسها سوء[١] .. ومن قبيل ذلك نطق الغلام فى قصة « جريج » حيث كشف الله بنطقه المعجز ، الغمة التى أحاطت بجريج والناس من حوله يشتمونه ويسبونه بتهمة الزنا بالبغى الفاجرة[٢] ..

وكذلك نطق الغلام الرضيع ، مبيناً سبب مخالفته لدعاء أمه له ، وكاشفاً الحقيقة التى حجبتها المظاهر الخادعة ، حين بين حقيقة الراكب صاحب الهيئة الحسنة ، والشارة الجميلة ، وحقيقة الأمة الضعيفة التى تضرب وتهان[٣] .

وربما كانت المعجزة دافعة للمؤمنين المخلصين إلى أن يستمسكوا بالحق الذى هم عليه ، وأن يثبتوا مهما كلفهم ذلك من ألم وعناء ، كما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود » حين ختمت بهذا المشهد الرائع : « .. **فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخدت ، وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمة ! اصبرى ، فإنك على الحق** » [٤] وتتكرر الحادثة نفسها فى قصة « الماشطة » حين أحميت بقرة من نحاس فألقى فيها أولادها إلى أن بقى منهم غلام مرضع ، وكأنها تقاعست من أجله ، قال : « **يا أمة اقتحمى ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت** » [٥] .

---

(١) البخارى ٣ : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) المسند ١٥ : ٢٠٩ ( ش ) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٥) المسند ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ( ش ) .

٣ – أحداث غير مألوفة ، لا تحدث إلا نادراً ، بحيث تبدو فى نظر السامع أو القارىء أحداثاً غريبة ، كأحداث قصة « المسئولية والجزاء »[١] . التى يستعرضها الرسول ﷺ كما عرضت عليه ، فى صورة يؤخر فى عرضها كشف الغموض الذى يلف هذه الأحداث إلى نهاية القصة ، ومثلها أحداث قصة « مدينة الذهب »[٢] ، وكالأحداث التى كان يقدم عليها « الخضر » فى قصته مع موسى عليهما السلام ، من خرقه للسفينة ، وقتله للغلام ، وإقامته للجدار الذى يريد أن ينقض ، وكانت هذه الأحداث مثار عجب موسى واستغرابه ، ولذلك كان يستنكر على الخضر فى كل مرة[٣] ، ومن هذه الأحداث غير المألوفة التى تعرضها القصة ، كلام القبر فى قصة « القبر روضة أو حفرة »[٤] والصوت الذى يتردد فى وسط السحابة يقول : اسق حديقة فلان ، فى قصة « صوت فى سحابة »[٥] وطلب الإحراق الذى تقدم به الرجل إلى أبنائه ، وأخذ عليهم فى ذلك العهد والميثاق ، حرصاً منه على أن ينفذوا طلبه[٦] ..

٤ – والنوع الرابع أحداث عادية مألوفة ، تحدث فى عموم القصص ، والتى تقع للشخصيات فى صورة طبيعية ، ولا بأس أن نعرض صورة منه هنا ، وذلك فى قصة « إبراهيم واسماعيل » ، كمرور الجرهميين ونزولهم فى أسفل مكة ، ورؤيتهم للطائر ، واستنتاجهم أنه يدور حول ماء ولابد ، ولقاؤهم بأم اسماعيل واستئذانهم فى النزول عندها ، وما كان من نمو

---

(١) المصدر السابق ( ص ) ٥ : ١٤ – ١٥ .

(٢) البخارى ٦ : ٨٧ .

(٣) البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

(٤) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ .

(٥) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

(٦) البخارى ٩ : ١٧٨ – ١٧٩ .

إسماعيل عليه السلام ، وتعلمه العربية منهم ، وزواجه من إحدى بناتهم ، وما كان من موت أم إسماعيل ، وإتيان إبراهيم ومقابلته لزوجة إسماعيل وكان زوجها غائباً ، وسؤال إبراهيم عن عيشهم وحياتهم ، ثم إتيانه مرة أخرى ، ولقاؤه بالزوجة الثانية لإسماعيل ، ثم ما كان من إتيانه فى المرة الثالثة ولقائه بإسماعيل ، واتفاق الاثنين على بناء البيت الذى طلب الله من إبراهيم أن يقيمه فى مكة ، فهذه الأحداث ، أحداث عادية مألوفة تحدث من الشخصيات من حيث هم أفراد عاديون ، وفى صورة طبيعية معهودة[١] .

ومثل ذلك بعض أحداث قصة « الغار والصخرة »[٢] ، فى قصصها الثلاث الداخلية ، التى كان الرجال الثلاثة يعرضونها فى مناجاتهم لربهم وقد وقعت عليهم الصخرة فسدت باب الغار ، حيث كان كل واحد منهم يعرض قصة حدثت له ، وما كان له فيها من عمل صالح يرجو بعرضه هنا أن يتوسل به إلى الله ليكشف عنهم هذا البلاء الشديد ، فكانت أحداث قصصهم من قبيل أحداث الحياة التى يوجد أمثالها فى الواقع ، وهذا لا ينفى عنها صفة الإثارة التى تنطوى عليها أحداث هذه القصص فى الواقع .

( ٥ )

ينظر إلى الحوار فى أى قصة من حيث هو عنصر مهم ، وذلك أن الحوار مظهر بارز للعملية القصصية ، وجانب حيوى من بناء القصة الفنى ، والحوار أسلوب مهم من أساليب بناء الشخصية فى القصة ، بحيث نستطيع أن نشهد هذه الشخصية ، وهى تتحدث فى حوار مع الآخرين معبرة عن نفسها ، وعن أفكارها .

---

(١) المصدر السابق ٤ : ١٧٣ — ١٧٥ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ — ٢٧٥ .

وأهمية الحوار أيضاً تأتى من أن القصة فى الأساس عملية سردية ، تتبع فيها الأحداث والمواقف بطريقة سردية رتيبة ، ولكى لا تبدو هذه الرتابة بصورة مملة ، فإن القصة تلجأ إلى استعمال الحوار ، لإعطاء هذا السرد نوعاً من الحيوية والإثارة ، حتى تستطيع القصة أن تشد المستمع إليها ، وتحمله على المتابعة المستمرة ، لأن المستمع سيجد فى الحوار تشويقاً ومتعة لا حد لهما ، ويثير فى نفسه مختلف العواطف والانفعالات كما أن الحوار سيلبى لديه حاجته النفسية ، فى حب المعرفة النابعة من حبه لاستطلاع معنى الحوار وأبعاده ، وما يترتب على الحوار من مواقف ، وما يخلقه من أحداث .

ومن هنا نلاحظ أن الحوار ينتشر فى معظم نصوص القصة النبوية انتشاراً واسعاً ، وبصورة إيجابية ، ذات أثر واضح فى تدعيم البنية القصصية وخدمة الجانب الفنى ، كما سيتضح ذلك فى تفصيل الحديث عن وظائف الحوار فى القصة النبوية فيما بعد ..

ولا أدل على انتشار عنصر الحوار فى غالبية القصص النبوية ، من كثرة النصوص المشتملة على هذا العنصر ، حيث قد بلغ عدد هذه النصوص اثنتين وسبعين قصة ، واشتملت هذه النصوص على مائة وأربع وستين صورة من صور الحوار بين مقطع حوارى يطول أحياناً طولا نسبياً ، ونجد من هذا النوع ستة وعشرين مثالا ، منها خمسة نماذج تأتى كلها فى شكل قصة حوارية ، بحيث تبدو القصة كلها فى هيئة حوار[1] .

وأحياناً تكون المقاطع الحوارية قصيرة نوعاً ما ، وهو قصر يتناسب مع القصر العام الذى تتسم به القصة النبوية بصورة عامة ، ويبلغ عدد هذه المقاطع

---

(١) وهى قصة « المؤمن والكافر » المسند ( ص ) ٣ : ٨١ ، وقصة « إحلال الرضوان » مسلم ٤ : ٢١٧٦ ، وقصة « أشد من الريح » المسند ( ص ) ٣ : ١٢٤ ، وقصة « أحبه فى الله » المصدر السابق ٢ : ٥٠٨ ، وقصة « آدم وموسى » سنن أبى داود : ٥٢٨ .

مائة وثمانية وثلاثين مقطعاً ، فى شكل فقرات أو وقفات حوارية سريعة ومعبرة .

وقد تحتوى القصة الواحدة أحياناً على تسعة مقاطع حوارية كما نجد فى قصة « المعراج »(١) أو على سبعة مقاطع كما فى قصة « أمتى يارب »(٢) ، وعلى خمسة مقاطع كما فى قصة « آخر رجل يدخل الجنة »(٣) ، وقصة « موسى والخضر »(٤) ، وكذلك قصة « أصحاب الأخدود »(٥) مما يعكس أصالة هذا العنصر فى القصة النبوية ، وأنه يستخدم فى نسيجها بصورة رئيسة بناءة .

**طبيعة الحوار :**

الملاحظ فى الحوار أنه يأتى فى سياق القصة فى صورة طبيعية ، أى أنه يبرز إلى الوجود فى ساحة القصة من خلال الموقف وبدافع منه فهو لا يقحم على السياق ، ولا يفرض عليه فرضاً ، كما نجد ذلك واضحاً فى المثال الآتى ، من قصة « إبراهيم وإسماعيل » :

« .. **وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم ، بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل** » هذا هو الموقف « عدم وجود الابن » وهنا لابد من السؤال عنه ، وأولى من يُسأل عنه زوجته فهى أعلم الناس به ، وهكذا نشأ الحوار بين إبراهيم عليه السلام وزوجة إسماعيل :

« – **فسأل امرأته عنه .**

**فقالت : خرج يبتغى لنا ،**

---

(١) البخارى ٥ : ٦٦ – ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ .

(٣) المسند ( ص ) ٣ : ٢٧ .

(٤) البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

(٥) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

**ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ،**
**فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه .**
**قال : فإذا جاء زوجك فأقرئى عليه السلام ، وقولى له : يغير عتبة بابه »** (١) .

ومثال آخر فى القصة نفسها يأتى بعد هذا الحوار بقليل ، وذلك حين جاء إسماعيل ، ونشأ بينه وبين زوجته ، وهو حوار دفع إليه الموقف نفسه ، والقصة نفسها تشير إلى ذلك حين تقول :

**« فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً » لقد توجس أن أحداً جاء ، ومن الطبيعى أن يسأل ويستفسر :**

**« فقال : هل جاءكم من أحد ؟**
**قالت : نعم ، جاءنا شيخ ، كذا وكذا : فسألنا عنك فأخبرته أنا فى جهد وشدة .**
**قال : فهل أوصاك بشىء ؟**
**قالت : أمرنى أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك .**
**قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، إلحقى بأهلك .. »** (٢) .

والحوار كما نلاحظ فى هذه الأمثلة ، وفى غيرها قصير ، لا يستمر طويلا بحيث يستغرق وقتاً طويلا ، يمضيه المتحاوران فى حديثهما ، فلا يلبث بعد عدة فقرات أن يتوقف عند نقطة معينة ، وهو أيضاً سريع بمعنى أن المتحاورين لا يطنبان أثناء الحوار ، بل يكتفى كل منهما بجملة واحدة أو جملتين ، وربما اكتفى أحدهما بكلمة أو كلمتين كما نجد فى الحوار بين الملك والرجل فى قصة « إنى أحبه فى الله » :

---

(١) البخارى ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق .

**« خرج رجل يزور أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله عز وجل على مدرجته ملكاً ، فلما مر به ،**

**قال : أين تريد ؟**

**قال : أريد فلاناً .**

**فقال : للقرابة ؟**

**قال : لا .**

**قال : فلنعمة له عندك ، تربُّها ؟**

**قال : لا .**

**قال : فلم تأتيه ؟**

**قال : أنه أحبه فى الله عز وجل .**

**قال : فإنى رسول الله إليك ، أن الله عز وجل يحبك بحبك إياه فيه »** (١) .

ولكنه مع قصره وسرعته دال ومعبر عن الموقف ، وعن الغرض الذى من أجله سيق أصلا ، فهو يحقق الغاية التى أنشىء من أجلها بحيث يأتى رد المحاور على محاوره فى الحدود ، التى يقتضيها السؤال ، أو جملة الحوار الناشئة من الطرف الآخر ، إنها تأتى مؤدية للمراد من غير ما اضطراب أو قصور يخل بصورة الحوار ، ومن غير ما حشو يفسد الحوار ويذهب بصورته الحيوية الممتعة ، كما هى الحال حين يطنب المحاور ، ويسترسل فى كلام لا آخر له ، هو من الفضول والحشو الذى لا طائل تحته ..

والحوار فى القصة النبوية لا يعرض علينا فى مظهر مسرحى ، بحيث يتم التحاور بين الأشخاص بالصورة المباشرة ، التى لا نشعر معها بوجود الراوى ، ولكنه يعرض بصورة يكون فيها الحوار مضمناً فى السرد ، فهو ذو علاقة وثيقة

---

(١) المسند ( ص ) ٢ : ٥٠٨ .

بالسرد ، بحيث نحس بحضور الراوى يحكى لنا فى أثناء سرده للقصة مقولات المتحاورين ، وينقلها لنا مسبوقة بلفظ « قال » أو « قالوا » أو ما شابه ذلك من ألفاظ ، وهذه هى الطريقة التى يصور بها الحوار فى قصص القرآن الكريم أيضاً (١) .

ومما يلحظ فى حوار القصة النبوية أنه قد يكون بين اثنين ، كما مر فى الحوار بين إبراهيم وزوجة إسماعيل ، وفى الحوار بين إسماعيل وزوجته ، وفى الحوار بين الملك والرجل ، ومثل ذلك الحوار بين الرجلين فى قصة : « جرة الذهب » (٢) وكذلك فى قصة « المستلف » (٣) وهذه هى الصورة الأكثر .

وقد يكون الحوار بين واحد من طرف ، وجماعة من طرف آخر وهذه الصورة كثيرة أيضاً ، ولكنها أقل من الأولى ، كما نجد فى الحوار بين الله تبارك وتعالى والملائكة فى قصة « الطوافون »(٤) وبين الله وأهل الجنة فى قصة « الرضوان »(٥) وبين الله والملائكة فى قصة « أشد من الريح »(٦) وكما نجد فى الحوار بين الناس والأنبياء وكل نبى على حدة فى قصص الشفاعة ، مثل قصة « أمتى يارب »(٧) و« قل تسمع »(٨) ، وغير ذلك .

وقد يكون الحوار بين جماعة وجماعة وهذا قليل ، كما نجد فى الفقرة الحوارية بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب التى تصور اختصام الملائكة فى

---

(١) انظر : القصص القرآنى منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ص ١٢٣ ، وانظر أيضاً : الفن القصصى فى القرآن الكريم ، لخلف الله ص ٣٠٣ .

(٢) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٢٤ — ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق ٨ : ١٠٧ — ١٠٨ .

(٥) مسلم ٤ : ٢١٧٦ .

(٦) المسند ( ص ) ٣ : ١٢٤ .

(٧) البخارى ٦ : ١٠٥ — ١٠٧ .

(٨) المسند ( ص ) ٣ : ٢٤٤ — ٢٤٥ .

الرجل التائب فى قصة الذى « قتل مائة »[١] ، وكما نجد فى الحوار بين الناس ، بعضهم مع بعض ، حين يبلغ بهم من الغم والكرب ما يبلغ ، فيتحاورون فى البحث عن مخرج ، وذلك فى قصة « أمتى يا رب »[٢] .

وقد يكون الحوار مع النفس فقط ، وهذا هو الأقل بل إنه لم يوجد إلا فى مثالين فقط ، حيث نجد صورة من حوار داخلى ، يتمثل فى حديث الشخصية مع نفسها كما نجد فى قصة « الكلب اللاهث » حين يقنع الرجل نفسه بسقيا الكلب حين يقول : « لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى »[٣] ، وفى قصة « أصحاب الأخدود » حين قال الغلام لنفسه وهو يهم بضرب الدابة بالحجر : « اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ »[٤] .

**وظائف الحوار :**

إنه مما يؤكد أهمية عنصر الحوار فى القصة النبوية ، الدور البارز له فى بناء القصة ، والذى يتضح جلياً من خلال الوظائف المتعددة ، التى يؤديها فى البناء الروائى للقصة ، وهى وظائف ذات مناح مختلفة ، نستطيع أن نستجليها فيما يأتى :

١ – المساعدة فى رسم الشخصية ، فهو سيجعل الشخصية أكثر حضوراً ، وتجسيماً من خلال حضورها فى الحوار ، وسيجعلها كاملة الوضوح أمام القارىء أو السامع ، الذى سيحس بها من خلال حديثها وكلامها والدور الحقيقى هنا للحوار ، وهو ما يحمله من ترجمة لمشاعر الشخصية وعواطفها

---

(١) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٢) البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ٨ : ١١ .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

وأحاسيسها المختلفة ، التى ستبوح بها من خلال الكلمات الواردة على لسانها ، كما نجد فى حوار الملك مع الأقرع والأبرص حين سألهما عن أحب شىء إليهما ، حيث طلبا إزالة ما بهما من عاهة ، فقال الأبرص : « **لون حسن وجلد حسن قد قذرنى الناس** » وقال الأقرع : « **شعر حسن ، ويذهب عنى هذا قد قذرنى الناس** » فقد كشف لنا حوار الملك معهما عما تنطوى عليه نفساهما من شعور بالنقص ، الذى يسبب ازدراء الناس لهما ، ونفورهم منهما ، كما يكشف الحوار أيضاً عما تنطوى عليه نفساهما من عواطف الجحود والنكران ، كما يبدو من حوارهما مع الملك بعد أن زال ما بهما من أذى وعاهة ، فى القصة نفسها[١] .

وكما نجد فى الحوار النفسى فى قصة « الكلب اللاهث »[٢] حيث يصور حديث الرجل مع نفسه ، مشاعره وعواطفه ، تجاه هذا الكلب الذى يأكل الثرى من العطش ، ومثله حديث الغلام لنفسه فى قصة « أصحاب الأخدود »[٣] ، وهو يريد ضرب الدابة : « **اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل** » إنه يمثل حيرة نفسية يعانيها الغلام ويطلب ما يزيلها بالدليل الواقعى الحى ، وكما نجد أيضاً فى حوار موسى مع الخضر فى قصتهما ، حيث يعكس نفسية موسى عليه السلام ، وما تنطوى عليه من مزاج حاد وسرعة فى الغضب[٤] .

٢ – تطوير الحدث ، والسعى به نحو حلقات جديدة ، ودفعه لبعث مواقف جديدة فى خط سير القصة إلى أن تصل إلى النهاية المقصودة ، مثلما نجد فى الحوار الذى تم بين الملك والجليس فى قصة « أصحاب الأخدود »[٣]

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٢) البخارى ٨ : ١١ .

(٣) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٤) البخارى ٦ : ١١٠ – ١١٢ .

فقد أتى الجليس إلى الملك وجلس إليه بعد أن شفى فقال له الملك : « **من رد عليك بصرك ؟**

**قال : ربى !**

**قال : ولك رب غيرى ؟!**

**قال : ربى وربك الله !** » وهنا ينتهى الحوار القصير ، ولكنه وقد انتهى بتسبب فى إنشاء أزمة جديدة ، وحدث جديد ، ذلك أن الملك بعد هذا الحوار الذى كشف عن إيمان الجليس بالعقيدة الجديدة أخذ يعذبه حتى دل على الغلام ، والغلام دل على الراهب وهكذا ..

وفى قصة « جريج »[١] نجد مثلا آخر فى الحوار الذى تم فى مجلس بنى إسرائيل ، حين تذاكروا عبادة جريج وصلاحه ، وكان فى ذلك المجلس بغى منهم شاركت فى الحوار حين قالت : « **لئن شئتم لأصبينه ؟! فقالوا : قد شئنا !** » وتقول القصة بعد ذلك : « **فأتته فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأمكنت نفسها من راع .. الخ** » وهكذا نجد أن هذا الحوار يطور الأحداث ويدفع بها إلى الأمام ، فقد كان انطلاق البغى إلى الراهب ... ثم إلى الراعى وما استتبع ذلك من أحداث ، إنما كان الدافع إليه هذا الحوار ، فهو الذى تسبب فى إنشاء هذه المواقف وهذه الأحداث ..

٣ – تعميق الحدث فى نفوسنا ، وتجسيده من خلال فقرات الحوار الدائرة حوله أو المنبعثة منه ، كما نجد فى قصة « الأولاد الشفعاء »[٢] الذين يدخلهم الله مع آبائهم الجنة بفضل رحمته ، والحدث وهو دخول الجنة ، حدث من الأهمية بمكان ، ومن هنا تحاول القصة تعميقه بالحوار الذى يؤكده كما هو واضح فى المحاورة الآتية :

---

(١) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) المسند ( ص ) ٢ : ٥١٠ .

**« – يقال لهم : ادخلوا الجنة !**
**فيقولون : حتى يجيء أبوانا ، قال : ثلاث مرات .**
**فيقولون مثل ذلك .**
**فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم » .**

وحدث تقديم التحية من قبل الملائكة إلى الفقراء والمهاجرين فى قصة « سلام عليكم »(١) تحرص القصة على تعميقه لدى المستمعين والقراء من خلال الحوار الذى تسوقه :

**« فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم !**
**فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك ، وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم !**
**قال : إنهم كانوا عباداً يعبدونى ، لا يشركون بى شيئاً ، وتسد بهم الثغور ، ويتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره ، لا يستطيع لها قضاء ، قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك . الخ » .**

٤ – المساعدة على تصوير مواقف معينة فى القصة ، كما يؤدى ذلك الحوار فى قصة « الملائكة الطوافون »(٢) : حيث يكشف ما ينطوى عليه موقف الذاكرين لله من تفاصيل ، كما يصور ما تنطوى عليه نفسياتهم من رجاء وخوف ، ولنقرأ الحوار معاً :

**« .. فيسألهم ربهم – وهو أعلم منهم – : ما يقول عبادى ؟**
**قالوا : يقولون ، يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ، قال :**
**فيقول : هل رأونى ؟**
**قال : فيقولون : لا والله ما رأوك !**

---

(١) المصدر السابق ( ش ) ١٠ : ٧٦ – ٧٧ .
(٢) البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

قال : فيقول : وكيف ولو رأونى ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ؟

قال : يقول : فما يسألونى ؟

قال : يسألونك الجنة ؟

قال : يقول : هل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ؟

قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ،

قال : فمم يتعوذون ؟

قال : يقولون : من النار !

قال : يقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة !

قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم !

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة !

قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » .

وفى قصة « جرة الذهب »[١] نجد الحوار بين البائع والمشترى ، يصور موقف الرجلين من هذه الجرة التى عثر عليها فى العقار ، بما يحمله هذا الموقف من أمانة ونزاهة يتحلى بها كل منهما . وفى قصة « البطاقة الثقيلة »[٢] نجد

---

(١) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ .

الحوار يصور موقف الرجل صاحب السجلات فى خوفه من هذه السجلات ووجله من عواقبها !!

٥ – التخفيف من رتابة السرد ، وهذه وظيفة حيوية ، تتحقق فى جميع صور الحوار ، فى كل قصة اشتملت على هذا العنصر ، وهذا يبعد عن القارىء الشعور بالملل والسآمة ، التى ربما نشأت من خلال السرد المتواصل ، ويجعله يتابع القصة بارتياح وشوق ..

٦ – كشف مغزى القصة ، والإبانة عن غرضها الذى ترمى إليه ، كما نجد فى الحوار الذى تم بين الرجل الذى سمع الصوت فى السحابة وصاحب الحديقة فى قصة « صوت فى سحابة »(١) فقد تتبع الرجل الماء إلى أن دخل حديقة فيها رجل قائم يحول الماء بمسحاته .

« **فقال له : يا عبد الله ؟ ما اسمك ؟**

**قال : فلان ، للاسم الذى سمع فى السحابة .**

**فقال له : يا عبد الله ! لم تسألنى عن اسمى ؟**

**فقال : إنى سمعت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك .. فما تصنع فيها ؟**

**قال : أما إذا قلت هذا ، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثه ، وأرد فيها ثلثه** » فنلاحظ أن الحوار ينتهى بالكشف عن غرض القصة وهو التركيز على أهمية الصدقة ، وبيان فضلها ، وعظمها عند الله ، كما تعبر عن ذلك هذه القصة العجيبة .

ومثل هذا الكشف نجده فى قصة « الذى طلب إحراقه »(٢) فى الفقرة الحوارية الأخيرة التى تمت بين الله تبارك وتعالى ، والرجل حين أحياه

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

(٢) البخارى ٩ : ١٧٨ – ١٧٩ .

فقال : « **أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق منك** » فالمغزى هنا هو خوف الله وخشيته ، ولذلك فالقصة تقرر فى ختامها أن الله – تبارك وتعالى – رحمه عندها ، فهذا الحوار يحمل توجيهاً للمؤمنين بأن تكون خشية الله حية فى ضمائرهم على الدوام .

ومثال آخر نجده فى الحوار الذى ختمت به قصة « المستلف » بين الرجلين ، حيث يكشف عن المغزى الذى تهدف إليه القصة ، وهو بيان أن الله هو الذى سخر البحر ، ويسر الرياح حتى قذفت بالخشبة إلى الساحل الذى عليه صاحب المال ، وأوصلتها سالمة إليه ، وهذا يعنى أن الله قريب من المؤمنين ، الواثقين بالله ، المطمئنين إلى عونه ورعايته ، حين يخلصون ويتقون[1] .

٧ – كما أن الحوار يضفى على القصة نوعاً من الواقعية الحية فى نظر السامع أو القارىء ، إذ يحس أنه أمام أحياء يمارسون وجودهم فعلا من خلال ما يقرؤه ، أو يسمعه من أحاديثهم ، ومحاوراتهم التى تردد على مسامعه فى ثنايا القصة ، وخلال مواقفها المتعددة[2] .

## ( ٦ )

الظاهرة البارزة فى القصة النبوية ، بإزاء عنصر الزمان والمكان فيها ، أنهما ليسا محل اهتمامها المباشر ، وإنما التركيز بالدرجة الأولى ينصب بصورته الرئيسة على الأحداث أما الزمان والمكان فإننا نشعر بهما من خلال نطاق ضيق عبر إشارات مباشرة وغير مباشرة من خلال العرض القصصى وفى صورة

---

(١) البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) انظر : حسين القبانى فى : فن كتابة القصة ص ٩٥ ، والشارونى فى : القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً ص ٦٥ .

محددة أحياناً ، وباهتة فى أحيان أخرى .. والزمان فى القصة يمكن أن نتحدث عنه من خلال زاويتين : الأولى من حيث علاقته بالحدث فى القصة ، ومن هذه الزاوية نلاحظ أن الحدث فى القصة النبوية يتحقق عبر انتظام فى الإطار الزمنى ، هذا الإطار الذى يعتبر وسيلة من وسائل الحركة والتطور فى القصة ، بمعنى أن الأحداث تبرز فى العرض السردى فى صورة زمنية منطقية تترتب فيها النتائج على المقدمات ، وتنتقل الشخصيات من حال إلى حال ، بدافع من أسباب سابقة ، عبر تسلسل زمنى له أثره فى السير بالأحداث إلى النهاية ، فى حركات مضبوطة وخطو منتظم .

والزاوية الثانية ، هى النظر إلى الزمن من حيث هو وعاء للحدث ، أى تحديد الفترة الزمنية التى وقع فيها الحدث ، ومن هذه الزاوية نجد إشارات متناثرة تبرز فى القصة حين يكون لهذا الزمن أهمية خاصة فى تقدير الحدث نفسه وإضفاء الإثارة عليه ، وطبعه بطابع الأهمية والخطورة كما نجد فى الإشارات إلى الزمن الكلى الذى تحدث فيه القصة كزمن « **يوم القيامة** » أو « **اليوم الآخر** » فهذا اليوم تتكرر الإشارة إليه فى كل قصة تكون أحداثها واقعة فيه ، وقد بلغ عدد ذكر هذا الزمن اثنتين وعشرين مرة[1] .

وأحياناً تكون الإشارة إلى أن القصة حدثت فى الزمن الماضى ، وتكون الإشارة إلى ذلك بنحو « **كان فيمن سلف** » أو « **فيمن كان قبلكم** » وقد تكررت هذه ثمانى مرات[2] .

---

(١) انظر : مثلا البخارى ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ ، المسند ( ص ) ٣ : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، المصدر نفسه ٤ : ١٤٧ .

(٢) انظر : مثلا البخارى ٩ : ١٨٥ ، المصدر نفسه ٤ : ٢٠٨ ، مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

وقد تأتى الإشارة إلى الظرف الذى يقع فيه الحدث نحو « **أتانى الليلة** . » [١] . و « **تصدق الليلة** » [٢] و« **لأطوفن الليلة** » [٣] . و« **قمت من الليل** » [٤] . أو أنه وقع فى وقت معروف نحو « **وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة** .. » [٥] ، ونحو « **الليلة التى أسرى بى فيها** » [٦] ، وأحياناً تكون الإشارة إلى المدة التى استغرقها الحدث نحو « **جاورت بحراء شهراً** » [٧] .

وقد نجد إشارات إلى أزمان جزئية داخل القصة ، وهى إشارات كثيرة نحو « **ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا** .. » [٨] ونحو « **حتى أيقظهما الصبح** » [٩] ، ونحو « **يجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر** »[١٠] وغير ذلك ، وقد بلغت هذه الإشارات الجزئية نحو سبع عشرة إشارة .

وكذلك يعد المكان وعاء للأحداث ، فهو مسرحها الذى تقع عليه ، والقصة أحياناً تحاول أن تشعرنا بالمكان ، وبخاصة حين يكون متعلقاً بأحداث اليوم الآخر ، لما يلقيه ذكر المكان من إيحاءات خاصة فى نفوس المستمعين والقراء ، ولذلك نجد الإشارة تتكرر لأماكن اليوم الآخر ، « فالجنة » تذكر

---

(١) البخارى ٦ : ٨٧ .
(٢) مسلم ٢ : ٧٠٩ .
(٣) مسلم ٣ : ١٢٧٦ .
(٤) سنن الترمذى ٥ : ٣٦٨ .
(٥) البخارى ٤ : ١٣٩ .
(٦) المسند ( ش ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .
(٧) مسلم ١ : ١٤٤ .
(٨) سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ .
(٩) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .
(١٠) سنن النسائى ١ : ١٩٤ .

تسعاً وعشرين مرة كمكان للحدث[١] ، وكذلك « النار » فقد ذكرت ثلاثاً وعشرين مرة[٢] ، ومن أماكن اليوم الآخر ، مكان الحشر الذى تشير إليه القصة بقولها : « **يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد** » [٣] وقد ورد ذكره خمس مرات ، و« الصراط » وهو الجسر الذى بين النار والجنة ، تذكره القصة أربع مرات[٤] ، ومن الأماكن المتعلقة باليوم الآخر ، وجاء له ذكر أيضاً « العرش » فقد قال الرسول ﷺ : « .. **فآتى تحت العرش** .. » [٥] وكذلك يذكر « سوق الجنة » لما يدل عليه من تكريم المؤمنين : « **فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة .. الخ** » [٦] .

وهناك أماكن من غير اليوم الآخر ، حدثت فيها بعض وقائع القصص تشير إليها القصة ، ويمكن أن نستعرضها هنا بسرعة :

« **فإذا رجل قائم وسط الدار** .. » [٧] ، « بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر »[٨] ، « .. كانوا فى كهف فوقع الجبل على باب الكهف .. »[٩] و« عند موضع زمزم .. فنزلوا أسفل مكة .. يبرى نبلا تحت دوحة قريباً من

---

(١) انظر : مثلا البخارى ٣ : ١٦٧ ، المسند ( ش ) ٤ : ١٨٧ ، المسند ( ص ) ٣ : ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر مثلا سنن الدارمى ١ : ٣١ - ٣٢ ، البخارى ٤ : ١٦٩ ، المصدر السابق ٤ : ١٤٧ .

(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ ، وانظر أيضاً المسند ( ش ) ١ : ١٦١ ، وسنن الدارمى ٢ : ٢٣٤ .

(٤) البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، المسند ( ص ) ٣ : ١٦ - ١٧ .

(٥) البخارى ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٦) سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ .

(٧) المسند ( ص ) ٢ : ٤١٩ .

(٨) البخارى ٥ : ٦٦ - ٦٩ .

(٩) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

زمزم »(١) « فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب » (٢)و« نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة »(٣) و« كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر »(٤) و« وأنا ببعض بطحاء مكة »(٥) و« فينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرق دمشق »(٦) و« إنّ لى عبداً بمجمع البحرين ... يمشيان على ساحل البحر »(٧) ، و« .. بينما رجل بفلاة من الأرض »(٨) و« كان على راحلته بأرض فلاة » (٩) ، وغير ذلك (١٠).

وأحياناً نجد الرسول ﷺ يصف المكان الذى وقعت فيه الأحداث ، كما فى قصة « المسئولية والجزاء » إذ يقول : « .. **فأخرجانى إلى أرض فضاء أو أرض مستوية ... فإذا بيت مبنى على بناء التنور أعلاه ضيّق وأسفله واسع ... فإذا نهر من دم فيه رجل .. فإذا روضة خضراء ، فإذا فيها شجرة عظيمة ... فأدخلانى داراً لم أر قط داراً أحسن منها ... فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل منها فيها شيوخ وشباب** .. » (١١) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ونحن بصدد الحديث عن المكان ، ما تذكره القصة أحياناً من أماكن معروفة ، نحو « .. **حتى ينزل الروم بالأعماق أو**

---

(١) البخارى ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٢) البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) سنن أبى داود ٢ : ٦٥٦ .

(٤) المسند ( ص ) ٥ : ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٥) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٨ .

(٦) مسلم ٤ : ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ .

(٧) البخارى ٦ : ١١٠ - ١١٢ .

(٨) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

(٩) مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(١٠) انظر البخارى ٨ : ١١ والمسند ( ص ) ٢ : ٥١٠ ، ومسلم ٤ : ٢٢٥٠ .

(١١) المسند ( ص ) ٥ : ١٤ ، ١٥ .

**بدابق .. يخرج إليهم جيش من المدينة .. فيفتحون قسطنطينية .. فإذا جاؤوا الشام .. »** [(١)] ونحو « **فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة .. فيبايعونه بين الركن والمقام .. فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة** » [(٢)] .

والواقع أن هناك وظيفة غير مباشرة لعنصرى الزمان والمكان ، من الناحية الفنية ، فهما يعمقان لدى القارىء أو السامع الإحساس بالحدث والشخصيات ، بحيث يأتى العرض القصصى أكثر تأثيراً وفاعلية ، فالشخصية التى تمارس الحدث فى مكان كالجنة مثلا أو النار من حيث هما مكانان لهما دلالات معينة ، تختلف فى تأثيرها عن الشخصية التى تتحرك وتعمل من غير ارتباط بمكان ما .

وكذلك الأمر بالنسبة للزمن ، فربط الحدث أو الشخصية بزمن قيام الساعة والبعث ، أو زمن الحشر ، أو نحو ذلك له آثاره الفنية فى نفس المتلقى ووجدانه .

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٢١ .

# الفصل الرابع

# أنواع القصَّة

- القصة الواقعة للرسول صلى الله عليه وسلم
- القصَّة التمثيليَّة
- القصَّة التاريخية
- قصص المستقبل
- قصص البعث واليوم الآخر
- قصص عن أمور غيبية

( ١ )

**القصة الواقعة للرسول ﷺ :**

من أنواع القصة النبوية التى تشتمل عليها مجموعة النصوص القصصية التى يتناولها البحث بالدراسة ، القصة الواقعة للرسول ﷺ ، وهذا النوع يأتى فى مجموعة يبلغ عددها خمسة عشر نصاً ، وأحداث هذا النوع ، تعد تجارب ذاتية وقعت للرسول ﷺ فى فترات مختلفة من حياته ، وفى ظروف مختلفة أيضاً ، وهذه القصص أشبه ما تكون بالمذكرات التى يسجلها الإنسان عن بعض ما يمر به فى حياته ، والرسول ﷺ فى هذا النوع ينتخب من أهم تجاربه الذاتية ، ويتخير أكثرها إثارة ليجعلها مادة قصصية ، ينسج منها وقائع ما يقصه على أصحابه ، مستهدفاً من وراء ذلك ، ما يحققه عرض هذه التجارب من تعميق إيمان الصحابة بالرسول والرسالة ، حين تجسد هذه التجارب النادرة فى حياة الرسول ﷺ أمام المسلمين ، ممثلة فى هذه الصور القصصية ..

وهناك من أحداث بعض هذه القصص ما هو سابق لبعثة الرسول ﷺ كقصة « شق الصدر » التى يتحدث فيها عن فترة صباه ، حين كان يعيش بين ظهرانى بنى سعد بن بكر ، وقد كان سبب قص الرسول ﷺ هذه القصة أن رجلا سأله : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ فأجابه الرسول ﷺ بهذه القصة التى تحدث فيها عن أهم موقف مر به فى تلك الفترة ، وما كان فى ذلك الموقف من أحداث مثيرة ، تمثلت فى إتيان الطائرين إليه وشقهما صدره وقلبه ، وإخراج العلقتين السوداوين ، ثم ما كان من وزنهما له ورجحان كفته ، حتى ليقول أحد الملكين لصاحبه : « **لو أن أمته وُزِنت به لمال بهم** » وقد كان هذا

الحدث مفزعاً لمرضعته حليمة السعدية ، التى سارعت به إلى أمه فى مكة ، إشفاقاً عليه[١] .

وفى قصة « رجحان الرسول ﷺ » يقص الرسول ﷺ على صاحبه أبى ذر الغفارى حدثاً مشابهاً لهذا أيضاً ، ولكنه حدث له وهو فى بطحاء مكة ، كما تصرح القصة بذلك[٢] .

والأحداث التى وقعت للرسول ﷺ بعد البعثة ، تستأثر بقدر أكبر من اهتمام الرسول ﷺ ، بدليل كثرة النصوص التى تتحدث عن ذلك ، ومرد ذلك فيما يبدو هو أن هذه الفترة هى الفترة الأهم فى حياة الرسول ﷺ حيث بدأ يتلقى الوحى من الله عن طريق جبريل عليه السلام ، والرسول ﷺ حريص على تأكيد ظاهرة الوحى وتعميقها فى إحساس المسلمين ، وفى سبيل ذلك نجده يعرض قصة عن رؤيته لملك الوحى « جبريل »[٣] عليه السلام حين كان فى طريقه إلى مكة عبر الوادى بعد أن أنهى اعتكافه الذى استمر شهراً بغار حراء ، وهناك فى بطن الوادى رأى جبريل على كرسى بين السماء والأرض ، ويبدو أن هذه أول مرة يرى فيها الرسول ﷺ الملك على هذه الصورة ، بدليل ارتجافه الشديد الذى تذكره القصة ، وذهابه إلى خديجة وهو يقول : دثرونى ، دثرونى ، وهنا أنزل الله تبارك وتعالى : ( **يا أَيُّهَا المُدَّثِرُ قُمْ فأَنْذِرْ وربَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، والرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، ولِرَبِّكَ فاصْبِرْ** .. )[٤] وقد قام الرسول ﷺ بواجب الدعوة فأنذر قومه صابراً لربه على ما يناله فى سبيل ذلك من أذى شديد ، يعرض لنا صورة منه فى قصة « صوت من السماء » فقد سألته عائشة رضى الله عنها : هل أتى عليك يوم

---

(١) سنن الدارمى ١ : ١٦ — ١٧ .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٧ .

(٣) مسلم ١ : ١٤٤ .

(٤) المدثر : ١ : ٧ .

كان أشد من يوم أُحد ؟ فأجابها بهذه القصة ، مسجلا فيها تجربة عظيمة من تجارب الداعى ، تجربة غنية بالعبر التى لا تنتهى ، والدروس المفيدة لكل داعية إلى الله ، ومما ينبغى على الداعية أن يدركها ، وأن يتحلى بها فى رحلته الشاقة إلى الله ، لقد ذكر الرسول ﷺ فى هذه القصة ما لقيه من قومه يوم العقبة من إعراض وصدود وهو يعرض نفسه عليهم ، وحين لم يجبه أحد إلى ما أراد انطلق مهموماً ، وهناك فى قرن الثعالب ، انتبه الرسول ﷺ على صوت يناديه من السماء ، وحين رفع رأسه رأى جبريل يناديه ويخفف عنه قائلا : « **إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم** » [1] . والرسول يذكر لنا أن ملك الجبال ناداه مبدياً استعداده لأن يطبق عليهم الأخشبين ، إذا أراد الرسول ذلك ، وهو امتحان صعب جداً للداعية ، انتهى بنجاح الرسول فيه حين قال للملك : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » وهو درس يعرضه الرسول ﷺ على صحابته فى صورة قصصية مؤثرة .

وفى قصة « الله يعصمك » نجد صورة رائعة لقوة الإيمان بالله والثقة المطلقة فى تأييده ونصره ، تتمثل فى موقف الرسول ﷺ من الرجل الذى وقف على رأسه والسيف مصلت يلوح به قائلا : من يمنعك منى ؟ وهنا قال الرسول : الله ! ويكرر الرجل قوله : من يمنعك منى ؟ ويقول الرسول مرة أخرى : الله ! يقول الرسول : فشام [2] السيف [3] .

ومن القصص المهمة التى وقعت أحداثها للرسول ﷺ قصة « الإسراء والمعراج » ، فقد أسرى بالرسول ﷺ ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد

---

(١) البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) امتنع عن الضرب .

(٣) مسلم ٤ : ١٧٨٦ - ١٧٨٧ .

الأقصى ، ومن هناك عُرج به ﷺ إلى السماء ، وجبريل فى صحبته ، وفى هذه الرحلة السماوية مرا بالسماء كلها ، وفى كل سماء يقابل الرسول ﷺ نبياً من الأنبياء ، إلى أن انتهى ﷺ إلى سدرة المنتهى وهناك أوحى إليه بفرض الصلاة خمسين صلاة ، ثم يعرض الرسول ﷺ ما كان بينه وبين موسى من حوار حول فرض الصلاة ، وما أشار به موسى عليه ، من أن يطلب من ربه التخفيف على أمته ، فرجع يطلب التخفيف ، وما زال يراجع ربه حتى خففها عنه إلى خمس صلوات وأبقاها فى الأجر خمسين صلاة .

وعن هذه القصة ، نجد عدة روايات فى البخارى ومسلم والمسند وسنن النسائى ، ويبدو من خلال هذه الروايات أن قصة المعراج حدثت للرسول ﷺ مرتين ، مرة فى شكل رؤيا ، وقعت له فى المنام ، كما نجد فى رواية البخارى عن مالك بن صعصعة ، أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به : « **بينا أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعاً إذ أتانى آت .. الخ** » (١) وفى رواية النسائى عن مالك بن صعصعة أيضاً أنه قال : « **بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ..** »(٢) **وفى رواية للبخارى أيضاً عن أبى ذر ، أن رسول الله قال** : « **فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرَج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا .. الخ** » (٣) **فهذه** الروايات تدل بسياقها ونصها على الاضطجاع مرة ، وعلى أن الرسول ﷺ كان بين النائم واليقظان مرة أخرى ، تدل على أنها أحداث منامية ، وأنها وقعت للرسول ﷺ لتهيئته نفسياً للقيام بالرحلة نفسها فى حالة الوعى والصحوة ، ورؤيا الأنبياء حق ، وعائشة رضى الله عنها تقول عن الرسول ﷺ أنه كان

---

(١) البخارى ٥ : ٦٦ – ٦٩ ، وأيضاً ٤ : ١٣٣ – ١٣٥ .

(٢) سنن النسائى ١ : ١٧٨ – ١٧٩ .

(٣) البخارى ١ : ٩٧ – ٩٨ .

لا يرى رؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح(١) وقد جاء مصداق الرؤيا فى الواقع مثل فلق الصبح فى المرة الثانية ، حيث عرج به وهو فى حالة اليقظة ، كما تدل على ذلك أيضاً الروايات الأخرى عند مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **أتيتُ بالبراق ... قال : فركبته حتى أتيتُ بيت المقدس .. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ... ثم عرج بنا إلى السماء ..** »(٢) ومثل هذا فى المسند عن أنس بن مالك أيضاً (٣)، وفى رواية أخرى عن أنس ابن مالك فى سنن النسائى ، زاد فيها أنه ﷺ صلى بالأنبياء فى بيت المقدس ، قال : « **ثم دخلت بيت المقدس ، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام ، فقدمنى جبريل حتى أممتهم ، ثم صعد بى إلى السماء ..** » (٤) والملاحظ فى روايات اليقظة أنها تذكر الإسراء إلى بيت المقدس ، ثم تذكر المعراج ، بينما الروايات الأولى ، وهى الروايات المنامية ، لا تشير إلى الإسراء على الإطلاق ، وإنما تتحدث عن المعراج فقط ، لأنه هو الحدث الأعظم والأهم ، والأجدر بأن يخص برؤيا منامية تهيئ نفسية الرسول ﷺ لاستقبال الحدث نفسه فى حالة اليقظة ، بينما يبقى حادث الإسراء بإزاء المعراج ، أسهل وأمكن .

وقد كان لقصة « الإسراء والمعراج » أثر كبير فى الأدب العربى والأجنبى ، وأثره فى الأدب العربى نجده فى مظهرين ، الأول ، ما نجده من امتداد حديث المعراج فى روايات متعددة ، ظهرت عليها علامات الوضع والتزيُّد ، ويُرى فيها الاضطراب ، وأطلق واضعوها العنان لخيالهم إلى حد كبير ، وقد ثار حولها كلام كثير من قبل المحدثين والمفسرين والمؤرخين(٥) ولا شك أن هذه الروايات من وجهة النظر الأدبية تعتبر كسباً أدبياً لفن القصة فى

(١) البخارى ١ : ٣ .
(٢) مسلم ١ : ١٤٥ - ١٤٧ .
(٣) المسند ( ص ) ٣ : ١٤٨ - ١٤٩ .
(٤) سنن النسائى ١ : ١٨٠ - ١٨٢ .
(٥) انظر : سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى ، ص ١٥٣ .

الأدب العربى ، والمظهر الثانى ، الذى يبدو فيه أثر قصة « الإسراء والمعراج » فى الأدب العربى أيضاً ، هو « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى[١] ، التى تمثل رحلة خيالية إلى الجنة والنار ، فلا شك أن قصة « المعراج » هى التى أوحت إليه بفكرة الرسالة ، وما سجله فيها من رحلة فى عالم الغيب ، ومقابلته لكثير من الشخصيات التى طواها الفناء ، ومشاهدة بعض أحداث ذلك العالم الغيبى غير المنظور ، وهذه عناصر تشترك فيها رحلة المعرى مع حديث المعراج ، فالمعراج رحلة إلى عالم غيبى ، وكان الرسول ﷺ فى أثناء الرحلة وفى كل سماء يلتقى ببعض الأنبياء ويتحدثون معه ﷺ ، كما أنه شاهد بعض أحداث ذلك العالم .

وقد أثر « المعراج » أيضاً فى بعض متصوفة الأدب العربى كمحيى الدين ابن عربى الأندلسى ، حيث نجده فى الفتوحات المكية يذكر العرش والسدرة ، وأنوار الجليل تبارك وتعالى . وكذلك أبو زيد البسطامى كانت له رحلة روحية تخيل أنه قام بها إلى السماء ، وهو يبدؤها بأنه رأى فى المنام كأنه عرج به إلى السموات .. الخ[٢] .

وحين نتلمس أثر « المعراج » فى الأدب الأجنبى ، نجد شواهد كثيرة على أن قصة المعراج انطلقت فى تأثيرها إلى آفاق عالمية أوسع ، ولعل الأدب الفارسى كان حظه من التأثر كبيراً ، كما يبدو فى آثار متصوفة الفرس ، وعلى رأسهم الشاعر الكبير « سنائى » الذى نجده يكتب رحلة خيالية يصور فيها مقامات المتصوفين وأحوالهم من خلال رموز ومصطلحات يعرفها أهل التصوف[٣] .

---

(١) انظر : أبو العلاء المعرى ، رسالة الغفران ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) انظر : سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى ص ١٦٦ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

وفى إيطاليا تعد كوميديا دانتى الإلهية ، مفخرة الأدب الإيطالى ، وقد اختلف كثير من المستشرقين حول تأثر دانتى بقصة « المعراج » وعدم تأثره ، ولكن المستشرق « آسين بلاسيوس » استطاع أن يتناول هذه القضية بشىء من الجدية والموضوعية ، إلى أن انتهت أبحاثه إلى إثبات الأثر الإسلامى فى كوميديا دانتى من خلال مقارنة متأنية بين كثير من مواد « الكوميديا » وبين ما يشبهها فى القرآن والحديث ، وكذلك بمقارنتها بآثار ابن عربى أيضاً[١] .

وقد جاء بعد بلاسيوس مستشرق إيطالى هو الأستاذ « مونيرى دى فيبار » وتتبع هذه القضية حتى عثر على ترجمتين خطيتين لقصة المعراج ، وكانت واحدة منهما مكتوبة بالفرنسية[٢] ، والأخرى باللاتينية[٣] ، وقد جاء بعد ذلك الأستاذ الإيطالى « تشيرولى » فقام بدراسة المخطوطتين ، لينتهى إلى تأكيد رأى بلاثيوس الأسبانى ، ومونيرى الإيطالى[٤] .

ومما يؤكد بشكل قاطع تأثر دانتى بحديث المعراج ، هو وجود ذكر لقصة المعراج المترجمة فى كتابين من تأليف كاتبين إيطاليين ، عاش أحدهما فى منتصف القرن الرابع عشر ، والآخر فى أواخر القرن الخامس عشر ، كما يصرح

---

(١) أمبرتو ، مجلة الرسالة عدد ٩٤٠ ، مقال : « كشف أدبى مهم » سنة ١٩٥١ ، وانظر أيضاً رأى زكى مبارك فى تأثر دانتى بابن عربى فى كتابه « التصوف الإسلامى .. » ص ٢٠٦ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط الأولى ١٣٥٧ : ١٩٣٨ ، وانظر فى تأثر دانتى بالصور الإسلامية أيضاً كتاب « رسالة الغفران » تحقيق ودرس بنت الشاطىء ص ٣٢٦ ، دار المعارف ، مصر ط أولى ١٩٥٤ ، وانظر أيضاً محمود تيمور فى فن القصص دراسات فى القصة والمسرح ص ٢٦ دار مطابع الشعب .

(٢) محفوظة بمكتبة أكسفورد .

(٣) محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس .

(٤) انظر : أمبرتو فى الرسالة عدد ( ٩٤٠ ) وقد ذكر فى مقاله أنه بتوالى البحث ظهر أن كلتا المخطوطتين ترجمتا عن القشتالية من العربية ، وقد قام بالترجمة من القشتالية طبيب يهودى يدعى إبراهيم الفقيم كان ببلاط الملك ألفونسو بأشبيلية سنة ١٢٦٤ م ، ثم ترجمها إلى اللاتينية والفرنسية الكاتب الإيطالى « يونافنتورا » وكان سكرتير ألفونسو ( ١٢٢١ - ١٢٧٤ م ) .

بذلك المستشرق الإيطالى « أمبرتو ريزتيانو »[١].

وننتقل الآن من قصة « المعراج » إلى قصص أخرى تعد مما وقع للرسول ﷺ فى المنام[٢]، بينما تحققت القصص السالفة للرسول ﷺ فى حال اليقظة والوعى، وتشترك هذه القصص المنامية فى أنها كلها تتحدث عن عالم غيبى، وتستعرض حالات من الكشوف الغيبية التى يجليها الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ، وهذه القصص المنامية تعد نوعاً من أنواع الوحى، وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم »[٣]..

وقد تكون القصة استعراضاً لأحداث تقع فى اليوم الآخر، كأحداث المحشر يوم القيامة وما يحصل فيه من أمور، كما نجد فى قصة « عرض علىّ »[٤] إذ يذكر فيها رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة، وتقف القصة وقفة مفصلة عند موقف الناس وقد جمعوا بصعيد واحد، فى لحظات عصيبة، دفعتهم إلى التنقل بين الأنبياء طلباً لشفاعتهم، إلى أن يصلوا إلى محمد ﷺ، فيشفع، ثم يأذن الله للصديقين، والأنبياء، والشهداء فيشفعون جميعاً، وبعد ذلك يقول الله تبارك وتعالى : « **أنا أرحم الراحمين ادخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئاً** .. » ثم يأمر الله بأن يخرج من النار من كان قد عمل خيراً قط .. الخ .

وربما كانت القصة، تسجيلا للقاء يتم بين الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ ويجرى فيه حوار بين الله وبين عبده محمد فى موضوعات دينية كما تعرض

---

(١) الرسالة ( مجلة ) عدد ٩٤٠.

(٢) لقد جعلت هذه القصص المنامية واقعية بالنظر إلى وقوع أحداثها للرسول ﷺ ذاته، أو مشاركته فى أحداثها، وحواره مع شخصياتها، ولأن منامات الرسول ﷺ ليست كمنامات غيره من البشر، لأنها جزء من الوحى، وبالتالى فإنها تعدّ جزءاً من تجارب الرسول ﷺ.

(٣) البخارى : ١ : ٣ .

(٤) المسند ١ : ١٦١ .

**لمثل ذلك قصة « فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ » وفيها يقول الرسول ﷺ : « إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى ، فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فإذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة ، فقال : يا محمد ! قلت : لبيك رب ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى ، قالها ثلاثاً ، قال : فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثديىّ ، فتجلى لى كل شىء ، وعرفت ، فقال : يا محمد !، قلت : لبيك رب ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات ، قال : ما هن ؟** .. الخ »(١) ثم يستمر الرسول ﷺ فى الإجابة .

وأحياناً تكون القصة عن لقاء بين الرسول ﷺ وبعض الملائكة كما فى قصة « اضرب له مثلا » التى يتحدث الرسول ﷺ فيها عن رؤيته فى المنام كأن جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله ، وهم يضربون للرسول مثله ومثل أمته(٢) ..

وهناك بعض القصص التى وقعت للرسول ﷺ فى المنام ، تأتى فى صورة رحلات إلى عالم النعيم ، وإلى عالم الجحيم ومن النوع الأول نجد ثلاث قصص ، الأولى بعنوان « الكوثر » وفيها يبين الرسول ﷺ أنه بينما كان يسير فى الجنة ، إذ عرض له نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، وكان معه جبريل عليه السلام فسأله عن هذا النهر ، فأخبره بأنه هو الكوثر الذى أعطاه إياه ربه تبارك وتعالى .. الخ(٣) .

والثانية بعنوان « لمن هذا القصر ؟ » وفيها أن الرسول ﷺ دخل الجنة وسمع خشخشة بلال أمامه ، ثم أتى على قصر مربع مشرف ، فسأل عن هذا

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٣٦٨ - ٣٦٩ ، والمسند ٥ : ١٦٢ - ١٦٣ ( شاكر ) إسناده صحيح .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ١٤٥ .

(٣) المسند ( ص ) ٣ : ٢٣١ - ٢٣٢ .

القصر لمن ؟ وبعد حوار مع الملائكة أخبروه أنه لعمر بن الخطاب(١).

وفى قصة ثالثة بعنوان « مدينة الذهب والفضة » يتحدث الرسول ﷺ عن ملكين أتياه فصحباه فى رحلة إلى مدينة وجدها مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، وهناك شاهد الرسول ﷺ أناساً فى هيئة عجيبة نصف خلقهم كأحسن ما أنت راء ، ونصفهم الآخر كأقبح ما أنت راء ، ثم أمروا بأن يقعوا فى نهر من أنهار الجنة ، وبعد ذلك عادوا وقد ذهب عنهم ذلك السوء وصاروا فى أحسن صورة ، وقد أخبر الملكان الرسول بأن هذه هى جنة عدن ، وأروه منزله فيها ، كما أخبروه بحقيقة الذين شاهدهم ، وأنهم قوم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، وقد تجاوز الله عنهم(٢).

وأما الرحلة التى قام بها الرسول ﷺ إلى عالم الجحيم ، فتسجلها قصة « المسئولية والجزاء » حين ذهب الملكان برسول الله ﷺ إلى الأرض المقدسة ، وفيها شاهد أصنافاً من المعذبين ، وهم يقاسون أشد العذاب ، وقد وكل بهم رجال يتولون تعذيبهم ، وقد وصف الرسول ﷺ مشاهد التعذيب فى صور بيانية رائعة داخل القصة ، وبعد أن طوف به الملكان على مشاهد التعذيب ، مروا به على شيخ تحت شجرة ، وحوله صبيان ، ورجل قريب منه بين يديه نار يحششها ويوقدها ، ثم صعدا به فى الشجرة فأدخلاه داراً حسنة فيها رجال وشيوخ وشباب ، وفيها نساء وصبيان ، ثم صعدا به فأدخلاه داراً هى أحسن من الأولى ، وفى نهاية المطاف أخبره الملكان عن حال المعذبين وحقيقتهم ، وأخبروه أن الشيخ هو إبراهيم عليه السلام ، وحوله أولاد الناس ، وأما الرجل الذى كان حول الشيخ فكان مالكاً خازن النار ، والدار الأولى هى

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٢٠ ، وقال أبو عيسى : وفى الباب عن جابر ومعاذ وأنس وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « رأيت فى الجنة قصراً من ذهب فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لعمر بن الخطاب » قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب .

(٢) البخارى ٦ : ٨٧ .

دار عامة المؤمنين ، وأما الدار الأخرى فدار الشهداء[١] والملاحظ أن الرسول ﷺ وهو يقوم بهذه الرحلة إلى عالم الجحيم ، مر أيضاً عبر تطوافه ببعض مشاهد النعيم[٢] ، وهكذا تضمنت القصة فى رحلة واحدة بعض صور الجحيم ، وبعض صور النعيم ، فى عرض فنى موفق .

---

(١) البخارى ٢ : ١٢٦ - ١٢٧ ، والمسند ( ص ) ٥ : ١٤ - ١٥ .

(٢) ينبغى أن نلاحظ أن هذه القصص ليست جزءاً من قصة المعراج ، وإنما هى مستقلة عنها ، وإن شابهتها فى المجال وبعض الأحداث والمواقف .

( ٢ )

**القصة التمثيلية :**

هناك قضايا كلية ، وحقائق عقلية مجردة ، يهدف الرسول ﷺ إلى تجليتها وتوضيحها أمام الصحابة الكرام ، وأمام غيرهم من المسلمين ، كما يهدف أيضاً إلى تأكيدها فى نفوس الجميع وتعميقها فى إحساساتهم ، وفى سبيل ذلك اتخذ الرسول ﷺ القصة أسلوباً من أساليب التوضيح والبيان ، وكانت القصة التمثيلية خير ما يحقق هذا الغرض ويخدم الفكرة الذهنية بتجسيدها فى قالب قصصى محسوس يخرجها من إطار التجريد الذى لا يخلو من طابع الغموض وعدم التحديد ، ويضعها فى صورة تجعل السامعين والقراء أكثر قدرة على الفهم والاستيعاب ، وأكثر قدرة على تمثل الفكرة وهضم أبعادها .

والقصة التمثيلية نوع من القصة النبوية يضربه الرسول ﷺ مثالا للفكرة المطروحة ، أو القضية المقررة ، بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعلا من الناحية التاريخية أو لم يقع ، ومن ذلك قصة « فاقد الراحلة » فهى قصة تمثيلية ضربها الرسول ﷺ لتوضيح الفكرة التى عرضها فى مقدمة القصة وذلك حين قرر فى مطلع القصة أن الله تبارك وتعالى شديد الفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه ، وفرحَ الله هذا أشد من أى فرح .

وفكرة « شدة فرح الله بتوبة عبده » فكرة معنوية مهمة يحرص الرسول ﷺ على أن تستقر فى الأذهان وتنطبع فى الشعور ، ومن أجل ذلك يعمد إلى أن يمثلها فى قصة الذى فقد راحلته ، ثم وجدها بعد يأس ، وفى تلك اللحظات استولت عليه حالة شديدة من الفرح أخرجته عن طوره حتى ليقول من شدة فرحه « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » أخطأ من شدة الفرح .

وهذه القصة هى الوحيدة من القصص التمثيلية الثمان التى وجدت فى إحدى رواياتها أن لها أصلا من الواقع ، وهى رواية الدارمى ، وجاء فيها : **« سافر رجل من أرض تنوفة فقال تحت شجرة ومعه راحلته عليها شرابه وطعامه ... الخ »** [١] أما بقية الروايات وهى رواية مسلم[٢] والترمذى[٣] والمسند[٤] فتعرض القصة بصورة لا توحى بأنها قصة ذات أصل واقعى ، كما أنه من الملاحظ أيضاً أنها لا تحمل ما ينفى أنها وقعت تاريخياً .

أما القصص السبع الأخرى ، فتشترك كلها فى سمة واحدة ، وذلك أنها تحمل فى صدرها ما يدل صراحة أنها من قبيل التمثيل ، فالرسول ﷺ يقول فى مطلع كل قصة من هذه القصص وهو يطرح الفكرة الذهنية : « مثل كذا كمثل كذا » وهذا يعنى أن الرسول ﷺ ينشىء هذه القصص ابتداء ليعرض من خلالها الفكرة فى صورة مجسمة ، وهذا التمثيل فى الوقت الذى يجسم الفكرة فى واقع عملى نستطيع أن نتصوره وأن ندركه من خلال حركة القصة فإنه أيضاً يضيف إلى إحساسنا الذهنى إحساساً شعورياً يتغلغل فى نفوسنا من جراء جو القصة وما توحى به مواقفها من عواطف وانفعالات[٥] .

وهذه الطريقة فى التمثيل من أجل البيان والتوضيح ، يستعملها القرآن الكريم فى كثير من الآيات نحو قوله تعالى : ( **مثلهم كمثلِ الذى استوْقدَ ناراً فلما أضَاءَتْ ما حوله ذهبَ الله بنُورِهِم وتركهم فى ظُلُماتٍ لا يُبصرون** ) [٦]وقوله : ( **ومَثَلُ الَّذِين كفَرُوا كمثل الذى يَنْعِقُ بما لا يسمَعُ**

---

(١) سنن الدارمى ٢ : ٢١٣ — ٢١٤ .

(٢) مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٩ .

(٤) المسند ( ش ) ٥ : ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٥) انظر : حول هذه الفكرة التهامى نقرة فى ، سيكلوجية القصة ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .

(٦) البقرة : ١٧ .

**إِلَّا دُعاءً ونِداءً )** (١) وقوله : **( مثَلُ الذينَ يُنفقُونَ أموالهم فى سبيلِ الله كمَثل حَبَّةٍ أَنْبتتْ سبعَ سنَابل فى كلِّ سُنبلةٍ مائةُ حبَّة )** (٢) وقوله : **( ومثَلُ الذينَ يُنْفِقُون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله وتَثْبِيتاً من أنفسهم كمَثل جَنَّة بِرَبْوَةٍ أصابها وابلٌ فآتتْ أُكُلَهَا ضِعْفين فإن لم يُصِبْها وابلٌ فَطَلٌّ والله بما تعملُونَ بَصِيرٌ )** (٣) إلى غير ذلك من الآيات .

وحين نعود إلى القصة النبوية ونستعرض القصص التمثيلية نجد أن الرسول ﷺ يبدأ بطرح الفكرة أو القضية فى مطلع كل قصة ثم يتبعها بالقصة فى تفصيلها وأحداثها ، فتأتى القصة تمثيلا تطبيقياً حياً ، وعندما نستعرض الأفكار التى مثل لها الرسول ﷺ نجد أن أهم فكرة طرحت ، هى فكرة « فرح الله بتوبة العبد » وقد مثلت بقصة رجل « كان على راحلته .. الخ »(٤) والقضية الثانية قضية « القائم على حدود الله والمدهن فيها » أو قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع ، والرسول ﷺ يمثلها بقصة « سفينة الحياة » وهى قصة قصيرة جداً لكنها دالة ومعبرة يقول الرسول ﷺ : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً** » (٥) .

---

(١) البقرة : ١٧١ .

(٢) البقرة : ٢٦١ .

(٣) البقرة : ٢٦٥ .

(٤) مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(٥) البخارى ٣ : ١٨٣ ، وانظر تحليلا رائعاً لمعانى هذا الحديث فى كتاب « قبسات من الرسول » لمحمد قطب ص ١٦٧ – ١٨٣ .

والقضية أو الفكرة الثالثة هي مثل المسلمين واليهود والنصارى فى قبولهم للنور الذى جاء من عند الله أو عدم قبولهم له ، والرسول ﷺ يمثل ذلك بقصة « المستأجر والأجراء » حيث يقول الرسول ﷺ : « **مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملا يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل ، فقال لهم : لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا ، واستأجر أجيرين بعدهم ، فقال لهما : أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذى شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر ، قالا : لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه فقال لهما : أكملا بقية عملكما ما بقى من النهار يسير ، فأبيا ، واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور** » (١) ، والمراد بالقوم فى بداية القصة اليهود ، ورفضهم للأجر يشير إلى كفرهم بعيسى عليه السلام وعدم قبولهم لرسالته ، لأنه لا يمكن أن يحصلوا على أجر أو ثواب إلا إذا آمنوا به مع إيمانهم بموسى عليه السلام ، وأما الأجيران فالمراد بهما النصارى الذين حبط عملهم حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبالتالى فلم يكن لهم نصيب فى الأجر ، وأما الأجراء الذين عملوا حتى غابت الشمس فهم المسلمون ، وقد استكملوا أجر الفريقين بإيمانهم بمحمد ﷺ وما جاء به من الحق إضافة إلى إيمانهم بالأنبياء السابقين وإقرارهم برسالاتهم وما جاءوا به من الدين الصحيح .

والمثل الرابع هو مثل الرسول ﷺ فى كونه خاتم الأنبياء ، ونهاية المطاف بالنسبة للمرسلين بالوحى ، وهو يمثل ذلك بقصة « موضع اللبنة »

---

(١) المصدر السابق ٣ : ١١٨ - ١١٩ .

التى يقول فيها : « **مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وجملها ، وترك منها موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع تلك اللبنة ، وأنا فى النبيين بموضع تلك اللبنة** » [١] .

والمثل الخامس يضربه الرسول ﷺ مثلا له ولأمته وهى تتبعه وتؤمن بما جاء به ، ويمثل لذلك بقصة « قوم سَفْر » وهذه القصة ضربها للرسول ﷺ ولأمته ملكان أتيا النبى ﷺ وهو فى المنام ، وقد رواها الرسول ﷺ بعد ذلك إلى صحابته ، ومن ثم نقل إلينا ابن عباس القصة عن رسول الله ﷺ يقول : « **إن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : أضرب مثل هذا ومثل أمته ، فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ، ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة**[٢] **، فقال : أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء ، أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم ، قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم : ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعونى فقالوا : بلى .. قال : فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاً هى أروى من هذه ، فاتبعونى ، قال : فقالت طائفة : صدق والله لنتبعنه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه** »[٣] ؟

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٥٨٦ .

(٢) ضرب من برود اليمن منمر .

(٣) المسند ٤ : ١٢٩ ( شاكر ) إسناده صحيح وهو فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٦٠ .

وأما المثل السادس فهو مثل الرسول ﷺ ومثل ما جاء به من الدين الحق ، يقول الرسول ﷺ : فى قصة « النذير العريان » : « **مثلى ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قوماً فقال : رأيت الجيش بعينى وإنى أنا النذير العريان**(١) ، **فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم** » (٢) .

والمثل السابع هو مثل تفضل الله تبارك وتعالى على أمة محمد ﷺ كما هو أيضاً مثل لفضل هذه الأمة الإسلامية على غيرها من أهل الأديان السماوية الأخرى ، وقد ضرب الرسول ﷺ مثل ذلك بقصة « إنما هو فضلى » التى يقول فيها : « **مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا ، فقال : من يعمل من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم فغضب اليهود والنصارى ، قالوا : نحن كنا أكثر عملا وأقل عطاء !! قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : فإنما هو فضلى ، أوتيه من أشاء** » (٣) .

وأخيراً يضرب الرسول ﷺ مثلا للإنفاق والبخل ، ويصورهما من خلال قصة « المنفق والبخيل » التى يقول فيها : « **مثل البخيل والمنفق كمثل**

---

(١) يقال : إن الأصل فى لفظ العريان أن رجلا قابله جيش فسلبه متاعه وأسره ، ولكنه استطاع أن ينفلت إلى قومه وهو عريان فأبلغهم بما حدث له وأنذرهم ، وقد اختار أن يكون عرياناً ليكون أبلغ فى تحذيرهم ، انظر : كتاب هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى ٢ : ١٢٩ ، تأليف السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوى ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩ هـ مطبعة السعادة .

(٢) البخارى ٨ : ١٢٦ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٦ : ٢٣٥ — ٢٣٦ ، إسناده صحيح ، ورواه الترمذى ٥ : ١٥٣ ، عن ابن عمر وقال : هذا حديث حسن صحيح .

**رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفى أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع »** [١] وهذا تصوير رائع للحالة النفسية التى تنتاب البخيل حين يريد أن يتصدق ، من الشح وضيق الصدر وانقباض اليد التى تماثل التصاق الحلقات وعدم تزحزحها عن مكانها ، وكم هو جميل هنا ومعبر بدقة هذا الفعل الذى اختاره الرسول ﷺ وهو فعل « يريد » بما يحمله من دلالة معنوية وزمنية ، فمن حيث المعنى فهى إرادة وليست تنفيذاً ، إنها مجرد نية وليست فعلا ، ثم هى إرادة ليست مستمرة ، ولكنها إرادة تأتى ثم تنقطع ، كما هى دلالة الفعل المضارع على الحدوث والتجدد . والكيان القصصى فى هذا النموذج ليس محدداً فى لفظ النص كسائر الأمثلة الأخرى ، والرسول ﷺ لا يذكره تفصيلاً ، ويكتفى بالإشارة الموجزة ، والقارىء المستوعب لهذا النص ، يلمع فى ذهنه من مفهوم النص الإطار القصصى المنطوى فى تضاعيف الحديث ، ويشعر بوضوح بعنصر الحدث وتصوير الحالة النفسية للشخصية ، ومن هنا آثرت أن أورد هذا النص ضمن هذا النوع من قصص الرسول ﷺ . ولست أدرى أأصبت فى هذا أم أخطأت . الله أعلم !

وهذه القصص المضروبة للتمثيل وإن كانت لا تمثل وقائع أو حوادث وقعت بذاتها من خلال أشخاص معروفين ولهم وجود تاريخى ، فإنها تمثل وقائع وأحداث يمكن أن تقع[٢] ، ويمكن أن نجد أمثالها فى واقع الحياة ، وذلك من حيث نوع المواقف والأحداث ، وتصرفات الشخصيات ، وما تكشف عنه من مشاعر وطباع هى صورة من واقع الإنسان وسلوكه ، وهذه ناحية صدق

---

(١) البخارى ١ : ١٤٣ ، ومسلم ٢ : ٧٠٨ - ٧٠٩ .

(٢) انظر منهج الفن الإسلامى ، محمد قطب ص ٢٣١ .

موضوعي تسجل للقصة التمثيلية النبوية ، كما أنها أيضاً تدل على صدق فني[١] وهو تصوير شخصيات القصة أيضاً ونقل مشاعرها وأحاسيسها من خلال مواقف القصة ومقاطع الحوار القصير فيها .

وفي ختام الحديث عن القصة التمثيلية يحسن مناقشة رأي « البيومي » حين اعتبر بعض القصص التاريخية قصصاً تمثيلية ، وذلك في بحثه عن إبداع سيدنا محمد الأدبي[٢] ، فحين تحدث عن قصص « الأبرص والأقرع والأعمى » ، و« المستلف ألف دينار » و« قاتل المائة » عدها تمثيلا ، فهو يقول بعد أن أورد قصة الثلاثة « .. أفتكون هذه الأحداث قد وقعت فعلا وألهمهما الله نبيه ؟ إن اختيار القوم من بني إسرائيل لا من أي قوم آخرين قد يدل على ذلك ولكن قصصاً أخرى تنسب لرجال من بني إسرائيل في كتب الحديث ، ويدل سياقها على أنها سيقت مساق التمثيل ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار »[٣] فماذا نرى في هذه الأقصوصة النبوية بعد التدقيق والإمعان ، أتكون الخشبة الملقاة في البحر حاملة الألف دينار حقيقة واقعة ! أيوجد من العقلاء من يضحي بهذا المبلغ الضخم وهو يعلم أن احتمال وصوله في حكم المستحيل ! أيوجد من تسوقه الظروف ليقف على سيف البحر منتظراً صندوقاً مالياً يصل إليه في عهد لم يعرف البريد !! كل ذلك مما يبعد بالقصة عن واقعيتها إلى مساقها مساق التمثيل[٤] .. وجاء في تعليقه على قصة « قاتل المائة » قوله : « .. وليس في الأمر اختصام ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولا قياس مساحة الأرض ليعلموا إلى أي الناحيتين

---

(١) انظر : سيكلوجية القصة ، التهامي نقرة ص ٢٤٧ .

(٢) صفحة ١٢٧ - ١٣٠ .

(٣) البخاري ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) سيدنا محمد في إبداعه الأدبي ص ١٢٧ - ١٢٨ .

كان الميت أقرب !! إنما كان ذلك كله تجسيماً لفداحة الجرم وهول الذنب ! »(١) .

ولكن الواضح أن هذه القصص قصص ذات واقع تاريخى حصل فى الماضى وأخبرنا به الرسول ﷺ عن طريق الوحى الذى يتلقاه عن الله تبارك وتعالى وليست تمثيلا ، لأن الرسول ﷺ ساقها مساق الواقع ، ولو كانت تمثيلا لذكر ذلك كما هو شأنه فى القصص التمثيلية التى ذكرها للتوضيح والبيان كما مر معنا حيث يصرح بالممثل والممثل به ، ولكنه هنا ﷺ يصرح بأنها حدثت وهو الصادق المصدوق ، وفوق ذلك ينسبها إلى قوم معروفين هم بنو إسرائيل ففى قصة المستلف يذكر ﷺ فى مطلعها : « **أن رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار** ... » (٢) وفى قصة « قاتل المائة » يقول : « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين** » (٣) وفى قصة الثلاثة يقول : « **إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى** .. » (٤) **فهذه** المطالع تدل بشكل قاطع على أنها قصص وقعت أحداثها لأقوام فى الماضى ، ولو كانت تمثيلا لوجد مندوحة فى ألفاظ أخرى لا تحمل هذه الدلالات التاريخية ، ولساقها فى معارض لا يفهم منها أنها وقعت لأناس مضوا ، أما وهى تساق بهذه الألفاظ الدالة على واقعيتها وفوق ذلك تصريحاً بأنها حصلت لبنى إسرائيل المعروفين ، فإنها ليست تمثيلا بكل تأكيد .

أما ذلك المنطق الذى رد به الباحث على أن تكون هذه القصص واقعية فهو منطق واهٍ جداً ، وبخاصة حين يأتى من باحث مسلم فى بحث يكتب للمسلمين ، ذلك أن أحداث قصة « المستلف ألف دينار » وهى القصة التى

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٠ .
(٢) البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .
(٣) مسلم ٤ : ٢١١٨ .
(٤) البخارى ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

وقف عندها الباحث طويلا لا تقع كلها بجهد بشرى ، حتى نحكم فيها عقولنا وإنما جزء من أحداثها يتم بتدخل من القوة الإلهية ، ووفق ما قدره الله من أمور كما يفهم من القصة ، وما توحى به مواقفها من البداية إلى النهاية ، هذه واحدة ، والثانية أن الرجل المستلف وهو يضع المال فى الخشبة ويرمى بها فى البحر كان فى حالة نفسية وفكرية تدفعه إلى فعل ما فعل ، فقد كان مؤمناً واثقاً بالله ، فقد كان هو كفيله وشاهده فى القرض وقد رضى به المقرض شاهداً وكفيلا ووثق به أيضاً ، أفلا يثق به ويأتمنه الآن على توصيل هذا المال إلى صاحبه الذى كان قد قبل الله شاهداً وكفيلا !! إن القصة تصور بهذه الأحداث وتدل بها على أن الله قريب جداً من المؤمنين الواثقين به ، المصدقين بهيمنته على هذا الكون بمن فيه وما فيه ، إنها تصور تسخير الله ما فى كونه من بحر وسواه لأولئك المؤمنين المصدقين !! ناهيك عما يخلفه هذا الحادث من يقين فى نفوس من يقص عليهم من المسلمين ، ولا أدرى أيستبعد هذا الباحث المسلم على الله أن يعين مؤمناً به على الوفاء بوعده ؟ أو أداء ما اؤتمن عليه ؟!

( ٣ )

**القصة الغيبية :**

وهذا النوع من القصة النبوية تعد أحداثه بتفاصيلها ذات مصدر واحد هو مصدر الوحى ، فهذه القصص من قبيل الغيب الذى كشف الله عنه لنبيه ﷺ ، وهى غيب سواء أكانت أحداثها وقعت فى الماضى البعيد كالقصص التاريخية أو كانت ستقع فى المستقبل فى نهاية الحياة وقبل قيام الساعة أو بعد قيام الساعة ، أو كانت تحدث فى الواقع غير المنظور ، ذلك أن تلك القصص وما تتضمنه من أحداث ومواقف مفصلة أو غير مفصلة ، ليست فى متناول الرسول ﷺ ولم تحدث أمامه ، كما أنه لم ينشئها من عند نفسه ، ولم يأخذها عن غيره من علماء الناس ومؤرخيهم بالنسبة لما حدث فى الماضى ، فلم يكن له معلم من قومه الذين عرفوا بأميتهم واشتهروا بها ، كما لا يستطيع أحد أن يثبت أنه تلقى علماً من قوم غير قومه ، ولو سجل التاريخ شيئاً من ذاك لاتخذ منه الخصوم حجة ولأذاعوه بين الناس ، ثم إنه ليس ثمة علماء يصلحون لأن يكونوا معلمين لمحمد ﷺ وهو الذى يأتى كل يوم بما ينقض ما لدى علماء أهل الكتاب من يهود ونصارى من علم يتصل بالعقائد والتواريخ وغير ذلك[١] ، وقد صدق القائل تبارك وتعالى : ( **تلكَ من أنباءِ الغَيْبِ نُوحِيها إليكَ ما كنتَ تعلمها أنتَ ولا قوْمُكَ من قبلِ هذا فاصْبر إنَّ العاقبةَ للمُتَّقِينَ** ) [٢] .

---

(١) انظر : النبأ العظيم ؛ محمد عبد الله دراز ص ٥٦ – ٦١ ، وما بعدها ، دار القلم ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت .

(٢) هود : ٤٩ .

وأما قصص المستقبل وقصص الغيب الأُخرى فالقول بغيبيتها أمر واضح لا جدال فيه .

ويمكن أن تقسم القصة الغيبية إلى عدة أنواع بالنظر إلى بعض الاعتبارات الذاتية المتصلة بكل نوع ، فهناك نوع حدث فى الماضى جدير بأن يطلق عليه « القصة التاريخية » وهناك نوع تحصل أُحداثه فى المستقبل قبل قيام الساعة ويمكن أن يسمى « قصص المستقبل » وهناك نوع يحدث بعد قيام الساعة ، ويمكن أن نسميه « قصص البعث واليوم الآخر » كما أن هناك قصصاً تتحدث عن أمور غيبية تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان ، يمكن أن يطلق عليها « قصص من عالم الغيب » .

( أ )

**القصة التاريخية :**

ومادة هذه القصة مأخوذة من أحداث التاريخ الواقعة فيما مضى من سالف الدهر ، ولكن القصة التى يعرضها الرسول ﷺ هنا يلاحظ أنها تتخير من تلك المواد التاريخية السابقة ماله أثر فى التربية والتوجيه وتعليم الجماعة المسلمة ، وتأييد أهداف الدعوة الإسلامية وتحقيق أغراضها ، دون أن تعنى بكل تفاصيل الواقعة التاريخية ، وما صاحبها من أحداث جزئية ، ويجب أن يكون فى الاعتبار أن كون المادة القصصية مادة تاريخية ، لا يعنى على الإطلاق أنها تعرض عرضاً تاريخياً فى سياق علمى يستهدف تزويدنا بالمعلومات والوقائع بعيداً عن جو الحدث وملابسات الموقف التى توحى لنا بالعواطف والانفعالات إنما الواقع الذى تسير عليه القصة ، والطريقة التى انتهجتها هى أن تتخير ما يحقق الهدف التوجيهى والتعليمى ، ثم تعرضه فى سياق أدبى يمنحها القدرة على التأثير والإيحاء ، مع ملاحظة أن هذا العرض الأُدبى لا يخل على الدوام

بالواقع التاريخى ، أو يتعارض معه ، أو يغير فيه بالزيادة أو النقص ، وكل ما فى الأمر أن القصة تنقل المادة التاريخية نقلا أدبياً ، وفى صياغة فنية مؤثرة .

وربما كان مناسباً هنا توضيح العرض الأدبى فى القصة التاريخية من خلال مثال نضربه على ذلك ، ليتبين منه الفرق بين العرض القصصى والعرض التاريخى ولنقرأ مثلا قصة « الأبرص والأقرع والأعمى » فى الأسلوب النبوى ، يقول الرسول ﷺ : « **إن ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا[1] لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب إليك ؟**

**قال : لون حسن وجلد حسن ، قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطى لوناً حسناً ، وجلداً حسناً ، فقال : أى المال أحب إليك ؟**

**قال : الإبل ، أو قال البقر هو شك فى ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل وقال الآخر : البقر ، فأعطى ناقة عشراء ، فقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب إليك ؟**

**قال : شعر حسن ، ويذهب عنى هذا قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه ، فذهب فأعطى شعراً حسناً .**

**قال : فأى المال أحب إليك ؟**

**قال : البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملا ، وقال : يبارك لك فيها .**

**وأتى الأعمى فقال : أى شىء أحب إليك ؟**

**قال : يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس ، قال : فمسحه فرد الله إليه بصره .**

**قال : فأى المال أحب إليك ؟**

---

(١) أى أراد ، كما جاء فى رواية مسلم ٤ : ٢٢٧٥ .

**قال : الغنم ، فأعطاه شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من إبل ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيراً أتبلغ عليه فى سفرى !**

**فقال له : إن الحقوق كثيرة !**

**فقال له : كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ؟!**

**فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع فى صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى فى صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، وتقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيراً فقد أغنانى فخذ ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك ، وسخط على صاحبيك »** (١) فهذا عرض قصصى يتجاوز به الرسول ﷺ مجرد الإخبار بما وقع ، ويتجاوز به حدود التأريخ إلى ما هو أسمى وأجدى ، وهو التأثير والإيحاء ، ولو كان الأمر أمر إخبار بوقائع ، أو مجرد التعريف بالحدث التاريخى فى ذاته ، لكان بالإمكان أن ينقل ذلك الحدث بجهد أقل ، وفى سطور معدودة ، لا يحتاج معها إلى هذه الأسطر الكثيرة كان بالإمكان مثلا أن يقال : « ابتلى الله ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، فبعث

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ — ٢٠٩ ، ومسلم ٤ : ٢٢٧٥ .

الله إليهم ملكاً ، فأعطى للأبرص جلداً حسناً وإبلا ، وأعطى الأقرع شعراً وبقراً ، ورد على الأعمى بصره ، وأعطاه غنما ، ثم جاء كل واحد فى صورته التى كان عليها يسألهم ويستعطفهم ، فأما الأبرص والأقرع فلم يعطياه شيئاً ، فدعا عليهما بأن يصيرا إلى ما كانا عليه ، وأما الأعمى ، فقد أعطاه ما شاء ، فأخبره الملك أن هذا ابتلاء لهم ، وقد رضى الله عنه وسخط على صاحبيه » فهذا سياق تأريخى يزودنا بالمعلومات ، وليس غير المعلومات ، ذلك أنه يخبرنا بالحدث مجرداً عن ملابساته وظروفه ، ودون أن يصور لنا الحدث نفسه ، ولا أن ينقل لنا الجو المحيط به ، بحيث يجعلنا أكثر قدرة على تصور الشخصيات الثلاث فى تجربتهم ومعاناتهم النفسية من واقع المأساة التى يعيشها كل واحد منهم ، وبحيث يجعلنا أكثر إحساساً بتجربة القصة التى تتحدث عنها ، مما سيجعلنا نتعاطف مع شخصياتها ونقبل مواقفها ، أو نرفض هذه الشخصيات ونقف ضدها ، وهذا ما يحققه العرض النبوى ، فقد آثر الرسول ﷺ العرض الأدبى المؤثر المصور للحدث ، على العرض التاريخى الذى سيأتى على حساب الجانب الفنى القادر على تحريك النفوس ، وتوليد العواطف .

والقصة التاريخية تأتى فى صورتين ، لون واقعى مقصود بأشخاصه ، وذلك كقصص الرسل والأنبياء ، وهذا النوع من القصص تذكر أسماء أشخاصه بالتحديد كآدم ، وداود ، وسليمان ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ، وقد بلغ عدد هذا النوع أربعة عشر نصاً[١] ، تتحدث فيه القصة عن بعض مواقف الأنبياء ، محاولة أن تصور للسامعين والقراء بعض ما فيها من عظات وعبر ، ولون واقعى آخر المقصود منه الحالة التى تمثلها القصة ، لا الشخصية فى ذاتها ، فالحدث هو محط الاهتمام ، ولذلك يستوى أن تكون القصة بأشخاصها الواقعيين ، أو بأى

---

(١) انظر : دليل القصة فى نهاية البحث .

شخص أو أشخاص آخرين يمكن أن يحصل منهم ذلك الحدث ، أو يتمثل فيهم ذلك النموذج الذى تحكيه القصة ، أو تتحقق فيهم مثل تلك المواقف التى تتحدث عنها القصة ، إن المقصود هنا هو نوع الحدث ، ونوع الموقف بصرف النظر عن كونه حصل لفلان بعينه من الناس ، ولذلك نجد شخصيات هذا النوع لا تذكر معينة بأسمائها ، وإنما تذكر بشكل عام غير محدد نحو « رجل » و« امرأة » ونحو ذلك ، ومن هذا القبيل كل قصص الماضين من بنى إسرائيل وغيرهم وقد بلغ عدد هذا النوع تسعة وعشرين نصاً[١] .

ولذلك نجد فى أمثال هذا النوع من القصص ، كقصة « أصحاب الأخدود »[٢] مثلا أن الرسول ﷺ يقول : « **كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ..** » أما اسم الملك واسم الساحر ، ومكان الحادثة بالتحديد فلا تعرض له القصة ، ولا تهتم به ، فالشخصيات تذكر بصفاتها التى تخدم طبيعة أدوارها فى القصة ، وتحدد ملامح مواقفها ، فتذكر القصة فيما بعد « الراهب » و« الغلام » و« جليس الملك » ، وهكذا ، وهذا بلا شك يعطى للقصة نوعاً من العموم والحيوية فى التأثير المستمر عبر أزمان طويلة ، لأنها تكون قد تحررت من قيد التحديد بواقعة مخصوصة معينة ، وانطلقت فى رحاب أوسع فى مجال التأثير والتوجيه ، بحيث تحكى وتصور كل تجربة تماثل التجربة الأساسية وتصبح نموذجاً عاماً لحالات ومواقف حدثت أو يمكن أن تحدث مما يواجه أهل الدعوة من ضغوط وطغيان ، وما يقدمه المؤمنون من تضحيات وفداء فى سبيل مبادئهم وقيمهم ، ومن هنا تظل القصة نبراساً يضىء طريق الدعاة ، وأهل الحق فى كل جيل ، ويظل عطاء القصة ثراً يتجدد باستمرار .

---

(١) انظر : دليل القصة فى نهاية البحث .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

## (ب)

### قصص المستقبل :

هذا النوع من القصة النبوية يتحدث عن أحداث ، وأشياء تقع فى نهاية الزمان ، وهى أحداث تأتى إرهاصات بين يدى الساعة ، وهذا النوع مشهور لدى علماء المسلمين بما يسمى أحاديث الفتن والملاحم(١) ، وهو يأتى فى أكثره هنا تفصيلات مصدقة لما جاء فى القرآن الكريم فى صورة إشارة مبهمة ، أو جزئية غير مفصلة ، فيأتى حديث الرسول ﷺ ليوضح ويفصل ، فنحن نجد فيما يتناوله هذا النوع من قصص ، نجد خبر الدابة(٢) التى تخرج للناس فى آخر الزمان ، فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر ، وقد جاء فى القرآن الكريم عن هذه الدابة قول الله تبارك وتعالى : ( **وإذَا وقَعَ القولُ عليهم أخْرَجْنَا لهم دابَّةً من الأرضِ تكلِّمُهُم أنَّ النَّاسَ كانوا بآياتنا لا يُوقِنُونَ** ) (٣) .

كما نجد قصصاً عن خروج الدجال ، وما يحدث أثناء خروجه من مروره على الناس فى كل مكان ، وابتلائهم به ، وفزعهم منه ، وحكاية بعض مواقفه مع المؤمنين وما يحصل منه حين يأمر السماء فتمطر ، ويأمر الأرض فتنبت وكل ذلك بأمر الله زيادة فى الابتلاء والامتحان ، ثم ما يكون من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للدجال ، ولعل قول الله تعالى : ( **ويُكَلِّمُ الناسَ فى المهدِ وكَهْلاً ومِنَ الصَّالِحِينَ** ) (٤) إشارة إلى نزوله هذا فى آخر الزمان وتحدثه

(١) انظر البخارى ٩ : ٥٨ ، ومسلم ٤ : ٢٢٠٧ ، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٢٩٥ ، والنهاية لابن كثير .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥١ - ١٣٥٢ .

(٣) النمل : ٨٢ .

(٤) آل عمران : ٤٦ .

مع الناس وهو فى حال من الكهولة وإلا لما كان فى تكليمه الناس كهلا معجزة ، والله تعالى أعلم .

كما تحكى أيضاً قصص هذا النوع ما يكون من خروج يأجوج ومأجوج (١) ، التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله : ( **قالُوا يا ذَا القَرْنين إنَّ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فى الأرض فهل نجعلُ لك خَرْجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال : ما مَكَّنىِّ فيهِ رَبِّى خيرٌ فأعِينُونِى بقوَّةٍ أجعل بينكم وبينهم رَدْماً . آتونى زُبَرَ الحَدِيدِ حتى إذا ساوَى بين الصَّدفين قال : انفُخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أُفْرِغْ عليه قِطْراً . فما اسطاعوا أن يَظْهَرُوه وما استَطاعوا له نَقْباً . قال هذا رحمةٌ من ربِّى فإذا جاء وعدُ ربى جعله دَكَّاءَ وكان وعدُ ربِّى حَقّاً** ) (٢) وقوله تعالى : ( **حَتَّى إِذَا فُتِحَت يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ) (٣) .

والقصة النبوية فى هذا النوع تبدأ من حيث انتهى القرآن الكريم ، حيث نجد أنها تحدثنا فى أول القصة عن يأجوج ومأجوج عند حفر السد ، وأنهم كلما حفروا منه جزءاً ثم ذهبوا عنه آخر النهار ، عادوا إليه فى اليوم الثانى ليجدوه قد عاد كما كان أو أشد وهكذا ، إلى أن يأتى يوم يحفرون فيه : « **حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعيده الله أشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى ، واستثنوا ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس .. الخ** » (٤)

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣ – ١٣٦٦ .

(٢) الكهف ٩٤ – ٩٨ .

(٣) الأنبياء ٩٦ .

(٤) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣ – ١٣٦٦ ، وجاء فيه : « وفى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم » .

ثم تصور القصة انتشارهم فى الأرض وتحصن المسلمين منهم ، وشربهم لكل ماء يقعون عليه ، ثم ما يكون من لجوء المسلمين إلى الله بالدعاء ، فيرسل عليهم طيراً تهلكهم ثم يخرج المسلمون من حصونهم .

وهناك قصص أيضاً يأتى فيها الحديث عن الدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج فى سياق واحد كما فى قصة « المسيح الدجال » (١)وقصة « أمر الساعة »(٢) أو يأتى فيها الحديث عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كما فى قصة « الدجال والمسيح »(٣) وقصة « نزول عيسى عليه السلام »(٤) ، ومن الأشياء التى يتحدث عنها هذا النوع من القصص وقوع خسف بجيش بالبيداء يأتى من الشام قاصداً مكة المكرمة(٥) ، كما تتحدث قصة أخرى عن ملحمة من ملاحم الروم (٦) ، وقد بلغ مجموع عدد هذا النوع من قصص المستقبل أحد عشر نصاً قصصياً (٧) .

(ج)

**قصص البعث واليوم الآخر :**

لقد كان من أخطر القضايا التى واجه بها رسول الله ﷺ العرب بعد قضية التوحيد ، قضية البعث والنشور بعد الحياة الدنيا ، وقد تصدى العرب لهذه القضية ينكرونها فى إصرار عنيف ، ويستغربونها أشد ما يكون

(١) مسلم ٤ : ٢٢٥٠ – ٢٢٥٥ .

(٢) المسند شاكر ٥ : ١٨٩ – ١٩٠ .

(٣) المسند ( صادر ) ٤ : ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٢١ .

(٥) سنن أبى داود ٢ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

(٦) المصدر السابق ، ٢ : ٤٢٤ – ٤٢٥ .

(٧) انظر : دليل القصة التفصيلى .

الاستغراب ، والقرآن الكريم يسجل هذا الإنكار فى أكثر من آية كريمة يقول تبارك وتعالى : ( **وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هل نَدُلُّكُم على رَجُل يُنَبِّئُكم إذَا مُزِّقتم كل مُمَزَّق إنكم لَفى خلقٍ جديد . أفترَى على الله كذباً أم به جِنَّة . بل الذين لا يؤمنون بالآخِرَة فى العذاب والضَّلالِ البَعِيد** ) (١) وقال عنهم أيضاً : ( **وقالوا : مَا هِىَ إلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ونَحْيَا وما يُهْلِكنا إلا الدَّهرُ ، وما هم بذلك من عِلْمٍ ، إنْ هُم إلَّا يَظُنُّونَ** ) (٢) وقالوا : ( **أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَاباً وعِظَاماً أئِنَّا لمبعُوثُونَ . أو آباؤُنا الأوَّلون . قل نعم وأنتم دَاخِرُون . فإنَّما هِىَ زَجْرةٌ واحدةٌ فإذا هم يَنْظُرُونَ** ) (٣) وإزاء هذا الإنكار المتكبر لهذه القضية الأساسية فى الدعوة الإسلامية ، كان لابد من أن يقوم الرسول ﷺ بتأكيد قضية البعث بكل ما يتاح من الوسائل والأساليب ، ومن هنا استخدم القصة وبصورة مستفيضة فى الحديث عن أحداث البعث واليوم الآخر ، ولا شك أن انتهاج القصة فى عرض اليوم الآخر وتأكيده أبلغ بكثير مما لو تناول هذه القضية بصورة تقريرية نظرية ، فمن الملاحظ فى عرض الكثير من مشاهد القيامة واليوم الآخر فى معرض قصصى أنه يجسد الواقع المستقبل فى صورة محسة من خلال المشاهد القصصية الحية التى نحس فيها بالصورة والحركة والإيقاع ، مما يقرر معارفنا عن اليوم الآخر ، ويؤكد إيماننا بقضية البعث ، ويعمق إحساسنا بها ، فهذه القصص فى الوقت الذى تحمل الرد على المنكرين فإنها وهى تعرض على المسلمين تبين حرص الرسول ﷺ على عدم الاكتفاء بعلم الصحابة التجريدى الذهنى عن البعث واليوم الآخر ، ولهذا فهو يكثر من الأحاديث عن اليوم الآخر فى صور قصصية يسوق فيها حوادث ذلك العالم ومشاهده وما يجرى فيه ، بحيث يحس المتلقى للنص

---

(١) سبأ : ٧ ، ٨ .

(٢) الجاثية : ٢٤ .

(٣) الصافات : ١٦ — ١٩ .

القصصى بالحركة والحياة تضطرب أمامه من خلال الألفاظ والعبارات ، وفوق ذلك نواجه فى العرض القصصى شخصيات نعرفها ، أو نعرف شيئاً عنها ، تشارك فى أحداث تلك القصص التى هى أحداث ذلك اليوم الآخر ، وذلك كشخصيات بعض الأنبياء والرسل والملائكة ، وهذا عامل مهم فى خلق اليقين بذلك اليوم والاقتناع به .

ومن أجل تأكيد اليقين بذلك اليوم فى نفوس المسلمين أيضاً ، تحرص القصة النبوية على تكرار المشهد الواحد فى أكثر من قصة وفى عبارات مختلفة من ناحية الصياغة والعرض لا فى المواقف والأحداث ، ويمكن أن يقال أيضاً إن هذا التكرار الذى نجده فى بعض القصص إنما هو مما تفرضه طريقة الدعوة والتوجيه التى انتهجها الرسول ﷺ فى تبليغ المسلمين ودعوتهم ، حيث يعرض الرسول ﷺ القصة فى مجلس على قوم ، وفى مجلس آخر يتغير فيه السامعون ، إذ يأتى فيه قوم آخرون غير الذين سمعوا القصة فيجد الرسول ﷺ نفسه محتاجاً مرة أخرى لأن يعرض القصة غير متقيد بصورة العرض التى سبق أن ساقها فى المجلس السابق ، مع ملاحظة أنه متقيد بالضرورة بأحداث القصة ووقائعها دون تغيير فى لبابها وجوهرها[1] .

وهناك عامل جوهرى آخر يضاف إلى غيره من العوامل الكامنة وراء وجود هذا النوع من قصص العالم الآخر فى القصص النبوى ، ووراء كثرته وتكراره أيضاً ، ذلك هو أن العالم الآخر هو محل العقاب والثواب ، والعقاب والثواب قضية أساسية يعتمد عليها منهج التربية فى الشريعة الإسلامية من أجل قيام الإنسان المسلم على مبادىء الإسلام والتزامه بقيمه وأحكامه ، والإسلام حريص على أن تظل هذه القضية حية على الدوام فى ضمير الإنسان المسلم وهو يمارس حياته ، حيث سيظل وازع الإحساس بأنه مسئول عما يفعل أو يقول

---

(١) انظر : البيومى ، سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى ص ١٣٥ .

ماثلا امامه من خلال تصوره لحياة أخرى يؤمن بأنه سيسأل فيها عن سلوكه ، وسيجازى على الخير بالخير فى الجنة والنعيم ، وعلى الشر بالشر فى النار والعذاب **( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ )** [١] .

وقد تناولت القصة النبوية الحديث عن اليوم الآخر فى أربعة وأربعين نصاً[٢] ، وهو عدد كبير كما يبدو مما يعكس مدى الاهتمام بذلك اليوم ، وحين نستعرض تلك القصص نجد أن أحداث اليوم الآخر تبدأ بالنفخة الثانية فى الصور ، حيث يهب الناس من مراقدهم قياماً ينظرون ، ثم يقال : « **يا أيها الناس هلمّ إلى ربكم ، وَقِفُوهم إنهم مسئولون** .. الخ » [٣] ويحشر الناس جميعاً فى صعيد واحد « **يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون** .. » [٤] فيتجه الناس إلى الأنبياء بحثاً عن شفيع إلى الله يخلصهم من هذا الموقف العصيب ، ويعرض الرسول ﷺ موقف الناس هذا وترددهم على الأنبياء فى طلب الشفاعة فى عدد كثير من القصص ، ثم يقام الجسر « **بين ظهرانى جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم** .. » [٥] ثم تعرض القصة ألواناً من الحساب والمساءلة فى قصص كثيرة كما تصور بعض مشاهد العذاب لمانعى الزكاة فى الدنيا[٦] وكذلك بعض المرائين الذين نجد صورة لهم ممثلة فى الرجل

---

(١) الزلزلة : ٨ .
(٢) انظر دليل القصة التفصيلى .
(٣) مسلم ٤ : ٢٢٥٨ – ٢٢٥٩ .
(٤) البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ .
(٥) المصدر السابق ١ : ٢٠٤ – ٢٠٥ .
(٦) المسند ( شاكر ) ١٣ : ٢٨٦ – ٢٩٠ .

الذى يدور فى النار كما يدور الحمار ، وقد اندلقت أمعاء بطنه وأهل النار مجتمعون حوله [(١)].

وهناك ناس تصيبهم النار على قدر ذنوبهم ، فيحرقون فيها ، ثم يخرجون بالشفاعة ، حيث ينثرون على أنهار الجنة ، وهى أنهار الحياة ، فينبتون فيها من جديد [(٢)] .

وحين يطرح فوج من أهل النار فيها ، يقال لها : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ « **حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ، ثم قال : قط ، قالت : قط ، قط ..** » [(٣)] و« **يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون ، فيغاثون من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ..** » [(٤)] ومن مشاهد النار التى تعرض لنا القصة النبوية طرفاً منها قصة الرجل الذى ينادى فى النار ألف سنة : « يا حنان يا منان » فيأمر الله عز وجل جبريل بأن يأتى به ، فيذهب جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون ، فلا يهتدى إلى الرجل ، ويرجع إلى ربه فيخبره ، فيقول الله له : ائتنى به فإنه فى مكان كذا وكذا ، فيجىء به ، فيسأله الله : « **كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول : أى رب ، شر مكان وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدى ، فيقول : يارب ! ما كنت أرجو إذ أخرجتنى منها أن تردنى فيها ، فيقول : دعوا عبدى** » [(٥)] .

---

(١) البخارى ٤ : ١٤٧ .

(٢) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٨ .

(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٧٠٧ .

(٥) المسند ( صادر ) ٣ : ٢٣٠ .

وأما الجنة فهى دار المتقين الفائزين ، لا يشتهى أحدهم فيها شيئاً إلا تحقق مهما كان ، حتى ليتدلل أحدهم فيطلب من الله أن يزرع فى الجنة فيقول الله له : « **أو لست فيما شئت ؟! قال : بلى ، ولكنى أحب أن أزرع** » إنها هنا نوع من الرغبة المترفة وقد تكون رغبة طبيعية للإنسان المسلم فى العمل كما ربى على ذلك فى الدنيا ، وبالفعل يحقق الله له رغبته « **فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه ، واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ..** » [١] وفى الجنة ينادى فى أهلها : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، وتنجينا من النار ، وتدخلنا الجنة ؟ فيكشف الحجاب ، قال : فو الله ! ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه [٢] ، ويؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة ، فيزورون ربهم ، ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، ويجالسونه ، ويحاضر كل واحد منهم وتمر عليهم سحابة فتمطرهم طيباً ، لم يجدوا مثل رائحته قط ، ثم يأتون سوقاً فى الجنة قد حفت به الملائكة ، فيأخذون منه ما يشتهون ، وهو من أجمل ما رأوا ، وفيه يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، حتى إذا رجعوا إلى أزواجهم من الحور العين رحبوا بهم ، ووجدوا فيهم من الجمال والحسن أحسن مما فارقوهن ، فيقولون لهن : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا[٣] ، ويحل الله عليهم رضوانه ، فلا يسخط عليهم أبداً[٤] ، ويأمر الله الملائكة فيأتون الفقراء والمهاجرين فيدخلون عليهم من كل باب ، وهم يقولون : ( **سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ) [٥] [٦] .

---

(١) البخارى ٩ : ١٨٥ .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ٢٨٦ .

(٣) انظر : تفصيل القصة فى سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ - ٦٨٦ .

(٤) مسلم ٤ : ٢١٧٦ .

(٥) المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .

(٦) من قوله تعالى : ( جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ،=

ولكى يكتمل نعيم أهل الجنة ، وشقاء أهل النار ، فى نهاية المطاف ، **« يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادى مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه . ثم ينادى : يا أهل النار ، فيشرئبون ، وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : ( وأَنْذِرْهُم يومَ الحسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الأمرُ وهم فى غَفْلةٍ وهم لا يُؤْمِنُونَ )** (١) (٢) .

وما قدمته هنا ليس إلا عرض مقتطفات عامة من النصوص القصصية ، أهدف منها عرض صورة عامة لبعض أحداث ذلك اليوم ، وهذا لا يغنى أبداً من الرجوع إلى القصص النبوية ، لاستجلاء الصورة المفصلة التى عرضتها مجموعة القصص بشكل دقيق فى إبداع وإمتاع(٣) .

(د)

**قصص من عالم الغيب :**

وهذا النوع مجموعة من النصوص القصصية ذات موضوعات شتى ، تتناول أموراً مختلفة ، ولكن رابطاً واحداً يجمعها كلها ، ويشكل قاسماً مشتركاً بين كل قصة من هذه المجموعة وأختها ، وهو أنها كلها تتحدث عن أمور غيبية

---

= والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

(١) البخارى ٦ : ١١٧ - ١١٨ .

(٢) مريم : ٣٩ .

(٣) وقد حاولت تيسير مهمة الرجوع إلى القصص بوضع دليل تفصيلى لأنواع القصة فى نهاية البحث .

خاصة ، تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان ، دون أن يحس بها ، أو يشعر بوجودها ، ولا سبيل على الإطلاق إلى معرفة أى شيء منها إلا عن طريق من طرق الوحى ، التى يأذن الله بها حين يشاء ، وكأنما هذه المجموعة تهدف بما تمنحه للسامع أو القارىء من معلومات ومعارف عن محيط الحياة غير المنظورة له ، إلى تعميق وعيه الغيبى ، وربط إحساسه ببعض الأشياء الكونية فى هذا الوجود ، والتى لها علاقة ما بحياة الإنسان أو مصيره فى المستقبل ، بما تكشفه له من بعض الأسرار المكنونة فى ضمير الغيب ، هذا فوق ما تعبر عنه موضوعاتها ، وما تحمله من توجيهات وعِبر تفيد – ولا شك – الإنسان المسلم فى حياته فى الفكر والسلوك ، فهى لا تخلو من توجيهات إلى قيم الإسلام ومبادئه ، بشكل مباشر أو غير مباشر ..

وهذه المجموعة تأتى فى ستة عشر نصاً قصصياً ، يتناول بعضها قصة قدر الإنسان ، من حين يجمع فى بطن أمه لمدة أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقى أو سعيد .. الخ[١] ، وتتناول ثلاث منها الحديث عن الملائكة ، فتخبرنا قصة عن ملائكة لله يطوفون فى الأرض يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوهم تنادوا هلموا إلى حاجتكم[٢] ، وتتحدث قصة ثانية عن الملائكة المتعاقبين فى الليل والنهار[٣] ، وتقص علينا مرة أخرى قصة الملكين اللذين عضلت بهم كلمة عبد حمد بها الله وهى قوله : « **يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك** » ، فصعدا إلى السماء وقالا : « **يا ربنا ، إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ... فقال الله عز وجل : اكتباها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجزيه بها** »[٤] .

(١) البخارى ٨ : ١٥٢ .

(٢) المصدر السابق ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) سنن النسائى ١ : ١٩٤ .

(٤) سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٤٩ .

ونجد ثلاث قصص تتحدث عن الميت حين تحضره الملائكة لقبض روحه ، وما يكون أثناء ذلك من أمور ، وتبين كيف تخرج روح المؤمن وروح الكافر[١] ثم تبين حاله وهو فى القبر ، وما يعرض عليه فيه من أسئلة ثلاثة ، ثم يأتيه عمله فى صورة رجل حسن إذا كان عمله صالحاً ، أو فى صورة رجل قبيح سيىء إذا كان عمله سيئاً . الخ[٢] ثم يكون قبره إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[٣] .

وتتناول قصة أخرى ما يكون من استراق الجن للسمع حين يستخبر بعض أهل السماوات بعضهم الآخر حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم[٤] .

وفى قصة « أشد من الريح » عظمة خلق الإنسان ، وأنه أشد من الريح وما جرى فى ذلك من حوار بين الله والملائكة حين تعجبت من شدة خلق الجبال التى جعلت الأرض تستقر ، وتساءلت هل هناك خلق أشد من الجبال .. الخ[٥] .

وهناك قصتان تصوران حياة الشهداء ، وأنهم يتنعمون ، حيث يجعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ... الخ[٦] وأن الشهيد يتمنى أن يحيا فيقتل ثانية ، لما يجد من الكرامة[٧] .

---

(١) سنن النسائى ٤ : ٧ - ٨ وسنن ابن ماجة ٢ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .
(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .
(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ - ٦٤٠ .
(٤) مسلم ٤ : ١٧٥٠ - ١٧٥١ .
(٥) المسند ( ص ) ٣ : ١٢٤ .
(٦) سنن أبى داود ٢ : ١٤ .
(٧) سنن ابن ماجة ١ : ٦٨ .

وفى قصة أخرى نجد صورة لأثر الوحى حين يتكلم الله به فى أهل السماء ، إذ يسمعون – حين يتكلم الله بالوحى – للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلا يزالون كذلك ، حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : « **فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق** » (١) .

وتكشف لنا قصة « إن الله قد أحب فلاناً » عن حب الله عز وجل للعبد ، وما يحصل لهذا العبد من الشرف العظيم ، إذ أن الله إذا أحبه قال لجبريل : « **قد أحببت فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ...** » (٢) .

وقصة « المكاره والشهوات » تصور لنا ما كان من خلق النار والجنة ، وما كان من إرسال الله جبريل إليهما واطلاعه عليهما وعلى ما أعد فيهما ، فوجد فى الجنة إغراء لا يقاوم ، وفى النار رهبة لا تطاق ، ثم أمر الله بالجنة « **فحفت بالمكاره ، وأمر بالنار فحفت بالشهوات** » (٣) .

وأخيراً هناك قصتان ، يحتمل أن تكون أحداثهما وقعت فى الماضى البعيد ، كما يحتمل أن تكون من قبيل ما يحدث فى المستقبل ، ولكنى رأيت أن أضمهما إلى هذه المجموعة الغيبية ، نظراً لما تتناوله من موضوعات غيبية خاصة ، تنسجم مع ما تتحدث عنه النصوص السابقة من أحداث غيبية كشف لنا الرسول ﷺ عنها ، وواحدة من هاتين القصتين تصور لنا حواراً دار بين موسى والله عز وجل ، يصور تساؤل موسى عن حال المؤمن

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ٥٣٦ – ٥٣٧ .

(٢) الموطأ ٤ : ٣٤٨ .

(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ – ٦٩٤

والكافر فى الدنيا ، وما يجده من التوسيع على الكافر والتضييق على المؤمن أحياناً فيكشف الله عن مصير كل منهما وما أعد لهما ، فيرضى موسى ويقتنع ويزول تساؤله[١] .

والقصة الأخرى تصور محاجة حصلت بين موسى عليه السلام وآدم عليه السلام ، حيث قال موسى لآدم : « **ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟! قال : أنا موسى ، قال : أنت نبى بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه ؟ قال : نعم ، قال : أما وجدتَ ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال : نعم ، قال : فيم تلومنى فى شىء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلى ؟ قال** رسول الله عند ذلك : **فحجَّ آدم موسى ، فحج آدم موسى عليهما السلام** »[٢] .

---

(١) المسند ( صادر ) ٣ : ٨١ .

(٢) سنن أبى داود ٢ : ٥٢٨ .

# الفصل الخامس

# موضوعات القصَّة

- في العقيدة
- في الرّسول والنبوّة
- القيم الإسلامية
- في الإنسان
- في الحياة والموت
- إرهاصات السّاعة
- البعث والجزاء

# الموضوعات

هناك من النقاد من يفرقون بين الموضوع والمضمون ، فيعدون الأول هو الحدث أو الأحداث والعلاقات والمواقف التى تشكل المحور الذى يدور حوله العمل الأدبى ، أى أنه المادة الخام التى يتكون منها جسم القصة ، وأما المضمون فهو ما يفهم من موضوع القصة ، أى هو فكرتها والعبرة أو المغزى أو العواطف أو المفاهيم التى انبثقت منها ، واستخلصت من أحداثها[١] .

وهذا تفريق لا داعى له ، ولا محل لوجوده ، ذلك أن الموضوع بمعنى الحدث أو العلاقة أو الموقف ، لم يسمَّ موضوعاً فى الأصل إلا وقد لحظ فيه أنه مضمون ، أى أنه موضوع القصة ، بما تحمله هذه الأحداث أو المواقف من معان وأفكار ، ومن هنا فالموضوع هو المضمون نفسه ، لأن تلك الأحداث والمواقف إنما تبدو قيمتها فى المعنى الذى تشعه من خلال تآلفها مع غيرها من علاقات مختلفة ، لا من ذاتها كقوالب ، وكمادة خام ، وطبيعى جداً أن المعنى إنما ينشأ من الحدث نفسه ، والمعنى فى نظر النقاد إنما هو جزء لا يتجزأ بحال من الحدث الذى لا يمكن أن يتحقق له اكتمال بدون المعنى[٢] .

وحين نتحدث عن الموضوع أو المضمون أو المعنى فلا يعنى هذا أن له كياناً مستقلا فى القصة ، لسبب بسيط وهو أن هذا المعنى أو المضمون قائم فى كيان القصة ، وكيان القصة وحدة كلية لا يمكن أن يتجزأ إلى شكل

---

(١) انظر : صور ودراسات لحسنى نصار ص ٣٦ و ٤٥ .

(٢) انظر : فن القصة القصيرة د. رشاد رشدى ٥٣ – ٥٤ .

وموضوع ، وكما أنه لا يمكن الفصل بين النسيج والبناء ، وكذلك لا يمكن الفصل بين الموضوع والشكل[١] ، وفكرة القصة أو مضمونها إنما يتحقق من خلال تلاحم خيوط نسيج القصة فى إقامة بناء متماسك يصور الحدث ، ويرسم الشخصية ، مما يؤدى بالتالى وبصورة تلقائية إلى إعطاء فكرة معينة ، أو مضمون خاص ، وهكذا يكون المضمون فى القصة وليد عناصر كثيرة متشابكة هى القصة كلها ، ومن هنا تأبى طبيعة القصة أن يفصل بين شكلها وموضوعها .

والمجال الوحيد الذى يمكن فيه تناول موضوع القصة بنوع من الاستقلال الظاهرى ، هو مجال البحث والدراسة ، التى تحاول أن تحلل العمل الأدبى – وهو عمل تركيبى – إلى وحداته الجزئية الصغيرة ، بهدف التعمق فى فهم مكونات بنيته ، ومن هذا المنطلق أمكن هنا إفراد مبحث خاص لموضوعات القصة النبوية .

* * *

وواضح جداً فى موضوعات القصة النبوية ، أنها موضوعات من النوع الذى يثير فى السامع أو القارىء كثيراً من الانفعالات ، ويحرك فيه شتى العواطف والمشاعر ، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها ، وذلك لما تتمتع به الموضوعات فى القصة من القوة والأصالة ، بحيث تستهوى المتلقى وتشده ، إلى درجة أن يظل الموضوع حياً فى تفكير القارىء أو السامع عالقاً فى ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة .

ومما يعمق هذه الناحية فى موضوعات القصة النبوية أن الفكرة فيها ، أو الموضوع له أثر بارز فى طريقة الأداء القصصى ، بحيث أن الفكرة تلون طريقة

---

(١) المرجع السابق ص ١٦١ – ١٦٥ ، وانظر أيضاً الشارونى ص ٦٦ .

الأداء من حيث الاسترسال فى العرض أو الإيجاز ، أو استعمال الحوار أو السرد ، ومن تصعيد المشكلات أو تبسيطها ، ومن تخير المواقف المثيرة ، بما تتضمنه من مفاجآت وحلول ونحو ذلك[١] ، فالموضوع يتجسد أمام القارىء عبر تطور وتعقيد حافل بعناصر التشويق والإثارة[٢] .

ومن سمات موضوعات القصة النبوية التى تمنحها تلك الأصالة وهذا التأثير أيضاً ما يلاحظ فى أفكارها من العمق والغنى ، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه ، كما تتناول قضايا غاية فى الخطورة ، كقضايا البعث والثواب والعقاب فى العالم الآخر ، كما تتناول جوانب من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه بما فى ذلك من خير وشر ، وتحاول أحياناً أن تتغلغل فى بواطن بعض القضايا التى ربما غابت عن وعى الإنسان ، فتتناول موضوعات تهدف من ورائها إلى تبصيرنا ببعض الحقائق الخافية فى باطن حياتنا ، كما نجد مثل ذلك فى قصة « الأم والرضيع »[٣] ، حيث تحاول القصة أن تصور لنا الوجه الآخر لكل من الراكب ذى الشارة ، والجارية السوداء ، وما ينطوى وراء الأول من حقيقة خافية هى الشر والجبروت ، وما وراء هذه الجارية المسكينة من خير وصلاح ، كما تعكس ما ينخدع به الإنسان من مظاهر براقة تحول بينه وبين أن يرى الحقيقة الناصعة ، وكذلك فى قصة « المتصدق على زانية وغنى وسارق » فهى تعالج موضوعاً على غاية من الأهمية والخطورة ، وبطريقة تحمل فكرة عميقة عن الحياة والمجتمع ، فقد أتى الرجل المتصدق فقيل له : « **أما صدقتك فقد قبلت : أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ولعل**

---

(١) انظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٤٢ .

(٢) انظر : الحبكة فى القصة ، الفصل الثانى .

(٣) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .

**الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته »**[١] .

ومما يؤكد عمق وأصالة هذه الموضوعات وقيمتها فى نفوسنا أنها تعد – وهذه حقيقة لا جدال فيها – ممثلا أساسياً لأفكار الإسلام وتصوراته ومبادئه فى مختلف الشئون ، ومن هنا فهى لا تمثل وجهة نظر بشرية ، وإنما هى تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الإسلام ، لأنها من جملة أقوال رسول الإسلام محمد ﷺ ، والرسول كما يقول القرآن الكريم ، لا ينطق عن الهوى : ( **وَمَا يَنْطِقُ عن الهَوى ، إنْ هو إلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، علَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى** )[٢] .

وأما الغنى فى موضوعات القصة فلا أدل عليه من كثرة القصص التى تصل فى مجموعها إلى ما يقرب من تسع وثلاثين ومائة قصة[٣] ، وكل قصة تحمل فكرة أو أكثر من فكرة معينة ، أو تعرض قضية ما أو جانباً من جوانبها ، وأن كل حادثة أو موقف أو علاقة فى قصة من القصص لابد أن تنتهى إلى تقرير فكرة أو نظرة أو مضمون ما ، وهى فوق ذلك تعرض بطريقة فنية تجعل الفكرة قادرة على أن توحى إلينا بأفكار أخرى ، وتثير فى أذهاننا معانى شتى حول القضية أو الفكرة الأساسية التى تتحدث عنها القصة ، وإزاء هذه الكثرة الكاثرة من المعانى والأفكار والقضايا التى تثيرها هذه القصص لا نستطيع هنا أن نستعرض فكرة كل قصة على حدة ، لما فى ذلك من الإطالة والاسترسال الذى لا طائل تحته فيما أرى ، ومن هنا فسأحاول أن أستعرض موضوعات القصة النبوية ، فى نظرتها الكلية العامة ، بحيث أردها إلى المحاور الأساسية التى تنضوى تحتها وتلتقى عندها جميع الأفكار فى كل قصة .

---

(١) مسلم ٢ : ٧٠٩ .

(٢) النجم : ٣ – ٥ .

(٣) انظر الفهرس التفصيلى للقصة .

وفى إمكاننا أن نرد المضامين والموضوعات فى القصة النبوية إلى القضايا الرئيسة الآتية :

( ١ )

**فى العقيدة :**

تتناول القصة النبوية فيما تتناول من موضوعات ، جوانب مختلفة مما يتصل بأمور العقيدة التى يحرص الإسلام على تأكيدها فى فكر الناس ، وعلى تعميقها فى وجداناتهم ، وهذه الجوانب ليست كل أمور العقيدة ، ولا كل قضاياها ، لأن هناك الكثير مما يتصل بالعقيدة وتفصيلاتها تكفلت الآيات القرآنية الكريمة ، أو الأحاديث النبوية الأخرى غير الأحاديث القصصية ببيانه وتفصيله ، ومن هنا فنحن لا نتعرض فى هذا المجال من أمور العقيدة إلا لما أثير فى القصة التى ندرسها فقط .

وقد كان غرس العقيدة فى نفوس المسلمين ، وفى أعماق قلوبهم هو الأساس الحيوى المهم الذى تقوم عليه وتحيا فى ظله جميع فروع الدين وجزئياته .

وأهم قضية فى أمور العقيدة هى قضية وحدانية الله تبارك وتعالى ، وإفراده وحده بالألوهية ، وإفراده بالعبادة ، وهى أخطر قضية ظل الرسول ﷺ سنوات طوالا يدعو إليها ويقررها ، وقد كان العرب يؤمنون بتوحيد الربوبية ، فهم يقرون بأنه لا خالق ولا مدبر إلا الله ، يقول تعالى : ( **وَلَئِن سَأَلْتَهُم من خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقمرَ ليقُولُنَّ الله فأنَّى يُؤْفَكُونَ** ) [١] أما توحيد الألوهية فهو الذى أنكره المشركون فى

---

(١) العنكبوت : ٦١ ، وانظر الآية ٦٣ أيضاً ، وسورة لقمان : ٢٥ والزمر : ٣٨ والزخرف : ٩ و ٨٧ .

الجاهلية ، ولذلك نجد الرسول ﷺ يجعل موضوع إحدى القصص ، وهى قصة « البطاقة الثقيلة » تصوير الأهمية الكبرى لتوحيد الألوهية ، فقد كانت البطاقة التى كتب عليها : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله** » هى المنقذ الوحيد لذلك الرجل الذى نشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ، فقد رجحت كفة البطاقة بكفة السجلات العريضة الطويلة[١] ، وفى قصة « خمس كلمات » التى أمر الله يحيى بن زكريا فيها أن يعمل بخمس كلمات ، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها ، نجد أن أول تلك الخمس التى أعلنها يحيى – عليه السلام – على الناس هى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وقد أراد يحيى – عليه السلام – أن يعمق إفراد الله بالعبادة فى نفوس بنى إسرائيل ، فراح يضرب لهم مثلا لمن أشرك بالله تعالى ، وأنه « **كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال هذه دارى ، وهذا عملى ، فاعمل وأدِّ إلىّ ، فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟!** »[٢] .

وكذلك تعرض علينا القصة بعض صفات الله تبارك وتعالى التى تدل على أنه الرحمن الرحيم الذى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن كثير ، وأن رحمته وسعت كل شىء فهو الحنان المنان[٣] ، وهو الكريم الذى يجود بواسع فضله على عباده فيخرجهم من النار ، ويعطيهم ما يتمنون وفوق ما يتمنون ، كما تصور ذلك قصة الذين ينثرون على أنهار الجنة[٤] ، وقصة الصراط[٥] ،

---

(١) سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٣٧ ، سنن الترمذى ٥ : ٢٤ – ٢٥ ، المسند ١١ : ١٧٥ – ١٧٧ ( شاكر ) وقال : إسناده صحيح .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ١٤٨ – ١٤٩ .

(٣) المسند ( ص ) ٣ : ٢٣٠ .

(٤) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٨ .

(٥) البخارى ١ : ٢٠٤ – ٢٠٥ .

وتفضله على أدنى أهل الجنة [١]، وآخر أهل الجنة دخولا [٢]، كما أنه يتصف بصفة المحبة للطائعين من عباده [٣]، وأنه العليم بكل شيء، الواسع العلم كما تصور ذلك قصة الخضر وموسى [٤] عليهما السلام [٥] .

والقصة تشارك فى بناء عقيدة المسلم، بأن تقر فيها أن الله هو المهيمن المتصرف فى هذا الوجود، بحيث أنه لا يقع شيء فيه صغر أو كبر إلا بإذنه ومشيئته تبارك وتعالى، فتحاول القصة أن تربى لدى المسلم إحساسه بهذه الناحية، كما فى قصة «لو قال إن شاء الله» التى تصور ما حدث لنبى الله سليمان عليه السلام، حين لم يقل إن شاء الله، حيث لم يحصل مراده من إنجاب زوجاته أولاداً يجاهدون فى سبيل الله، وقد علق الرسول ﷺ على ذلك بقوله : « **وأيم الذى نفس محمد بيده ! لو قال إن شاء الله، لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون** » [٦] .

كما تحرص القصة على أن تربى فى عقل المسلم، وفى ضميره أن الله صاحب الشأن فى هذاالكون، وأنه الفعال لما يريد، وبالتالى فلا يجوز لأحد أن يتقول على الله، كأن يقول : والله لا يفعل الله كذا، وما أشبهه، فهذا من الأقوال التى لا تليق بجانب الله، وتتنافى مع مبادىء العقيدة الخالصة، وقد عبرت عن ذلك كله قصة « المذنب والعابد » فقد قال العابد لزميله المذنب مرة، وقد وجده على ذنب : « **اقصر ؟ فقال : خلنى وربى أبعثت علىَّ**

---

(١) المصدر السابق ٨ : ١٤٦ .

(٢) مسلم ١ : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) البخارى ٤ : ١٣٥ .

(٤) المصدر السابق ٦ : ١١٠ - ١١٢ .

(٥) انظر مبحث « الله جل جلاله فى القصة » من الفصل الثالث فى هذا البحث .

(٦) مسلم ٣ : ١٢٧٦ .

**رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، أو لا يدخلك الجنة ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالماً ؟ أو كنت على ما فى يدى قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار »**[١] .

كما تؤكد القصة على ضرورة أن يشعر المسلم بالثقة المطلقة فى جانب الله والكفاية به ، والاعتماد الدائم عليه تبارك وتعالى وحده ، والاعتصام به فى كل شىء ينوب الإنسان أو يصيبه ، وأن على الإنسان أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتطلع إليه ، فهو القريب من عباده ، المعين لهم وحده ، والقادر على كل شىء ، وتلك مضامين نجدها فى أكثر من قصة ، نجدها فى قصة « الله يعصمك »[٢] ، وفى قصة « وبك أقاتل »[٣] وفى قصة « المستلف ألف دينار »[٤] .

ومن أصول الإيمان التى تؤكدها القصة النبوية ، الإيمان بملائكة الله الذين ( **لَا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرهم ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ) [٥] فتعرض علينا أنواعاً من الملائكة ، يقومون بتأدية مهمات مختلفة بتكليف من الله تبارك وتعالى ، فمنهم من هو موكل بالوحى يبلغه إلى أنبياء الله ورسله كجبريل عليه السلام[٦] ، ومنهم كتبة الأعمال الذين يتعاقبون فى الناس ، ملائكة بالليل

---

(١) سنن أبى داود ٢ : ٥٧٣ – ٥٧٤ ، وقال أبو هريرة : « والذى نفسى بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » وانظر المسند ( ص ) ٢ : ٣٢٣ .

(٢) مسلم ٤ : ١٧٥٠ – ١٧٥١ .

(٣) المسند ( ص ) ٤ : ٣٣٢ .

(٤) البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٥) التحريم : ٦ .

(٦) انظر قصة « جبريل » مسلم ١ : ١٤٤ .

وملائكة بالنهار(١) ، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح كملك الموت(٢) ، ومنهم من يطوف فى الأرض سائحاً يلتمس مجالس الذكر والتسبيح ، حتى إذا وجدوها تنادوا والتموا على الذاكرين وحفوهم بأجنحتهم إلى السماء(٣) .

ومن تلك الأصول أيضاً الإيمان بالرسل جميعاً ، وأنه لا يكفى لتحقق الإيمان فى فرد أو أمة أن تؤمن برسولها الذى أرسل إليها فقط ، وإنما يلزم مع ذلك ، أن يحصل الإيمان بجميع الرسل السابقين ، والرسول ﷺ يقرر ذلك فى قصة « المستأجر والأجراء » وهى تمثيل لموقف اليهود والنصارى والمسلمين ، فاليهود والنصارى لم يحصلوا على الأجر لأنهم أبوا أن يكملوا بقية يومهما ، فرفضوا الأجر ، وهو إشارة إلى رفضهم الإيمان بمحمد ﷺ ، إذ أن اليهود لا ينفعهم الإيمان بموسى مع كفرهم بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وكذلك النصارى لا ينفعهم الإيمان بعيسى وهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأما المسلمون فقد قبلوا أن يعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين ، وهو إشارة إلى إيمانهم بمن مضى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، مع إيمانهم برسولهم محمد ﷺ(٤) ، وقد قال الله تعالى : ( .. **كُلٌّ آمَنَ بالله وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ) (٥) .

ومنها أيضاً الإيمان باليوم الآخر ، وسيأتى الحديث عن ذلك فى موضع البعث والنشور إن شاء الله تعالى(٦) .

---

(١) انظر قصة « الملائكة المتعاقبون » سنن النسائى ١ : ١٩٤ وقصة « الكلمة التى عضلت بالملكين » سنن ابن ماجه ٢ : ١٢٤٩ .

(٢) انظر قصة « داود وملك الموت » المسند ( ص ) ٢ : ٤١٩ .

(٣) انظر : قصة « الملائكة الطوافون » البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٤) البخارى ٣ : ١١٨ – ١١٩ .

(٥) البقرة : ٢٨٥ .

(٦) انظر قصص اليوم الآخر فى فصل أنواع القصة .

ومن قضايا العقيدة المهمة جداً ، التى تعرض لها القصة النبوية ، قضية الإيمان بالقدر ، وهى ناحية تصورها قصة « قدر الإنسان » حين يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، وبعد ذلك يبعث الله ملكاً ، ويأمره بأن يكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ويقول الرسول ﷺ : « .. **فو الله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » [(١)] وفى هذا نفى لعقيدة القدرية والمعتزلة ورد عليهم فى نفيهم للقدر[(٢)] والإيمان بالقضاء والقدر دافع للإنسان لأن ينطلق فى الحياة يسعى ويعمل غير خائف على رزق أو حياة ، فلن يستطيع أحد كائناً من كان أن يمنع عنه رزقه الذى قد كتب له ، كما لن يستطيع أحد أن يحرمه من الحياة ، ما دام لم يستكمل مدته المقدرة[(٣)] ، ومن هنا استطاع المسلمون بهذه العقيدة الإيجابية أن يحققوا انتصارات رائعة على مدار تاريخهم الطويل ، وقد قال تعالى : ( **وما كانَ لنفْسٍ أن تَمُوتَ إلَّا بإذْنِ الله كتاباً مُؤَجَّلاً** ) [(٤)] ، إنها عقيدة تملأ نفس صاحبها عزة وقوة ، وقد امتلأت نفسه أمناً وطمأنينة على رزقه وحياته ، وقدر الله لا يعنى أن الإنسان قد سلب إرادته وحريته ، فالله تبارك وتعالى قد أعطاه حرية الإرادة والاختيار ، وأعطاه مع ذلك عقلا يميز به ، ومن

---

(١) البخارى ٨ : ١٥٢ .

(٢) انظر : ما جاء فى منكرى القدر فى كتاب التوحيد ، ضمن مجموعة التوحيد النجدية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص ١٩٦ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٧٥ هـ .

(٣) انظر : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل للدكتور عبد الله عزام ص ٣٠ ، توزيع دار الاعتصام ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٤) آل عمران : ١٤٥ .

هنا جعله الله مكلفاً ، ومسئولا عما يفعل ، ولكنه وهو يفعل ما يفعل بحريته وإرادته ، ليس خارجاً عن قدرة الله ولا عن مشيئته وإرادته فى هذا الكون ، فهو لا يفعل شيئاً إلا بعلم الله المحيط بكل شىء ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهى حرية أعطيها الإنسان فى دائرة ضيقة ضمن الدائرة الكبيرة التى يريدها الله ، ولا يقع فيها شىء إلا بعلمه ومشيئته ، ثم إن تلك الحرية هى من مشيئة الله ، فقد أراد سبحانه وقدر أن يعطى الإنسان تلك الحرية ، فهى من قدر الله ، قال تعالى : ( **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ) (١) وقال تعالى : ( **وخَلَقَ كلَّ شىءٍ فقدَّرَهُ تَقْدِيراً** ) (٢) .

( ٢ )

**الرسول والنبوة :**

لقد كان من الطبيعى جداً أن نجد ضمن موضوعات القصة النبوية ، وضمن ما تتحدث عنه من قضايا وأفكار ، جوانب معينة من حياة الرسول ﷺ وما جاء به من رسالة هادية ، وهى جوانب قليلة ليست كل الجوانب فى حياة الرسول ﷺ ، وليست كل الزوايا فى رسالته .

كان مما تناولته القصة حياة محمد ﷺ فى طفولته المبكرة ، وهو رضيع فى ديار بنى سعد بن بكر ، وفى حضانة حليمة السعدية ، والقصة هنا تلتقط موقفاً واحداً حصل للرسول ﷺ فى تلك الفترة ، ولكنه موقف مهم وخطير ، تصوره قصه « شق الصدر »(٣) دليلاً على مبلغ العناية الإلهية بهذا الطفل

---

(١) القمر : ٤٩ .

(٢) الفرقان : ٢ .

(٣) سنن الدارمى ١ : ١٦ — ١٧ .

الذى سيكون له شأن فيما بعد فى حمل رسالة الإسلام ، وهى رسالة السماء إلى أهل الأرض من العالمين ، وإن الله ليهيئه ويعده ، إذ يبعث إليه بالملائكة كى تشق صدره ، وتغسل قلبه ، وتملأه بالسكينة ، ثم يختم بخاتم النبوة ، وإنها بشائر النبوة ودلائلها ، ولقد بدأت تظهر بوادر الشخصية الجديدة التى تصاغ على عين الله ، فى سلوك محمد ﷺ وفى تحنثه وتعبده فى غار حراء ، وإنه ليجاور بحراء الشهر بأكمله ، حتى جاء جبريل بالوحى ، ومع الوحى التكليف بالتبليغ والإنذار[١] ، فهو رسول الله الذى من أجابه دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة[٢] والرسول ﷺ هو الرائد الذى لا يكذب أهله ، وهو القائد إلى بر الأمان فى متاهات المفاوز والمهالك ، وهو الهادى إلى حيث الحياة والماء والنماء[٣] ، ومن اتبعه فقد فاز ونجا ، وأما المكذبون ، والمستكبرون عن الاستجابة لما يدعو إليه فلهم الخسران المبين[٤] .

كما تحرص القصة على أن تؤكد للناس ، أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء ، ونهاية عقدهم[٥] ، وأنه لا نبى بعده ، وكأنما هى بذلك تحاول أن ترد على أولئك الذين ادعوا النبوة فى عهد رسول الله ﷺ كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى ، ومن جاءوا بعد ذلك كطليحة الأسدى وسواه .

كما تعرض القصة صوراً من دلائل نبوته ﷺ وبراهين رسالته ، فى مثل رجحانه بأمته وقد وزنته الملائكة برجل فرجح به ، ثم بعشرة فرجح بهم ، ثم بمائة فرجح بهم ، ثم بألف فرجح بهم ، وقول الرسول ﷺ : « **كأنى أنظر إليهم يسقطون علىّ من خفة الميزان** » وأخيراً يقول أحد الملائكة لصاحبه :

---

(١) مسلم ١ : ١٤٤ .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ١٤٥ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ١٢٩ .

(٤) البخارى ٨ : ١٢٦ .

(٥) سنن الترمذى ٥ : ٥٨٦ .

« **لو وزنته بأمته لرجحها** »[١] ، والمعراج دليل قاطع على أنه مرسل من عند الله ، ومما يدل على أن القصة تريد أن تصور محمداً ﷺ رسولا من عند الله ما نجده من تكرار الملائكة للسؤال فى قصة المعراج[٢] ، موجهينه للطارقيْن جبريل ومحمد وهما يستفتحان عند كل سماء ، فالملائكة يسألون : ومن معك ؟ فيقول جبريل : محمد . فيقولون : وقد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم ! كما أن مضمون الأحداث ذاتها برهان حيوى على أن محمداً ﷺ مرسل من عند الله نذيراً وبشيراً ، وهادياً بإذنه وسراجاً منيراً .

وقد انطلق الرسول ﷺ يحمل الأمانة ويبلغ الرسالة ، فى صبر وثبات متحملا فى سبيل ذلك كل ما يلقاه من عنت وعناء ، ومن شدة وبأساء ، وهو برغم ما يلقاه من قومه من تلك الشدة ، حريص على مواصلة الدعوة ، جاد فى مواصلة التبليغ ، وأنه لكثير الهم لما يلقاه من إعراض قومه ، وما يواجهه من صدودهم ، وهو هم كان من العنف إلى درجة أن الله – تبارك وتعالى – لينجده مما هو فيه من ضيق نفسى يفوق ما هو فيه من عناء جسمى ، فيبعث إليه جبريل – عليه السلام – ليبلغه بأن الله قد أرسل إليه ملك الجبال ، ليأمره بما يشاء أن يفعله فى قومه الذين بالغوا فى الإعراض والصدود وبالغوا فى الإساءة والإيذاء ، ويبادر ملك الجبال – عليه السلام – بعرض خدماته على الرسول ﷺ حتى لو أراد أن يطبق عليهم الأخشبين لفعل !

ولكن الرسول ﷺ كان أرأف وأرحم ، كان يحمل قلباً كبيراً يعمره الحق وينيره الإيمان ، وهو قلب قد غسل من قبل من الأدران ، ومليء بالسكينة ، ليكون أهلا لحمل الرسالة الخالدة ، ولذلك فقد جاء رده رفيقاً

---

(١) سنن الدارمى ١ : ١٧ .

(٢) البخارى ٥ : ٦٦ – ٦٩ .

حانياً ، يسيل رقة وشفقة ، « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً »(١)

إن هذه الكلمات الأخيرة تلخص مضمون هذه القصة فى صدق وروعة وإيجاز ، وإنها لتحاول أن تعطينا صورة بالكلمات لجانب من نورانية القلب المحمدى ، فى صفائه وطهارته ، وما كان ينبض به ذلك القلب من محبة وود للناس الذين أرسل إليهم ، ومن حرص أكيد على هدايتهم إلى الطريق الحق المستقيم كما تكشف عن استحقاق محمد ﷺ لتحمل الرسالة ، لما يتمتع به من بعد نظر عميق ، يجعله يتطلع إلى الزمن المستقبل وإلى أصلاب قومه تعبيراً عن الصلابة والاعتداد بنصر الله ، وبأن النصر فى النهاية لكلمة الله مهما طال الزمن .

( ٣ )

**القيم الإسلامية :**

حرص الرسول ﷺ على أن يضمّن القصة كثيراً من القيم الإسلامية ، من أجل توضيحها أمام المسلمين من ناحية ، ومن أجل تعميقها فى نفوسهم من ناحية ثانية ، من خلال جعلها موضوعات تدور حولها أو تتحدث عنها أحداث القصة ومواقفها ، وهى قيم ذات جوانب متعددة ، حيث نجد قيما دينية ، وقيما خلقية ، وقيما روحية ، وهى كما تبدو فى هذه التسميات التى آثرت أن أطلقها عليها ، قيم متقاربة نوعاً ، وقد دفعنى إلى هذا التقسيم مع هذا التقارب ما لحظته من فوارق دقيقة كانت موضع اعتبارى وأنا أقدم على تلك

---

(١) البخارى ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ .

التسميات ، فقد لمست فيما أسميته القيم الدينية أنها أقرب إلى أن تكون نوعاً من المبادىء والأحكام التشريعية ، وأما القيم الخلقية فراعيت ما يغلب عليها من طابع سلوكى أخلاق فى التعامل بين أفراد المجتمع وما يتصل بذلك من اعتبارات ، وأما القيم الروحية ، فراعيت ما يغلب عليها من اتجاه روحى فى تربية المسلم والسمو بنفسه إلى آفاق عليا ، وتنمية تطلعاته وأشواقه فى التقرب إلى الله والحرص على رضاه تبارك وتعالى .

وفى القيم الدينية نجد حثاً واضحاً على الاهتداء بنور الإسلام ، والالتزام به والإيمان بما جاء به محمد ﷺ من دعوة ، وأنها هى النور الذى يهدى إلى الطريق المستقيم وبه ينال الإنسان الأجر ويحقق الفلاح[1] .

وهناك عديد من القصص التى تتحدث عن قضية الثبات على العقيدة والاستمساك بها ، وعدم التنازل عن مبادئها ، مهما كلف صاحبها ذلك من متاعب ، ومهما اعترضته من صعاب ربما أدت به إلى التضحية بحياته وهى أغلى شىء يملكه فى وجوده ، فى سبيل أن يبقى وفياً لعقيدته ودينه مخلصاً فى ذلك لا ينحرف ولا يحيد ، وهذه القضية ذات أهمية بالغة ، وذات حيوية خاصة بالنسبة لما كان يواجهه المسلمون من مشكلات إزاء استمساكهم بدينهم وثباتهم عليه وبخاصة فى الأيام الأولى من ظهور الإسلام فى مجتمع مكة ، ومن هنا حرص الرسول ﷺ على أن يعالج هذه القضية بعرض أكثر من قصة تتناول هذه الناحية من مواقف أصحاب الدعوات والمبادىء وهم يواجهون ظروفاً مشابهة تماماً ، أو قريبة مما يواجهه المسلمون فى مكة فى بداية عهد الإسلام ، فكانت هذه القضية محور الموضوع فى تلك القصص ، كما نجد ذلك واضحاً فى

---

(١) انظر : قصة « المستأجر والأجراء » البخارى ٣ : ١١٨ - ١١٩ ، وقصة « اضرب له مثلا » الترمذى ٥ : ١٤٥ .

قصة الذى ينشر بالمنشار[١] فلا يصده ذلك عن دينه ، وفى قصة « أصحاب الأخدود »[٢] التى تحمل عدة نماذج تعطى صورة رائعة لثبات أهل العقيدة وصمودهم ، وهى مواقف تتمثل فى أكثر من شخصية فى هذه القصة ، كما نجد فى موقف الراهب ، وموقف الجليس ، وموقف الغلام الذى يحمل أكثر من جانب وأكثر من درس ، ونجد مثل ذلك أيضاً فى قصة ماشطة ابنة فرعون[٣] حين آثرت أن تموت بأبشع صور الموت على أن ترجع عن دينها ، وهذا أيضاً يماثل موقف المؤمن مع الدجال فى قصة أخرى ، حين انطلق المؤمن يحذر الناس من الدجال غير عابىء بما يلاقيه فى سبيل ذلك من صنوف العذاب ، التى كان آخرها أن الدجال شقه نصفين ومشى بين الشقين[٤] ، ولا شك أن إلحاح الرسول ﷺ على تكرار هذه المواقف وتكرار هذه النماذج فى أكثر من قصة إنما يعبر عن حرصه على تعميق هذه المواقف وترسيخها فى نفوس المسلمين ، لتستقر فى وجداناتهم ومشاعرهم ولتكون مَعْلَماً يضىء لهم الطريق وهم يواجهون ما يواجهون من ألوان الاضطهاد والتنكيل ، بسبب ما يعتنقونه من دين وما يؤمنون به من عقيدة .

كما نجد تركيزاً على أهمية الصلاة وفضلها وبخاصة حين تؤدى فى جماعة ، ولذلك نجد الرسول ﷺ يقول لبلال رضى الله عنه بأنه سمع خشخشته فى الجنة فى رؤيا رآها ، وقال له فى خاتمة القصة بأن سبب ذلك هو مداومته على الصلاة بعد كل وضوء[٥] ، والملائكة المتعاقبون يسألهم الله وهو العالم بكل شيء ، كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم

---

(١) البخارى ٤ : ٢٤٤ .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٤) مسلم ٤ : ٢٢٥٦ .

(٥) سنن الترمذى ٥ : ٦٢٠ .

يصلون ، وذلك فى صلاة العصر وصلاة الفجر[١] ، ومثل الصلاة الصدقة بمفهومها العام الذى يشمل الصدقة بمعنى الزكاة والصدقة التى يجود بها الإنسان علاوة على ما فرض عليه من حق فى المال ، ونحن نلمس فى بعض القصص اهتماماً كبيراً بشأنها ، وجعلها موضوعاً رئيساً لها ، كما نجد فى قصة « صوت فى سحابة » ، حيث تنتهى بنا القصة من خلال عرض حوادث مثيرة فى أسلوب قصصى شيق ، وعلى طريقة لحظة التنوير فى خاتمة القصة تنتهى بنا إلى المغزى العظيم وهو أهمية الصدقة ، وأنها العامل الرئيس وراء هذه الأحداث الكونية العجيبة ، والتنوير الذى يلخص موضوع القصة ومغزاها يأتى فى وضوح ودقة على لسان صاحب الحديقة : « **فإنى أنظر إلى ما يخرج فيها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل وعيالى ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه** » [٢] ، والصدقة ذات أثر بارز فى إصلاح الحياة الاجتماعية بين الناس ، وإقامة مجتمع نظيف متوازن ، وهذه قضية تركز عليها قصة « المتصدق على زانية وغنى وسارق » حيث تصرح القصة فى النهاية بأن صدقة الرجل التى كان ينظر إليها الناس بشىء من التعجب والاستغراب قد قبلت ، وأنه استحق عليها الثواب ، فقد أُتى ، « **فقيل له أما صدقتك فقد قبلت ، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته** » [٣] .

ومن أهم القضايا الدينية التى تعرضت لها القصة النبوية ، قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد جاءت هذه القضية موضوعاً لقصتين ، الأولى تتحدث عن بنى إسرائيل حين وقعوا فى المعاصى ، فنهاهم علماؤهم فى

---

(١) سنن النسائى ١ : ١٩٤ .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ٧٠٩ .

البداية فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ، وتركوا واجب نهيهم وأمرهم ولذلك استحقوا أن يضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وأن يلعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[١] ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مفهومه الشامل ودلالته العميقة ، ومغزاه البعيد ، منهج تكافلى رائع يقى المجتمع ويصونه عن الشر والفساد ، فهذا المبدأ يجعل من كل شخص حارساً أميناً على الحياة العامة فى المجتمع حين يكون يقظاً يستشعر واجبه فى العمل على وقاية هذا المجتمع من خطر الضلال وشر الفساد ، وهو ينهى ضالا أو مخطئاً أو فاسداً عما هو فيه من فساد وعصيان لن يقتصر ضرره عليه وحده ولكنه سينتقل بالتالى لينال من سائر أفراد المجتمع ، ويدله على الطريق المستقيم حين يأمره بالمعروف ، وحينئذ لا يكون هناك خطر على الحياة الاجتماعية من أن يتفشى فيها الفساد ، أما حين يُهمل هذا الواجب ، وينسى كل إنسان نفسه ، وينسى غيره فيتركه يخطىء ويفسد ويضل ، حينئذ يكثر الفاسدون المفسدون ، ويكثر الضالون ، فيعم البلاء والشر الجميع من غير استثناء كما تصور ذلك قصة « سفينة الحياة » وهى قصة يضربها الرسول ﷺ مثلا لما يترتب على إهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حين تنتهك حدود الله فلا ينبرى أحد ينهى أو يأمر ، إنها مثل لما يترتب على ذلك من خطر جسيم ، يقول الرسول ﷺ : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما**

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وقال تعالى : ( لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

**أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن يأخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »** (١) ، وهى حقاً « صورة عجيبة تلك التى تتمثل فى النفس من قراءة هذا الحديث .. صورة حية شاخصة موحية معبرة .

« وإن هناك لتوفيقاً عجيباً فى هذا التشبيه بالسفينة ، فالحياة كلها هذه السفينة الماخرة فى العباب ، لا تكاد تسكن لحظة حتى تضطرب من جديد ولن يكتب لها السلامة والاستواء فوق الموج المضطرب حتى يكون كل شخص فيها على حذر مما يفعل ، ويقظة لما يريد .

« والمجتمع كله هذه السفينة .. يركب على ظهرها البر والفاجر ، والمتيقظ والغفلان ، وهى تحملهم جميعاً لوجهتهم ، ولكنها – وهى محكومة بالموج المضطرب والرياح من جانب ، وما يريده لها الربان من جانب – لتتأثر بكل حركة تقع فيها ، فتهتز مرة ذات اليمين وتهتز مرة ذات الشمال ، وقد تستقيم على الأفق أحياناً أو ترسب أحياناً إلى الأعماق ..!

« وإن كثيراً من الناس لينسى – فى غمرته – هذه الحقيقة ، ينسى سفينة المجتمع أو سفينة الحياة ، ينسى فيخيل إليه أنه ثابت على البر ، راكز راسخ لا يضطرب ولا يزول ، ومن أجل ذلك يفجر ويطغى ، ولو تذكر من استكبر وطغى أنه ليس راكزاً على البر ، ليس دائماً فى مكانه ، ولا خالداً فى سطوته ، وإنما هى رحلة قصيرة على سفينة الحياة .. لو تذكر ذلك ما استكبر ولا طغى ، ولا اغتر بقوته الزائلة عن الحقيقة الخالدة ، ولعاد إلى مصدر القوة الحقيقية فى هذا الكون ، يستلهم منه الهدى ويطلب منه الرشاد ، ويسير على النهج الذى أمر به وارتضاه الناس ، ولو تذكر من يفجر وينحرف أنه ليس راكزاً على البر ، وإنما هو منطلق على العباب ، وأن كل حركة يأتيها تتأثر بها السفينة

---

(١) البخارى ٣ : ١٨٣ .

فتهتز ، لو تذكر ذلك لما ترك نفسه لشهواته ولانحرافاته ، ولعمل حساباً لكل خطوة يخطوها وكل حركة يتحركها حرصاً على نجاته هو ونجاة الآخرين ، ولكنها الغفلة السادرة التى تخيم على البشرية ، إلا من آمن واتقى وعرف ربه واهتدى إليه ، والرسول الكريم يدرك هذه الغفلة التى ترين على قلوب الناس ، فيحذرهم منها ، ويصورها لهم فى صور شتى ، من أعجبها وأبلغها هذه الصورة التى يرسمها هذا الحديث ، صورة السفينة الماخرة فى العباب »[١] .

ومن القيم الدينية التى عالجتها القصة فى موضوعاتها مبدأ « التوبة » وهو مبدأ أساسى من مبادىء الإسلام ، فالإنسان فى نظر الإسلام ليس قوة على الإطلاق ، كما أنه ليس ضعفاً على الإطلاق ، إنه خلق مكون من نفخة الروح العلية ومن قبضة الطين السفلى ، وهو على هذا الأساس يمكن أن تدركه لحظة الضعف فيخطىء وينحرف ويضل الطريق ، وهو حين تدركه لحظة الضعف تلك ، فيذنب أو يخطىء فى أى صورة من صور الذنب أو الخطأ ، فإنه لا يطرد من رحمة الله ، ولا تسد أمامه أبواب العودة إلى الصواب وإلى الارتفاع ، بل إن الإسلام يفتح له الباب عريضاً على مصراعيه لكى يرجع إلى الجادة ، ولكى ينتشل نفسه من تلك الحمأة التى وقع فيها ، ويرتفع بها مرة أخرى فى مدارج الصعود ، إن الإسلام يتيح له الفرصة واسعة وهو يفتح له باب التوبة ، وليس ذلك فحسب ، ولكنه فوق ذلك يغريه فى الدخول ، مهما كان ذنبه ومهما كانت أخطاؤه ، ولا على الإنسان أن يخطىء ، ولكن عليه ألا يستمر فى الخطأ ، وفى الحديث « **كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** » [٢] .

ومن هذا المنطلق تعرض علينا القصة النبوية نموذجين يعالجان موضوع التوبة ،

---

(١) محمد قطب : قبسات من الرسول ﷺ ١٦٧ – ١٦٨ ، وقد مضى الكاتب يتحدث عن هذا الحديث فى ١٧ صفحة .

(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٩ ، عن أنس مرفوعاً ، وابن ماجة فى سننه ٢ : ١٤٢٠ .

ففى قصة « فاقد الراحلة »[١] تصور القصة مبلغ فرح الله عز وجل بالتائب حين يتوب من خلال أحداث قصة حية لرجل فقد راحلته وعليها طعامه وشرابه وجميع مقومات الحياة بالنسبة له ، وحين أيس من العثور عليها بعد بحث طويل ، أسلم نفسه لمصيره المحتوم ، ورقد تحت ظل شجرة ينتظر الموت بين لحظة وأخرى ، وفجأة ينظر فإذا راحلته قائمة عنده ، ولنا أن نتصور حالة الفرح التى يمكن أن تستولى على مثل ذلك الرجل الذى يعود إلى الحياة مرة أخرى بعودة ناقته ، إنه فى حالة من الفرح تفوق حد التصور ، ولذلك فالرسول ﷺ ينقل إلينا حالة الرجل فى تلك اللحظة وقد قال من شدة فرحه : « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » أخطأ من شدة الفرح ، ليقرر أن الله تبارك وتعالى لأشد فرحاً بتوبة العبد حين يتوب إليه من فرح هذا الرجل صاحب الراحلة ، إنها دعوة إلى رحاب الله الكريم تفيض بالحب والحنان لكل مذنب خطاء مهما كانت خطيئته ، ومهما عظم جرمه ، كما يدل على ذلك ويصوره مصير الرجل الذى قتل مائة نفس[٢] فى القصة النبوية ، وأنه بالرغم من كثرة الأرواح التى أزهقها طوال حياته الإجرامية إلا أنه الآن وقد استيقظ ضميره ، وأدركته لحظة القوة والارتفاع يجد الفرصة عريضة أمامه فى باب التوبة المفتوح كما يعبر عن ذلك أحد شخصيات القصة وهو الرجل العالم ، الذى جاء إليه القاتل يسأله : هل له من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينه وبين التوبة[٢] ؟! ويتوب هذا القاتل ، فيتوب الله عليه وتدركه الرحمة ، وحين اختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وهو فى طريقه إلى القرية الصالحة حين أدركه الموت ، أنزل الله ملكاً فى صورة آدمى ليحكم بينهم فأشار عليهم بأن يقيسوا المسافة بينه وبين القرية الظالمة ، وبينه وبين القرية الصالحة التى يقصدها ،

---

(١) مسلم ٤ : ٢١٠٤ .

(٢) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

فالتى يكون إليها أقرب يلحقونه بها ، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة فقبضته ملائكة الرحمة ، وإن القصة تقول إن التوبة باب مفتوح لكل طارق مهما عظم ذنبه ، وأن قتل مائة رجل ليس أكبر عند الله من قتل نفس واحدة فى قتلها قتل الناس جميعاً وفى إحيائها إحياء الناس جميعاً وأن « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » (١) وسيجد قبولا وحفاوة فى رحاب الله الكريم ، ثم إن التوبة علاج حاسم للآلام النفسية التى يولدها الشعور بالذنب الذى يسيطر على الواقع فى الخطأ والذنب ، والتائب ينقذ نفسه مما يمكن أن يجده من ضغط نفسى ربما تحول إلى قلق رهيب مدمر يظل يطارده حين لا يزال فى دائرة الذنب ، أما حين يخرج من تلك الدائرة الضاغطة عبر باب التوبة ، فإنه سيجد راحة تامة ، وتنفيساً طبيعياً وهو يشعر أنه يبدأ حياة جديدة آمنة مطمئنة (٢) .

ومن القيم الدينية التى تقررها القصة النبوية تحريم الانتحار ، وجعله جريمة كبيرة يقترفها الإنسان المنتحر فى حق نفسه ، وتعد القصة مرتكب هذا الإثم مطروداً من رحمة الله ، ومحروماً من دخول الجنة ، وقد ورد ذلك فى قصة الذى جزع فانتحر فى صورة صريحة (٣) .

والقسم بالله العظيم له شأن كبير فى نظر الإسلام ، و« **من حُلف له بالله فليرض** » (٤) مهما كانت حقيقة المقسم من حيث صدقه أو عدم صدقه ، وعلى المقسم له أن يصدق ويرضى تعظيما للمقسم به وهو المولى عز وجل ،

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه الكبرى فى كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ( ٢ : ١٤١٩ - ١٤٢٠ ) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) هناك أيضاً من القيم الدينية مشروعية الزواج والتحبيب فيه كما توحى به قصة « كرسف والمرأة » المسند ( ص ) ٥ : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) البخارى ٤ : ٢٠٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجة فى كتاب الكفارات ١ : ٦٧٩ .

وهذه قيمة دينية تصورها قصة « عيسى والسارق »[١] أوضح ما يكون التصوير ، فعيسى عليه السلام يرى رجلا يقدم على السرقة بالفعل ، وحين قال له : أسرقت ؟ قال : لا والله الذى لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت بصرى .

وتتضمن القصة النبوية أيضاً قيما ذات طوابع :

**( أ ) أخلاقية إيجابية :**

١ – فى السلوك الفردى حيث نجد فى بعض القصص تصويراً للعفة والتصون عند المرأة ، والحرص على العرض ، كما يتجلى ذلك فى موقف المرأة المحتاجة حين ظلت تتردد وتتمنع على الذى راودها عن نفسها مقابل المال ، برغم الجوع الذى يهددها ويهدد أطفالها ، وقد ظلت حتى آخر لحظة – حتى وهى تسلم نفسها فى ظروف قاهرة – رافضة لهذا الموقف ، ولا أدل على ذلك من حركة جسدها المرتعشة ، وجسمها الطاهر الذى ارتعد فى حركة لا إرادية تعبر عن كراهيتها ومقتها لهذا الفعل[٢] ، ومثل ذلك موقف سارة من الملك [٣]وموقف جريج من البغى[٤] .

٢ – وفى السلوك مع الجماعة ، وفى معاملة الآخرين تعرض لنا القصة أنواعاً من المواقف الأخلاقية فى معارض تحببها إلى النفوس ، وتدعو إلى سلوكها كما نجد فى موقف الأبن البار من أبيه ، حين ظل ساهراً واقفاً بإناء اللبن ، لا يسمح لنفسه ولا لأولاده الذي يتضاغون حوله بالشرب من اللبن قبل أن

---

(١) سنن النسائى ٨ : ٢١٨ – ٢١٩ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ ، وانظر أيضاً قصة « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

(٣) انظر : قصة « سارة والملك » مسلم ٤ : ١٨٤٠ .

(٤) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

يشرب والداه اللذان لا يريد أن يوقظهما ، وظل كذلك حتى أيقظهما الصبح[١] .

وكما نجد فى موقف الرجل صاحب العمل من أجيره الذى أبى أن يأخذ أجره وذهب مغاضباً ، فحفظ له صاحب العمل حقه ونماه حتى كثر ، وأصبح ثروة طائلة ، وحين رجع إليه بعد حين أعطاه ذلك المال كله[٢] .

وفى التعامل بالحسنى نجد رجلا آخر كان يُنظر المعسرين ، ويتجاوز عنهم ، مما كان سبباً فى أن يتجاوز الله عنه ، ويغفر له[٣] ، ومثله آخر أزال الأذى عن طريق الناس ، فشكر الله له ، فغفر له بذلك[٤] ، ومثل ذلك موقف المقرض من المقترض فى قصة « المستلف »[٥] .

(ب) **وهناك مواقف سلبية لا أخلاقية** ، ترفضها القصة النبوية فى مغزاها من خلال رفضها للشخصيات التى تمثلها ، حين تصورها قيما مذمومة لا ينبغى الاتصاف بها . والقصة تعرض نماذج منها فى :

١ - سلوك فردى ، كغش الناس ومخادعتهم كما فى قصة « بائع الخمر والقرد »[٦] وكذلك موقف المرأة التى ادعت أن الولد الذى لم يأكله الذئب إنما هو ابنها مع أنها تعرف أنه ليس ابنها ، كما فى قصة « الأم والسكين »[٧] ومثل ذلك الظهور فى هيئة المتكبر الذى يمشى بين العالمين فى زهو وخيلاء[٨] .

---

(١) المصدر السابق ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البخارى ٤ : ٢٠٥ .

(٤) سنن الترمذى ٤ : ٣٤١ .

(٥) البخارى ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٦) المسند ( صادر ) ٢ : ٤٠٦ .

(٧) البخارى ٤ : ١٩٨ .

(٨) مسلم ٣ : ١٦٥٣ .

٢ – وسلوك جماعى كما نجد فى سلوك جماعة الإسرائيليين حين اتفقوا مع البغى للإيقاع بجريج وإغوائه[١].

وإلى جانب تلك القيم الأخلاقية نجد قيما روحية فى قصص أخرى ، تحاول أن تربطنا بالعالم الغيبى من ناحية ، كما تحاول أن توثق صلتنا بالله تبارك وتعالى من ناحية أخرى ، من خلال بعث الطاقات النفسية والروحية الفطرية ، بحيث تتطلع إلى الآفاق العليا ، وتسمو إلى نشدان القرب من الله والتودد إليه ، وفى قصة الذى « طلب إحراقه » نجد الموضوع يدور حول خوف الله وخشيته ، وهو خوف تجسد فى إحساس الرجل فى صورة رهيبة جعلته يبحث عن مهرب ، ولقد ظن أنه حين يحرق نفسه ويذروها مع الرياح فيصير هباء ، أنه سينتهى إلى العدم ، وعندها لا يقدر عليه الله ، ولكن الله القادر يحييه فيسأله وهو العالم بحاله : ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق منك ! فما تلافاه الله أن رحمه عندها[٢] ، وفى رواية ، قال : ما حملك على النار ؟ قال : خشيتك يارب ؟ قال : إنى أسمعك لراهباً ، فتيب عليه[٣] ، فالقصة تنتهى بتقرير أهمية الخوف والخشية لله ، لما تدل عليه من يقظة الضمير فى العبد وإحساسه بالله ، وتصوره لوجوده ، وقد كان ذلك الإحساس الحى سبباً فى نجاة ذلك الرجل الذى أثقل بالذنوب والخطايا ، فكيف يكون جزاء الخائفين مع التقى والصلاح ؟! لا شك أن جزاءهم سيكون أوفى وأكبر .

والاستغفار والذكر وسائر ألوان التحميد ، والتسبيح والتمجيد لله تبارك وتعالى ، رياضات روحية تسمو بالإنسان ، وتقربه من الله ، وتحط عنه كثيراً من خطاياه ، وتزيد له فى الحسنات ، وهذا رجل فى قصة « الذى يذنب

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) البخارى ٩ : ١٧٨ – ١٧٩ .

(٣) سنن الدارمى ٢ : ٢٣٧ .

ويستغفر »(١) أذنب ، فاستغفر فقال الله : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ، وهكذا ثلاث مرات ، يذنب ويستغفر ، إلى أن قال الله فى الثالثة : أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ثلاثاً فليعمل ما شاء .

وهناك من التحميد الصادر من الإنسان ما يقف أمامه كتبة الأعمال حيارى كيف يكتبونه ، لما يحمله من معان عظيمة ، ودلالات عميقة فى الشعور بمعنى الألوهية وهيمنتها وسلطانها العظيم ، كما تصور ذلك قصة « الكلمة التى عضلت بالملكين »(٢) فقد قال عبد من عباد الله : « **يارب ! لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك** » فاحتار الملكان كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، وقالا لله عن قصتهما ، وأنهما احتارا فى كتابة تلك المقالة فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجزيه بها ، وفى قصة « الملائكة الطوافون »(٣) نجد تصويراً لفضل الذكر والذاكرين ، وما لهم من منزلة عظيمة فى ميزان الله ، بل إن الله ليجعل ملائكة يطوفون فى الطرقات يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوهم تنادوا فى فرح أن هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، وتمضى القصة فى تصوير مقام أولئك الذاكرين المسبحين من خلال حوار طويل بين المولى عز وجل وبين ملائكته الكرام ، حين يسألهم وهو العالم بهم : « **ما يقول عبادى ؟ قالوا : يقولون ، يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك**

---

(١) البخارى ٩ : ١٧٨ .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ : ٢٤٩ .

(٣) البخارى ٨ : ١٠٧ — ١٠٨ .

**تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : يقول : فما يسألونى ؟ قال : يسألونك الجنة ، قال : يقول : هل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »** [١] .

وتنتقل بنا قصة « إنى أحبه فى الله » إلى قيمة روحية أخرى وهى الحب فى الله ، حين يكون خالصاً من كل غرض أو منفعة شخصية ، وهى درجة رفيعة ينال المحظوظون بها فضيلة حب الله نفسه عز وجل ، كما حصل لبطل القصة حين اعترض طريقه الملك ، وهو فى زيارة رجل آخر ، وفى نهاية الحوار بينهما قال الملك له : « **فلم تأته ؟ قال : إنى أحبه فى الله عز وجل ! قال : فإنى رسول الله إليك ، أن الله عز وجل يحبك بحبك إياه فيه** » [٢] .

وفى قصة « الأولاد الشفعاء »[٣] بيان لفضيلة احتساب الأولاد حين يموتون ، وتربية للنفوس على تحمل المصاب فى رضى وتسليم ، لأن أولئك الأولاد سيصبحون شفعاء لوالديهم يوم القيامة ، وبسببهم سيدخل الله الجميع بفضل رحمته الجنة .

---

(١) البخارى ٨ : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) المسند ( ص ) ٢ : ٥٠٨ .

(٣) المصدر السابق ( ص ) ٢ : ٥١٠ .

وتتناول القصة المجاهدين ، وتجعل منهم موضوعاً لقصتين ، تحاول فيهما أن تهتف بأرواح المجاهدين ، وتثير فيهم أشواقاً مجنحة إلى نيل الشهادة والفوز بها ، لما للشهيد عند الله من المنزلة والكرامة ، التى تعرض علينا القصة طرفا منها ، فيه من الإغراء ومن التشويق ما فيه ، وهذا أبو جابر فى قصة « الذين قتلوا فى سبيل الله »(١) يكلمه الله وقد استشهد فى أُحد ويقول له : تمن يا عبدى ؟ فيقول : يارب ! تحيينى فأقتل فيك ثانية ، وذلك لما يجد من الكرامة والنعيم ، فيقول الله : إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، فيطلب من ربه أن يبلغ من وراءه من المسلمين بما يجده الشهيد من منزلة عظيمة ، فينزل الله تعالى قوله : ( **ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرْزَقُون** ) (٢) وفى قصة « أحياء يرزقون »(٣) تصور القصة حياة الشهداء بأن الله « **جعل أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش** » (٤) ومن القيم الروحية التى تحرص القصة على تجسيدها فى نفوس المسلمين ، إظهار مكانة الرحاب المقدسة فى كل من مكة المكرمة ، كما فى قصة « جيش الخسف »(٥) وفى بيت المقدس ، كما فى قصة « مسائل سليمان » ، وربط المسلمين روحياً بهاتين البقعتين ، ليظل الاعتزاز بهما حياً فى ضمير المسلم وفى إحساسه ، يشع على الدوام بالشعور بهما كمهابط للوحى ، ومنائر للنبوات ، وليظل القلب المؤمن متعلقاً بهما ، وبما يرمزان إليه من قيم دينية مقدسة ..

---

(١) سنن ابن ماجه ١ : ٦٨ .
(٢) آل عمران : ١٦٩ .
(٣) سنن أبى داود ٢ : ١٤ .
(٤) المصدر السابق ٢ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٥) سنن النسائى ٢ : ٢٨ .

( ٤ )

**فى الإنسان :**

تنظر القصة النبوية للإنسان نظرة واقعية ، وتحاول أن تعرضه على حقيقته من غير ما تزييف أو تشويه ، إنها تعرضه فى صورته السوية التى هو عليها بالفعل بما تنطوى عليه تلك الصورة من صفات سلبية ، ومن صفات إيجابية ، ما فيها من خير ، وما فيها من شر ، وما فيها من ضعف ، وما فيها من قوة ، كما أنها تكشف ما لدى الإنسان من قدرة على الارتفاع والسمو إلى مستوى نفخة الروح ، وما لديه من استعداد للهبوط والانشداد إلى أوهاق الأرض وقبضة الطين .

وفى قصة آدم[1] وذريته نجد آدم أبا البشر – عليه السلام – يدركه ضعفه الإنسانى ، فيتراجع عما أعطاه لابنه داود من عمره ، وذلك أنه حين أتاه ملك الموت ليقبض عمره قال له : « **أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك ؟ قال : فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته ، وخطىء آدم فخطئت ذريته** » .

ومن مظاهر ضعف الإنسان اغتراره بالمظاهر وانخداعه ببريقها دون أن يفطن إلى ما تخفيه فى طياتها من شر كما تصور ذلك قصة الأم ورضيعها ، حين أعجبت الأم بالرجل الراكب ذى الشارة ، فصارت تدعو لوليدها بأن يكون مثله ، مع أنه طاغية جبار كما كشف عن ذلك الصبى فيما بعد ، وحين أخذت

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٢٦٧ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ .

تدعو لوليدها مرة أخرى بألا يكون مثل تلك الجارية التى تضرب ، مع أنها جارية صالحة عفيفة ، تضرب ظلماً وهى تقول حسبى الله[١] !

ومن القصص التى تصور ما فى الإنسان من شر ، ورغبة فى إلحاق الأذى والضرر بالآخرين ، قصة « جريج »[٢] العابد الزاهد ، الذى لم يعجب سلوكه هذا قومه من بنى إسرائيل ، فكانوا يذكرونه فى مجالسهم بالسوء تبرماً وحسداً مما جرّأ بغيًّا منهم على أن تعرض عليهم أن تقوم بإغوائه ، إنها روح الشر تتوثب فى داخل هذه المرأة التى باعت نفسها للشيطان ، فراحت تتعرض لجريج ، ولما لم يستجب لما تريد ، أمكنت نفسها من راع كان يأوى إلى جوار صومعة جريج ، ولما حملت منه ، ألصقت التهمة بجريج المسكين ، وجعلته يواجه موقفاً صعباً للغاية ، وقد ثارت عليه ثائرة قومه كما تصور القصة تفصيل ذلك .

وكما أن فى الإنسان شراً ، ففيه أيضاً خير ، وفيه قوة ، ولديه قدرة كبيرة على أن ينتصر على جوانب الضعف فيه ، وعلى أن يطمس فى نفسه المسارب التى يمكن أن يدخل منها الشر ، وهو فى نظر القصة قد يكون أقوى مخلوقات الله وهو ينتصر على جوانب الضعف الإنسانية فيه ، قد يكون أشد من الأرض ، ومن الجبال ، ومن الحديد ، ومن النار ، ومن الماء ، ومن الريح ، كما تعبر عن ذلك قصة « أشد من الريح » ، ومن المناسب أن نقتطف هنا نهايتها المضيئة ، فقد قالت الملائكة لله : « **يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله** »[٣] والواقع أن الرسول ﷺ قد وفق كل التوفيق – كعادته – فى الربط بين الإنسان والريح فى

---

(١) المسند ( ش ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المسند ( ص ) ٣ : ١٢٤ .

هذا المقام فهنا علاقة وثيقة بينهما ، فالملاحظ فى الريح قوة اجتياحها للأشياء ، ولقوتها المدمرة تلك كان الله يسلطها على الظالمين المعاندين ، وقد أهلك الله بها عاداً كما فى قوله تعالى : ( **وأمَّا عادٌ فأُهلِكُوا بريحٍ صَرْصرٍ عاتيةٍ ، سخَّرَها عليهم سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسُوماً ، فترَى القومَ فيهَا صَرْعى كأنَّهُم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ ، فهل تَرَى لهم مِنْ باقِيةٍ** ) (١) والإنسان وهو يتصدق وينفق ماله بهذه الصورة المتخفية يكون أقوى من الريح ، لأنه يجتاح فى نفسه حب المال الشديد المتمكن فيه كما قال تعالى : ( **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيرِ لَشَدِيدٌ** ) (٢) فهو بطبعه شديد الحب للمال لا يعدل به إلا روحه ، وربما فضله على روحه ، فهو وهو ينفق يجتاح هذا المعنى بما فيه من أنانية وذاتية ، وقوة الإنسان هنا تعمقها القصة بإضافة إخفاء الإنفاق ، فهو بذلك يجتاح أيضاً معنى الزهو والعجب ، لأنه يخمد فى نفسه شعور التباهي والغرور ، الذى كان سيشبعه لو أنه تصدق على الملأ ، حيث يسمعون ويرون ! وفى هذا أيضاً ستر على المتصدق عليه ، وعدم التشهير به ، والإنسان فى انتصاره على هذه القوى فى نفسه أشد من الريح ومن هنا وصف رسول الله ﷺ بأنه أجود الناس و« **كان أجود بالخير من الريح المرسلة** » (٣) .

وقد ذكر فى الحديث ( الأرض ، الجبال ، الحديد ، النار ، الماء ، الريح ، ثم الإنسان ) فى ترتيب تصاعدى ، ونستطيع أن نتبين العلاقة الجدلية التى تنظم هذه الأشياء ، وقد عرفنا العلاقة بين الريح والإنسان وكيف كان أقوى من الريح ، وأما الريح فهى أشد من الماء ، لأنها أصله ، فهى التى تنشىء السحب وتلقحها لتمطر فى النهاية ، والماء أقوى من النار فهو الذى يطفئها

---

(١) الحاقة : ٦ – ٨ .

(٢) العاديات : ٨ .

(٣) البخارى ٣ : ٣٣ .

ويخمد أنفاسها ، والنار أقوى من الحديد ، لأنها هى التى تصهره وتلينه ، قال تعالى : ( **آتونى زُبَرَ الحديد حتى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قال انْفُخُوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أُفْرِغْ عليه قِطْراً** ) (١) والحديد أقوى من الجبال لأنه هو الذى يفتتها ، بما يصنع منه من المعاول والفؤوس ، ثم إن الحديد جزء قوى من الجبال ، والمعروف أن هناك جبالا من الحديد ، والجبال هى أوتاد الأرض التى تثبتها وتحفظ توازنها ، ومن هنا تتضح العلاقة المنطقية الرائعة بين هذه العناصر فى هذه القصة .

وفى قصة « جرة الذهب »(٢) صورة مشرقة للإنسان وهو يؤثر أن يتمسك بمبادىء الخلق الكريم من الأمانة والتعفف عن المال المشبوه ، مفضلا تلك الأخلاق على المال ، حتى لو كان ذهباً أحمراً ، تمتلىء به الجرة ، ويسيل له اللعاب .

وإذا كان فى الإنسان ضعف وشر ، وفيه قوة وخير ، فأيهما الذى يغلب عليه ؟ وأيهما الأصيل فيه ؟ الواقع أن القصة ، مع اعترافها بضعف الإنسان وبما تنطوى عليه نفسه من شر ، لا تعد الضعف والشر هو الجانب الأصيل فى الإنسان ولا الجانب الغالب عليه ، إنما الخير والقوة هما الأصيلان فيه ، والشر ليس إلا لحظات ضعف ، تلم به أحياناً ، ولكنه لا يلبث أن يستفيق منها ويعود إلى طبيعته التى فطر عليها ، وهذا ما تصوره قصة « الكفل »(٣) وقصة « المرأة والرجل »(٤) فالرجل وقد أصر على أن يطأ المرأة مقابل ما يعطيها من المال الذى هى فى مسيس الحاجة إليه ، لتسد به جوعها ، وجوع عيالها ، أصبح مسيطراً

---

(١) الكهف : ٩٦ .
(٢) البخارى ٤ : ٢١٢ .
(٣) سنن الترمذى : ٦٥٤ – ٦٥٨ .
(٤) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

عليها تماماً ، وهى قد أسلمت نفسها له بعد أن يئست من إقناعه بأن يتقى الله فيها ، ولما هم بها أرعدت ، وبكت ، فتراجع ، وهنا استيقظت فى نفسه عوامل الخشية لله ، وهنا استفاق من ضعفه ليعود إلى أصل الخير المستقر فيه ، وليترك المرأة دون أن يمسها بسوء ، يتركها بكامل اختياره وإرادته ، وبدافع نابع من نفسه هو ، وهكذا يغلب جانب الخير على جانب الشر فى نفس الإنسان ، وهذا هو الموقف الذى تتخذه القصة النبوية من الإنسان فى هذه القضية الخطيرة .

( ٥ )

## فى الحياة والموت :

يعد الإسلام الحياة الدنيا مرحلة مؤقتة لابد أن تنتهى يوماً ما ، لتبدأ بعدها مرحلة أخرى من الحياة ، هى حياة البرزخ ، وبعد ذلك تأتى الحياة الأخروية حين يبعث الله الخلائق فى المحشر العظيم .

والإنسان فى ظل الإسلام يعتقد أن الحياة الدنيا ليست خالدة ولا باقية ، وأنه فرد له أجل محدد لن يستقدم عنه ساعة ولن يستأخر ، وهو بهذه العقيدة يواجه الحياة بإيجابية فاعلة وهو يسعى فى مناكب الأرض ويأكل من رزق الله ، كما أنه يواجه الموت أيضاً بروح من الرضى وعدم الانزعاج ، لأنه يعرف أنه واقع لا مفر منه فى نهاية المطاف ، فهو غاية كل حى مهما طال به الأمد ، ثم إنه لا يخاف ما بعد الموت ، وهو يعيش الحياة فى ظل المنهج الإلهى ، عقيدة فى فكره ، وسلوكاً فى واقعه وشئون حياته ، والقصة النبوية تحاول أن تعمق ذلك الإحساس فى شعور الإنسان المسلم ، وأن تؤكد ذلك التصور فى فكره ،

فتقدم له فى بعض نماذجها(١) صوراً ومواقف عن الموت كحقيقة واقعة ، وعن ما بعد الموت من حياة ، وعن عملية قبض الروح نفسها بالنسبة للإنسان المسلم ، وبالنسبة للإنسان الكافر ، لتجسد ذلك كله فى وجدان المسلم وضميره ، وليكون هذا الإنسان على وعى تام بأخطر قضية فى وجوده ، قضية الحياة والموت ، وليكون على استعداد تام لمواجهة هذه الحقيقة ، والتهيؤ لها بالعمل الصالح ، والسلوك الحسن على الصراط المستقيم .

والأحداث التى تصورها القصة النبوية عن الموت ، وما يلابسه من ظروف ومواقف ، أحداث غيبية ، لا يستطيع الأحياء المحيطون بالميت إدراكها ولكن الرسول ﷺ يكشفها لنا عن طريق الوحى الذى تبلغ به عن الله تبارك وتعالى ، فما يحدث للميت ، وما يحدث حوله ، وما يقوم به الملائكة من عمل أثناء قبض الروح وبعده أشياء غيبية ، تتم بصورة لا نحس بها ، ولا ندركها ولكن الميت وحده قد يدرك بعض تلك الأمور وهو يحتضر .

وتعطينا القصة صورة للحظة الموت ، وعند الاحتضار ، وحين يكون الميت مسلما فإنه تتنزل حوله الملائكة فى هالة من نور ، ومع كل واحد منهم كفن وحنوط ، حتى إذا خرجت روحه فى ترفق ولين ، راضية مرضية ، كأطيب ريح المسك(٢) ، صلى عليه كل ملك ، وفتحت له أبواب السماء ، ثم يعرج بروحه إلى السماء ، ثم يأمر الله بأن تعود مرة أخرى إلى الأرض(٣) .

---

(١) كما فى القصص الآتية :

١ – الأسئلة الثلاثة – المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .

٢ – القبر روضة أو حفرة – سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ – ٦٤٠ .

٣ – الميت حين يحتضر – سنن النسائى ٤ : ٧ – ٨ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٢٣ – ١٤٢٤ .

(٢) سنن النسائى ٤ : ٨٥٧ .

(٣) المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .

وأما الكافر فإنه – كما تصور القصة – إذا دنا أجله ، جاءته « ملائكة غلاظ شداد فانتزعوا روحه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل وتنزع نفسه مع العروق فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم »(١) ثم تعاد روحه إلى الأرض .

وفى القبر تعاد روح الميت إليه مؤمناً أو كافراً ، وتلك حياة البرزخ ، وإنه ليسمع قرع نعال مشيعيه إلى قبره ، وقد ولوا عنه راجعين ، وفى هذه الحياة يبتلى الإنسان بالأسئلة الثلاثة : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فأما المؤمن فيجيب عليها كما كان يقول فى الدنيا ، فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ ، فيقال له : صدقت .

وأما الكافر فإنه يتلعثم ، ويقول : لا أدرى ، فيقال له : لا دريت .

وبعد هذا الابتلاء يأتى إلى المؤمن عمله الصالح فى صورة آت حسن الوجه ، طيب الرائحة ، حسن الثياب ، ويبشره بكرامة الله ، ونعيمه المقيم ويخبره بأنه عمله الصالح ، ثم يُفتح له باب من الجنة ، وباب إلى النار ، ويقال له : « هذا كان منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما فى الجنة قال : ربى عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى فيقال له اسكن »(٢) .

وأما الكافر فيأتيه عمله فى صورة آتٍ قبيح الوجه قبيح الثياب نتن الريح ، ويبشره بهوان من الله وعذاب مقيم ، ويخبره أنه عمله الخبيث ، حيث كان بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً فى معصيته تبارك وتعالى ، ويدعو عليه عمله ، ثم يقيض الله له من يعذبه ، ويفتح له باب من النار ، وهكذا يكون

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

القبر كما قال رسول الله ﷺ : « **روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار** » [١] .

( ٦ )

**إرهاصات الساعة :**

من الموضوعات التى اهتمت القصة النبوية بالحديث عنها ، وتصويرها ما يحدث من أمور عند قرب نهاية العالم فى الحياة الدنيا ، والقصة تعرض ذلك فى شكل إنذار وتحذير ، مبينة أنها حين تحدث فإن معنى ذلك أن قيام الساعة يكون وشيكاً ، وقد جاء فى إحدى القصص التى تناولت هذه القضية بأن ذلك « **إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم التى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهاراً** » [٢] إنها إرهاصات البعث ومقدماته التى تأتى حافلة بألوان كثيرة من الابتلاء والامتحان الشديد ، وبخاصة ما يصيب الناس من فتنة الدجال ، ثم ما يكون من ظهور يأجوج ومأجوج ، ودابة الأرض وما إلى ذلك ، وقد مضى الحديث عن هذه الإرهاصات عند الكلام عن أنواع القصة بشىء من التفصيل [٣] .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ – ٦٤٠ .
(٢) المسند ( ش ) ١٥ : ١٨٩ – ١٩٠ .
(٣) انظر قصص المستقبل فى الفصل الرابع .

( ٧ )

## البعث والجزاء :

تؤكد القصة من خلال نصوص كثيرة ما تقوم عليه العقيدة الإسلامية من الإيمان بالبعث ونشر الحياة مرة أخرى فى يوم عظيم يحشر فيه الناس ، ويقومون لرب العالمين ، فالموت تعقبه حياة ، وهى حياة تتم بالروح والجسد ، وفى تلك الحياة يتم الفصل فى كل أعمال الناس فى حياتهم الدنيا ومحاسبتهم عليها ، فمن عمل خيراً رأى خيراً ، ومن عمل شراً فإنه واجد جزاءه من جنس ما عمل ، إنها حياة من أجل أن يعطى المحسن الثواب ، على إحسانه ، وينال المسىء جزاء إساءته[١] ، وفكرة البعث[٢] ركن أساسى ، ودعامة كبرى من دعائم الإيمان ، وانطلاقاً من هذه العقيدة جعل الإسلام الفرد صاحب إرادة حرة ، واختيار مستقل ، وجعله مسئولا بالتالى عن تلك الإرادة لذلك الاختيار ، وغرس فى وجدانه فكرة الثواب والعقاب إحساساً قوياً بالمسئولية ، يصدر عنه فى كل سلوك يقوم به ، أو عمل يؤديه ، وأصبح حريصاً على كل عمل صالح يقربه من رضوان الله ويدخله جنة عرضها السموات والأرض ، وفيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما أنه يخشى أن يقع فى أى عمل يوجب سخط الله عليه ، مما يعرضه لعقاب الله ، وما أعده للمسيئين من جحيم وعذاب مهين ، وهكذا يكون

---

(١) انظر : قصص البعث واليوم الآخر من الفصل الرابع .

(٢) انظر : اليوم الآخر فى ظلال القرآن ، جمع وإعداد أحمد فايز ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

الإيمان بالبعث دافعاً للإنسان ليعمل فى هذه الحياة فى حركة مستمرة وحيوية متدفقة ، أعمالا خيرة نافعة ، تعود على الحياة والأحياء بالنفع العميم والعمران الدائم ، وبخاصة حين نضع فى الاعتبار المفهوم الإسلامى الشامل للعمل الصالح الذى ينتظم كل عمل يؤديه الإنسان فى شتى المجالات .

وكما أن الإيمان بالبعث دافع قوى للإنسان نحو العمل والعطاء ، فإنه أيضاً مصدر قوة ، ومنبع ثقة لهذا الإنسان فى مواجهة الأحداث [١] ، والصمود أمام مغريات الحياة وغمراتها ، ثم إنه يكون بهذا الإيمان موصول الأمل فى حياة أفضل ، يستطيع فيها حين يسير على الطريق المستقيم أن يحقق ما لم يتمكن من تحقيقه من متع ولذات فى هذه الحياة الزائلة ، كما يحقق فيها أيضاً رغبته الفطرية فى أن يعيش حياة مستمرة .

وقد كانت فكرة البعث وعودة الإنسان إلى الحياة فى عالم آخر حية فى الضمير البشرى منذ أزمان سحيقة فى الماضى البعيد ، وقد تفجرت هذه الفكرة فى هذا الضمير من خلال ينابيع ثلاثة ، فهو أولا يشعر بقيمة الحياة ، إذ أنه يموت وفى نفسه حاجات ولديه آمال ، ومن ثم فهو يتطلع إلى لقاء آخر مع أقاربه وأعزائه ، وهو ثانياً معتز بجنسه ، عزيز عليه أن تكون حياته - وهو الإنسان الذى عمر الأرض وشيدها - هى هذه الحياة القصيرة المحدودة ثم لا شىء بعدها ، إنه فى تصوره مصير بائس مهين ، وهو ثالثاً شديد الإحساس بأنه لابد من وجود ألوهية عادلة تنصف الفضيلة من الرذيلة ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ، وأن هذا الإنصاف سيتم فى عالم آخر بعد هذه الحياة الدنيا [٢] .

---

(١) أنور الجندى - الإيمان ( سلسلة معلمة الإسلام - ٣ ) ص ١٥ .

(٢) انظر : سيد قطب ، كتاب مشاهد القيامة فى القرآن ، فصل العالم الآخر فى الضمير البشرى ص ١٣ - ١٤ .

وتفيد المعلومات التاريخية المتاحة بأن أول عقيدة بوجود حياة أخرى يحاسب فيها الإنسان بعد الموت على ما قدم من خير أو شر ، تفجرت فى ضمير مصر القديمة ، وذلك حوالى سنة ( ٢٦٠٠ ) قبل الميلاد ، فى فترة الأسرة الفرعونية الخامسة ، وربما كانت تمتد جذورها إلى ما قبل هذا التاريخ[١] .

ويقول عبد القادر حمزة فى حديثه عن تلك الفترة :

« على أنه – فى هذا الوقت نفسه – كانت عبادة « أوزريس » قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية .. وعبادة أوزريس أساسها الأول أن كل إنسان – ملكاً كان أو فرداً عادياً – مسئول بعد الموت عن أعماله فى الدنيا أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها « أوزريس » نفسه ، ويساعده فيها « توت[٢] وأنوبيس[٣] وحوريس[٤] ومعات »[٥] واثنان وأربعون قاضياً ، فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفىء بالنعيم الخالد ، وصار مثل « أوزريس » ، أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء فى حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش ، أو أن يلقى فى النار ، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب »[٦] .

وأما القرآن الكريم فقد اهتم كثيراً باليوم الآخر وعرضه عرضاً مفصلا واضحاً ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من مشاهد متعددة ، أو

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٤ .

(٢) إله الحكمة والعلم .

(٣) مدير دفن الأموات ودليلهم فى الآخرة .

(٤) ابن أوزريس وإيزيس .

(٥) إلهة الحقيقة والعدل .

(٦) عبد القادر حمزة ، كتاب على هامش التاريخ المصرى القديم ، ص ١٠١ مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٠ .

صورة ، أو إشارة ، أو تلميح للحياة الآخرة ، وما فيها من جزاء ، وقد « عني القرآن بمشاهد القيامة : البعث والحساب ، والنعيم والعذاب ، فلم يعد ذلك العالم الآخر الذى وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر ، موصوفاً فحسب ، بل عاد مصوراً محسوساً ، وحياً متحركاً ، وبارزاً شاخصاً ، وعاش المسلمون فى هذا العالم عيشة كاملة : رأوا مشاهده ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقشعرت جلودهم تارة ، وسرى فى نفوسهم الفزع مرة ، وعادهم الاطمئنان أخرى ، ولفحهم من النار شواظ ، ورف إليهم من الجنة نسيم ، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود »[(١)] .

وجاءت القصة النبوية لتقتفى أثر القرآن الكريم ، ولتشارك فى عرض صورة اليوم الآخر ، تعميقاً له فى إحساس المسلمين ، وتجسيداً لمشاهده ومواقفه ، فجعلت منه موضوعاً حياً للكثير من النصوص القصصية ، واتخذت منه محوراً أساسياً ، دارت حوله أحداث القصة ، وصورته مواقفها ، وتحركت فيه شخصياتها[(٢)] .

ويبدأ اليوم الآخر فى القصة بالنفخة الثانية فى الصور حيث يهب الناس قياماً ينظرون ثم ينادون : أيها الناس ، هلم إلى ربكم[(٣)] ، ثم يحشرون جميعاً الأولون منهم والآخرون فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، فى مشهد رهيب فظيع ، وتدنو الشمس منهم ، ويبلغهم من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، ويضج الناس من هذا الموقف العصيب ، ويتشاورون فيما بينهم بحثاً عن مخرج ، ويستقر الرأى على أن يبحثوا عن شفيع

---

(١) سيد قطب ، مشاهد القيامة فى القرآن ص ٣٨ .

(٢) انظر : قصص البعث فى الفصل الرابع .

(٣) انظر : قصة « النفخ فى الصور » مسلم ٤ : ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ .

يخلصهم مما هم فيه من كرب(١) ، فيذهبون إلى آدم ، ولكنه يعتذر ويقول : نفسى ، نفسى ، ويشير عليهم بأن يذهبوا إلى غيره ، وهكذا يمرون على أولى العزم من الرسل ، والكل يعتذر ويقول : نفسى ، نفسى ، ويدفعهم إلى غيره إلى أن انتهوا إلى محمد ﷺ الذى تصدى للشفاعة وخر ساجداً لله تحت العرش ، فيشفعه الله تبارك وتعالى فضلا منه ومنة(٢) .

ومن ثم تبدأ وقائع العرض العظيم ، ولينفضّ الناس بعده إلى مصائرهم ، ويبدأ الله تبارك وتعالى فى حساب الناس والقضاء فى شأنهم ، وإن الأنبياء – عليهم السلام – ليقفون فى انتظار ساعة الفصل ، النبى ومعه الرجل ، والنبى ومعه الرجلان ، وأكثر من ذلك ، فيدعو الله قوم النبى فيقول لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا ، فيتجه إلى النبى نفسه بالسؤال : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم ، وهنا يطلب منه إثبات ذلك بالشهود ، فيقول : يشهد لى محمد ﷺ وأمته ، ويدعى محمداً ﷺ وأمته ، فيشهدون بأنه بلغ ، فيقال لهم : وكيف عرفتم ذلك ؟ فيقول المسلمون : جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا(٣) وقد قال الله عن هذا الموقف : ﴿ **وكذَلِكَ جَعَلْناكُم أمَّةً وَسَطاً لتكُونُوا شُهدَاءَ على النَّاسِ ويكُونَ الرَّسولُ عليكُمْ شَهِيداً** ﴾ (٤) .

وأول الناس يقضى الله فيه رجل استشهد ، فيؤتى به ، ويُعرِّف نعم الله عليه ، ويُسأل عما عمل فيها ؟ فيقول : قاتلت فيك حتى استشهدت ، فيقول الله له : كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء ، فقد قيل ، فيسحب على وجهه

---

(١) انظر : قصة « أمتى يارب » البخارى ٦ : ١٠٥ – ١٠٧ .

(٢) انظر قصة « أنا لها » المسند ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ ، وقصة « قل تسمع » المسند ( ص ) ٣ : ٢٤٤ – ٢٤٥ ، وغير ذلك من قصص الشفاعة .

(٣) انظر : قصة « الأمة الشاهدة » المسند ( ص ) ٣ : ٥٨ .

(٤) البقرة : ١٤٣ .

ويلقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فيعرف نعم الله عليه ويسأله عما عمل فيها ، فيزعم أنه تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن لله ، فيرد عليه بأنه فعل ذلك ليقال : هو قارىء ، وقد قيل ، ثم يفعل به ما فعل بالأول ، والثالث رجل وسع الله عليه وأعطى من أصناف المال كله ، وحين سئل عما فعل فيها ، زعم أنه أنفقه فى كل سبيل يحبه الله ، فيكذبه الله ، ويبين أنه إنما فعل ذلك ليقال هو جواد ، وقد قيل ، فيفعل به ما فعل بصاحبيه(١) .

وفى ذلك الموقف يسائل الله العباد فرداً فرداً مساءلة عادلة منصفة حيث يلقى العبد فيقول له : أى فل ! ألم أكرمك ، وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى ، فيقول : أفظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا ، فيقول الله : فإنى أنساك كما نسيتنى ، ويلقى الثانى فيقول مثل ذلك ، ويلقى الثالث ، فيقول : « **يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك ، وصليت وصمت وتصدقت ، ويثنى بخير ما استطاع ، فيقول : ههنا إذاً ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىَّ ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقى ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه** » (٢) .

وفى ذلك اليوم تنشر السجلات ، وتحضر الكتب التى دونها الملائكة عن أعمال العباد فى الدنيا ، ويقام الميزان ، حيث توضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة ، وذلك ميزان العدل المطلق الذى لا يظلم به أحداً ، ويصاح برجل على رؤوس الخلائق ، وتنشر له تسعة وتسعون سجلا ، ويسأل : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا ، يارب ! ويقول الله له :

---

(١) انظر : قصة « أول من يقضى عليه » مسلم ٣ : ١٥١٣ - ١٥١٤ .

(٢) انظر : قصة « المساءلة » مسلم ٤ : ٢٢٧٩ .

أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ ألك عن ذلك حسنة ؟ ويتهيب الرجل فيقول : لا ، ولكن الله العادل الذى لا ينسى ، يثبت أن له حسنة ، فتخرج له بطاقة قد كتب فيها الشهادتان ، وتوضع فى ميزانه ، فترجح البطاقة بتلك السجلات العظيمة ، ويفوز الرجل[١] . ويختصم الناس أمام الله تبارك وتعالى فيما وقع على بعضهم من بعض ، حتى إنه ليجيء الرجل المقتول آخذاً بيد قاتله ؟ فيسأل الله القاتل : لم قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لك ، فيقول تبارك وتعالى : فإنها لى ، ويسأل قاتلا آخر : لم قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لفلان ، فيقول المولى عز وجل : إنها ليست لفلان فيبوء بالإثم العظيم[٢] .

وتعرض القصة لصورة من العذاب تجرى لفئة من الناس أثناء حكم الله عز وجل بين العباد ، وإنهم ليستمرون فى هذا العذاب حتى يقضى الله بين الخلائق جميعاً ، وأولئك هم مانعو الزكاة فى الدنيا ، وهم يعذبون بنوع المال الذى منعوا زكاته ، فإن كان كنزاً جعل صفائح ، تحمى فى النار ثم تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وإن كانت مواشى ، بطح لها مانع زكاتها فى قاع قرقر[٣] فتنطحه وتدوسه وتطؤه بأطرافها ، كلما مضت أولاها ردت عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يُرى سبيله بعد الفصل إما إلى الجنة وإما إلى النار[٤] .

وفى ذلك الموقف يدعى كل أناس بإمامهم ، كما قال الله تعالى : ( **يومَ ندْعُوا كُلَّ أُنَاس بإمَامِهِم** )[٥] وفى القصة النبوية قال الرسول ﷺ :

---

(١) انظر : قصة « البطاقة » سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٣٧ .

(٢) انظر : قصة « قاتل الإنسان » سنن النسائى ٧ : ٧٨ ، وقصة « فيم قتلنى » المسند ( ش ) ٤ : ١٤ - ١٥ .

(٣) أى قاع أملس .

(٤) انظر : قصة « مانع الزكاة » المسند ( ش ) ١٣ : ٢٨٦ .

(٥) انظر : قصة « يوم ندعو كل أناس » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

**« يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا ، حتى يأتيهم فيقول : أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا . قال : وأما الكافر فيسودّ وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ، فيلبس تاجاً فيراه أصحابه ، فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا ، قال : فيأتيهم فيقولون : اللهم اخزه فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا »** [١] . ويأتى الله تبارك وتعالى فيطلع على الناس [٢] ويقول : ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبده ، ويمثل لكلٍّ ما كان يعبده فى الدنيا من دون الله من أصنام ، أو أوثان ، أو نار أو أشجار .. الخ . فيتبعه حيث يقوده إلى جهنم ، ويبقى المسلمون ، فيطلع الله عليهم فيقول : ألا تتبعون الناس ؟! فيقولون : الله ربنا ، هذا مكاننا حتى نرى ربنا ، وهو يأمرهم ويثبتهم ، ويقول : ما بال الناس ذهبوا وأنتم ههنا ؟ فيقولون : ننظر إلهنا ، فيقول : هل تعرفونه ؟ فيقولون : إذا تعرف علينا عرفناه يكشف لهم عن ساقه عز وجل ، فيقعون له سجوداً ويبقى كل منافق لا يستطيع السجود [٣]، كما قال تعالى : **( يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون )** [٤] .

ويقام الصراط بين ظهرانى جهنم ، والأنبياء بناحيتيه يرددون : اللهم سلم سلم وإنه لدحض مزلة ، وإنه لكلاليب وخطاطيف ، وأول من يمر عليه محمد ﷺ ، وأمته ، ويمرون عليه مثل البرق ، ومثل الريح ، ومثل أجاويد

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر : قصة « هل من مزيد » المصدر السابق ٤ : ٦٩١ — ٦٩٢ .

(٣) انظر : قصة « يوم يكشف عن ساق » سنن الدارمى ٢ : ٢٣٤ ، وقصة « يوم تدعى الأمم » المسند ( ص ) ٣ : ٣٨٣ — ٣٨٤ . وقصة « شفاعة المؤمنين » المصدر السابق ٣ : ١٦ — ١٧ .

(٤) القلم : ٤٢ .

الخيل والركاب ، فناج مسلم ، ومخدوش مكلم ، ومكدوس فى النار ، فإذا جاوز المؤمنون ، أخذوا يناشدون الله مناشدة شديدة فى إخوانهم الذين سقطوا فى النار يقولون : « أى رب ! كنا نغزو جميعاً ، ونحج جميعاً ، ونعتمر جميعاً ، فبم نجونا اليوم وهلكوا ، قال : فيقول الله عز وجل : انظروا من كان فى قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه قال : فيخرجون ، قال : ثم يقول : من كان فى قلبه زنة قيراط من إيمان فأخرجوه ، قال : فيخرجون ، قال : ثم يقول : من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، قال : فيخرجون .. الخ » [1] .

ويأمر الله الملائكة بأن يخرجوا من النار من كان يعبد الله ، ويعرفونهم بآثار السجود ، فيخرجونهم ، و« يبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة ، مقبل بوجهه قبل النار ، فيقول : يارب ! اصرف وجهى عن النار قد قشبنى[2] ريحها ، وأحرقنى ذكاؤها ، فيقول : هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ، فيقول : لا وعزتك ، فيعطى الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم قال : يارب قدمنى عند باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت ؟ فيقول : يارب ! لا أكون أشقى خلقك ! فيقول : فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك ، لا أسأل غير ذلك ، فيعطى ربه ما يشاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة

---

(١) انظر : قصة « شفاعة المؤمنين » المسند ( ص ) ٣ : ١٦ – ١٧ ، وقصة « هل نرى ربنا » البخارى ٩ : ١٥٨ – ١٦٠ .

(٢) أى آذانى .

**والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، فيقول : يارب ؟ أدخلني الجنة ، فيقول الله : ويحك يا ابن آدم ما أغدرك ! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت ، فيقول : يارب ! لا تجعلنى أشقى خلقك ، فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له فى دخول الجنة ، فيقول : تمنّ ، فيتمنى ، حتى إذا انقطعت أمنيته ، قال الله عز وجل : من كذا وكذا ، أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه »** (١) .

ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ، فتقول : هل من مزيد ؟ ثم يطرح فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ! حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثم يقال : قط ؟ قالت : قط ، قط .. » (٢) وإذا ميز أهل الجنة وأهل النار ، فدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قامت الرسل فشفعوا عند الله تبارك وتعالى ، فيقول لهم : انطلقوا فمن عرفتم فأخرجوه ، ويشفعون أخرى فيقول : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال قيراط من إيمان فأخرجوه من النار . ثم يشفعون ثالثة ، فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجوه ، ثم يقول الله عز وجل : « **أنا الآن أخرج بعلمى ورحمتى ، قال : فيخرج أضعاف أضعاف ما أخرجوه وأضعافه ، فيكتب فى رقابهم عتقاء الله عز وجل ، ثم يدخلون الجنة ..** » (٣) .

---

(١) المصدر السابق ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، قصة « الصراط » وقصة « آخر رجل يدخل الجنة » مسلم ١ : ١٧٤ - ١٧٥ . وقصة « أدنى أهل الجنة » البخارى ٨ : ١٤٦ .

(٢) انظر : قصة « هل من مزيد » سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ .

(٣) انظر : قصة « شفاعة الرسل » المسند ( ص ) ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦

وقبل أن يدخل المؤمنون الذين خلصوا من النار الجنة ، يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، وفى هذه القنطرة يتقاص بعضهم من بعض فيما كان بينهم من مظالم فى الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا ، أذن لهم بدخول الجنة(١) .

وحين لا يبقى فى النار إلا من كتب عليه الخلود فيها ، يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فيوقف على سور بين الجنة والنار ، وينادى فى أهل الجنة فيشرئبون ينظرون ، فيقال لهم : أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم ينادى فى أهل النار فيشرئبون ينظرون ، فيقال لهم : أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، لأن الجميع قد رأوه ، فيؤخذ فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت(٢) .

ثم تعرض القصة صوراً للنعيم فى الجنة ، وصوراً للعذاب فى الجحيم ، فأهل الجنة فى شغل فاكهون ، يتقلبون فى ألوان من الملذات والمتع ، ينعم عليهم المولى بالرضوان ، فلا يسخط عليهم(٣) ، ويأمر الله الملائكة بأن يذهبوا للفقراء والمهاجرين ، ليؤدوا لهم التحية ، فيدخلون عليهم من كل باب وهم يرددون(٤) : ( **سَلَامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ) (٥) ثم ينجزهم ما وعدهم من نعمة النظر إلى وجهه الكريم ، حيث يكشف الحجاب ، قال رسول الله ﷺ : « **فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه** » (٦) وإنهم ليزورون ربهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، ويبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، وسط مظاهر حافلة من

---

(١) انظر : قصة « قصاص المؤمنين » البخارى ٣ : ١٦٧ – ١٦٨ .
(٢) انظر : قصة « الموت يوم القيامة » المصدر السابق ٦ : ١١٧ – ١١٨ .
(٣) انظر : « قصة الرضوان » مسلم ٤ : ٢١٧٦ .
(٤) انظر : قصة « سلام عليكم » المسند ( ش ) ١٠ : ٧٦ – ٧٧ .
(٥) الرعد : ٢٤ .
(٦) انظر : قصة « إن لكم عند الله موعداً » سنن الترمذى ٥ : ٢٨٦ .

التكريم العظيم ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنى ، على كثبان المسك والكافور ، ويزيد الله فى تكريمهم حين يحاضرهم فرداً فرداً ويتحدث معهم فى بعض أحوالهم فى الدنيا ، وتغشاهم وهم فى تلك الحال سحابة تمطر عليهم طيباً أذكى ما يكون ريحاً ، ثم يأذن الله لهم بأن يقوموا إلى ما أعد لهم من الكرامة ، وبأن يأخذوا ما يشتهون فيأتون على سوق قد حفت به الملائكة « **فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، فيحمل لنا ما اشتهينا ، وليس يباع فيها ولا يشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة ، فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس ، فما ينقضى آخر حديثه ، حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ، ثم ننصرف إلى منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلا ، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا** » (١) .

أما أهل النار وما هم فيه من عذاب مهين ، فتعطينا القصة صورة عنه فى قصة « طعام ذو غصة » التى يقول فيها الرسول ﷺ : « **يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم ، شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا :**

---

(١) انظر : قصة « سوق الجنة » المصدر السابق ٤ : ٦٨٥ — ٦٨٦ . وقصة « الذى طلب أن يزرع فى الجنة » البخارى ٩ : ١٨٥ .

**بلى ، فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال : فيقولون : ادعوا مالكاً ، فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك ، قال : فيجيبهم : إنكم ماكثون** » [١] ، ومن شدة حر النار ، وهول عذابها ، أنه يؤتى بأنعم أهل الدنيا ، فيصبغ فيها صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله ، يارب[٢] ، مع أنه كان أنعم أهل الدنيا ، وأكثرهم تقلباً فى أعطاف الترف والنعيم !!

وإن أحد أهل النار ليدور فيها ، وقد اندلقت أمعاؤه من بطنه فى مشهد كريه ، وهو يدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فى حركة مستمرة لا تهدأ[٣] .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٧٠٧ .

(٢) انظر : قصة « المغموسون » مسلم ٤ : ٢١٦٢ .

(٣) انظر : قصة « الذى يدور فى النار » البخارى ٤ : ١٤٧ .

## الفصل السادس

# أغراض القصة

- التزام القصة بالغرض الديني
- الغرض الأكبر هو الدعوة
- أغراض أساسية لخدمة الدعوة :

"أ" التربية ووسائلها :

التعليم
الترغيب والترهيب
الموعظة
التوبة

"ب" التسرية

# أغراض القصة

## التزام القصة بالغرض الدينى :

تعد القصة النبوية بجميع أنواعها قصة ملتزمة ، فالرسول ﷺ وهو يسرد تلك القصص سواء منها ما تلقى مادته من الوحى فى قصص الماضى والمستقبل ، أو ما أنشأه من عنده فى القصص التمثيلية ، كان يستخدمها وسيلة من ضمن الوسائل الكثيرة التى يتبعها فى سبيل تحقيق الغرض الدينى ، وهو الهدف الأصيل الأساسى الذى من أجله بعث ﷺ ، والذى من أجله يصطنع الأساليب الكثيرة فى الدعوة والتبليغ .

ومن هنا نجد القصة النبوية خاضعة خضوعاً تاماً لذلك الغرض الدينى ، وملتزمة به ، شأنها فى ذلك شأن القصة فى القرآن الكريم تماماً(١) .

فما كان رسول الله ﷺ يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها لذاتها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة ، أى أنه لم يعرضها لذات الفن القصصى وإن كان هذا يتحقق تبعاً ، وإنما كان يعرضها وهو يستهدف بالدرجة الأولى والأخيرة ، ما تتحدث عنه من موضوعات دينية ، وما تعرضه من مبادئ وأفكار وما تتناوله من قضايا جاءت بها الرسالة الإسلامية ، ولقد رأينا فى فصل موضوعات القصة ، أنها كانت جميعها موضوعات دينية أساسية ، كقيم الإسلام ، وقضايا العقيدة ، والرسالة ، ونظرة الإسلام إلى الإنسان بما ينطوى عليه من خير وشر ، وعقيدة الإسلام عن الحياة والموت ، كما تناولت إرهاصات البعث ، ومبدأ البعث والجزاء ، وهكذا نلاحظ أنها كلها مضامين

---

(١) انظر : فصل القصة فى القرآن فى كتاب التصوير الفنى لسيد قطب ص ١١١ .

دينية ، تصور نظرة الإسلام وتصوره عن الإنسان والكون والحياة ، فالرسول ﷺ كان حريصاً على خدمة ذلك الغرض الديني الأساسي وهو يوظف القصة ، ويستغل إمكاناتها في التأثير والتنوير .

والشيء الملاحظ من خلال النظر في نصوص القصص النبوي ، أن ذلك الخضوع للغرض الديني ، لم يكن حائلا بين القصة وأن تخرج إلى الوجود وفق الطريقة الفنية ، ووفق النسق الفني القصصي في العرض والبناء ، وهو ما يتطلبه الفن ، وما يستسيغه عشاق القصة من الإثارة والتشويق لذات الفن ولذات القصة ، ولذلك فقد برز في القصة النبوية العديد من الخصائص الفنية المعتبرة في مجال الفن القصصي بعامة ، والتي تعتبر إسهاماً في حقل القصة في فترتها المتقدمة تلك ، وترسية لمقوماتها الأساسية ، في وقت مبكر جداً ، كما أنها تمثل صورة رائعة لفن القصص في الأدب العربي القديم ، ودليلا حياً على أصالته في ذلك الأدب ، وعمق تجربته فيه ، وقد مضى في فصول البحث الثلاثة الأولى تفصيل الحديث عن البناء القصصي الفني في القصة النبوية ووصفه وتحليله من خلال واقع القصة نفسها ، أي من خلال الأمثلة والنماذج(١) .

وهكذا نجد أننا أمام قصص فنية بالمفهوم العام للعمل القصصي ، وكونها خاضعة للغرض الديني ، لم يحل بينها وبين أن تظهر في شكل قصصي وفق خصائص القصة العامة ، ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه هنا ، هو أن هناك بعض الآثار المعينة في طريقة عرض القصة ومادتها ، كانت ناشئة بالفعل من التزامها بالغرض الديني ، وبسببه(٢) ، وهذه الآثار التعليمية يمكن أن نتبينها في الأشياء الآتية :

---

(١) انظر الفصول : « البنية العامة » و« النسيج » و« العناصر الفنية » .

(٢) ينبغي أن أشير هنا إلى أن هذه الآثار قد لفت نظري إليها لأول مرة ما كتبه الأستاذ سيد قطب عن آثار خضوع القصة القرآنية للغرض الديني ، فذهبت أراجع نصوص القصة النبوية لأجد أيضاً أنها قد تأثرت كذلك في طريقة عرضها بخضوعها للغرض الديني .

١ - الإلحاح على المادة القصصية الواحدة بتكرارها فى أكثر من قصة ، وهو ليس تكراراً للقصة نفسها ، بحيث ترد أكثر من مرة بالعرض نفسه ، وبالبناء نفسه ، أى أن جسم القصة لا يكرر بكل تفاصيله ، وإلا لكان ذلك من قبيل الروايات المتعددة للقصة الواحدة ، وهو كثير جداً فى الحديث ، بسبب تعدد الطرق والأسانيد ، ولكنه تكرار للمادة ذاتها ، بطرق مختلفة من حيث شكل العرض ، بتكرار مواقف معينة ، وحلقات خاصة من بعض القصص ، فى سياقات جديدة ، ثم إنه تكرار حافل بالإضافة الجديدة ، التى تعطى تأثيراً متفاوتاً فى السامعين والقراء ، وتحقق أثراً إيجابياً فى تعميق الإحساس بالموقف نفسه ، وهكذا يؤدى خضوع القصة للغرض الدينى ، وهو وظيفتها الأساسية ، إلى إثراء طريقة العرض وتنويع السياقات للمادة الواحدة ، وللموقف الواحد ، ويمكن أن نجد أمثلة لهذه الناحية فى أكثر من قصة :

( أ ) أحداث قصة الذى ينشر بالمنشار ترد فى قصة « أصحاب الأخدود » حين يقوم الملك بمحاولة يائسة لإقناع الجليس والراهب بالعودة عن دينهما الجديد ، فلما أحس منهما الإصرار على الكفر به والإيمان بالله ، أمر بهما فنشرا شقين بمنشار الحديد[١] ، وفى قصة أخرى يكرر هذا الموقف على مسامع المسلمين فى صورة موجزة من غير التفاصيل التى جاءت فى قصة أصحاب الأخدود وذلك أن الموقف لا يتطلب ذلك العرض المفصل ، فقد شكا المسلمون للرسول ﷺ وهم فى مكة يعانون من أذى قريش ما يعانون ، وكان رسول الله ﷺ متوسداً بردة له فى ظل الكعبة ، فقالوا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟! فكان رده أن قص عليهم هذا الموقف فقط فى عرض سريع ، لأن ذلك كان كافياً فى تحقيق العبرة والتثبيت ، حيث قال : « **كان الرجل**

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

**فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيشق باثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه »** (١) ، ونلاحظ أن هذا العرض جاء فى صورة جديدة ، وبإضافة جديدة للقصة فقد ورد فى القصة الأخيرة ، ذكر الحفرة التى يوضع فيها الرجل ، وجاء ذكر أمشاط الحديد ، وأنه يمشط بها ما دون لحمه من عظم وهذا التفصيل يقتضيه الموقف ، وتقتضيه الحال ، لأن فيه زيادة فى تصوير المعاناة التى يلقاها السابقون ، فيؤدى هذا إلى تخفيف ما يعانيه المسلمون ، ويوجد لديهم شعوراً بأنهم ليسوا وحدهم الذين يعانون ، وأن هناك من عانى أشد وأقصى مما يعانون !!

(ب) قصة الدجال ، حيث يتكرر الحديث عن الدجال فى أكثر من قصة ، وبالتحديد فى ست قصص ، ولكننا نجد فى القصة تفصيلا ومواقف غير التى نجدها فى القصة الأخرى ، فكل قصة تعرض للدجال فى مواقف جديدة وفى أحداث مختلفة ، وهو تكرار يهدف إلى توضيح الصورة عن الدجال لدى المسلمين برسم أكثر جوانبها لهم(٢) .

(ج) ومثل ذلك قصة القبر ، حيث يتكرر ذلك فى قصة « القبر روضة أو حفرة »(٣) ، وقصة « الأسئلة الثلاثة »(٤) .

---

(١) البخارى ٤ : ٢٤٤ .
(٢) انظر : قصص المستقبل فى فصل « أنواع القصة » .
(٣) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ - ٦٤٠ .
(٤) المسند ( ص ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(د) وكذلك الحديث عن موقف الصراط يتكرر فى قصص مختلفة ، وفى كل قصة يأتى وضع الصراط فى عرض جديد كما فى قصة « الصراط »(١) وقصة « هل من مزيد »(٢) وقصة « هل نرى ربنا »(٣) .

(هـ) وقصة « الموت يوم القيامة » تذكر فى نص مستقل ، يقتصر فيه على ذكر مشهد الموت ، حين يؤتى به بين الجنة والنار ، وينادى على أهل النار وأهل الجنة ، فيعرِّفون على الموت ، ثم يذبح بمرأى من الجميع ، وينتهى كل شىء ، ويعلن الخلود على الفريقين(٤) ، وفى قصة أخرى يرد هذا المشهد كختام للقصة ، وهى قصة « هل من مزيد » ويأتى فيها كحلقة أخيرة بعد عرض مشاهد ومواقف ، ولكنه يأتى فى موضع مناسب جداً فى العرض ، مؤدياً غرضاً حيوياً فى إكمال الصورة لمشاهد متسلسلة عن أحداث اليوم الآخر(٥) .

(و) كما نجد أيضاً مثل هذا التكرار للمادة القصصية فى قصص الشفاعة(٦) .

٢ — الاكتفاء فى عرض القصة بما يحقق الغرض الدينى المراد ، بحيث يقتصر العرض لأحداث القصة ومواقفها على ما يؤدى إلى الأثر المنشود ،

---

(١) البخارى ١ : ٢٠٤ — ٢٠٥ .
(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ — ٦٩٢ .
(٣) البخارى ٩ : ١٥٨ — ١٦٠ .
(٤) المصدر السابق ٦ : ١١٧ ، ١١٨ .
(٥) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ — ٦٩٢ .
(٦) انظر قصة « أمتى يارب ! » البخارى ٦ : ١٠٥ — ١٠٧ .
وقصة « قل تسمع ! » المسند ( ص ) ٣ : ٢٤٤ — ٢٤٥ .
وقصة « أنا لها ! » المصدر السابق ( ش ) ٤ : ١٨٧ .
وقصة « عتقاء الجبار » سنن الدارمى ١ : ٣١ — ٣٢ .

فتختار المواقف الكفيلة بإيجاد التأثير المعين ، وعند ذلك يتوقف العرض القصصى ، فقد تحقق المراد ، ولا داعى بعد ذلك للمضى فى سرد أحداث ووقائع من شأنها أن تطيل العرض ، ومن هنا نجد أحياناً أن العرض يبدأ فى القصة من نقطة مبكرة ، تنشأ عنها أحداث وتفاصيل ، كما نجد فى قصة « أصحاب الأخدود »[١] إذ يبدأ عرض الأحداث منذ إحساس ساحر الملك بتقدمه فى السن ، مما جعله يطلب من الملك أن يبعث إليه غلاماً يعلمه السحر ، إن هذه هى الحلقة الأولى فى وجود الغلام على مسرح الأحداث ، وهى النقطة التى تطورت منها أحداث القصة التالية ، التى أسلم بعضها إلى بعض فى تسلسل منطقى إلى النهاية ، ومثل هذه البداية المبكرة نجدها أيضاً فى قصة « موسى والخضر »[٢] والذى دعا إلى الاهتمام بتلك البدايات هو أنها كانت تنطوى على مواضع للعبرة ، وذات أثر بارز وعلاقة وثيقة بتحقيق المغزى الأخير .

وأحياناً يكون تحقيق الأثر المطلوب محتاجاً إلى نوع من التفصيل والإطناب فى عرض القصة عبر مواقف متعددة ، وجزئيات مختلفة ، فنجد قصصاً فيها تفاصيل نسبية كثيرة ، كقصة « أصحاب الأخدود » وقصة « المسئولية والجزاء »[٣] وقصة « المعراج »[٤] وقصص الشفاعة[٥] .

وأحياناً تكون التفاصيل متوسطة نوعاً ما كما فى قصة « الثلاثة

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ .

(٢) البخارى ٦ : ١١٠ - ١١٢ .

(٣) المسند ( ص ) ٥ : ١٤ - ١٥ .

(٤) البخارى ٥ : ٦٦ - ٦٩ ، ومسلم ١ : ١٤٥ - ١٤٧ .

(٥) البخارى ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ والمسند ( ص ) ٣ : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، والمسند ( ش ) ٤ : ١٨٧ .

المبتلون »[١] ، وقصة « أصحاب الغار »[٢] وقصة « المستلف »[٣] .

وربما جاءت القصة قصيرة جداً ، إلى درجة متناهية فى القصر ، إلى حد أن تصل أحياناً إلى شكل الخبر القصصى كما فى قصة « عيسى والسارق »[٤] وقصة « يُنظر المعسر »[٥] وقصة « جزع فانتحر »[٦] ولكنها مع ذلك كانت محققة للغرض الذى سيقت من أجله !

٣ – ومن آثار التزام القصة بالغرض الدينى أيضاً ما نجده من بث للتوجيهات الدينية فى سياق القصة ، وهذه التوجيهات تبدو فى العرض فى أكثر من صورة :

( أ ) فأحياناً نجدها قبل البداية ، وتأتى فى شكل تمهيد كما فى قصة « القبر روضة أو حفرة »[٧] ، حيث يستهلها الرسول ﷺ بالتوجيه إلى الاستمرار على ذكر هادم اللذات[٨] .

(ب) وأحياناً يأتى التوجيه فى وسط القصة ، كما جاء فى قصة « خروج الدجال »[٩] ففى أثناء حديث الرسول ﷺ عما يكون من خروج الدجال وما يحدث فى ذلك من الفتن والأهوال ، يتضمن السياق توجيهاً للمسلمين ،

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٢) المسند ( ص ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٤) سنن النسائى ٨ : ٢١٨ – ٢١٩ .

(٥) البخارى ٤ : ٢٠٥ .

(٦) المصدر السابق ٤ : ٢٠٨ .

(٧) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ – ٦٤٠ .

(٨) انظر : التمهيد « بتوجيه وتقرير » فى الفصل الأول .

(٩) سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٥٩ – ١٣٦٣ .

حيث يقول : « **يا عباد الله فاثبتوا** » فيأمرهم بالثبات والاستمساك بإيمانهم فى وجه الابتلاء الشديد .

(ج) وأحياناً وهو الكثير فى القصة النبوية يأتى التوجيه فى نهاية القصة ، كما فى قصة « فيم يختصم الملأ الأعلى »[١] إذ يوجه الرسول ﷺ المسلمين فى نهايتها بقوله : « .. **إنها حق فادرسوها ثم تعلموها** » [١] وفى خاتمة قصة « الذين كفروا » يقول موجهاً : « .. **لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً** » [٢] وفى ختام قصة « الكلب اللاهث »[٣] يقول الرسول ﷺ : « **فى كل ذات كبد رطبة أجر** » لافتاً بذلك أنظار المسلمين إلى ما فى رعاية الحيوان من ثواب جزيل ، وقد يطول التوجيه نوعاً ما ، كما فى قصة « خمس كلمات »[٤] التى يعقب الرسول ﷺ عليها بقوله : « **وأنا آمركم بخمس الله أمرنى بهن : السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية ، فإنه مِن جُثا جهنم[٥] ، فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين ، عباد الله** .. » .

وهكذا نجد أن الغرض الدينى الذى خضعت له القصة النبوية ، قد خلف فيها آثاراً إيجابية واضحة ، كانت فى حقيقتها إضافة إلى معطيات القصة من الناحية الشكلية فى بنائها الفنى ، وانسجاماً تاماً بين شكل القصة ومضمونها .

* * *

---

(١) سنن الترمذى ٥ : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٢) المصدر السابق ٥ : ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٣) البخارى ٨ : ١١ .

(٤) سنن الترمذى ٥ : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) جثا : جمع جثوة وهى الجماعة المحكوم عليها بالنار .

**أغراض القصة :**

نجحت القصة النبوية فى تحقيق أغراض دينية كثيرة ، وهى الأغراض التى أنشئت أساساً من أجلها ، ونحن هنا لن نتحدث عن جميع الأغراض الجزئية التى حققتها كل قصة على حدة ، ولكننا سنتناول الأغراض الرئيسة العامة التى هى بمثابة القاسم المشترك بين جميع القصص النبوية ، ونستطيع أن نجملها فى :

١ – الغرض الأسمى وهو الدعوة الإسلامية .

٢ – أغراض أساسية أخرى لخدمة ذلك الغرض الأسمى أيضاً وتبدو فى :

( أ ) التربية ، ولها عدة وسائل :

١ – التعليم .

٢ – الترغيب والترهيب .

٣ – الموعظة .

٤ – التوبة .

(ب) التسرية عن المسلمين .

وتنبغى الإشارة إلى أن هذه الأغراض ليس بعضها بمستقل عن بعض ، وليست بينها تلك الفواصل الحادة وإنما هى أغراض متداخلة ، يرتبط بعضها ببعض ويؤدى بعضها إلى بعض ، فمن يدعى إلى شىء لابد أن يعلم به ، والإعلام بالشىء أو عنه دعوة له وتبصير به ، وكذلك الترغيب فيه ، والترهيب لمن يخالفه ، ووسائل التربية كلها أساليب تخدم الدعوة وتحققها ، ثم إن القصة الواحدة أحياناً تحقق أكثر من غرض من الأغراض ، فهى تهدف إلى دعوة الناس إلى الإيمان بطريق غير مباشر كما تحقق تبصير المسلمين وتعليمهم

ببعض طرق الدعوة وأساليبها ، وفى أثناء ذلك تشتمل على صورة ما من صور التربية الفكرية أو السلوكية ، كما أنها تحمل فى تضاعيفها أيضاً لوناً من ألوان العظة والاعتبار ، وفوق ذلك تؤدى نوعاً من التخفيف النفسى مما يعانيه المسلمون ، وهذا كله نجده يتحقق فى قصة « أصحاب الأخدود »(١) على سبيل المثال .

والآن ننتقل إلى حديث مفصل عن هذه الأغراض فيما يلى :

( ١ )

كانت الدعوة إلى دين الإسلام ، وإلى الالتزام بمبادئه وتعاليمه الغرض الأسمى والأكبر فى القصة النبوية ، لأن الوظيفة التى بُعث الرسول ﷺ من أجلها هى الدعوة إلى الله ، وإلى اتباع دينه وإلى سلوك الطريق المستقيم الذى هو دين الإسلام ، وقد قال تعالى : ( **ادْعُ إلى سَبِيْلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمْوعِظَةِ الحَسَنَةِ** ) (٢) .

وقد كان من الحكمة أن يتخير الرسول ﷺ فى دعوته إلى ما جاء به من عند الله الأساليب النافعة ، القادرة على تحقيق هذا الغرض فى صورة إيجابية فاعلة ، ومن هنا كان ﷺ حكيما موفقاً وهو يستخدم فيما يستخدم من أساليب للدعوة أسلوب القصة ، وبخاصة إذا عرفنا أهمية الأسلوب التصويرى فى الدعوة ، لأنه يعرض مبادئها فى صورة عملية متحركة ، بحيث تبدو تلك المبادىء والقيم وهى تسعى على الأرض ، وتؤثر فى الحياة والأحياء ، والداعية

---

(١) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

حريص دائماً على أن يبث الحياة فى قلوب الناس ، وأن يوقظ الحركة فى عقولهم ، والقصة تمتاز بقدرتها على تصوير نواحى الحياة ، وعرض الشخصيات بما تحمله من أخلاق وأفكار واتجاهات نفسية وغيرها ، وهذا سيجعل سامع القصة أو قارءها ينشرح صدره ويتجاوب مع الشخصيات الخيرة ، وما تمثله من قيم وما تتخذه من سلوك ، كما ستجعله ينفر ويضيق من أهل الشر ، وما تنطوى عليه نفوسهم من ظلم وظلام ، وهكذا تستطيع القصة بهذه الإمكانات التصويرية أن تحرك وجدان الإنسان ، كما أنها أيضاً تستطيع أن تثير فى نفسه غريزة حب الاستطلاع ، مما يجعل انتباهه حياً يقظاً ، فيتفتح عقله للاستيعاب والتقبل الواعى لما تعالجه القصة من قيم وأفكار وما تدعو إليه من مبادئ[١] .

ولما تتمتع به القصة من تلك الميزات الحيوية فى عرض مبادئ الدعوة وقيمها نجد القرآن الكريم يستخدم القصة فيما يستخدم من وسائل لبث تعاليم الإسلام وتوضيحها والدعوة إليها[٢] .

والدعوة بالقصة تبدو فى النصوص التى بين أيدينا فى أكثر من مظهر ومن خلال عدة أساليب ، وأحياناً تكون الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى عن طريق ما تصوره القصة أحياناً من خلال أحداثها من فضل الشهادتين اللتين هما الركن الأول للإسلام ، ومفتاح الدخول فيه ، « **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** » كما تحقق ذلك قصة « البطاقة الثقيلة »[٣] التى تنقل صورة دقيقة ومؤثرة عن أهمية الشهادتين ، وثقلهما فى ميزان الإنسان

---

(١) انظر : البهى الخولى فى كتاب « تذكرة الدعاة » ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) انظر : الخطيب فى كتاب « القصص القرآنى » ، وكذلك السيد عبد الحافظ عبد ربه فى كتابه « بحوث فى قصص القرآن » دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ط الأولى ١٩٧٢ .

(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ .

حين يعرض على الله فى يوم الحساب الأكبر ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والإنسان فى قبره لا ينجو من قبره إلا حين يستطيع أن يجيب على الأسئلة الثلاثة التى تلقيها عليه الملائكة : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ والجواب الصحيح هو أن يقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ ، وذلك هو القول الثابت ، الذى يثبت عليه فى تلك اللحظات الرهيبة من كان ثابتاً عليه فى الحياة الدنيا ، وهو موقف تعرضه قصة « الأسئلة الثلاثة »[١] ليكون دافعاً للإنسان فى هذه الحياة لأن ينضوى تحت لواء الإسلام ، ويعيش فى ظله ، ليفلح ويفوز .

وفى أحيان كثيرة نجد فى قصص متعددة تركيزاً على نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من عند الله ، كما فى حوار الملائكة مع جبريل عند كل سماء فى قصة المعراج[٢] ، أو تركيزاً على فضل الرسول ﷺ وبيان ما له من المكانة العظيمة عند ربه ، وما يحظى به من خصيصة الشفاعة الكبرى للناس عامة يوم الحشر العظيم سوى ما له من حق الشفاعة لأمته خاصة ، وكل تلك الأشياء تحمل فى طياتها دعوة غير مباشرة إلى الدخول فى الإسلام والإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه[٣]، وقد تكون الدعوة متجهة إلى الإسلام مباشرة ، وبصورة واضحة بينة ، كأن تصور القصة الإسلام بأنه الدين الصحيح ، والمقبول عند الله تبارك وتعالى ، وبأن المسلمين هم الذين يأخذون الأجر وافياً بقبولهم نور

---

(١) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) البخارى ٥ : ٦٦ - ٦٩ .

(٣) انظر قصة « أمتى يارب » المصدر السابق ٦ : ١٠٥ - ١٠٧ . وقصة « قل تسمع » المسند ( صادر ) ٣ : ٢٤٤ - ٢٤٥ . وقصة « أنا لها » المصدر السابق ( شاكر ) ٤ : ١٨٧ ، وقصة « عتقاء الجبار » سنن الدارمى ١ : ٣١ - ٣٢ . وقصة « سيد ولد ادم » سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

الإسلام وما جاء به ، كما تصور ذلك قصة « المستأجر والأجراء »(١) أو حين تصور الرسول ﷺ منذراً صادقاً ، يفوز من أطاعه واستمع إلى إنذاره بالنجاة ، ويهلك من عصاه وأعرض عن ما جاء به كما فى قصة « النذير العريان »(٢) وكما نجد مثل ذلك فى قصة « قوم سَفْر »(٣) التى تشبه الرسول ﷺ وهو يقوم بتبليغ قومه ويدعوهم إلى الإسلام بالدليل العارف الناصح لقومه الذى يقودهم من مفازة مهلكة إلى بر الأمان وشاطئ السلامة ، فيأخذهم من تلك المفازة إلى رياض معشبة وحياض رواء .

وأحياناً تكون الدعوة إلى الإسلام عن طريق بيان فضل أمة الإسلام التى هى أمة محمد ﷺ على غيرهم من الأمم من ذوى الأديان السماوية الأخرى مما يكون أدعى إلى الدخول فى الإسلام ، ومثل هذه الدعوة يقصد بها بخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، كما فى قصة « إنما هو فضلى »(٤) التى تصور العطاء الكثير الذى يحصل عليه المسلمون مقابل العطاء الأقل الذى كان من نصيب اليهود والنصارى مع أنهم عملوا أكثر من المسلمين ، وحين غضبوا وقالوا : « **نحن كنا أكثر عملا وأقل عطاء ؟! قال الله تبارك وتعالى : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا ! قال : فإنما هو فضلى أُوتيه من أشاء** » (٥) ومثل ذلك الفضل الذى يحظى به المسلمون ما يحصل لهم يوم القيامة من مزية الشهادة على الأمم الذين ينكرون أن رسلهم بلغوهم كما فى قصة « الأمة الشاهدة »(٥) وكذلك كثرتهم العظيمة ، حين يمر الأنبياء يوم القيامة

---

(١) البخارى ٣ : ١١٨ – ١١٩ .

(٢) المصدر السابق ٨ ، ١٢٦ .

(٣) المسند ( ش ) ٤ : ١٢٩ .

(٤) المصدر السابق ( ش ) ٦ : ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٥) المصدر السابق ( ص ) ٣ : ٥٨ .

بأممهم ، حيث يمر النبى ومعه الثلاثة ، والنبى ومعه العصابة ، والنبى ومعه النفر ، والنبى وليس معه أحد ، ثم يمر موسى عليه السلام ومعه كبكبة من بنى إسرائيل ، فيعجبون رسول الله ﷺ فيسأل عنهم ، فيقال له : هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل ، فيقول الرسول ﷺ : فأين أمتى ؟ فيقال له : « **انظر عن يمينك ، فنظرت ، فإذا الظراب**[1] **قد سد بوجوه الرجال ، ثم قيل لى : انظر عن يسارك ، فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال ، فقيل لى : أرضيت ؟ فقلت : رضيت يارب !، قال : فقيل لى : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب** »[2] .

وقد تهدف القصة فى دعوتها إلى إيجاد عواطف متجاوبة مع تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه ، وفى هذه الحالة تكون الدعوة موجهة بالدرجة الأولى إلى المسلمين أنفسهم خاصة ، وإلى غيرهم بطريق غير مباشر ، ومثل هذه الدعوة نحسها تتردد فى كثير من النصوص القصصية فى بيان الرسول ﷺ نجد ذلك فى قصة « قاتل المائة »[3] ، وكذلك فى قصة « فاقد الراحلة »[4] ، حيث نجد دعوة حية نابضة إلى الدخول فى التوبة ، فى شكل يغرى السامع ويحفزه إليها ، وبصورة تخاطب عاطفة الإنسان ووجدانه .

وقد تتوجه دعوة القصة إلى الالتزام بفروض الدين وواجباته ، كما نجد فى قصة : « سفينة الحياة »[5] التى تهدف إلى حمل الناس على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كواجب اجتماعى ، تفرضه مصلحة مشتركة

---

(١) الظراب بكسر الظاء المعجمة وتخفيف الراء المفتوحة : الجبال الصغيرة واحدها ظرب بفتح الظاء .

(٢) المسند ( ش ) ٥ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٢١٠٤ .

(٥) البخارى ٣ : ١٨٣ .

للفرد والجماعة ، لما لذلك الواجب من آثار كبيرة فى صلاح المجتمع كله ، واستقامة أمره .

ونجد دعوة إلى دفع الزكاة ، وتأكيداً على أهمية ذلك ، مع بيان وجوب إخراجها عن المال كحق مفروض شرعاً من خلال ما تصوره أحداث قصة « مانع الزكاة »(١) من فظاعة ما يلقاه المانع للزكاة من ألوان التعذيب الرهيبة ، كما نجد قصصاً تدعو إلى الصلاة وإلى الجهاد ، وتبين ما فى ذلك كله من فضل وخير(٢) .

كما نجد فى قصة « أصحاب الغار »(٣) توجيهاً رائعاً إلى العمل الصالح ودعوة غير مباشرة ، تفهم من خلال سياق القصة ، وطريقة عرض أحداثها ، وما تضمنته فى تضاعيفها من قصص داخلية مؤثرة ، صورت قيمة العمل الصالح وثمرته بطريقة ترغب فيه وتحث على فعله ، وتحفز الإنسان بحق على التزامه(٤) .

وهناك قصص تدعو إلى الأمانة والنزاهة(٥) ، وقصص تدعو إلى خشية الله وخوفه(٦)، وقصص تدعو إلى الحب فى الله(٧)، وإلى حمده وتمجيده

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٣ ، ٢٨٦ - ٢٩٠ .

(٢) انظر : قصة « الملائكة المتعاقبون » سنن النسائى ١ : ١٩٤ ، وقصة « أحياء يرزقون » سنن أبى داود ٢ : ١٤ ، وقصة « الذين قتلوا فى سبيل الله » سنن ابن ماجة ١ : ٦٨ .

(٣) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) وانظر أيضاً : قصة « المتصدق » مسلم ٢ : ٧٠٩ وقصة « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ .

(٥) انظر : قصة « جرة الذهب » البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٦) انظر : قصة « الذى طلب أن يحرق » المصدر السابق ٩ : ١٧٨ - ١٧٩ .

(٧) انظر : قصة « إنى أحبه فى الله » المسند ( صادر ) ٢ : ٥٠٨ .

ومداومة ذكره مبينة ما فى ذلك من فضل عظيم ، وما له من تقدير كبير عند الله تبارك وتعالى(١) .

والشىء الجدير بالملاحظة هنا أن الدعوة إلى تلك الأشياء ، تأتى فى القصة بصورة غير مباشرة ، أى أنها لا تأتى بشكل أوامر حادة مكشوفة ، ولا بشكل أوامر صريحة ، ولكنها دعوة توجه إلى السامع أو القارئ من خلال الأثر الذى يحدثه العرض القصصى نفسه فى العاطفة والوجدان ، بما يتوافر لهذا العرض من تصوير للحدث وإبرازه فى هيئة مشوقة من ناحية ، لإثارة الانتباه ، ومؤثرة فى الوجدان من ناحية أخرى ، بحيث تؤدى القصة فى النهاية ، ومن خلال العمل الفنى فيها إلى أن تحقق غرض الدعوة إلى تلك القضايا والقيم التى سلف ذكرها .

( ٢ )

وإلى جانب غرض الدعوة الأسمى ، هناك أغراض أساسية تخدم غرض الدعوة ، وتبدو فى غرضين :

( أ )

والغرض الأول وهو التربية وقد كانت التربية جانباً بارزاً فى القصة النبوية ، ومن الواضح أن الرسول ﷺ كان يستخدم القصة فى سبيل صياغة الرعيل الأول من الصحابة ، وتكوينهم تكويناً إسلامياً مكيناً ، يؤهلهم لحمل

---

(١) انظر : قصة « الكلمة العظيمة » سنن ابن ماجة ١ : ٦٨ ، وقصة « الطوافون » البخارى ٨ : ١٠٧ - ١٠٨ .

رسالة الإسلام ، والسير على منهجها القويم فى طريق لاحب ، كان لا بد للسير فيه بثبات واستقامة من ذلك الإعداد وتلك التربية ، والملاحظ أن التربية بالقصة لم تكن هى كل البرنامج التربوى الذى أعد الرسول ﷺ على منهاجه صحابته الكرام ، ولكن القصة كانت حلقة واحدة ، ووسيلة من وسائل ذلك البرنامج النبوى ، ساهمت بدور كبير فى نجاح العملية التربوية التى تلقاها المسلمون الأوائل .

والرسول ﷺ وهو يوظف القصة من أجل التربية ، كان متأثراً فى ذلك بمنهج القرآن الكريم التربوى الذى استخدم القصة لجميع أنواع التربية التى احتواها « منهجه التربوى : تربية الروح ، وتربية العقل ، وتربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة فى النفس ، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة ، فهى سجل حافل لجميع التوجيهات .. »[1] وهذا دليل على إدراك الإسلام للميل الفطرى لدى الإنسان نحو القصة ، واعتباره لهذا الميل ، وتقديره له ، حيث يحسب حساب هذا الميل وهو يضع منهجه التربوى ، ذلك أن فى القصة سحراً عجيباً للنفس وتأثيراً شديداً عليها ، قد يكون ناشئاً مما يحصل لمن يتابع مشاهد القصة ومواقفها من انبعاث الخيال لديه ، يتعقب تلك المواقف والمشاهد ، ويجرى وراءها متنقلا معها من موقف إلى آخر ومن حركة إلى شعور ، أو مما يحس به من مشاركة وجدانية لشخصيات القصة أو بعضها ، بما تثيره تلك المشاركة من مشاعر وعواطف ، أو من انفعال المتابع بالموقف وهو يتغلغل فى المتابعة وكأنما هو فى داخل حركة القصة يشارك فى أحداثها ، كل تلك الأشياء جعلت للقصة ذلك الأثر القوى فى النفس الإنسانية ، وتلك الجاذبية الساحرة ، التى ظلت تلازم الإنسان منذ فجره القديم إلى يومه

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ص ٢٣٩ .

الحاضر ، ولا شك أنها ستسير معه عبر رحلته الطويلة فى هذه الحياة(١) .

والواقع أن الرسول ﷺ استطاع أن يخضع إمكانات القصة تلك ، وأن يوظفها توظيفاً جيداً فى سبيل تحقيق غرضه التربوى ، وحين نتجه إلى القصة النبوية ، لنرى كيف كانت تحقق المطلب التربوى ، نجد أنها كانت تسعى إلى هدفها بسلوك طرق مختلفة ، لها أثرها الحيوى فى تربية الإنسان وتوجيهه والأخذ بيده نحو الأفضل ، وهو أثر نابع من الاستجابة الطبيعية التى يحس بها الإنسان وهو يتعامل مع تلك الوسائل ، لأنها وسائل تتجاوب مع إمكاناته النفسية ، وما جبل عليه من طبائع واستعدادات وقوى ، وتوقع على أوتارها ما تنشده من غايات تربوية ، ويمكن أن نجمل طرق القصة التربوية ووسائلها فى أربعة أشياء :

١ - عن طريق التعليم الذى حرص الرسول ﷺ على أن يحققه من خلال القصة ، وقد بدا التعليم بالقصة ظاهرة بارزة فى نصوص القصة النبوية ، وتلك ناحية كان لابد أن تبرز وأن تتضح ، ذلك أن القصة النبوية فى الواقع ليست إلا وسيلة ضمن وسائل كثيرة ، وليست إلا سبيلا من سبل أخرى كان الرسول ﷺ يسلكها من أجل الوصول إلى هدف أكبر وغاية أبعد ، وهى بسط تعاليم الإسلام وشرح مبادئه ، وتوضيحها فى عقول المسلمين ، وتزويدهم بكثير من قضايا هذا الدين الجديد وأحكامه ، من أجل بناء الجيل الإسلامى الجديد على أسس قوية من العلم الصحيح بمفاهيم الدين الجديد ، ومعرفة جلية بقيمه المختلفة عن الحياة والأحياء فى الفكر والسلوك .

ومما يجب أن يكون فى الاعتبار هنا عند الحديث عن الغرض التعليمى فى القصة النبوية أن هذه القصص التى يسردها النبى ﷺ على صحابته الكرام

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

ليست إلا حلقات من دروس النبوة التعليمية ، التى كان يتعهد بها الرسول ﷺ صحابته تثقيفاً وتعليما وتوجيهاً لهم نحو أحكام الإسلام ، وقد أمضى الرسول ﷺ حياته كلها بعد البعثة معلماً للإسلام وموضحاً لأحكامه ، ومعمقاً لتصوراته بأقواله ﷺ وتأتى فى مقدمة هذه الأقوال « القصة » ، كما كان أيضاً يعلم بأفعاله وتقريراته .

ولا شك أنه من الأسباب التى جعلت الرسول ﷺ يستخدم وسيلة القصة من ضمن وسائله فى التعليم ، ما تحققه القصة من فرصة أوسع أمام المعلم ، إذ تمكنه من بسط الكلام عما يهدف إليه فى حديثه من ناحية ، كما أنها من ناحية أخرى تتيح له إمكانية تجسيد القضايا والمفاهيم التجريدية الذهنية التى يطرحها على سامعيه فى صورة حسية من خلال التصوير القصصى للحدث ، كما نجد مثلا فى القصص التمثيلية بصورة واضحة[1] ، وهذا يؤدى وظيفة مهمة جداً ، وهى أنه يعمق تلك المفاهيم ، ويؤكدها فى نفوس السامعين ، كما أن الأسلوب القصصى يجعل السامعين أكثر إقبالا على الدرس وتطلعاً إليه ، مما يمكنهم أيضاً من الاستيعاب الجيد ، والفهم المركز .

وقد نهضت القصة النبوية لأداء تلك المهمة ، واستطاعت أن تحقق الشيء الكثير فى سبيل طرح القضايا ومعالجتها ، وتصويرها للسامعين والقراء وليس أدل على ذلك من غزارة موضوعات القصة النبوية بالقيم والمفاهيم الإسلامية ، وقد مضى بسط الحديث عن هذا مع ذكر النماذج فى فصل الموضوعات[2] بما يعطى صورة واضحة كاشفة ، ولا داعى لإعادة ما فصل هناك مرة أخرى فى هذا المقام .

---

(١) انظر : القصة التمثيلية ( فصل أنواع القصة ) .

(٢) انظر فصل : « موضوعات القصة » .

وتنبغى الإشارة إلى أن العملية التى نعتبرها غرضاً من أغراض القصة النبوية ، لا تتم فى القصة بصورة تقريرية جافة ، بحيث تسيطر على النص ، وتحيل الأداء إلى حالة من سرد المعلومات والمفاهيم فى معرض تلقينى ، تتتابع فيه التعليمات والتوجيهات على السامعين وكأنهم فى درس أو محاضرة تعرض عليهم فيها المعارف المختلفة فى نظام رتيب .

ولكن الناحية التعليمية إنما تتم من خلال العملية القصصية ، وفى إطارها بحيث لا يغيب الأداء الفنى فى عرض القصة ، بحيث أن التعليم هنا إنما يحقق من خلال العرض القصصى نفسه ، وباستخدام عناصره المختلفة ، بحيث تؤدى هذه العناصر دوراً مزدوجاً ، فتقوم بوظيفتها البنائية ، أى تكوين البناء القصصى العام ، كما تقوم أيضاً بخدمة الغرض التعليمى حين تتخذ وسيلة لتحقيق وظيفة أخرى بما تحمله من معلومات ، وما تنقله من قيم ومعارف بشكل غير مباشر ، ونستطيع أن نتبين الكيفية التى تتم عن طريقها العملية التعليمية فى القصة من خلال تعرفنا على طرق التعليم فى القصة والتى يمكن أن نلمسها فى الأشياء الآتية :

( أ ) أن يكون التعليم من خلال المقدمات التمهيدية[١] التى تسبق العرض القصصى ، حيث تأتى تلك المقدمات مثيرة لسؤال خاص يصاحبه تقرير لمعلومة ما[٢] أو مثيرة لقضية معينة تأتى القصة بكل أحداثها موضحة لها[٣] ، أو مقررة لشىء يصاحبه سؤال[٤] ، أو عارضة لتوجيه وتقرير[٥] .

---

(١) انظر : المقدمات التمهيدية فى الفصل الأول .
(٢) انظر : التمهيد بالسؤال ثم التقرير فى الفصل الأول .
(٣) انظر : التمهيد بإثارة قضيّة فى الفصل الأول .
(٤) انظر : التمهيد بتقرير وسؤال فى الفصل الأول .
(٥) انظر : التمهيد بتوجيه وتقرير فى الفصل الأول .

(ب) أن يكون التعليم عن طريق النموذج والقدوة الذى تعرضه القصة ، كأن تعلم القصة السامعين كيف يصدقون ويرضون إذا حلف لهم بالله ، مهما كان الأمر ، كما فعل عيسى – عليه السلام – مع الرجل الذى رآه يسرق فلما قال له : أسرقت ؟ قال السارق : لا والله الذى لا إله إلا هو فقال عيسى – عليه السلام – آمنت بالله وكذبت بصرى[1] ، أو حين تعلمهم النزاهة والتحوط فيما فيه شبهة ، كما فعل الرجلان فى قصة « جرة الذهب » حين حاول كل منهما أن يتبرأ من الجرة ، إلى أن وصل بهما الأمر إلى أن تحاكما عند رجل حل لهما المشكلة كما هو مفصل فى القصة[2] ، أو حين تعلمهم ما ينبغى أن يكون عليه الحاكم بين الناس من الفطنة والحصافة فى استبانة وجه الحق كما فعل سليمان عليه السلام فى حكومته بين المرأتين المتخاصمتين فى طفل[3] ، وهنا كما فى هذه النماذج وغيرها يأتى التعليم عن طريق النموذج الذى ترسمه القصة للقدوة والاحتذاء .

(ج) أو يكون التعليم بالتوجيه التقريرى على لسان شخصية من شخصيات القصة ، كما فى قصة « خمس كلمات » ، وذلك حين جمع يحيى عليه السلام بنى إسرائيل فى بيت المقدس ، ثم جعل يقول لبنى إسرائيل : إن الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن ، ثم أخذ يعدد تلك الخمس ويوضحها لهم بالأمثلة الدالة[4] .

(د) وأحياناً كثيرة يكون التعليم من خلال الحوار الدائر فى القصة كما نجد فى الحوار بين الله – تبارك وتعالى – والملائكة فى قصة « الملائكة

---

(١) انظر : قصة « عيسى والسارق » سنن النسائى ٨ : ٢١٨ – ٢١٩ .

(٢) البخارى ٤ : ٢١٢ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ١٩٨ .

(٤) سنن الترمذى ٥ : ١٤٨ – ١٤٩ .

الطوافون »[١] الذى يعلم المسلمين فضل الذاكرين ، وكيف كانوا يذكرون الله ، كما يعرفهم بالجزاء المغد لهم ، وفى الحوار بين الرجل الذى سمع الصوت فى السحابة ، وبين صاحب الحديقة الذى يدل المسلمين على فضل الصدقة وكيفية إنفاق المال فى وجهه المشروع[٢] ، أو فى الحوار بين الله والرجل الذى أحرق نفسه[٣] ، فهو حوار يحمل تعريفاً حياً للمسلمين على أهمية خوف الله وخشيته تبارك وتعالى[٤] ..

(هـ) وقد يكون التعليم بالتوجيه التقريرى الصريح أثناء القصة على لسان الرسول ﷺ أو فى نهايتها ، وقد تناولنا ذلك فى الحديث عن آثار التزام القصة النبوية بالغرض الدينى[٥] .

(و) ما تزودنا به القصة كلها من معارف تاريخية كما فى قصص الماضين من أنبياء ورسل وغيرهم من الأمم والأفراد السالفين[٦] ، أو معارف عن أحداث تحصل فى مستقبل الحياة الدنيا[٧] ، أو أحداث البعث والنشور وما فيها من تفاصيل وجزئيات[٨] .

وهكذا يتبين لنا أن الغرض التعليمى إنما يتم فى صورة لا تؤثر على السياق القصصى ، بحيث تجعل منه تقريراً رتيباً مملا ، ولكنها تحققه من خلال انسجام طبيعى رائع بين القصة فى بنائها ، والقصة فى وظيفتها ومعطياتها .

---

(١) البخارى ٨ : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) انظر : قصة « صوت فى سحابة » .

(٣) انظر : قصة « الذى طلب إحراقه » .

(٤) انظر : وظائف الحوار فى الفصل الثالث .

(٥) انظر : « خضوع القصة للغرض الدينى » فى بداية الفصل السادس .

(٦) انظر : القصة التاريخية فى فصل « أنواع القصة » .

(٧) انظر : قصص المستقبل .

(٨) انظر : قصص البعث واليوم الآخر .

٢ – التربية بالترهيب والترغيب ، وهى نابعة أساساً مما ركب فى النفس الإنسانية من طبيعتى الخوف والرجاء المتقابلتين فى هذه النفس من ناحية ، والمتجاورتين فيها من ناحية أخرى ، والخوف والرجاء قوتان مختلطتان فى أعماق الكائن البشرى ، بحيث يوجهان اتجاهه فى الحياة ويحددان أهدافه وسلوكه ، كما يحددان أيضاً أفكاره ، ومشاعره ، إذ أنه سيختار منهج حياته منطلقاً فى ذلك من خوفه ورجائه(١) .

وقد حرص الإسلام من خلال نصوص القرآن الكريم(٢) ، والحديث الشريف على أن يوجه هاتين القوتين الوجهة الإيجابية البناءة فى حياة الإنسان ، الدافعة له نحو المسار الصحيح فى الطريق المستقيم ، فجاء إلى ناحية الخوف فيه وعمل على أن ينقيها من المخاوف السلبية ، التى لا تملك أن تغير من واقع الإنسان شيئاً ، ولا أن تنفعه بشيء ، كالخوف من الموت مثلا ، لأن الخوف منه لا ينجى منه ، ولا يغير من الأمر شيئاً ، فالخوف هنا ضرر بلا نتيجة نافعة ، قال تعالى : ( **وَلن يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُهَا** ) (٣) وقال تعالى : ( **أَيْنَما تكُونُوا يُدْرِككُم الموتُ ولو كُنْتُم فى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ** ) (٤) ، ومثل الخوف من الموت الخوف على الرزق ولذلك قال تعالى : ( **الله يَبْسطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ** ) (٥) . فهو دون سواه المتكفل به والمتصرف فيه ، ومثل

---

(١) انظر محمد قطب : منهج التربية الإسلامية فصل « الخوف والرجاء » ص ١٥٥ – ١٧٢ ، وانظر أيضاً التهامى نقرة : سيكلوجية القصة فى القرآن ص ٤٤٤ .

(٢) انظر : محمد قطب ص ١٥٧ ، ( منهج التربية .. ) .

(٣) المنافقون : ١١ .

(٤) النساء : ٧٨ ، وانظر أيضاً : ق : ٤٣١ ، آل عمران : ١٨٥ وكذلك ١٥٤ .

(٥) الرعد : ٢٦ وانظر : يونس : ٣١ ، سبأ : ٢٤ ، فاطر : ٣ ، الملك : ٢١ ، الروم : ٣٧ ، العنكبوت : ١٧ و ٦٠ ، الذاريات : ٢٢ ، ٥٨ ، والحجر : ٢٠ .

ذلك الخوف من قوى الأرض كلها فهى لا تملك نفعاً ولا ضراً قال تعالى : ( **قُل لن يُصِيبَنَا إلَّا ما كَتَبَ الله لنا هُوَ مَوْلانا وعلى الله فَلْيَتَوَكَّل المُؤْمِنُونَ** ) (١) ولذلك فما ينبغى أن يخاف المسلم من أى من هذه الأشياء ، فما هى إلا قوى مسخرة لا تملك من الأمر شيئاً ، وإنما الخوف الذى ينبغى أن يكون هو الخوف من القوة المالكة للأمر كله المدبرة له التى تفعل ما تريد فى هذه الحياة على الإطلاق ، الخوف الذى يجب أن يصدر عن الإنسان هو الخوف من الله تبارك وتعالى ، ومما يخاف به أو يخوف منه(٢) ، قال تعالى : ( **إنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أولياءَهُ ، فلا تَخَافُوهُمْ ، وخَافُونِ إن كنتم مُؤْمِنِينَ** ) (٣) وقال تعالى : ( **قلْ إنِّى أخافُ إن عصيتُ ربِّى عذابَ يومٍ عظيمٍ** ) (٤) .

وفى القصة النبوية كانت التربية بالترهيب قائمة على أساس التخويف من الله تبارك وتعالى ، ومن غضبه وسخطه ، والتخويف من عذابه ونقمته ، وقد كثرت النصوص القصصية التى تعرض صوراً متعددة لألوان العذاب المختلفة ، فى مشاهد ومواقف تثير الرهبة وتمس مكامن الخوف والوجل وبخاصة فى القلب المؤمن الذى يدرك أكثر من غيره معنى ما يخوف به .

---

(١) التوبة : ٥١ ، وانظر : الأعراف : ١٨٨ ، النساء : ٧٨ ، المائدة : ٧٦ ، الأنعام : ٤٦ ، ٦٣ – ٦٤ ، يس : ٢٣ ، فاطر : ٢ ، آل عمران : ١٦٠ ، البقرة : ٢١٦ ، الطلاق : ١ ، لقمان : ٣٤ .

(٢) انظر محمد قطب : منهج التربية .. ص ١٦١ .

(٣) ال عمران : ١٧٥ .

(٤) الأنعام : ١٥ .

وقد عرضت القصة صوراً رهيبة لعذاب القبر ، كما نجد طرفاً من ذلك فى قصة « الأسئلة الثلاثة »[١] وقصة « القبر »[٢] وكذلك قصة « المسئولية والجزاء »[٣] .

كما كان اليوم الآخر مجالا واسعاً وفرصة كبيرة ، جعلت منه القصة منطلقاً للترهيب والتخويف ، بما ينطوى عليه ذلك اليوم العظيم من مشاهد الحشر[٤] والعرض على الله ، ومواقف الحساب[٥]، والمرور على الجسر المقام على جهنم[٦] ، حيث يسقط فى جهنم من يسقط وينجو من ينجو ، فى لحظات عصيبة لا يمكن أن توصف بحق .

كما تنقل القصة صوراً من العذاب الدائر فى الجحيم ، وما يلقاه أهل النار فى ذلك من صنوف المهانة والشدة والألم ، وهم يصلون سعير جهنم التى تكاد تتميز من الغيظ عليهم ، مثلما نجد فى قصة « هل من مزيد »[٧] وقصة « المغموسون »[٨] وقصة « يغاثون بطعام »[٩] وقصة « الذى يدور فى النار »[١٠]إلى غير ذلك من قصص البعث واليوم الآخر[١١].

---

(١) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ - ٦٤٠ .

(٣) المسند ( ص ) ٥ : ١٤ - ١٥ .

(٤) انظر : قصص الشفاعة فى دليل القصة .

(٥) انظر : قصة « المساءلة » صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٩ ، وقصة « أول من يقضى عليه » المصدر السابق ٣ : ١٥١٣ - ١٥١٤ ، وقصة « البطاقة » سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٣٧ .

(٦) انظر : قصة « الصراط » البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٧) سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ .

(٨) مسلم ٤ : ٢١٦٢ .

(٩) سنن الترمذى ٤ : ٧٠٧ .

(١٠) البخارى ٤ : ١٤٧ .

(١١) انظر : قصص البعث واليوم الآخر فى دليل القصة .

وأما التربية بالترغيب فى القصة النبوية ، فكانت قائمة أيضاً على أساس استغلال قوة الرجاء فى الإنسان ، وقد اتخذت القصة فيها المنهج القرآنى الذى عمل على توجيه قوة الرجاء إلى القيم الجديدة بالرجاء ، ودفع بالإنسان إلى التطلع نحو الأفضل فى الطريق الصحيح ، ومن هنا كان توجيه قوة الرجاء لدى الإنسان فى القصة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رضاه ومغفرته ، وإلى ما أعده للمؤمنين من صور النعيم المقيم فى الجنة التى هى منتهى آمال المؤمنين ، وما أعده الله لهم فيها مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهو النعيم الخالد الذى تظل مظاهره وأصنافه لا مقطوعة ولا ممنوعة .

وقد اتجهت القصة إلى تصوير جوانب من ذلك النعيم فى مظاهر معنوية كما تنقل لنا طرفاً من ذلك قصة « سلام عليكم »[١] إذ يبعث الله الملائكة إلى الفقراء أو المهاجرين لتقديم التحية لهم فى الجنة ، فيدخلون عليهم من كل باب وهم يرددون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وقصة « الرضوان »[٢] التى تصور إحلال الله تبارك وتعالى رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً وهو نعمة معنوية تشيع فيهم الإحساس بالأمن والطمأنينة ، النابعة من رضوان الله عليهم ، وكذلك قصة « الموعد »[٣] التى تصور نعمة النظر إلى الله تبارك وتعالى والتمتع برؤية وجهه الكريم .

وكما تنقل القصة النبوية صوراً حسية كثيرة لألوان النعيم فى اليوم الآخر كما نجد فى قصة « سوق الجنة »[٤] وقصة « الذى يطلب أن يزرع »[٥] وقصة

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ - ٧٧ .
(٢) مسلم ٤ : ٢١٧٦ .
(٣) سنن الترمذى ٥ : ٢٨٦ .
(٤) المصدر السابق ٤ : ٦٨٥ - ٦٨٦ .
(٥) البخارى ٩ : ١٧٨ - ١٧٩ .

« آخر رجل يدخل الجنة »[١] وقصة « أدنى أهل الجنة »[٢] وقصة « اقرأ واصعد »[٣] التى تصور ما يلقاه حفظة القرآن الكريم من التكريم والحفاوة إلى غير ذلك من القصص[٤] .

وهكذا تنجح القصة النبوية فى استثمار غريزتى الخوف والرجاء عند الإنسان ، حين استطاعت أن تستعمل الترغيب والترهيب بطريقة تأخذ بيد الإنسان فى الطريق الصحيح ، فتخوفه ، وتعده ، وتتوعده وتمنّيه ، وفى أثناء ذلك تتوجه به نحو قيم الحق والخير ، وترفعه من الوقوع فى طريق الشر والضلال .

٣ – والطريق التربوى الآخر فى القصة النبوية هو طريق العبرة المستقاة من قصص الماضين ، حيث يتخير الرسول ﷺ من الماضى أحداثاً تفيض بالعظة المؤثرة ، ولا شك أن تأثير الموعظة يكون أشد ، وأنفذ إلى القلب ، حين تبدو عبرتها من خلال عرض قصصى[٥] شيق ، يربط السامع بأحداث القصة وشخصياتها ، من خلال مشاركته الوجدانية لهم ، وانفعاله بمواقفهم تعاطفاً معهم أو ضدهم .

والقرآن الكريم فى حديثه عن الماضين من أهل الكتاب وغيرهم سلك طريق القصة ، لأنها أكثر قدرة على حمل العبرة ونقلها إلى السامعين والقراء ، وقد كانت العبرة والعظة فى تلك القصص الماضية فى القرآن الكريم غرضاً رئيساً نص عليه القرآن صراحة فى محكم تنزيله ، قال تعالى : ( **لقد كانَ فى**

---

(١) مسلم ١ : ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) البخارى ٨ : ١٤٦ .

(٣) سنن الدارمى ٢ : ٣٢٤ .

(٤) انظر : دليل القصة فى آخر البحث .

(٥) انظر : التهامى نقرة : سكلوجية القصة فى القرآن ص ٥٤٤ .

**قَصصِهم عبرةٌ لأولى الألبابِ ما كان حديثاً يُفترى ، ولكن تصْديقَ الذى بين يديه وتفصِيلَ كلِّ شىءٍ وهُدًى ورحمةً لقوم يُؤْمنُونَ )** [١] .

والموعظة دائماً من أعظم الدوافع فى تربية النفوس وأقواها فى تحريك رواسبها ، وإثارة صحوة القلب فيها ، وتوجيهها إلى السير فى الطريق الصحيح تأثراً بما تعرضه القصة من تجارب ماضية ، تهز أعماق الوجدان وتؤثر فيه ، ثم إن الموعظة من ناحية أخرى تلبى حاجة النفس الفطرية الدائمة إلى التوجيه والتهذيب[٢] ، ومن هنا كان تعهد القرآن وتعهد الحديث الدائم للمسلمين ، بالتربية عن طريق الموعظة الحسنة ، والعبرة البالغة .

وقد وجدت القصة النبوية فى أخبار بنى إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة أحداثاً وتجارب ذات دلالات مؤثرة ، وذات مقاصد تربوية هادفة ، فجعلت من ذلك كله مادة طيبة صاغت على أساسها قصصها ذات المغزى الوعظى ، وجعلت منها دروساً يتذكر بها المؤمنون ، ويستخلصون منها العبرة التى تعينهم فى ترسم الطريق المستقيم ولتكون أيضاً رصيداً يضاف إلى تجاربهم يواجهون به ما يصادفهم من مشكلات أو مواقف مماثلة .

ومن القصص الوعظية التى ساقها الرسول ﷺ على أصحابه من أجل العبرة بما فيها ، قصة « داود وملك الموت »[٣] وهى قصة كان الغرض التربوى الوعظى واضحاً فيها ، فقد قالها الرسول ﷺ فى مرضه الذى قبض فيه ، وقد قصد الرسول ﷺ بسرد هذه القصة أن يهيىء نفوس المسلمين لتحمل المصاب بموته - ﷺ - وهم يأخذون العبرة من وفاة النبى داود - عليه السلام - فيكون هذا عوناً لهم على استقبال وفاة رسولهم ﷺ بالتسليم والرضا ، لأن

---

(١) يوسف : ١١١ .

(٢) انظر محمد قطب : منهج التربية ... ص ٢٣٠ .

(٣) المسند ( صادر ) ٢ : ٤١٩ .

القصة تذكر بأن هذا هو المصير المحتوم للجميع لا يستثنى من ذلك أنبياء ولا غير أنبياء وها هو المثل أمامهم تضربه القصة ممثلة فى موت داود عليه السلام ، واستسلامه لملك الموت استلاماً تاماً .

وهناك قصة الذى « جزع فانتحر »[1] التى تختم بتحذير مباشر من الانتحار : « **بادرنى عبدى بنفسه ، حرمت عليه الجنة** » وهو صوت يظل يتردد فى الأسماع وتنتهى القصة ، ولكن ذلك الصوت لا ينتهى ويظل يشع إيحاء رهيباً تفرضه هذه النهاية التعيسة للمنتحر .

وهناك قصة « المتكبر »[2] الذى كان فى الخسف به عبرة بالغة ، وكذلك قصة « الثلاثة المبتلون »[3] ، وما حصل للجاحدين منهم من نكسة وخسران ، وما كان للثالث الشاكر من خير ونعمة دائمة ، والنماذج فى هذا كثيرة جداً ، ويكفى للدلالة على ذلك أن قصص الماضين من غير الأنبياء قد بلغت فى هذا البحث ثلاثين نصاً ، وقد مر كثير منها خلال معالجة قضايا البحث المتعددة فى سائر الفصول[4] .

٤ – ومن طرق التربية فى القصة ، التربية بالتوبة ، والتوبة وسيلة مهمة جداً فى سبيل صيانة الإنسان من شرور نفسه وأهوائه وضعفه الفطرى الذى جبل عليه ، وهى تحفظه من أن يرتمى فى أحضان الشيطان إلى الأبد ، فالإنسان لضعفه يمكن أن ينحرف ، ويمكن أن يخطئ ، بل إن هذا أمر واقع فى حياته ولذلك فالقصة النبوية تعالجه فى برنامجها التربوى بالتوبة التى تحقق

---

(١) البخارى ٤ : ٢٠٨ .

(٢) مسلم ٣ : ١٦٥٣ .

(٣) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٤) انظر : قصص الماضين فى دليل القصة فى نهاية البحث .

وظيفتين أساسيتين فى تربية المذنب :

**الأولى** : أنها تفتح الطريق أمام المذنب ليتطهر ويستقيم ويستأنف المسير مرة أخرى فى الدرب الصحيح ، وتشجعه على أن يعود عضواً صالحاً فى الحياة ، وإن القصة النبوية لتضع أمامنا أكثر من مثل على هذه الناحية إذ تعرض علينا قصص بعض التائبين الذين أدركتهم لحظات ضعف فى وقت من الأوقات ثم أفاقوا ، وعادوا إلى الجادة تائبين مما وقعوا فيه ، مستغفرين مما اقترفوه ، بل عادوا أكثر صلاحاً وتقى كما نجد فى قصة « الكفل »(١) الذى لا يتورع عن ذنب يفعله ، وفى إحدى نزواته مع المرأة المحتاجة صادف من المرأة تمنعاً عنيفاً كان وراءه موقف أخلاقى ينطلق من مبدأ الرفض للفاحشة ، ولم تزل ترفض هذا من خلال موقفها المتحرج حتى استيقظ ضميره ، واستغفر ربه وأناب وتاب ، فقبل الله توبته ، ومات من ليلته ، وفى صباح اليوم التالى وجد مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل ، ومثل هذه القصة ، قصة « الرجل والمرأة »(٢) وهى تشبهها إلى حد كبير جداً لولا بعض التفصيلات المختلفة فى القصة الأخيرة .

**والثانية** : أن المذنب يجد فى التوبة علاجاً مريحاً لألم الشعور بالذنب ، ومخلصاً نفسياً يرفع عن كاهله ذلك الشعور ، الذى ربما أصابه بالاضطرابات العصبية والقلق النفسى المدمر ، الذى نجد أمثلة واضحة له لدى المذنبين الذين لا يرتبطون بالله بصلة دين أو عقيدة ، فيدفعهم قلقهم وآلام ذنوبهم إلى طرق مختلفة ينشدون بها الخلاص مما يعانونه فمنهم من يلجأ إلى الخمر والمخدرات ، ومنهم من يحاول أن يطرد تلك الآلام بالانهماك فى الملذات الجنسية وغيرها ، ولكنهم فى النهاية يفشلون ، لأنهم يعالجون الداء بالداء ، فتزداد مشكلتهم

---

(١) الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

تعقيداً ، وتزداد أعصابهم توتراً واضطراباً[١] .

أما التائب كما تصور ذلك القصة النبوية ، فهو بتوبته يبدأ صفحة جديدة نقية لا سوء فيها ، وبالتالى فليس هناك ما يدعو إلى أن يقلق أو أن يتألم ما دام قد تاب توبة مخلصة ، مهما كان الذنب الذى اجترمه حتى ولو كان قتل مائة نفس كما فى قصة « الذى قتل مائة »[٢] فإنه لما تاب تاب الله عليه ، وانتهت حياته بمغفرة الله ورحمته ، ولذلك قبضته ملائكة الرحمة فى مشهد مثير تصور فيه خاتمة القصة النزاع الذى دار على هذا التائب بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولكن هذا النزاع ينتهى لصالح هذا الرجل التائب ، مؤكدة القصة بذلك ما تقدمه التوبة لصاحبها من أمن ونجاة ، بل إن القصة النبوية تذهب فى الاحتفال بالتائب والاحتفاء به إلى أبعد من ذلك حين تصور له إحدى نصوصها أن الله تبارك وتعالى يفرح به حين يتوب إليه فرحاً شديداً جداً ، وتحرص القصة على أن تقرب للإنسان شدة فرح الله به حين يتوب إليه ، فتستعين على ذلك بقصة الرجل الذى فقد راحلته فى أرض فلاة ، ثم اضطجع فى ظل شجرة قد أيس من راحلته وبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأمسك بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح ، مبينة أن الله أشد فرحاً بتوبة التائب من فرح هذا الرجل بناقته[٣] .

وهكذا يجد الإنسان المسلم وسيلة النجاة من ذنوبه وآلامه فى باب التوبة المفتوح على مصراعيه ، هذا الباب الذى لا تلفته القصة النبوية إليه فحسب ،

---

(١) انظر : أبو مدين الشافعى : الاطمئنان النفسى ص ٤٦ ، القاهرة ، دار الفتوح للطباعة .
(٢) مسلم ٤ : ٢١١٨ .
(٣) المصدر السابق ٤ : ٢١٠٤ .

ولكنها تناديه وتغريه بأن يدخل فيه من خلال صور قصصية لا أنفع ولا أروع .

(ب) ومن الأغراض التى قصدت إليها القصة النبوية أيضاً غرض التسرية عن المؤمنين وتخفيف ما يعانونه من ضغط عاطفى ، ينشأ من مواجهتهم للمجتمع الجاهلى المتسلط فى بداية الدعوة الإسلامية ، قبل أن ينتشر الإسلام ويقوى جانب المسلمين ، وقد كان المسلمون فى بداية الإسلام يلاقون من قريش أشد أنواع التعذيب والتنكيل ، فوق ما يرمون به من التسفيه والسخرية والازدراء ، كل ذلك من أجل صدهم عن دينهم الجديد الذى يدعوهم إليه محمد ﷺ وقد بلغ الأمر بالمسلمين إلى أن شكوا إلى الرسول ﷺ من شدة ما يلقون من أذى قريش ، يقول الصحابى خباب بن الأرت – رضى الله عنه –: « **شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ..** »(١) وإزاء هذه الشكوى كان لابد أن يتخذ الرسول ﷺ موقفاً ما ، ولما كان الوقت لم يحن بعد للمواجهة ، ولم يحن وقت القتال والمصادمة ، رأى أن يثبت أصحابه ، وأن يقوى عزائمهم ، وفى سبيل ذلك اتخذ من القصة وسيلة يسرى عن طريقها عن قلوب أتباعه ، ويخفف عنهم ما يلقونه من عنت وأذى ، ولذلك جاء رده على الذين شكوا إليه أن قص عليهم قصة « المنشار »(١) التى تصور شدة ما يلقاه أسلافهم من المؤمنين ، وتعرض بعض ما كانوا يلقونه من أبشع ألوان التعذيب ، حتى لقد كان الرجل منهم يحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق به نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ولكنه مع ذلك ثابت صابر لا يحيد ولا يلين ولا يصده ولا يصد أمثاله عن دينهم ، وفى نهاية القصة يبشر

---

(١) البخارى ٤ : ٢٤٤ .

الرسول ﷺ المسلمين بالنصر والتمكين فيقول لهم : « **والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون** » [١] فالقصة تعرض مواقف تشبه مواقف المسلمين ، وتصور ظروفاً وملابسات تعكس ما يعيشونه من ظروف وما يعانونه من إيذاء ، وهذا يخفف عنهم بعض ما يجدون من ناحية ، ويثبتهم من ناحية أخرى ، فهم يحسون بهذه المواقف بأنهم ليسوا وحدهم فى هذا الميدان ، وأن هناك من سبقوهم فى هذا الطريق ، وعانوا أشد مما عانوا ، وأن عليهم أن يصبروا ويصابروا حتى يأتى نصر الله ، ومثل هذه القصة قصة « أصحاب الأخدود »[٢] وقصة « الماشطة »[٣] وكلتاهما تصور ما يلقاه أصحاب العقيدة والمبدأ من عسف وطغيان القوى المضادة ، وكلتاهما تصور الثبات والتضحية النادرة فى سبيل الدين والمبدأ .

وقد كان الرسول ﷺ فى استخدامه للقصة من أجل هذا الغرض مقتفياً فى ذلك أثر القرآن الكريم الذى كان من أهم أغراض القصة فيه تخفيف الضغط العاطفى عن الرسول ﷺ وعن المسلمين تثبيتاً لأقدامهم ، وتقوية لعزائمهم[٤] ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك صراحة بقوله : ( **وكلاًّ نقصُّ عليك مِن أنباءِ الرسل ما نثبّتُ به فُؤَادَكَ وجاءَك فى هذه الحق وموعظةٌ وذِكْرَى للمؤمِنِين** ) [٥] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .

(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ، وانظر : أيضاً قصة « جريج » المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ التى تصور ما لاقاه جريج بسبب صلاحه وتقاه من أذى من قومه .

(٤) انظر خلف الله : الفن القصصى فى القرآن الكريم ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٥) هود : ١٢٠ .

وهكذا تكشف لنا هذه الأغراض فى القصة النبوية ، عن ناحية مهمة جداً فيها ، وهى أنها قصة ملتزمة وهادفة ، والالتزام سمة أساسية فى المنهج الإسلامى ، الذى يرى أن الفن يجب أن يكون نشاطاً نافعاً فى الحياة ، يخدمها ويطورها ، ويجعلها ترتقى فى سبيل الأفضل والأجمل .

# الفصل السابع

# المنهج الإسلامي في فن القصة

- الالتزام
- الواقعية الإسلامية
- أساليب الواقعية الإسلامية

# المنهج الإسلامى فى فن القصة

إن من المناسب جداً ، بل من الواجب جداً ، بعد هذه الدراسة لقصص النبى ﷺ ألا تضيع هذه الفرصة الكبيرة – فرصة دراسة نصوص قصصية دينية – دون أن نلمح المنهج الإسلامى الذى يسيطر على تلك القصص فى مضمونها الذى حملته ، وفى تعبيرها الذى نقل ذلك المضمون ، ذلك أن هذه النصوص فوق أنها قصص ، هى نصوص دينية تحمل وجهة نظر الإسلام – بطريقة مباشرة أو غير مباشرة – نحو الفن القصصى ، وكيف يجب أن يكون منهج هذا الفن ، والتصور الذى يجب أن ينطلق منه ، وأنها تأتى تطبيقاً أميناً لما يريده التصور الإسلامى للفن المسلم ، وللفنان المسلم فى مجال القصة .

وإنها فرصة كبيرة مشجعة على أن نحاول – فى هذا الفصل – أن نعرض « للإسلامية » كمنهج خاص خضعت له القصة النبوية ، وانطلقت منه فى التعبير عن الشخصية الإنسانية – خاصة – وتصوير هذه الشخصية من خلال التصور الإسلامى ، لنستفيد من ذلك فى رصد بعض الخطوط الرئيسة ذات الأثر المهم فى بناء منهج الفن الإسلامى فى ميدان القصة بالذات .

وقد رأيت أن أعرض لهذه الإسلامية فى حدود ثلاث قضايا مهمة فى نظرى ، وذات أبعاد خاصة بالنسبة للعمل القصصى ، يمكن أن تثرى الجانب النقدى الإسلامى لدى الناقد ولدى القاص فى تعاملهما مع تجربة القصة من الزاوية الإسلامية ، وهذه القضايا الثلاث هى : الالتزام بالهدف ، والواقعية الإسلامية[١] ، والوسيلة النظيفة فى التعبير وهى كما تبدو قضايا متشابكة بصورة

---

(١) انظر : فصل ( الواقعية فى التصور الإسلامى ) فى كتاب منهج الفن الإسلامى لمحمد قطب ص ٦٦ .

معقدة ، ولكن لكل منها – بالرغم من هذا التشابك – كيانه المحدد الذى يمكن أن يتناول بالدراسة منفصلا عن الآخر ، مع ملاحظة أن صورة كل قضية من هذه القضايا ، لا يمكن أن تتضح بعيدة عن صورة القضية الأخرى ، إنها نقاط يكمل بعضها بعضاً ، ويجلى بعضها صورة بعض .

**الالتزام بالهدف :**

لقد رأينا فى فصل « أغراض القصة » كيف كانت القصة خاضعة للغرض الدينى ، مسخرة من أجل خدمته ، وتوضيح قيمه ومبادئه ، وتعميقها فى نفوس المسلمين ، وهذا صورة من صور الالتزام فى المضمون كما كان هناك أيضاً صورة أخرى للالتزام فى الطريقة الفنية ، أو طريقة المعالجة للقيم الإسلامية ، أو للحياة الإنسانية من خلال حركة القصة الفنية ، حيث كانت تلك الطريقة مع وفائها بالغرض الفنى جاءت وفية أيضاً للتصور الإسلامى ونابعة من رؤيته للحياة والإنسان ، محققة لهدفه فى رفع الحياة الإنسانية ، والسمو بها ودفعها نحو الكمال فى الطريق الأفضل اللائق بالإنسان المكرم الذى سخر الله له ما فى السموات وما فى الأرض(١) .

ونستطيع هنا أن نستخلص من هذا كيف أن النشاط الفني القصصى فى منطق الإسلام له وظيفة وله رسالة وله هدف ، بحكم أن هذا النشاط الفنى هو جزء من نشاط الإنسان المسلم ، وهذا الإنسان بحكم إسلاميته ، صادر فى كل نشاطاته مهما اختلفت مجالاتها عن تصور إسلامى خاص ، يجعله يعبر تلقائياً – وبلا أدنى ضغط خارجي – وفق قيم الإسلام ورؤاه شكلا ومضموناً .

والقصة النبوية تعطينا فى هذا المجال مثالا حياً على أن الأدب الإسلامى أدب موجه ، وهى قيمة « نقدية » يجب أن تأخذ مكانها اللائق فى مجال النقد

---

(١) انظر : فى تعميق هذه الناحية : « الواقعية الإسلامية » التى تلى هذا البحث .

الأدبي الإسلامي في مجال القصة بخاصة[1] . كما يجب أن ينظر إليها قصاصونا المسلمون بعين الاعتبار والأهمية .

وثمة ناحية أخرى تلفت نظرنا إليها القصة النبوية – بصدد قضية الالتزام هذه – وهي أن الالتزام ليس معناه في رأي الإسلام ، أن نكون وعاظاً ، نردد أحكام الإسلام وتوجيهاته ، بطريقة مباشرة كما لو كنا خطباء أو محاضرين ، وبعبارة أخرى ليس معناه أن نهدر الجانب الفني في سبيل وفائنا بغاياتنا الأخلاقية ، أو أهدافنا الرفيعة ، ليس ذلك هو المراد ! إن الجانب الفني في العمل الأدبي جانب مهم جداً في نظر الإسلام ، وفي حسابه ، وهو حريص عليه ، لأن العمل الأدبي بفنِّيته يكون قادراً على التأثير وتحقيق الهدف ، وكل ما في الأمر أننا يجب أن نحقق من خلال العمل الفني الجيد غايات سامية وأهدافاً نبيلة ، تسهم بشكل ما في تطور الحياة الإنسانية ودفعها خطوة أو خطوات إلى الأمام في سبيل واقع أفضل .

والأديب المسلم يكتب في كل الموضوعات ، دينية وغير دينية ، مهما كانت طبيعتها ، حتى لو كانت موضوعات جنسية – نظيفة أو غير نظيفة – ولكنه يعرضها حين يعرضها من خلال وجهة نظر الإسلام ، التي هي وجهة

---

(١) ينبغي أن نشير هنا إلى فضل الأستاذ « سيد قطب » رحمه الله في أنه كان أول من حاول أن يعالج قضية الأدب الإسلامي ، وأن يثير بعض قضاياه ، حين تعرض لذلك في إحدى مقالاته بعنوان « منهج للأدب » حاول فيه أن يرصد خطاً في منهج الأدب الإسلامي فاتحاً بذلك مجالا رحباً لدراسته ، وفي نهاية المقال تناول وظيفة الأدب الإسلامي واستخلص في الأخير أن الأدب الإسلامي أدب موجه بطبيعة التصور الإسلامي ، وفكرة الإسلام عن الكون والحياة ، تلك الطبيعة الحركية المنشئة المبدعة ، وأن له منهجه المحدد الذي يلتزمه في كل مجالاته . انظر كتاب « في التاريخ فكرة ومنهاج » ، مبحث ( منهج للأدب ) ص ١١ ، ومن الكتاب المسلمين الذين تناولوا قضية الأدب الإسلامي بعد سيد قطب ، الأستاذ محمد قطب في كتاب « منهج الفن الإسلامي » والدكتور نجيب الكيلاني في كتابه النفيس « الإسلامية والمذاهب الأدبية » .

نظره بحكم أنه مسلم أصلا ، فيعرضها من زاوية أنها جوانب ضعف لا جوانب قوة ، وبطريقة لا تثير فى قارئه نزوته وضعفه ، وإنما تثير فى نفسه الاشمئزاز والنفور ، وتبعثه على النزوع إلى مواقف السمو والفضيلة ، مصوراً له أنها لحظة ضعف يفيق منها الإنسان إلى ترفعه الذى يجب أن يكون ، وتلك هى طريقة القصة النبوية التى اتبعتها وهى تعرض مثل هذه الموضوعات الحساسة كما لمسنا ذلك فى نصوصها[1] ، وهى طريقة تسهم أيضاً فى تحديد معنى الالتزام فى الأدب فى نظر الإسلام ، وتلقى عليه ضوءاً كاشفاً ليعطى لهذا الالتزام أبعاداً خاصة فى النقد الأدبى الإسلامى أيضاً .

**الواقعية الإسلامية :**

لقد كان الفن القصصى فى النصوص النبوية تعبيراً عن إيقاعات خاصة كان يتلقاها الرسول ﷺ فى حسه عن حقائق الوجود ، وهى إيقاعات كانت تصدر فى الواقع من تصور الإسلام للوجود كله وما فيه من حقائق ، ومن بينها حقيقة الواقع الإنسانى ، والواقع الإنسانى هو الذى يهمنا هنا ، ونحن بصدد الحديث عن الواقعية الإسلامية فى القصة النبوية .

وإذاً فما التصور الإسلامى لواقع الإنسان ؟ ما دام أنه هو التصور الذى انبثقت منه نظرة الرسول ﷺ لواقع الإنسان فى القصة ؟

الإنسان فى نظر الإسلام مخلوق مكون من عنصرين رئيسين لهما أثر كبير فى سلوكه وواقعه ، فهو مخلوق من قبضة الطين التى تمثل فيه الجانب المادى ، ومن نفخة الروح التى تمثل فيه الجانب الروحى ، قال تعالى : ( **إذْ قال ربُّك للملائكةِ إنّى خالقٌ بشراً من طينٍ ، فإذا سوَّيتُه ونفختُ فيه من**

---

(١) انظر : قصة « الكفل » سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .
وقصة « الرجل والمرأة » المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

**روُحى فَقَعُوا له ساجدين ...** ) (١) وهكذا تكون المادة والروح عنصران أصيلان فى تكوين الإنسان ، ومن خلالهما معاً يتحقق كيان الإنسان السوى ، بما فى هذا الكيان من عناصر الضعف المرتبطة بالأرض ، بما فيها من ضرورات ورغبات ونزوات وشر ، وبما فيه من عناصر القوة المرتبطة بنفخة الروح المشرقة الصافية ، بما تنطوى عليه من قوة واعية مدركة لمعان أخرى غير معانى المادة والحس ، معان تنبع من ذلك الجانب الروحى ، الذى هو من روح الله الذى يرقى فوق القيود والحدود ، وبما تنطوى عليه أيضاً تلك النفخة من قدرة الإنسان النفسية على أن يختار وأن يريد(٢) .

إن الإنسان فى نظر الإسلام كائن فيه الخير والقوة ، ولديه الاستعداد لسلوك هذا الطريق ، كما أن فيه الشر والضعف ، ولديه الاستعداد لأن يقع وأن يخضع لتأثيرهما قال تعالى : ( **ونفسٍ وما سوَّاها . فألهمَها فُجورَها وتقواهَا ، قد أفلحَ من زكَّاها . وقد خابَ من دسَّاها** ) (٣) . والنقطة الأساسية فى هذه النظرة الإسلامية للإنسان ، أنها وهى تعترف بضعف الإنسان ، وتسجله عليه فى صفحته كما نجد فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى : ( **وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفاً** ) (٤) وقوله : ( **زُيِّنَ للناسِ حبُّ الشهواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنْطرةِ من الذهبِ والفضَّةِ والخيلِ المسوَّمة والأنعامِ والحرْثِ** ) (٥) إنها وهى تفعل ذلك تعتبر الجانب العلوى فيه هو الجانب الأصل والأقوى ، لأنه هو الذى يمنح الإنسان قوة إيجابية ، وإرادة

---

(١) ص : ٧١ – ٧٢ .
(٢) انظر : الإنسان فى التصور الإسلامى المرجع السابق ص ٤٨ – ٤٩ وما بعدها .
(٣) الشمس : ٧ – ١٠ .
(٤) النساء : ٢٨ .
(٥) آل عمران : ١٤ ، وانظر : الأنبياء : ٨٧ ، المعارج : ١٩ – ٢٢ ، إبراهيم : ٣٤ ، الإسراء : ١١ ، ٨٣ ، يونس : ١٢ ، هود : ١٠ – ١١ ، الكهف : ٥٤ ، العلق : ٦ .

فاعلة فى أن يختار ، وأى الطريقين يختار ، وهو بهذه الإيجابية الفاعلة النابعة من جانبه الروحى العلوى ، يملك أن ينتصر على لحظة الضعف ، ثم إن القرآن الكريم وهو يسجل لحظة الضعف تلك ، يسميها ضعفاً ، ويصفها بأنها لحظة هبوط فعلا إلى واقع الأرض ، ما كان ينبغى أن تكون ، وأنها ليست هى الأصل ، ومن هنا جعله الله مسئولا عن سلوكه وهو يهبط أو يضعف ( **قَدْ أفلحَ من زكَّاها . وقد خابَ من دَسَّاهَا** ) [1] والإسلام يرى أن « الإنسان بأمانة التكليف يمكنه أن يرقى إلى قمة الخليقة ، وبدون الأمانة جدير بأن يرد إلى أسفل سافلين ، فالأمانة التى هى العقل والإرادة الحرة المسئولة ، هى التى ترفعه فوق مقام الملائكة ، وهى التى تهبط به إلى زمرة الشياطين »[2] ومن هنا فالإنسان يصبح مكلفاً قابلا لأن يضعف ويتعثر ويسفل ، وقابلا لأن يستقيم ويرتفع[3] ولذلك جعله الله صاحب إرادة حرة ، يترتب عليها مسئوليته عما يمارسه من سلوك ، وفى هذا منتهى العدل الإلهى ، ومنتهى التكريم لهذا الإنسان[4] .

ذلك كان هو التصور الإسلامى ، ومنه نبعت الواقعية الإسلامية فى الفن كما سنبينها أكثر من خلال الفن القصصى النبوى ، الذى استلهم ذلك التصور وعبر عنه ، فقد كانت الشخصية الإنسانية فى القصة النبوية ، تنقل لنا بأمانة ودقة واقع الإنسانية الكبير فى إطاره الصحيح ، الذى يجمع أطراف ذلك الواقع وجوانبه المختلفة بخيره وشره ، بقوته وضعفه ، بإيمانه وكفره ، بما فيه من

---

(١) الشمس : ٩ - ١٠ .

(٢) د. النعمان القاضى ، الإسلام عقيدة وحياة ، ص ٣٣ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . العدد ١٧٥ - مطابع الأهرام - القاهرة ، ١٣٩٥ هـ : ١٩٧٥ م .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ - ٣٨ .

جوانب روحية وجوانب مادية ، واقع الإنسان وهو يهبط إلى الأرض وإلى رغبات الأرض ، وواقعه وهو يرتفع إلى مستوى نفخة الروح ، وواقعه أيضاً وهو يصارع جوانب الشر ويدافعها وينتصر عليها فى النهاية مؤكداً بذلك أصالة الخير فيه ، وقوته فى كيانه .

وحين ننتقل إلى نصوص القصة نجد أن جانب الضعف الإنسانى واضح فى كثير من شخصيات القصة النبوية ، نجده مثلا فى شخصية « البغى » فى قصة « جريج »[١] فهذه المرأة تمثل دور الإثم والخطيئة بصورة قوية ، ومع أنها بغى ، وهذا كاف فى بيان إغراقها فى الشر ، فإنها تتوغل فى هذا السبيل الهابط وتتبرع للجماهير التى أغاظها صلاح العابد « جريج » بأن تقوم بإغرائه وإفساده ، وحين تفشل فى ذلك معه تتعرض للراعى وتمكنه من نفسها ، لتحمل منه ، ثم تتهم بهذا الحمل ذلك العابد الصالح ، ويشاركها فى هذا الموقف الدنى « الجماهير » التى شجعتها فى بداية القصة على أن تصبى جريجاً وتصرفه عن عبادته ، فقد قام الإسرائيليون بإيذاء جريج – فى وسط القصة – حين اندفعوا فى غير روية أو تثبت يضربونه ويشتمونه ويهدمون صومعته .

وفى قصة أخرى هى قصة « الثلاثة المبتلون »[٢] نجد الأبرص والأقرع يمثلان جانب الجحود والنكران للجميل ، والكفر السافر للنعمة التى أسبغها الله عليهما صحة بعد مرض ، وغنى بعد فقر ، ولكنهما يكفران ولا يشكران ، وهو واقع موجود فى نفس الإنسان الذى لم يلتزم تماماً بمنهج الإسلام : ( **قُتل الإنسانُ ما أكْفَره** ) [٣] ، ( **كلاَّ إنَّ الإنسان ليطْغى أن رآه استغنى** ) [٤] .

---

(١) المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٣) عبس : ١٧ .

(٤) العلق : ٦ – ٧ .

والغش والخداع ضعف وشر تسجله قصة « بائع الخمر والقرد »[١] .

والطغيان والجبروت والكفر بالله ناحية تلح عليها القصة النبوية فى أكثر من قصة ، تعكس بها جانب الشر الذى تنطوى عليه نفوس الملوك بشكل خاص وذوى السلطان ، وشخصية « الملك » بهذه الصفات تتكرر فى أكثر من قصة ، حيث نجدها فى قصة « الأخدود »[٢] ونطالعها مرة أخرى وبالسمات نفسها فى قصة « الماشطة »[٣] ونجد صورة منها فى قصة « سارة والملك »[٤] حين يعجب الملك بجمال سارة ويحاول أن يغلبها على نفسها ، ويستخلصها لنفسه طغياناً وظلماً ، ولكن الله تبارك وتعالى يمنعها منه ويحميها .

ومن مظاهر ضعف الإنسان التى تسجلها القصة ، خضوعه لضرورات الجسد ، وانسياقه وراء رغباته الجنسية الجامحة ، حين يسعى لإشباعها ولو بطرق غير مشروعة ، كما تصور ذلك لحظات الضعف التى خضع فيها « الرجل » فى قصة « الكفل »[٥] وفى قصة « الرجل والمرأة »[٦] .

ولكن القصة لا تقول إن ذلك الضعف هو واقع الإنسان كله ، إنه جزء من واقع الإنسان – لا شك فى ذلك – ولذلك فهى تلم به هنا – بأمانة تامة – على أساس أنه جانب من الواقع ، والجانب الأدنى الوضيع فى الإنسان ، والصفحة القائمة فى حياته ، ولكنها ليست الصفحة الوحيدة ، فهناك صفحات أخرى من واقع الإنسان ، تفيض بالإشراق والخير والإيمان والحب

---

(١) المسند ( صادر ) ٢ : ٤٠٦ .
(٢) مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ .
(٣) المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .
(٤) البخارى ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ .
(٥) الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ .
(٦) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

والفضيلة ، ومحاولة الارتفاع والسمو ، والحياة على أساس القيم الرفيعة النابعة من نفخة الروح العلية ، التى ينطوى عليها كيان الإنسان السوى ، ولذلك فهى تحرص على أن تقف عندها وأن تبرزها إنصافاً للإنسان ولواقعه ، واعتداداً بقيمة هذا الإنسان ، وبما فيه من مزايا استحق بسببها أن يكون خليفة الله فى الأرض : ( **وإذْ قال رَبُّكَ للملائكةِ إنِّى جاعلٌ فى الأرض خليفةً قالوا : أتجعلُ فيها من يُفسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونحن نسبِّحُ بحمدِكَ ونقدِّس لك ؟ قال : إنِّى أعلم ما لا تعلمُونَ** ) [١] .

ولقد رسمت القصة النبوية كثيراً من النماذج الإنسانية التى حققت فى واقعها هذا الجانب القوى الخير الفاضل ، ونستطيع أن نقول هنا أن البطل الحقيقى فى القصة النبوية وبخاصة القصص التى تناولت الشخصية الإنسانية فى قصص الماضى ، أن البطل هو ذلك الجانب الفذ فى حياة الإنسان ، البطل هو الموقف الذى يحقق فيه الإنسان سموه ورفعته ، وانتصار الخير والفضيلة فيه ، بالمعنى الشامل غير المحدود للخير والفضيلة .

ونجد نماذج لهذه البطولة فى قصة « المستلف »[٢] فى موقف « المقرض » الذى استجاب لصاحبه فأعطاه ألف دينار ، يقضى به حاجته ، تعاوناً منه وفضلا ، ويعمق هذا الموقف الخير النبيل ، اعتماده الكبير على الله وثقته المطلقة به وهو يرضاه كفيلا لهذا الرجل وشاهداً عليه ، وهذا الخير نجد له صدى يتردد فى شخصية « المقترض » أيضاً حين حل الأجل المحدد للسداد ، فنلمس فيه حرصه الأكيد على الوفاء وإحساسه الشديد بأهمية تسديد الدين فى موعده ، وهو موقف ينبض « بالقيم الحية » ، ويضاف عليه أيضاً موقفه الآخر حين ألقى بالألف الدينار فى وسط البحر بعد أن وضعها فى جوف الخشبة ،

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ .

اعتماداً على الله وثقة فى سيطرته على البحر وهيمنته عليه ، وقدرته على أن يوصل هذا المال إلى صاحبه ، وهذه « قيمة إيمانية كبرى » تعبر عن مدى أصالة الجانب الروحى فى كيان الإنسان ، الموصل بالله تبارك وتعالى منذ أن كانت نفخة الروح .

وفى قصة « إنى أحبه فى الله »(١) نواجه مثلا آخر على أصالة هذه الناحية فى ضمير الإنسان فى شخصية الرجل الذى أوقف الله على طريقه ملكاً يحاوره عن سبب زيارته لرجل آخر فى قرية غير قريته ، وهو حوار عكس لنا حقيقة هذه الشخصية ، فما كانت تلك الزيارة لغرض مادى أو مصلحة شخصية ، أو قرابة أو بسبب معروف سابق ، وإنما كانت « حباً فى الله » إنه مستوى سامٍ رفيع يتناسب مع إمكانات هذا الإنسان وعناصر تكوينه !

والإيمان بالعقيدة والثبات عليها والتضحية فى سبيلها ، ومواجهة الأهوال من أجل نصرتها حتى لو كان ذلك الهول هو الموت فى أقصى وأبشع صورة على أيدى الطغاة والمتجبرين ، كل ذلك واقع إنسانى حققته شخصيات بشرية كثيرة نجد أمثالها فى قصة « الأخدود » فى أكثر من شخصية ومن مستويات متعددة ، ولعل هذا التعدد فى المستويات يعكس قضية ، تحب القصة أن تلفت النظر إليها ، وهى أن مثل هذا الإيمان يشكل ظاهرة عامة فى جميع فئات الإنسانية ، فنجدها فى شخصية « الراهب » و« جليس الملك » اللذين أعدما شقاً بالمنشار ، وفى شخصية « الغلام » الذى قدم نفسه قرباناً للعقيدة حين فتح صدره لسهام الملك الكافر ، وفى شخصية « المرأة » التى ألقت بنفسها مع رضيعها فى الأخدود المضطرم بالنيران ، وفى « الجماهير » المندفعة فى أفواه السكك تواجه الحريق ، ولا تستطيع أن تتنازل عن الإيمان بالعقيدة الجديدة ،

---

(١) المسند ( صادر ) ٢ : ٥٠٨ .

ونموذج لهذه المرأة نجده يتكرر فى قصة « الماشطة » حين أبت المرأة أن ترجع عن دينها رغم محاولة الفرعون الملحة فى أن ترجع ، ولكنها تأبى إباءً شديداً ، كان ثمنه أن يلقى بها مع أولادها فى البقرة النحاسية المنصهرة بالنار .

وهناك نماذج أخرى لشخصيات إنسانية ذات مواقف وصفات خيرة نجدها فى قصة « الثلاثة المبتلون » فى شخصية الأعمى فى شكره لنعمة الله عليه واستعداده للعطاء والصدقة ، ونجدها فى قصة « جريج » فى شخصية جريج الرجل العابد الزاهد الصالح الذى استعصى على إغراء البغى ومحاولتها فى إغرائه وإغوائه ، ونجدها فى قصة « جرة الذهب »[١] فى شخصيتى البائع والمشترى فى نزاهتهما وأمانتهما ، وتحوطهما الشديد من أن يأكلا مالا فيه أدنى شبهة ، وانتصارهما فى هذا الموقف على شهوة المال ، وسلطانه ، ونجدها فى قصة « الكلب اللاهث »[٢] فى شخصية الرجل الذى تفجرت ينابيع الرحمة والشفقة فى قلبه حين رأى كلباً عطشاً لاهثاً يدور حول بئر قد أضناه الظمأ ، وكان هذا الرجل قد طلع لتوه من باطن البئر بعد أن أروى ظمأ كان قد اشتد به وها هو الآن يرى أمامه صورة لما كان قد عاناه قبل قليل ، فينزل مرة أخرى وينزح لهذا الكلب ماء ويسقيه ، ونجد موقفاً شبيهاً بهذا جداً فى قصة « المومسة والكلب »[٣] فقد وجدت المرأة المومسة نفسها أمام كلب قد ألهب جوفه العطش ، فنزعت موقها[٤] فملأته ماء من البئر ، وأعادت الحياة بإذن الله إلى هذا الحيوان المسكين ، ولا شك هنا أن اختيار « المومسة » لتقوم بمثل هذا الدور هو إضافة جديدة ، تقدمها هذه القصة بالذات لتدل بحق على أن القصة

---

(١) البخارى ٤ : ٢١٢ .
(٢) المصدر السابق ٨ : ١١ .
(٣) المسند ( صادر ) ٢ : ٥١٠ .
(٤) أى خفها .

النبوية فى طريقتها الفنية ، فى عرض الأحداث والشخصيات ، كانت تعبيراً أميناً عن تصور الإسلام لطبيعة هذا الإنسان وحقيقته ، والإضافة الجديدة هنا ، التى تشير إليها هذه القصة هى أصالة عنصر الخير فيه ، وأنه هو العنصر الغالب المكين ، وها هو فى هذه المرأة يندفع بارزاً من أعماقها برغم الركام الهائل ، والحواجز الغليظة ، المتمثلة فى الممارسات السلوكية المتعفنة ، والمغرقة فى الوحل والطين ، التى كانت بلا جدال تكوّن ستاراً كثيفاً يحجب عن مثل هذه المرأة أن تلمح معنى الخير وأن تحس به ، فقد كانت مومسة تحترف الرذيلة ، لولا أن عنصر الخير فى ذاته كان أقوى وآصل ، ومن هنا تفجر واندفع إلى السطح .

ومن الشخصيات الإنسانية الخيرة ، والنسائية بالذات « شخصية المرأة » المتصونة العفيفة ، الحريصة على التمسك بالفضيلة والطهارة ، ومثل هذا الموقف نجده فى أكثر من قصة ، فى قصة « الكفل » وفى قصة « الرجل والمرأة » وفى قصة « سارة والملك » فكلهن يمثلن موقف الرفض والإباء العنيف للوقوع فريسة لشهوة الجسد ونزوة الجنس !

وإذا كانت القصة النبوية تعتبر أن الأصل فى الإنسان هو الخير فإنها من هذا المنطلق لا تكتفى بعرض هذه الجوانب الخيرة المشرقة فيه ، وإنما تحرص على أن تؤكد أصالة هذا العنصر فيه من خلال مواقف الضعف نفسها أيضاً وهى ناحية ألمحنا إليها من خلال الحديث عن قصة « المومسة » ، ومن المناسب أن نلحظها هنا كمنحى واتجاه تتخذه القصة النبوية فى طريقة عرضها للواقع الإنسانى ، والذى نسجله هنا أن الإنسان لا يستسلم لهبوطه وضعفه كثيراً ، فهو يملك إمكانات المقاومة ، وإمكانات الانتصار على هذا الضعف ، نعم إنه قد يضعف ، وقد يقع ، ولكنه لا يلبث أن يفيق ، وأن يستعلى على قبضة الطين ، وينهض بنفسه إلى مستوى إنسانيته الفاضلة ، المستقرة فى نفخة الروح .

قد يكون مجرماً مغرقاً فى الإجرام ، يقتل ويسفك الدماء ، وفى لحظة ما يدرك أنه أخطأ فيتمرد على هذا الخطأ ، ويسعى ويحاول هنا وهناك فى حركة قوية جادة من أجل الانتصار كما تصور ذلك شخصية القاتل فى قصة « قاتل المائة »(١) الذى ينتصر فى النهاية على هذا الجانب الضعيف ، وهو يقلع عن هذه الإجرامية ، ويتوب منها إلى الأبد وتسجل القصة انتصاره بقبول الله لتوبته فى مشهد ملائكى حافل !

وتقدم لنا القصة النبوية صورة رائعة أخرى لقدرة الإنسان على الانتصار على ضعفه ، وأن هذا الهبوط إنما هو ترد يحدث فى غيبة الإيمان ، ولذلك فحين يفيق الإنسان ، ويستيقظ فيه عنصر الخير لا يلبث أن يعود إلى حالته السوية وكيانه المستقيم ، كما فى قصة « الرجل والمرأة » وقصة « الكفل » فالرجل فى كلا القصتين كان ملحا على المرأة فى أن يمارس معها لذة الجنس المحرمة مستغلا فى ذلك حاجتها وظروفها القاسية ، ولكن المرأة فى كلا القصتين لا تزال ترفض هذا الموقف من خلال تردد قوى ، وصراع عنيف مزلزل كان يمور موراً فى داخل كيانها ، وظهرت آثاره على جسد المرأة التى كانت تذكر الرجل بالله ، وتلح عليه فى التذكير ولكنها عجزت عن إيقاظه وإقناعه ورده إلى الإيمان ، ولكن جسدها الطاهر أفلح حيث أخفقت كلماتها ، فقد أرعد هذا الجسد واضطرب فى حركة لا إرادية تعبر عن رفض هذا الموقف وإبائه ، وهنا استيقظ فى الرجل « الإنسان » عامل الخير والفضيلة ، وخشية الله ، وابتعد عن المرأة بكل طواعية واختيار لم يمسسها بسوء ، وتنازل عن المال الذى بين يديها ، وجعله صدقة عليها وعلى عيالها ، نعم لقد تحرك العنصر الأصيل بداخله ، ولم يزل يتحرك من وراء السدود والغيوم والأوهاق حتى استطاع أن ينطلق ويبرز على الصفحة ، وينتصر على عوامل الضعف والفتنة ! وهذا هو الانتصار فى

---

(١) مسلم ٤ : ٢١١٨ .

القصة النبوية ، وهذا هو البطل الذى يستحق الإشادة والتنويه !

وتلك هى الواقعية الإسلامية التى مثلتها القصة النبوية وعبرت عنها ، وهى كما بدت لنا تختلف اختلافاً كبيراً عن الواقعية التى سادت فى أوربا منذ القرن التاسع عشر الميلادى ، والتى كانت ردة فعل عنيفة للاتجاه الرومانتيكى المتطرف المنساق وراء الخيال الجامح فى هروب من الواقع السيء الذى كانت تعيشه أوربا[١] .

ولم تقتصر هذه الواقعية الأوربية على الأدب والفن وحدهما وإنما كانت اتجاهاً عاماً شمل النشاطات الفنية والفلسفية ، كما نجد عند الفيلسوف الفرنسى « أوجست كنت » صاحب الفلسفة الوضعية[٢] : « بل لعلها فى الأدب والفن كانت صدى للاتجاهات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، التى بدأت تسيطر على الفكر الأوربى منذ القرن التاسع عشر ، وما زالت مسيطرة حتى اليوم »[٣] .

وقد قام التصور الواقعى للحياة الإنسانية ، على أساس من مادية الإنسان وحيوانيته ، إنه مادى فلا روح فيه ، وبالتالى فلا دين ولا قيم ولا فضائل ولا أخلاق ، وإن هذه الأشياء كلها دعاوى زائفة ، وتقوم حيوانيته على ما اكتشفه دارون ، من أن الإنسان ليس إلا حيواناً متقدماً ، منطلقاً فى ذلك من التشابه الكبير بين تركيب جسم الإنسان وجسم الحيوان ، ثم جاء فرويد من بعده ليفسر سلوك الإنسان تفسيراً حيوانياً خاضعاً لغرائز ودوافع فطرية محركها الأساسى هو « الجنس » وجاء الأدباء الواقعيون ، والواقعيون الطبيعيون بالذات ليعبروا عن هذا الإنسان من خلال هذا التصور ، وليكشفوا عن أسرار واقعه

---

(١) انظر : محمد قطب ، منهج الفن الإسلامى ص ٦٦ – ٦٧ .

(٢) انظر : د. محمد مندور : فى الأدب والنقد ص ١٣٣ .

(٣) محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ص ٦٧ .

وخبايا نفسه التى يغلفها بحجب من النفاق والرياء والمخادعة ، وأن حقيقة هذا الإنسان ليست سوى مجموعة من الشرور والآثام والدناءات ، ونجد فى « الكوميديا البشرية » لبلزاك تصويراً لشتى الطبائع الإنسانية ، التى نرى فيها النفاق والانتهازية والسفالة والوقاحة ، والواقعية هنا لا تصور الحياة الإنسانية بكل جوانبها الخيرة والشريرة ، فتشمل الصورة بكل مظاهرها ووجودها ، ولكنها تعبير عن نظرة خاصة لهذا الإنسان وحياته وأنها ليست سوى شر وقذارة(١) .

كما انطلق الواقعيون من التفسير الفرويدى الجنسى لسلوك الإنسان ، ينتجون على ضوئه أدباً جنسياً مكشوفاً ، يخضع فيه الإنسان لضعفه وشهوته العارمة ، مركزين الأضواء الكاشفة على لحظة الإنسان الهابطة ، وهو يبحث عن المتاع الدنس ، وقد تخصص فى هذا النوع من الأدب الجنسى مجموعة من الأدباء من مثل « د. هـ . لورنس » زاعمين أنهم يصورون الواقع الحقيقى للإنسان(٢) .

ومن هنا نستطيع أن نلمح الفارق الكبير بين الواقعية الإسلامية ، فى الفن القصصى والواقعية الغربية ، فالواقعية الإسلامية تأخذ الواقع الأكبر للإنسانية بصورته الشاملة ، وبما فيه من خير وشر ، وما فيه من مادة وروح ، وبما ينطوى عليه من جوانب عليا ، وأنها هى الجوانب الأصيلة فيه الجديرة بتسليط الأضواء عليها ، وأن تصور وتكبر أيضاً على صفحات الأدب وفى مجالات الفن ، وأن يجعل من لحظات الارتفاع والسمو عند الإنسان البطولة الجديرة بالإبراز وتوجيه الأنوار .

---

(١) انظر : محمد مندور : فى الأدب والنقد ص ١٣٤ .

(٢) انظر : محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ص ٧٤ .

أما الواقعية الطبيعية ، فهى تأخذ الفرد العادى فى لحظات ضعفه وهبوطه ، وترسمه من هذه الزاوية الضيقة زاعمة أن ذلك هو واقعه المسيطر عليه ، وأن تلك هى حقيقته الأصيلة ، وأن ما فيه من فضيلة وأخلاق ، ليست سوى لحظات قليلة ، أو زائفة خادعة ، ليس لها أثر فى حياته ، ومن هنا اعتبرت لحظات ضعفه هى البطولة وهى الفضيلة التى تستحق التسجيل والإعجاب وتسليط الأضواء ! إنها واقعية تزرى بالإنسان وتهبط به إلى مستوى الحيوان ، وتنكر فيه جوانبه الرفيعة العليا ، كما تسخر من تاريخه الحافل بالبطولة والفضيلة ، وما كان له من أديان ومبادىء ومثل ، وفى أثناء ذلك فإن الرسل والأنبياء الذين كانوا منارات الإنسانية فى طريقها الوضىء ليسوا سوى خرافات مزعومة ، لأن الإنسان ليست له هذه الصور المشرقة النقية من كل سوء !!

إلا إنها واقعية غير أمينة على هذا الإنسان ، واقعية منحرفة عن حقيقته ، لأنها كانت نتاج تصور منحرف ممسوخ !!

**الوسيلة النظيفة :**

كانت القصة النبوية وهى تلم بلحظات الضعف عند الإنسان وتصورها ، تستعمل وسيلة نظيفة تستطيع بها أن تنقل تلك اللحظة وتعبر عنها ، ولكن دون أن ينزل التعبير نفسه ، أو تنزل القصة ذاتها إلى مستوى تلك اللحظة الهابطة ، ومن أجل ذلك تختار القصة طريقة مناسبة فى التعبير والعرض تحقق لها الوسيلة النظيفة السامية التى ينشدها منهج الفن الإسلامى ، ونستطيع أن نتبين مظاهر هذه النظافة فى القصة النبوية فى أكثر من أسلوب :

١ – استعمال القصة للألفاظ والعبارات العفيفة عند عرض موقف الفاحشة ، ولحظات الجنس ، واستعمال الكنايات المناسبة ، وتفضيلها على العبارات الصريحة المكشوفة ، وقد نجحت القصة فى هذا برغم ما فى موضوعات الجنس من حرج شديد ، واستطاعت أن تفى بالغرض الموضوعى

والفنى من خلال وسيلة رفيعة ، كما نجد مثلا فى قصة « الكفل » مثل هذه العبارة : « .. **على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ..** » [١] وكذلك فى قصة « الرجل والمرأة » حيث يقول الرجل وهو يراود المرأة عن نفسها : « **لا والله ما هو دون نفسك** » وقوله وهو يصف حاله معها : « **فلما تكشفتها** » [٢] ونجد هذه العفة فى العبارة فى قول المرأة نفسها وهى تخاطب الرجل حول هذا الموقف الجنسى « **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه** » [٣] وهذا اتجاه اقتفت فيه القصة أثر القرآن الكريم فى عرض مثل هذه المواقف عن طريق العبارات العفيفة ، والألفاظ السامية ، كما نجد فى قصة يوسف – عليه السلام – فقد قال الله تعالى : ( **وراوَدتْهُ التى هوَ فى بيتها عن نفسهِ وَغَلَّقَتِ الأبوابَ وقالتْ هَيْتَ لك** ) [٤] وقال تعالى : ( **ولقد همَّت بِهِ وهمَّ بها** ) [٥] وقال تعالى : ( **قالتْ ما جزاءُ مَن أرادَ بأهلك سوءاً إلَّا أن يُسجن أو عذابٌ أليم ، قال هىَ راوَدتْنى عن نَفْسى** ) [٦] .

ومثل هذه الطريقة نجدها أيضاً فى قصة لوط – عليه السلام – التى تعرضت لموقف اللواط ، وهو موضوع شديد الفحش والنكر ، ولكن الفن الرفيع فى القرآن الكريم استطاع أن يتناول هذا الموضوع من خلال لفظ رفيع كريم يفيض بالعفة والسمو [٧] ، ويبعث على النزوع إلى الفضيلة .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ . والمسند ( شاكر ) ٦ : ٣٣٤ – ٣٣٦ .

(٢) المسند ( صادر ) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) البخارى ٣ : ١٠٤ – ١٠٥ .

(٤) يوسف : ٢٣ .

(٥) يوسف : ٢٤ .

(٦) يوسف : ٢٥ ، ٢٦ .

(٧) انظر : ثروت أباظة فى : السرد القصصى فى القرآن الكريم ص ١٠٨ – ١٠٩ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة . ل . ت .

٢ – والأسلوب الثانى هو طريقة عرض مثل هذه المواقف ، حيث إن القصة لا تتجه إلى وصف المشاعر الجنسية المشبوبة التى ربما سيطرت على الإنسان فى مثل تلك اللحظات ، كما أنها تهمل أيضاً وصف محاسن المرأة ، وتصوير مفاتنها ، وما هى عليه من إغراء ، يثير تلذذ المتابع للقصة بمشاهد الجنس المنحرفة .

٣ – والأسلوب الثالث فى نظافة الوسيلة فى القصة النبوية ، هو ما نلاحظه فى منهج القصة فى تناول مثل هذه الموضوعات من عدم الوقوف الطويل عند مواقف الضعف والهبوط ، إنه يمر بها سريعاً ولا يركز عليها ، أو يسلط عليها الأضواء ، لأنها لا تستحق ذلك ، ولا تستأهله ، وهى ليست سوى عارض من عوارض الحياة لا يلبث الإنسان أن يفيق منه ، ويستعلى عليه .

٤ – الأسلوب الرابع أن هذا المنهج يسرع من لحظة الضعف إلى لحظة الإفاقة والارتفاع والسمو ، ويقف عندها طويلا ، لأنها هى الجديرة فى نظره بالوقوف الطويل أمامها ، والإعجاب بها ، وتركيز الإضاءة عليها ، لأنها اللحظة اللائقة بالإنسان ، المعبرة عن حقيقة هذا الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

وينبغى أن نلاحظ هنا أن لحظة الإفاقة هى اللحظات التى تعقب الصراع الذى يدور فى النفس ، بين جوانبها المختلفة ، النفس الأمارة ، واللوامة ، إلى أن ينتهى هذا الصراع إلى تحقيق النفس المطمئنة ، وهذا الصراع هو الذى يبرر حركة القصة الفنية فى صعودها إلى لحظة اليقين أو الإفاقة عند الشخصية .

والقصة النبوية تركز كثيراً على جوانب القوة و« العفة » والإفاقة من الضعف ، وتلح عليها فى عرضها ، كما نجد فى تصويرها لموقف المرأة المتشدد

إزاء مطالب الرجل مع شديد حاجتها للمال المغرى بين يديه ، كما فى قصة « الكفل » وقصة « الرجل والمرأة » وفى القصة الأخيرة تطيل القصة فى عرض تردد المرأة ، وذهابها وعودتها إلى الرجل أكثر من مرة ، وتسهب فى ذلك إسهاباً ملحوظاً بالنسبة لحجم القصة كلها ، إذ نلاحظ أن عرض هذا التردد وهو جانب قوة بلا شك يأخذ أكثر من ثلثى القصة .

والملاحظ أيضاً أن القصة تختم كثيراً بمواقف الإفاقة والانتصار والتوبة ، حيث تنتهى القصة والأنوار مضاءة هناك ، ويظل معها القارىء والسامع يتملى المشهد الأخير فى خياله ، وتمتلىء نفسه من خلال ذلك بالمشاعر الإيمانية ، والأهداف العليا للحياة الإنسانية فى سبيل واقع أفضل وأجمل .

---

# دليل القصة إلى مصادرها

## دليل القصة إلى مصادرها

أتاح لى البحث أن أجمع مادة وفيرة من القصص النبوية من المصادر التى تعاملت معها أثناء الدراسة ، وهذه المصادر هي الكتب الستة فى الحديث الشريف مضافاً إليها سنن الدارمى ، والموطأ ، ومسند الإمام أحمد .

وقد كان بودى أن أضع « مجموعة هذه النصوص القصصية » فى ملحق فى نهاية البحث ، ولكننى رأيت أن ذلك سيطيل الرسالة وسيزيد فى حجمها بصورة كبيرة جداً ؛ لذلك اكتفيت بوضع هذا الدليل - فى نهاية البحث - مرشداً إلى مواضع القصص فى المصادر ، على أمل كبير فى الله أن أقوم فيما بعد - إن شاء الله - بنشر تلك المجموعة القيمة فى كتاب مستقل .

وقد صنفت القصة فى هذا الدليل على أساس أنواع القصة ، وفق المنطلق الذى تناولت منه هذه القصص فى فصل « أنواع القصة » أثناء الدراسة ، واضعاً عنوان القصة الذى وسمتها به أثناء البحث ، ثم متبعاً ذلك بمصادرها المختلفة ، مع ذكر الجزء والصفحة .

| مسلسل | عنوان القصة | المصدر | الراوى |
|---|---|---|---|
| | | **(١) القصة الواقعة للرسول ﷺ** | |
| | | **أ ــ تجارب ذاتية :** | |
| ١ | شق الصدر | سنن الدارمى ١ – ١٦ : ١٧ | عتبة بن عبدالسلمى |
| ٢ | رجحان الرسول ﷺ | سنن الدارمى ١ : ١٧ | أبو ذو الغفارى. |
| ٣ | جبريل | صحيح مسلم ١ : ١٤٤ | جابر بن عبدالله |
| | | المسند (صادر) ٣ : ٣٢٥ | |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٤٢٨ | |
| ٤ | صوت من السماء | صحيح البخارى ٤ : ١٣٩–١٤٠ | عائشة. |
| | | صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ – ١٤٢١ | |
| ٥ | الله يعضمك | صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٦ – ١٧٨٧ | جابر بن عبدالله |
| ٦ | المعراج | البخارى ٥ : ٦٦ – ٦٩ ، ٤ : ١٣٣ – ١٣٥ | مالك بن صعصعة |
| | | سنن النسائى ١ : ١٧٨ – ١٧٩ | |
| | | البخارى ١ : ٩٧ – ٩٨ | أبو ذو الغفارى |
| | | صحيح مسلم ١ : ١٤٥ – ١٤٧ | أنس بن مالك |
| | | المسند (صادر) ٣ : ١٤٨ – ١٤٩ | |
| | | سنن النسائى ١ : ١٨٠ – ١٨٢. | |
| ٧ | سألت ربى | المسند (صادر) ٢ : ٣٥٩ | أبو هريرة. |
| | | **ب – تجارب غيبية :** | |
| ٨ | عرض على | المسند ١ : ١٦١ | أبوبكر الصديق |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٩ | فيم يختصم الملأ الأعلى | سنن الترمذى ٥ : ٣٦٨ – ٣٦٩ | معاذ بن جبل |
| | | المسند (شاكر) ٥ : ١٦٢ – ١٦٣ | ابن عباس . |
| | | المسند (صادر) ٤ : ٦٦ | بعض أصحابالنبى(ص) |
| | | سنن الدارمى ٢ : ٥١ | عبدالرحمن بن عائش |
| ١٠ | اضرب له مثلا | سنن الترمذى ٥ : ١٤٥ | جابر بن عبدالله |
| ١١ | الكوثر | المسند (صادر) ٣ : ٢٣١ – ٢٣٢ | أنس بن مالك. |
| ١٢ | لمن هذا القصر؟! | سنن الترمذى ٥ : ٦٢٠ | بريدة بن الحصيب(١) |
| ١٣ | مدينة الذهب والفضة | البخارى ٦ : ٨٧ | سمرة بن جندب |
| ١٤ | المسئولية والجزاء | البخارى ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ | سمرة بن جندب |
| | | المسند (صادر) ٥ : ١٤ ، ١٥ | |
| ١٥ | سبعون ألفاً بغير حساب | المسند (شاكر) ٥ : ٣٠٧ – ٣٠٨ | عبدالله بن مسعود |
| | | البخارى ٨ : ١٤٠ | ابن عباس |
| | | المسند (شاكر) ٤ : ١٤٧ – ١٤٩ | |

(٢) القصة التمثيلية :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٦ | فاقد الراحلة | صحيح مسلم ٤ : ٢١٠٤ | أنس بن مالك |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٦٥٩ | فطار |
| | | المسند (شاكر) ٥ : ٢٢٥ – ٢٢٦ | عبدالله بن مسعود |
| | | سنن الدارمى ٢ : ٢١٣ – ٢١٤ | |
| ١٧ | سفينة الحياة | البخارى٣ : ١٨٣ ، ٣ : ٢٣٧ – ٢٣٨ | النعمان بن بشير |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٤٧٠ | |
| ١٨ | المستأجر والأجراء | البخارى ٣ : ١١٨ – ١١٩ | أبو موسى |

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ٤٣٢ ، مصور عن طبعة الهند ، ١٣٢٥ هـ .

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٩ | موضع اللبنة | سنن الترمذى ٥ : ٥٨٦ | أبى بن كعب |
| ٢٠ | قوم سفر | المسند ٤ : ١٢٩ (شاكر) | ابن عباس |
| ٢١ | النذير العريان | البخارى ٨ : ١٢٦ | أبو موسى |
| ٢٢ | إنما هو فضل | المسند (شاكر) ٦ : ٢٣٥ — ٢٣٦ | ابن عمر |
| | | سنن الترمذى ٥ : ١٥٣ | |
| ٢٣ | المنفق والبخيل | البخارى ٢ : ١٤٣ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٢ : ٧٠٨ — ٧٠٩ | |

القصة الغيبية :

( ٣ ) القصة التاريخية

أ ــ رسل وأنبياء :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢٤ | داود وملك الموت | المسند (صادر) ٢ : ٤١٩ | أبو هريرة |
| ٢٥ | إبراهيم واسماعيل | البخارى ٤ : ١٧٣ — ١٧٥ | ابن عباس |
| ٢٦ | سارة والملك | البخارى ٣ : ١٠٥ — ١٠٦ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٠ — ١٨٤١ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٤٠٣ — ٤٠٤ | |
| ٢٧ | الأم والسكين | البخارى ٤ : ١٩٨ | أبو هريرة |
| | | سنن النسائى ٨ : ٢٠٦ — ٢٠٧ | |
| ٢٨ | موسى والخضر | أبى بن كعب ١١٠ — ١١٢ | |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٣٠٩ — ٣١٢ | |
| ٢٩ | المسلمون والغنائم | صحيح مسلم ٣ : ١٣٦٦ — ١٣٦٧ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣١٨ | |
| | | المسند (شاكر) ١٣ : ١٧٣ | |

| الرقم | القصة | المصدر | الراوي |
| --- | --- | --- | --- |
| ٣٠ | لو قال إن شاء الله | صحيح مسلم ٣ : ١٢٧٦ | أبو هريرة |
| | | المسند (شاكر) ١٤ : ١٣٤ | |
| ٣١ | خمس كلمات | سنن الترمذى ٥ : ١٤٨ – ١٤٩ | الحارث الأشعرى |
| | | المسند (صادر) ٤ : ١٣٠ | |
| ٣٢ | آدم وذريته | سنن الترمذى ٥ : ٢٦٧ | أبو هريرة |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٤٥٣ – ٤٥٤ | |
| | | الموطأ ٤ : ٢٤٤ ، ٤٤٥ | عمر بن الخطاب |
| | | المسند (شاكر) ٤ : ٧١ – ٧٢ | ابن عباس |
| ٣٣ | الذين آذوا موسى | سنن الترمذى ٥ : ٣٦١ – ٣٦٢ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٥١٤ – ٥١٥ | |
| ٣٤ | قرية النمل | سنن أبى داود ٢ : ٦٥٦ | أبو هريرة |
| | | سنن النسائى ٧ : ١٨٦ | |
| ٣٥ | مسائل سليمان | سنن النسائى ٢ : ٢٨ | عبدالله بن عمرو |
| ٣٦ | عيسى والسارق | سنن النسائى ٨ : ٢١٨ – ٢١٩ | أبو هريرة |
| ٣٧ | وبك أقاتل | المسند (صادر) ٤ : ٢٣٢ | صهيب |

## ب – غير الرسل والأنبياء من الماضيين

| الرقم | القصة | المصدر | الراوي |
| --- | --- | --- | --- |
| ٣٨ | جريج | المسند (شاكر) ١٥ : ٢٠٩ | أبو هريرة |
| | | البخارى ٤ : ٢٠١ – ٢٠٢ | |
| | | صحيح مسلم ٤ : ١٩٧٧ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٩٥ | |
| ٣٩ | الأم والرضيع | المسند ( شاكر ) ١٥ : ٢٠٩ | أبو هريرة |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | البخارى ٤ : ٢٠١ – ٢٠٢ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٩٥ | |
| ٤٠ | يطلب أن يحرق | البخارى ٩ : ١٧٨ – ١٧٩ | أبو سعيد |
| | | المسند (صادر) ٣ : ١٣ | |
| | | سنن النسائى ٤ : ٩١ | أبو هريرة |
| | | سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٢١ | |
| | | الموطأ ٢ : ٨٥ – ٨٦ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٠٤ | |
| | | سنن الدارمى ٢ : ٢٣٧ | بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (١) |
| ٤١ | يذنب ويستغفر | البخارى ٩ : ١٧٨ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٤٠٥ | |
| ٤٢ | الكلب اللاهث | البخارى ٨ : ١١ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٤ : ١٧٦١ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٥١٧ | |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٣٢ – ٣٣ | |
| | | الموطأ ٤ : ٣٠٤ – ٣٠٥ | |
| ٤٣ | مومسة وكلب | المسند (صادر) ٢ : ٥١٠ | أبو هريرة |
| ٤٤ | المنشار | البخارى ٤ : ٢٤٤ | خباب بن الأرت |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٤٤ | |
| ٤٥ | الثلاثة المبتلون | البخارى ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٥ – ٢٢٧٧ | |

(١) هو معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب القشيرى ، تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٠٥ – ٢٠٦ .

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤٦ | الغار والصخرة | المسند (صادر) ٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ | النعمان بن بشير |
| | | البخارى ٣ : ١٠٤ – ١٠٥ | ابن عمر |
| | | البخارى ٣ : ١١٩ | |
| | | المسند (شاكر) ٨ : ١٧٨ – ١٨٠ | |
| | | المسند (صادر) ٣ : ١٤٢ – ١٤٣ | أنس بن مالك |
| ٤٧ | صاحب العمل والأجير | المسند (صادر) ٤ : ٢٧٤–٢٧٥ | النعمان بن بشير |
| ٤٨ | الرجل والمرأة | » » » » | » » |
| ٤٩ | الولد البار | » » » » | » » |
| ٥٠ | جرة الذهب | البخارى ٤ : ٢١٢ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٥ | |
| | | سنن ابن ماجه ٢ : ٨٣٩ | |
| | | المسند( صادر ) ٢: ٣١٦ | |
| ٥١ | قاتل المائة | صحيح مسلم ٤ : ٢١١٨ | أبو سعيد الخدرى |
| | | البخارى ٤ : ٢١١ – ٢١٢ | |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ٨٧٥ | |
| | | المسند (صادر) ٣ : ٢٠ | |
| ٥٢ | جزع فانتحر | البخارى ٤ : ٢٠٨ | جندب بن عبدالله |
| ٥٣ | ينظر المعسر | البخارى ٤ : ٢٠٥ | حذيفة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٦١ | أبو هريرة |
| | | سنن الترمذى ٣ : ٥٩٠ – ٥٩١ | أبو مسعود |
| ٥٤ | المستلف | البخارى ٣ : ١٢٤ – ١٢٥ | أبو هريرة |
| ٥٥ | الأخدود | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ – ٢٣٠١ | صهيب |
| | | المسند (صادر) ٦ : ١٦ – ١٩ | |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٤٣٧ – ٤٣٩ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٥٦ | صوت فى سحابة | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٨٨ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٢٩٦ | |
| ٥٧ | المتصدق | صحيح مسلم ٢ : ٧٠٩ | أبو هريرة |
| | | سنن النسائى ٥ : ٤٢ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٢٢ | |
| ٥٨ | الكفل | سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ – ٦٥٨ | عبدالله بن عمر |
| | | المسند (شاكر) ٦ : ٣٣٤ – ٣٣٦ | |
| ٥٩ | الذين كفروا من بنى إسرائيل | سنن الترمذى ٥ : ٢٥٢ – ٢٥٣ | عبدالله بن مسعود ، أبو عبيدة |
| | | المسند (شاكر) ٥ : ٢٦٨ | عبدالله بن مسعود |
| ٦٠ | المذنب والعابد | سنن أبى داود ٢ : ٥٧٣ – ٥٧٤ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٢٣ | » » |
| ٦١ | الماشطة | سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٣٧ – ١٣٣٨ | أبى بن كعب |
| | | المسند (شاكر) ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٦ | ابن عباس |
| ٦٢ | إنى أحبه فى الله | المسند (صادر) ٢ : ٥٠٨ | أبو هريرة |
| ٦٣ | كرسف والمرأة | المسند (صادر) ٥ : ١٦٣–١٦٤ | أبو ذر |
| ٦٤ | بائع الخمر والقرد | المسند (صادر) ٢ : ٤٠٦ | أبو هريرة |
| ٦٥ | المتكبر | صحيح مسلم ٣ : ١٦٥٣ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣١٥ | |
| | | سنن النسائى ٨ : ١٨٢ | عبدالله بن عمر |
| ٦٦ | أماط الشوك | سنن الترمذى ٤ : ٣٤١ | أبو هريرة |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٦٥٢ | |
| | | الموطأ ١ : ٢٦٩ – ٢٧٠ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦٧ | بل أصدقك | المسند (صادر) ٥ : ٦٧ | رجل من الطفاوة |

## ( ٤ ) قصص المستقبل :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦٨ | المؤمن والدجال | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٦ | أبو سعيد الخدرى |
| | | البخارى ٣ : ٢٨ | |
| | | المسند (صادر) ٣ : ٣٦ | |
| ٦٩ | الدجال والمسيح عليه السلام | المسند (صادر) ٤ : ٢١٦-٢١٧ | عثمان بن أبى العاص |
| ٧٠ | الدجال والنساء | المسند (شاكر) ٦ : ١٩٠ | ابن عمر |
| ٧١ | نزول عيسى عليه السلام | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٢١ | أبو هريرة |
| ٧٢ | ملحمة الروم | سنن أبى داود ٢ : ٤٢٤-٤٢٥ | ذو مخبر رجل من أصحاب النبى ﷺ |
| ٧٣ | دابة الأرض | سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥١-١٣٥٢ | أبو هريرة |
| ٧٤ | يأجوج ومأجوج | سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٣-١٣٦٦ | أبو سعيد الخدرى |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٥١٠ - ٥١١ | أبو هريرة |
| ٧٥ | خروج الدجال | سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥٩-١٣٦٣ | أبو أمامة الباهلى |
| ٧٦ | المسيح الدجال | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٠-٢٢٥٥ | النواس بن سمعان الكلابى |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٥١٠ - ٥١٣ | |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥٦-١٣٥٩ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٧ | جيش الخسف | سنن أبي داود ٢ : ٤٢٢ – ٤٢٣ | أم سلمة زوج النبي(ص) |
| | | سنن الترمذي ٤ : ٤٧٨ | صفية |
| | | سنن النسائي ٥ : ١٦٢ – ١٦٣ | حفصة بنت عمر ابن الخطاب |
| ٧٨ | أمر الساعة | المسند (شاكر) ٥ : ١٨٩ – ١٩٠ | ابن مسعود |

**( ٥ ) قصص البعث واليوم الآخر :**

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٩ | قصاص المؤمنين | البخاري ٣ : ١٦٧ ، ١٦٨ | أبو سعيد الخدري |
| | | المسند (صادر) ٣ : ١٣ | |
| ٨٠ | يزرع في الجنة | البخاري ٩ : ١٨٥ | أبو هريرة |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٥١١ – ٥١٢ | |
| ٨١ | الموت يوم القيامة | البخاري ٦ : ١١٧ – ١١٨ | أبو سعيد الخدري |
| | | صحيح مسلم ٤ : ٢١٨٨ | |
| | | سنن الترمذي ٥ : ٣١٥ – ٣١٦ | |
| | | المسند (صادر) ٣ : ٩ | |
| | | سنن النسائي ٤ : ٩٦ | أبو هريرة |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٤٧ | |
| | | سنن الدرامي ٢ : ٢٣٦ – ٢٣٧ | |
| | | المسند (شاكر) ٨ : ١٩٠ – ١٩١ | ابن عمر |
| ٨٢ | الأولاد الشفعاء | المسند (صادر) ٢ : ٥١٠ | أبو هريرة |
| ٨٣ | أمتي يارب ! | البخاري ٦ : ١٠٥ ، ١٠٧ | أبو هريرة |
| | | ٤ : ١٦٣ – ١٦٤ | |
| | | سنن الترمذي ٤ : ٦٢٢ – ٦٢٤ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٤٣٥ – ٤٣٦ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٤ | قل تسمع ! | المسند (صادر) ٣ : ٢٤٤ – ٢٤٥ | أنس بن مالك |
| | | البخارى ٦ : ٢١ – ٢٢ | |
| | | البخارى ٩ : ١٤٩ | |
| ٨٥ | أول من يقضى عليه | صحيح مسلم ٣ : ١٥١٣–١٥١٤ | أبو هريرة |
| | | سنن النسائى ٦ : ٢٠ – ٢١ | |
| | | المسند (صادر) ٢ : ٣٢٢ | |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٥٩١ – ٥٩٣ | |
| ٨٦ | أنا لها | المسند (شاكر) ٤ : ١٨٧ | ابن عباس |
| ٨٧ | شفاعة المؤمنين | المسند (صادر) ٣ : ١٦ – ١٧ | أبو سعيد الخدرى |
| | | » » ٣ : ١١ – ١٢ | |
| | | سنن ابن ماجة ١ : ٢٣ | |
| ٨٨ | عتقاء الجبار | سنن الدارمى ١ : ٣١ – ٣٢ | أنس بن مالك |
| | | المسند (صادر) ٣ : ١٤٤ | |
| ٨ | سيد ولد آدم | سنن الترمذى ٥ : ٣٠٨ – ٣٠٩ | أبو سعيد الخدرى |
| ٩٠ | شفاعة الرسول (ص) للمؤمنين | سنن الدارمى ٢ : ٢٣٤ – ٢٣٥ | عقبة بن عامر الجهنى |
| ٩١ | شفاعة الرسل | المسند (صادر) ٣ : ٣٢٥ – ٣٢٦ | جابر بن عبدالله |
| ٩٢ | هل نرى ربنا ؟ | البخارى ٩:١٥٨–١٦٠:٦:٥٦–٥٧ | أبو سعيد الخدرى |
| ٩٣ | الصراط | البخارى ١ : ٢٠٤ - ٢٠٥ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ١ : ١٦٣ – ١٦٦ | |
| | | المسند (شاكر) ١٤ : ١٣٥ – ١٤٤ | |
| | | » » ١٥ : ٥١ – ٥٦ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٩٤ | الموعد | سنن الترمذى ٥ : ٢٨٦ | صهيب |
| | | المسند (صادر) ٤ : ٣٣٢. | |
| | | سنن ابن ماجة ١ : ٦٧ | |
| ٩٥ | سوق الجنة | سنن الترمذى ٤ : ٦٨٥ – ٦٨٦ | أبو هريرة |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٥٠ – ١٤٥٢ | |
| | | سنن الدارمى ٢ : ٢٤٤ | أنس بن مالك |
| ٩٦ | يوم يكشف عن ساق | سنن الدارمى : ٢ – ٢٣٤ | أبو هريرة |
| ٩٧ | إبراهيم وآزر | البخارى ٤ : ١٦٩ | أبو هريرة |
| ٩٨ | يدور فى النار | البخارى ٤ : ١٤٧ | أسامة بن زيد |
| | | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٠ – ٢٢٩١ | |
| ٩٩ | النفخ فى الصور | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٥٨ – ٢٢٥٩ | عبد الله بن عمرو |
| | | المسند ( شاكر ) ١٠ : ٦١ | |
| ١٠٠ | آخر رجل يدخل الجنة | صحيح مسلم ١٧٤ – ١٧٥ | عبد الله بن مسعود |
| | | المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٦٩ – ٢٧٠ | |
| | | المسند ( صادر ) ٣ – ٢٧ | أبو سعيد الخدرى |
| | | المسند ( صادر ) ٣ : ٧٤ – ٧٥ | أبو سعيد وأبو هريرة |
| | | المسند ( صادر ) ٣ : ٢٥ – ٢٦ | أبو سعيد الخدرى |
| ١٠١ | أدنى أهل الجنة | البخارى ٨ : ١٤٦ | عبد الله بن مسعود |
| | | صحيح مسلم ١ : ١٧٣ | |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٧١٢ – ٧١٣ | |
| | | المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٠٩ | |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٥٢ – ١٤٥٣ | |
| | | المسند ( شاكر ) ٦ : ١٨٢ – ١٨٣ | |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٣٤٧ | المغيرة بن شعبة |
| ١٠٢ | المساءلة | صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧٩ | أبو هريرة |
| ١٠٣ | الرضوان | صحيح مسلم ٤ : ٢١٧٦ | أبو سعيد الخدرى |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٦٨٩ – ٦٩٠ | |
| ١٠٤ | البطاقة | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ | عبد الله بن عمرو |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٢٤ – ٢٥ | |
| | | المسند ( شاكر ) ١١ : ١٧٥ – ١٧٧ | |
| ١٠٥ | هل من مزيد ؟ | سنن الترمذى ٤ : ٦٩١ – ٦٩٢ | أبو هريرة |
| | | سنن الدارمى ٢ : ٢٤٦ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٠٦ | سلام عليكم ! | المسند ( شاكر ) ١٠ : ٧٦ – ٧٧ | عبد الله بن عمرو بن العاص |
| ١٠٧ | يوم تدعى كل أمة | المسند ( صادر ) ٣ : ٣٨٣ ٣٨٤ | جابر بن عبد الله |
| ١٠٨ | افتخار الجنة والنار | المسند ( صادر ) ٣ : ١٣ | أبو سعيد الخدرى |
| | | المسند ( شاكر ) ١٤ : ١٤٥ | أبو هريرة |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٦٩٤ | |
| ١٠٩ | يغاثون بطعام | سنن الترمذى٤ : ٧٠٧ | أبو الدرداء |
| ١١٠ | الأمة الشاهدة | المسند ( صادر ) ٣ : ٥٨ | أبو سعيد الخدرى |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٢٠٧ | أبو سعيد |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٢ | |
| ١١١ | أول من يكسى | سنن الترمذى ٥ : ٣٢١ – ٣٢٢ | ابن عباس |
| ١١٢ | القاتل يوم القيامة | سنن النسائى ٧ : ٧٨ | عبد الله بن مسعود |
| ١١٣ | اقرأ واصعد ! | سنن الدارمى ٢ : ٣٢٤ | بريدة بن الحصيب |
| ١١٤ | مؤمنان على باب الجنة | المسند ( شاكر ) ٤ : ٢٧٢ – ٢٧٣ | ابن عباس |
| ١١٥ | فيم قتلني؟! | المسند ( شاكر ) ٤ : ١٤ – ١٥ | ابن عباس |
| ١١٦ | يا حنان يا منان !! | المسند ( صادر ) ٣ : ٥٣٠ | أنس بن مالك |
| ١١٧ | على أنهار الجنة | سنن الدارمى ٢ : ٢٣٨ | أبو سعيد الخدرى |
| ١١٨ | المغموسون | صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٢ | أنس بن مالك |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٤٥ | |
| | | المسند ( صادر ) ٣ : ٢٥٣ – ٢٥٤ | |
| ١١٩ | مانع الزكاة | المسند ( شاكر ) ١٣ : ٢٨٦ – ٢٩٠ | أبو هريرة |
| | | سنن أبي داود ١ : ٣٨٥ – ٣٨٦ | |
| | | سنن النسائى ٥ : ٩ – ١٠ | |
| | | سنن ابن ماجة ١ : ٥٦٩ | |
| | | سنن الدارمى ١ : ٣١٩ | جابر بن عبد الله |
| ١٢٠ | يدعون بإمامهم | سنن الترمذى ٥ : ٣٠٢ – ٣٠٣ | أبو هريرة |
| ١٢١ | مناداة الله لآدم | البخارى٦ : ١٢٢ | أبو سعيد الخدرى |
| | | المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٥٠ | عبد الله بن مسعود |
| ١٢٢ | الأرض وكنوزها | سنن الترمذى ٤ : ٤٩٣ | أبو هريرة |
| ١٢٣ | أخرجوها ! | سنن الترمذى ٤ : ٧١٤ | أبو هريرة |

## (٦) قصص عن أمور غيبية أخرى :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٢٤ | قدر الإنسان | البخارى ٨ : ١٥٢ | عبد الله بن مسعود |
| | | صحيح مسلم ٤ : ٢٠٣٦ | |
| | | سنن الترمذى ٤ : ٤٤٦ | |
| | | سنن ابن ماجة ١ : ٢٩ | |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٥٣٠ | |
| | | المسند ( شاكر ) ٥ : ٢٢٣ | |
| ١٢٥ | الطوافون | البخارى ٨ : ١٠٧ - ١٠٨ | أبو هريرة |
| | | صحيح مسلم ٤ : ٢٠٦٩ - ٢٠٧٠ | |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٥٧٩ - ٥٨٠ | أبو سعيد أو أبو هريرة |
| | | المسند ( شاكر ) ١٣ : ١٥٦ - ١٥٩ | أبو سعيد أو أبو هريرة |
| ١٢٦ | الأسئلة الثلاثة | المسند ( صادر ) ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٦ | البراء بن عازب |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٥٤٠ - ٥٤١ | |
| | | البخارى ٢ : ١١٣ | أنس بن مالك |
| | | سنن النسائى ٤ : ٧٩ - ٨٠ | |
| | | المسند ( صادر ) ٣ : ٢٣٣ - ٢٣٤ | |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٥٣٩ - ٥٤٠ | |
| | | سنن الترمذى ٣ : ٣٧٤ | أبو هريرة |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٢٦ | |
| | | المسند ( صادر ) ٢ : ٣٦٤ - ٣٦٥ | |
| ١٢٧ | الشهب | صحيح مسلم ٤ : ١٧٥٠ - ١٧٥١ | رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار |
| | | المسند ( صادر ) ٣ : ٢٦٨ - ٢٦٩ | ابن عباس |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٣٦٢ | |
| ١٢٨ | القبر | سنن الترمذى ٤ : ٦٣٩ - ٦٤٠ | أبو سعيد |
| ١٢٩ | أشد من الريح ! | المسند ( صادر ) ٣ : ١٢٤ | أنس بن مالك |
| | | سنن الترمذى ٥ : ٤٥٤ - ٤٥٥ | |
| ١٣٠ | أحياء يرزقون | سنن أبى داود ٢ : ١٤ | ابن عباس |
| ١٣١ | الوحى | سنن أبى داود ٢ : ٥٣٦ - ٥٣٧ | عبد الله |
| ١٣٢ | المتعاقبون | سنن النسائى ١ : ١٩٤ | أبو هريرة |
| ١٣٣ | الاحتضار | سنن النسائى ٤ : ٧ - ٨ | أبو هريرة |
| | | سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٢٣ - ١٤٢٤ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٣٤ | الذين قتلوا فى سبيل الله | سنن ابن ماجة ١ : ٦٨ | جابر بن عبد الله |
| ١٣٥ | الكلمة العظيمة | سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٤٩ | عبد الله بن عمر |
| ١٣٦ | إن الله قد أحب فلاناً | الموطأ ٤ : ٣٤٨ | أبو هريرة |
| ١٣٧ | المكاره والشهوات | سنن الترمذى ٤ : ٦٩٣ – ٦٩٤ | أبو هريرة |
| | | سنن أبى داود ٢ : ٥٣٧ – ٥٣٨ | |
| | | سنن النسائى ٧ : ٣ – ٤ | |
| | | المسند ( صادر ) ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٣ | |
| ١٣٨ | المؤمن والكافر | المسند ( صادر ) ٣ : ٨١ | أبو سعيد الخدرى |
| ١٣٩ | محاورة آدم وموسى | سنن أبى داود ٢ : ٥٢٨ – عمر بن الخطاب | |
| | | البخارى ٦ : ١٢٠ | أبو هريرة |
| | | المسند ١٤ : ٢٣ | |

# الخاتمة

# الخاتمة

يجدر بى فى هذه الخاتمة قبل أن ألخص فيها ما توصل إليه البحث من نتائج علمية ، أن ألقى ضوءاً سريعاً على أهمية نصوص القصة النبوية من الناحية الأدبية والحضارية وتبد قيمتها الأدبية فى ناحيتين :

١ - أنها تمثل لوناً من ألوان النثر الفنى الممتع الجميل ، الذى جاء معبراً عن فكرته في ألفاظ سهلة ميسرة ، وأنه لون جد بعد الإسلام ، وجاء متحرراً من منهج النثر الجاهلى الذى كان يخضع لسيطرة سجع الكهان ، بما كان عليه من غموض وإبهام ، وهى بذا تضيف رصيداً جديداً إلى عطاء العهد الإسلامى فى المجال الأدبى ، ثم إنها تتقدم خطوة أوسع من حيث أهميتها الفنية ، حين جاءت في لون قصصى حافل بالعناصر القصصية العامة لهذا الفن ، يمثل فترة زمانية متقدمة جداً مما يدل على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى .

٢ - والناحية الثانية أنها محتوى رائع لتجارب قصصية متنوعة في مختلف المجالات ، وهى بهذا ذخيرة حية تعطى فرصة كبيرة جداً للأدباء والفنانين[1] لأن يستفيدوا منها ، وتفتح لهم آفاقاً واسعة ، بعيدة المدى فى أعماق التاريخ والحضارة والوجود الإنسانى والكونى فى الماضى والمستقبل ، وتتيح لهم بكل ذلك أن يضيفوا إلى تجاربهم ، تجارب أخرى يمكن أن يعبروا عنها بشتى طرائقهم الفنية التى وصل إليها الفن البشرى - فى مجال الأعمال الأدبية والقصصية بشكل خاص - الذى أتيح له في الوقت الحاضر وسائل كثيرة يستطيع بها إثراء التجربة القصصية وتعميقها .

---

(١) انظر : محمد مندور ؛ الأدب ومذاهبه ، فقد تناول تجربة الأديب وكيف أنها ليست فقط هى التجربة الشخصية ، بل هناك تجارب أخرى يمكن أن يصدر عنها الأديب فى تعبيره ص ١١ ، ١٢ .

كما تبدو قيمتها الحضارية فى أنها تعبر عن صورة الحضارة التى يجب أن ينشدها الإنسان ، وهى أن يمارس حياته وفقاً للنظام الذى أودعه الله فى هذا الكون من التوازن والانسجام والاعتدال ، وذلك بأن يعيش الإنسان حياته بجوانبها المادية والمعنوية ( الروحية ) ، ومجموعة القصص النبوى تفيض بالعطاء الخير للإنسانية فى مجالها الحضارى ، لتحيا في توازن وسمو ، وفى سعادة واستقرار ، وفى انطلاق نحو البناء فى ظل الحق والخير الجمال . وكم هى الإنسانية فى حاجة إلى مثل هذه القصص التى هى نور من نور الله ، تواجه بها قوى الشر التى تحاول أن تبعد الإنسانية عن فطرتها وإيمانها بما تقدمه تلك القوى من ألوان الأدب النابع من تصورات منحرفة مشوهة ؛ فنحن نجد نمطاً من الأدب يتغنى بالوجود الإحادى المادى ، ويعبر عن الإنسان من خلال الصراع والكراهية والحقد ، وهناك الأدب الجنسى الهابط الذى يخاطب فى الإنسان غريزته البهيمية ، ويبعده عن الآدمية الكريمة التى تؤهله لتحقيق وجود فاضل فى خلافة كريمة ، وهناك الأدب الوجودى الذى يعكس الفلسفة الوجودية المنكرة لوجود ماهية سابقة ، وأنه لا قيم ولا أخلاق ، وأن الفرد يجب أن يمارس وجوده في حرية من كل قيد ، وأن يتحلل من قيود الدين والأسرة[١] ، وهى آداب تدفع بالإنسانية فى غمرة الضياع والحيرة والقلق والشقاء ، ومن هنا تبدو حاجتها أكثر إلى مثل هذا الأدب الإسلامى البناء الهادف الذى يحمل قيم الإنسانية الأصيلة ، ويعبر عنه آفاقها الوضيئة .

**نتائج البحث الكلية :**

**(١)**

أكد تمهيد البحث على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم بمجموع الأدلة الأصيلة المقنعة وهى : الدليل القرآنى ، والدليل اللغوى ،

---

(١) انظر : العقاد ؛ « أفيون الشعوب المذاهب الهدامة » ص ٤٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، وانظر أيضاً مندور فى الأدب ومذاهبه ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

والدليل الواقعي المتمثل فى التراث العربى الحافل بأشكال قصصية مختلفة ، وهى أدلة تكشف عن معرفة العرب لهذا اللون الأدبى وممارستهم له .

(٢)

ثم أعطى التمهيد صورة واضحة عن أثر الإسلام فى الحياة الأدبية وأنه كان عاملا قوياً فى إنهاض الحياة الأدبية ، حين وجه فى المسلمين طاقة التعبير الأدبى عن انفعالات الضمير الحى بالتجارب الشعورية والقيم الحية التى يؤمن بها ويتفاعل معها ، ودفع بتلك الطاقة إلى الأمام ؛ لتؤدى وظيفتها فى هذه الحياة منطلقة من التصور الإسلامى وغاياته .

(٣)

ثم أكد التمهيد على النهضة النثرية التى شهدتها الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، وأن القرآن الكريم كان الضوء الأخضر الذى فتح الطريق أمام النثر ليتقدم ويزدهر ، ثم ما كان من حاجة الحركة الإسلامية إلى النثر ؛ لما له من قدرة على القيام بمهمة نشر الدعوة وإعلان مبادئها وتقويض مبادىء الجاهلية وبيان زيفها ، ومجادلة معتنقيها ودحض حججهم ، فازدهرت الخطابة وإلى جانبها كانت الأمثال والوصايا والحكم التى ظلت امتداداً للفنون الجاهلية ، ثم جد فى هذا العهد فن الكتابة والرسائل ، وفن نثرى آخر يتسم بالعظات الأخلاقية ونحوها ، كما برز اللون القصصى وازدهر .

(٤)

وقدم التمهيد نتيجة أخرى وهى أن جمهرة دارسى الأدب العربى ومؤرخيه ظلوا متجافين عن اللون القصصى وإضافته إلى ألوان النثر فى تلك الفترة ، مع أن ذلك اللون كان من الكثرة والتنوع على جانب كبير يبرر أن يكون محل اهتمام الدارسين وعنايتهم ، ويبدو لى أن السبب فى تجافيهم عن ذلك

هو الاكتفاء أحياناً بدارسة الظاهرة العامة ، وحتى هذه الظواهر اكتفى بعضهم فيها بتناقل الأحكام التاريخية والنقدية عنها ، وفى اليقين أنه لو رجع إلى نصوص الفترة نفسها ، وبنيت عليها الآراء والدراسات لتوصل الدارسون إلى نتائج ذات شأن عظيم ؛ لأنه بالرجوع إلى تلك النصوص وجدنا أن الفترة كانت حافلة بالنصوص القصصية التى برزت بعد الإسلام وتنوعت وازدهرت فى مظاهر عدة :

١ – فى القصة القرآنية .
٢ – القصة النبوية .
٣ – قصص الصحابة .
٤ – القصص الوعظى .

وهذه كلها مظاهر تعبر عن خصوبة قصصية تنطوى عليها تلك الفترة المتقدمة فى تاريخ الأدب العربى .

(٥)

أثبت الفصل الأول تحقق البنية القصصية العامة فى القصة النبوية ، حين بين أنها تقوم على هيكل عام تبدو فيه البداية والوسط والنهاية ، وأوضح طبيعة البدايات فى القصة ، وأنها تأتى على نوعين : بداية مباشرة للقصة ، وبداية مسبوقة بتمهيد ، ثم أوضح الصور المتعددة التى يأتى عليها التمهيد للقصة .

وفى وسط القصة انتهى البحث إلى أنها منطقة الثقل والذروة فى هيكل القصة ؛ لما تحفل به من عناصر التشابك والتعقيد ، وأنها تأتى مرحلة نامية أصلا من نقطة البداية ، ثم بين البحث أن النهاية فى القصة النبوية تتمتع بالقوة والحيوية وذلك لأنها تأتى مفسرة للأحداث ومنورة لها ، أو حاملة لعنصر المفاجأة ، أو معبرة عن المشهد فى صورة حية مشخصة ، أو لأنها تأتى أحياناً حاملة فى طياتها الحل لمشكلة القصة الرئيسة .

ثم بين البحث ما تحرص عليه القصة من تقديم نهايات متفائلة ، وما تسجله أحياناً من انتصار الحق وانهزام الباطل ، كما سجل البحث ما لوحظ فى نموذج واحد من بتر الحدث فى القصة ، وتوقف القصة ، وأبقت النهاية مجهولة ، مكتفية بالتعليق على النهاية المتوقعة ، وما لوحظ فى نموذجين من البناء الدائرى للقصة .

(٦)

وأثبت الفصل الثانى ما تقوم عليه القصة النبوية من نسيج محكم البناء أسهمت أجزاؤه ومقوماته بتلاحمها ، وتداخلها ، وتفاعلها فى داخل النص بشكل بارز فى خلق التيار القصصى وضمان استمراره .

وبين البحث أن مقومات النسيج تبدو فى الأسلوب ، والحبكة ، والمشكلة ، والمناجاة .

وأما الأسلوب فقد استطاعت القصة أن تستخدم ما يملكه من وسائل مختلفة فى صياغة الأحداث بشكل يحقق الهدف الفني ؛ تلك الوسائل التى بدت فى القصة النبوية فى الألفاظ والعبارات ، والصور البيانية ، والأوصاف وغير ذلك من عناصر الصياغة ، وقد برز فى أسلوب القصة البساطة والوضوح وهى البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة التى جعلته أكثر جاذبية وتأثيراً نظراً لما يتمتع به من تنويع فى الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض القضايا والعلاقات الموضوعية التى تتناولها القصة .

وفى الإلفاظ والعبارات وجدنا القصة تستخدم بشكل جيد طاقة الألفاظ بمختلف أنواعها سواء أكانت فعلا أو اسماً أو حرفاً وتوظفها لتحقيق المعنى المطلوب .

وقد كان من سمات الأسلوب أيضاً ما نجده من ظاهرة التصوير التى تجعل العمل القصصى أداة فعالة فى التأثير على المستمع أو القارىء ، كما تنشىء علاقة إيجابية بين العمل الأدبى والمتلقى نتيجة للحركة الحية النابعة من عملية

التصوير ، وقد برز التصوير فى القصة فى ثلاثة أنواع :

١ - تصوير المشاهد والمواقف .

٢ - تصوير العواطف والانفعالات .

٣ - تصوير الشخصيات .

وكانت مقومات الصورة تقوم على :

١ - الوصف ٢ - التشبيه ٣ - التعبير الدال على الحركة

ولما كانت القصة النبوية نوعاً من الأدب الشفاهى الذى يلقى على الأسماع ، فقد لمسنا فى الأسلوب مظاهر خطابية بدت في :

١ - استعمال ضمير المتكلم .

٢ - الأسئلة والأجوبة فى المقدمة .

٣ - الأسئلة والأجوبة أثناء القصة .

٤ - توجيه السؤال بطريق الخطاب .

٥ - مخاطبة المستمعين بغير سؤال ، ومن هنا فقد أكسبت المشافهة القصة حيوية فى السرد والعرض القصصى ، وخلقت نوعاً من الارتباط القوى بين الراوى والسامعين .

ثم بين البحث أن القصة النبوية كانت تسير وفق طريقة معينة فى الكيفية التى تبنى فيها الحوادث ، وتركب المواقف ؛ من حيث اختيار نوعية الحدث أو الأحداث التى تصلح لبناء القصة ، وإتقان نسجها من الداخل واختيار المكان الذى يوضع فيه الحدث بالضبط ، وبكيفية معينة ، هل يقدم أو يؤخر فى سياق القصة ؟ وكيف يتطور هذا الحدث ؟ وما هى مبررات وجوده واستمراره أو توقفه ؟ وما نوع الصورة التى يبرز فيها ؟ والمجرى الذى ينمو فيه من حيث البطء أو السرعة ؟ وما يقف وراء الحدث من دوافع ومؤثرات تجعله يسير وفق نظام خاص وطريقة مرسومة فى التتابع والتراكم من أجل تحقيق الهدف المنشود فى عرض الفكرة أو الموضوع وفق طريقة قصصية تشوق

المتلقى وتؤثر عليه ، وهذه العملية الملاحظة فى نصوص القصة النبوية بكل جوانبها وأبعادها هى ما يعرف فى مجال نقد القصة بالحبكة القصصية التى لابد منها فى إقامة الكيان القصصى المتقن الذى يعطيه اعتباره الفنى ، وقد بدت زوايا الحبكة فى : ١ - التوقيت ، ٢ - مبررات الحوادث ، ٣ - وضع الشخصية فى مواقف جديدة ، ٤ - إثارة الانفعالات ، ٥ - الغموض والمفاجأة ، ٦ - التدرج والانفراج ، ٧ - أهمية القدر ، ٨ - التشويق .

وأما المشكلة فقد أثبت البحث أن جميع النصوص التى تعرض لها بالدراسة ، طالت أو قصرت لا تخلو بشكل ما من مظهر للمشكلة ، وهى تبدو فى نوعين : ١ - نوع نادر لا يؤثر فى سياق الأحداث ، ٢ - ونوع غالب كثير له أثر بارز فى تعقيد الأحداث وتأزيم المواقف بحيث تصبح المشكلة محوراً يوجه حركة القصة ، والغالب أن المشكلة تبرز فى مرحلة الوسط فى القصة ، ومن هنا كانت هذه المرحلة مليئة بعناصر التعقيد والتشابك وقد سجل البحث ما لوحظ من حيوية مشكلات القصة ؛ لما تحويه من مواقف درامية بدت فى : ١ - مواجهة الخطر ، ٢ - الخوف ، ٣ - التضحية ، ٤ - الانتقام ، ٥ - الجريمة وهى مواقف تؤدى إلى نوع من الصراع الذاتى فى الشخصية .

وأما المناجاة فى نسيج القصة فهى تأتى على النحو الذى تأتى عليه فى القرآن الكريم ؛ حيث تأتى على شكل مناجاة من بطل القصة أو بعض أبطالها لله تبارك وتعالى فى صورة ابتهال أو دعاء .

## (٧)

أوضح البحث ما تقدمه القصة النبوية من صورة عن الله جل جلاله ، وعن طبيعة علاقة الله تبارك وتعالى بالكون ، والبشر ، وبالحيوانات غير البشرية من خلال الأفعال والأقوال الصادرة عن الله فى سياق القصة ، والتى تشكل عنصراً بنائياً من عناصر القصة ، كما كشف البحث عن أثر الراوى فيها .

ثم بين احتواء النص النبوى على العناصر القصصية من شخصية وحدث وحوار بصورة ظاهرة ، وأنها تستخدم بشكل يحقق للقصة البناء الفنى المعتبر ، كما بين البحث أننا لا نعدم الشعور بعنصرى الزمان والمكان فى القصة ، مع ملاحظة أنهما لم يكونا محل اهتمام القصة المباشر دائماً ، وأننا لا نشعر بهما إلا فى نطاق محدود من خلال إشارات فى العرض القصصى .

وأما الشخصية فقد بين البحث أنواعها فى اتجاهين :

١ - من حيث طبيعة ذاتها : ( ا ) شخصيات بشرية : ١ - أنبياء ، ٢ - رجال ونساء عاديون ، ٣ - جماعات وجماهير . (ب) شخصيات غير بشرية : ١ - ملائكة ، ٢ - حيوانات وطيور وجمادات ، ٣ - جن ، ٤ - الشيطان ، ٥ - شخصيات معنوية ( العمل - الموت ) .

٢ - ثم من حيث طبيعة تكوينها كشخصيات مسطحة ، وشخصيات نامية ، ثم بين البحث الوظيفة الفنية للشخصية من خلال أدوارها الرئيسة والثانوية ، والوظيفة الموضوعية كوعاء للمعانى من ناحية ، وما تمثله من نماذج بشرية من ناحية أخرى ، ثم بين البحث أبعاد الشخصية فى جوانبها المختلفة من اجتماعية ونفسية وشكلية .

وأما الحدث فقد كان العنصر المهم الغالب فى القصة النبوية ، وهو محط الاعتبار ، ومنبع التطلع والإثارة ، وقد استخدمته القصة وسيلة جيدة من وسائل التأثير على القارىء أو السامع ، وقد كان الحدث عدة أنواع فى القصة النبوية : ١ - أحداث من قبيل القضاء والقدر ، ٢ - خوارق ومعجزات ، ٣ - أحداث غير مألوفة لا تحدث إلا نادراً ، ٤ - أحداث عادية ومألوفة تحدث فى عموم القصص وتقع للشخصيات فى صورة طبيعية .

وأما الحوار فقد كان مظهراً بارزاً للعملية القصصصية فى القصص النبوى وجانباً حيوياً فى بناء القصة ، وكان منتشراً فى القصة بشكل ملحوظ ، وأنه كان يأتى فى القصة فى صورة طبيعية أى يبرز من خلال الموقف ، دون أن يقحم على السياق ، والملاحظ فى الحوار أنه لا يعرض فى القصة فى مظهر مسرحى بحيث يتم التحاور بين الأشخاص بالصورة المباشرة ، ولكنه يعرض

علينا عن طريق الراوى ، بحيث يأتى الحوار مضمناً فى السرد ، وهذه هى طريقة القرآن أيضاً فى تصوير الحوار ، وقد كان للحوار فى القصة عدة وظائف مهمة: ١ - المساعدة فى رسم الشخصية ، ٢ - تطوير الحدث ، ٣ - تعميق الحدث ، ٤ - المساعدة على تصوير مواقف معينة ، ٥ - التخفيف من رتابة السرد ، ٦ - كشف مغزى القصة ، ٧ - ما يضفيه على القصة من الواقعية .

(٨)

وقد حدد البحث فى الفصل الرابع أنواع القصة النبوية ، وبين أنها تبدو فى ستة أنواع : ١ - القصة الواقعة للرسول ﷺ ، ٢ - القصة التمثيلية وهى التى ضربها الرسول مثلا يوضح عن طريقها فكرة ذهنية مجردة ، ٣ - القصة التاريخية ، ٤ - قصص المستقبل ، ٥ - قصص البعث واليوم الآخر ، ٦ - قصص عن أمور غيبية تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان .

(٩)

وفى الفصل الخامس بين البحث أن موضوعات القصة النبوية من النوع الذى يثير فى السامع والقارىء كثيراً من الانفعالات والعواطف ؛ وذلك بسبب أن فكرة الموضوع لها أثر بارز فى طريقة الأداء القصصى ؛ بحيث أن الموضوع يتجسد أمام القارىء أو السامع عبر تطور وتعقيد حافل بعناصر التشويق والإثارة ، يضاف إلى ذلك ناحية العمق والغنى فى تلك الموضوعات ، وقد أعطى البحث صورة عن موضوعات القصة فى نظرتها الكلية ؛ حيث ردها إلى المحاور الرئيسة التى تلتقى عندها كل أفكار القصص ، وهى القضايا الآتية : ١ - فى العقيدة ، ٢ - فى الرسول والنبوة ، ٣ - القيم الإسلامية ، ٤ - فى الإنسان ، ٥ - فى الحياة والموت ، ٦ - إرهاصات الساعة ، ٧ - البعث والجزاء .

(١٠)

وفى الفصل السادس بين البحث أن القصة النبوية قصة ملتزمة قبل كل شىء ، ولذلك فقد جاءت خاضعة تماماً للغرض الدينى بجميع أنواعها ولكن هذا الخضوع لم يحل بينها وبين أن تخرج وفق النسق الفنى فى العرض والبناء ، وقد ترك هذا الخضوع آثاراً خاصة فى طريقة عرض القصة ومادتها بدت فى : ١ - الإلحاح على المادة القصصية فى مواضع شتى ، وفى أكثر من قصة ، ٢ - الاكتفاء بما يحقق الغرض الدينى فى عرض القصة ، ٣ - بث التوجيهات الدينية فى سياق القصة على أكثر من صورة ، ثم عرض البحث أغراض القصة النبوية الرئيسة ، ، مبيناً أن بعضها ليس منفصلا عن بعض وأن القصة قد تؤدى أكثر من غرض فى وقت واحد ، وذلك لأنها أغراض متداخلة ، وقد تركزت أغراض القصة فى الدعوة والتربية والتسرية .

(١١)

وفى الفصل السابع انتهى البحث إلى ترسم منهج الإسلام فى فن القصة وأن التصور الإسلامى كان الموجة لتلك القصص فى مضمونها التى حملته ، وفى تعبيرها الذى نقل ذلك المضمون ، وبناء على أن هذه القصص هى نصوص دينية قبل كل شىء ، حاول البحث أن يستجلى من خلالها وجهة نظر الإسلام نحو الفن القصصى ، وكيف يجب أن يكون منهج هذا الفن ، وما التصور الذى يجب أن ينطلق منه فى رأى الإسلام ، وقد عرض البحث لمنهج القصة الإسلامى فى حدود ثلاث قضايا هى : ١ - الالتزام ، ٢ - الواقعية ، ٣ - أساليب الواقعية الإسلامية . وبين البحث أن تلك القضايا ذات أبعاد خاصة بالنسبة للعمل القصصى يمكن أن تثرى الجانب النقدى الإسلامى لدى الناقد ولدى القاص فى تعاملهما مع التجربة القصصية من الرواية الإسلامية .

## (١٢)

ومن نتائج البحث أيضاً أنه قام باستقصاء تسعة مصادر من أمهات كتب الحديث المهمة والوثيقة ، هى الكتب الستة مضافاً إليها الموطأ والمسند وسنن الدرامى ، استقصاء تاماً ، وجمع منها مائة وتسعة وثلاثين نصاً قصصياً ، وهى تشكل مادة وفيرة يمكن أن تنشر فى كتاب ، وقد قدم البحث دليلا تفصيلياً شاملاً لمواقع تلك القصص فى مختلف المصادر التسعة المذكورة وباختلاف مواقع رواياتها أيضاً ، مع اختيار عنوان مناسب لكل نص ، وذكر راويه من الصحابة .

* * *

**وبعد ..**

فإن هذه النصوص لا تزال تحتاج إلى وقفة وربما وقفات ، من أجل تعمق أكثر فى شتى الجزئيات والدقائق ونظراً لأن هذه النصوص التى أمامى من الكثرة والتنوع بمكان ، فقد كان الغرض الأول المحدد هو محاولة استيعاب الصورة فى كلياتها لا فى تفاصيلها الدقيقة ، ومن هنا فأنا على يقين كبير فى أن النصوص لا تزال حافلة بشتى الجوانب التى يمكن أن تكون موضع دراسة ومناقشة واستكشاف ، ومن حق البحث علىَّ هنا أن أنوه بذلك ، وحسب هذه الدراسة أنها فتحت الطريق ، وكانت باكورة السير فيه ، ويشرفها أيضاً أن تنتهى كما بدأت بفتح الطريق مرة أخرى فى سبيل مسيرة أفضل إلى نتائج أخرى تضاف إلى حصاد هذه المحاولة أو تصححها .

# الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- فهرس القصص في البحث
- المصادر والمراجع
- فهرس تحليلي لموضوعات البحث وقضاياه الجزئية

# فهرس الآيات القرآنية الكريمة

## ١ – « البقرة » (٢) (*)

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١ | ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ﴾ | ١٧ | ٣٤٥ |
| ٢ | ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال : إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ | ٣٠ | ٤٧١ |
| ٣ | ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ | ١٢٧ | ٢٢٨ |
| ٤ | ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ | ١٤٣ | ٤١٥ |
| ٥ | ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾ | ١٧١ | ٣٤٥ |
| ٦ | ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ﴾ | ٢٦١ | ٣٤٦ |

(*) رقم السورة فى المصحف الكريم .

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٧ | ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾ | ٢٦٥ | ٣٤٦ |
| ٨ | ﴿ كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ | ٢٨٥ | ٣٨٣ |
| | **٢ - « آل عمران » (٣)** | | |
| ٩ | ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ﴾ | ١٤ | ٤٦٧ |
| ١٠ | ﴿ ويكلم الناسَ فى المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ | ٤٦ | ٣٦٠ |
| ١١ | ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ﴾ | ١٤٥ | ٣٨٤ |
| ١٢ | ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ | ١٦٩ | ٢٤١ ، ٤٠٢ |
| ١٣ | ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ | ١٧٥ | ٤٥٠ |
| | **٣ - « النساء » (٤)** | | |
| ١٤ | ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ | ٢٨ | ٤٦٧ |
| ١٥ | ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ | ٧٨ | ٤٤٩ |

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٤ – « المائدة » (٥)** | | |
| ١٦ | ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ | ٧٨ ، ٧٩ | ٣٩٢ |
| | **٥ – « الأنعام » (٦)** | | |
| ١٧ | ﴿ قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ | ١٥ | ٤٥٠ |
| ١٨ | ﴿ يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ | ٢٥ | ٥٠ |
| | **٦ – « الأعراف » (٧)** | | |
| ١٩ | ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ | ٧ | ٤٩ |
| ٢٠ | ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ | ١٠١ | ٤٩ |
| ٢١ | ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ | ١٧٦ | ٤٩ |

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٧ – « الأنفال » (٨)** | | |
| ٢٢ | ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ | ٣١ | ٥٠ |
| | **٨ – « التوبة » (٩)** | | |
| ٢٣ | ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ | ٥١ | ٤٥٠ |
| | **٩ – « هود » (١١)** | | |
| ٢٤ | ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ | ٤٩ | ٣٥٤ |
| ٢٥ | ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ﴾ | ١٠٠ | ٤٩ |
| ٢٦ | ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ | ١٢٠ | ٤٥٩ |
| | **١٠ – « يوسف » (١٢)** | | |
| ٢٧ | ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ | ٣ | ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ |
| ٢٨ | ﴿ يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾ | ٤ | ١٦٠ |

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٢٩ | ﴿ يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾ | ٥ | ٤٩ |
| ٣٠ | ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ﴾ | ٢٣ | ٤٧٩ |
| ٣١ | ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ | ٢٤ | ٤٧٩ |
| ٣٢ | ﴿ قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ، قال هى راودتنى عن نفسى ﴾ | ٢٥ ، ٢٦ | ٤٧٩ |
| ٣٣ | ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ | ١١١ | ٤٥٤ |

### ١١ – « الرعد » (١٣)

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٣٤ | ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ | ٢٣ ، ٢٤ | ٣٦٨ ، ٤٢١ |
| ٣٥ | ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ | ٢٦ | ٤٤٩ |

### ١٢ – « النحل » (١٦)

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٣٦ | ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾ | ٢٤ | ٥٠ |

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٣٧ | ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ | ١٢٥ | ٤٣٦ |

### ١٣ – « الكهف » (١٨)

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣٨ | ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾ | ٣٧ | ٢٥٩ |
| ٣٩ | ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ | ٦٢ | ١٨٩ |
| ٤٠ | ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً ﴾ | ٩٤ – ٩٨ | ٣٦١ |
| ٤١ | ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ | ١٠٩ | ٢٨٤ |

### ١٤ – « الإسراء » (١٧)

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤٢ | ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ﴾ | ٧١ | ٤١٧ |

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **١٥ – « مريم » (١٩)** | | |
| ٤٣ | ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ | ٣٩ | ٣٦٨ |
| | **١٦ – « الأنبياء » (٢١)** | | |
| ٤٤ | ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ | ٩٦ | ٣٦١ |
| | **١٧ – « المؤمنون » (٢٣)** | | |
| ٤٥ | ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ | ٨٣ | ٥٠ |
| | **١٨ – « الفرقان » (٢٥)** | | |
| ٤٦ | ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ | ٢ | ٣٨٥ |
| ٤٧ | ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما ﴾ | ٥ ، ٦ | ٥٠ |
| | **١٩ – « الشعراء » (٢٦)** | | |
| ٤٨ | ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ | ٩٠ – ٩٤ | ١٦٥ |

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|

**٢٠ – « النمل » (٢٧)**

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٤٩ | ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ | ٦٨ | ٥٠ |
| ٥٠ | ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ | ٨٢ | ٣٦٠ |

**٢١ – « القصص » (٢٨)**

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٥١ | ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ | ١١ | ٤٧ |
| ٥٢ | ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ | ٢٠ | ٢٥٩ |
| ٥٣ | ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف ﴾ | ٢٥ | ٤٩ |

**٢٢ – « العنكبوت » (٢٩)**

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٥٤ | ﴿ ألم : أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ | ١ – ٣ | ٨١ |
| ٥٥ | ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ | ٦١ | ٣٧٩ |

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٢٣ - « الأحزاب » (٣٣)** | | |
| ٥٦ | ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ | ٦٩ | ٢٥٧ |
| | **٢٤ - « سبأ » (٣٤)** | | |
| ٥٧ | ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق أنكم لفى خلق جديد ، أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ﴾ | ٧ - ٨ | ٣٦٣ |
| | **٢٥ - « الصافات » (٣٧)** | | |
| ٥٨ | ﴿ أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون ، فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ | ١٦ - ١٩ | ٣٦٣ |
| | **٢٦ - « سورة ( ص ) » (٣٨)** | | |
| ٥٩ | ﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ | ٧١ - ٧٢ | ٤٦٦ |

| | الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٢٧ – « غافر » (٤٠)** | | |
| ٦٠ | ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ | ٢٨ | ٢٥٩ |
| | **٢٨ – « الشورى » (٤٢)** | | |
| ٦١ | ﴿ شرع الله لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ | ١٣ | ٢٥٣ |
| | **٢٩ – « الجاثية » (٤٥)** | | |
| ٦٢ | ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون ﴾ | ٢٤ | ٣٦٣ |
| | **٣٠ – « الأحقاف » (٤٦)** | | |
| ٦٣ | ﴿ والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾ | ١٧ | ٥٠ |
| | **٣١ – « النجم » (٥٣)** | | |
| ٦٤ | ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ﴾ | ٣ – ٥ | ٣٧٨ |

| | الآيـــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٣٢ – « القمر » (٥٤)** | | |
| ٦٥ | ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ | ٤٩ | ٣٨٥ |
| | **٣٣ – « المنافقون » (٦٣)** | | |
| ٦٦ | ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ | ١١ | ٤٤٩ |
| | **٣٤ – « التحريم » (٦٦)** | | |
| ٦٧ | ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ | ٦ | ٢٧٩ ، ٣٨٢ |
| | **٣٥ – « القلم » (٦٨)** | | |
| ٦٨ | ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ | ١٥ | ٥٠ |
| ٦٩ | ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ | ٤٢ | ٤١٨ |
| | **٣٦ – « الحاقة » (٦٩)** | | |
| ٧٠ | ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ﴾ | ٦ – ٨ | ٤٠٥ |

| | الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | **٣٧ - « الجن » (٧٢)** | | |
| ٧١ | ﴿ ومن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ | ٩ | ٢٨٣ |
| | **٣٨ - « المدثر » (٧٤)** | | |
| ٧٢ | ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر ﴾ | ١ - ٧ | ٣٣٤ |
| | **٣٩ - « عبس » (٨٠)** | | |
| ٧٣ | ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ | ١٧ | ٤٦٩ |
| | **٤٠ - « المطففين » (٨٣)** | | |
| ٧٤ | ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ | ١٣ | ٥٠ |
| | **٤١ - « الشمس » (٩١)** | | |
| ٧٥ | ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ | ٧ - ١٠ | ٤٦٧ |
| ٧٦ | ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ | ٩ - ١٠ | ٤٦٨ |

| | الآيـــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|

## ٤٢ - « العلق » (٩٦)

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٧ | ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ | ١ - ٥ | ٦٢ |
| ٧٨ | ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ | ٦ | ٢٦٨ ، ٤٦٩ |

## ٤٣ - « الزلزلة » (٩٩)

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٩ | ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ | ٨ | ٣٦٥ |

## ٤٤ - « العاديات » (١٠٠)

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٠ | ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ | ٨ | ٤٠٥ |

# فهرس القصص فى البحث

## ( أ )


| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | آدم وذريته | ٢٣٦ ، ٤٠٣ |
| ٢ | آدم وموسى = محاورة آدم وموسى | ٣١٢ ، ٣٧٢ |
| ٣ | آذوا موسى = الذين آذوا موسى | ٢٥٧ |
| ٤ | آخر رجل يدخل الجنة | ٦٩ ، ١٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٣١٤ ، ٣٨١ ، ٤٥٣ |
| ٥ | إبراهيم وآزر | ١٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ |
| ٦ | إبراهيم وإسماعيل | ١٩٠ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٧ |
| ٧ | أحبه فى الله = إنى أحبه فى الله | ٢٤٠ ، ٢٨٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٤٠١ ، ٤٤١ ، ٤٧٢ |
| ٨ | الاحتضار | ٣٧٠ ، ٤٠٨ |
| ٩ | أحياء يرزقون | ٢٤١ ، ٣٠٥ ، ٣٧٠ ، ٤٠٢ |
| ١٠ | أصحاب الأخدود = الأخدود = الغلام والساحر والملك | ٦٨ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| | | ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٥٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ |
| ١١ | أدنى أهل الجنة منزلة | ١٠١ ، ١٩٨ ، ٣٨١ ، ٤٥٣ |
| ١٢ | الأسئلة الثلاثة | ١١٣ ، ٢٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣٧٠ ، ٤٠٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٥١ |
| ١٣ | أشد من الريح | ٢٣٦ ، ٢٨١ ، ٣١٧ ، ٣٧٠ ، ٤٠٤ |
| ١٤ | أصحاب الغار = الغار والصخرة | ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٣١٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ |
| ١٥ | اضرب له مثلا | ٣٤١ |
| ١٦ | افتخار الجنة والنار | ١٦٥ ، ٢٨٢ |
| ١٧ | اقرأ واصعد | ٤٥٣ |
| ١٨ | الله يعصمك | ٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٣٠٩ ، ٣٣٥ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٩ | أمتى يا رب | ١٢١ ، ١٥٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٤١٥ |
| ٢٠ | أمر الساعة | ٣٦٢ ، ٤١٠ |
| ٢١ | أماط الشوك | ٣٩٨ ، |
| ٢٢ | الأمة الشاهدة | ٢٥٤ ، ٤١٥ ، ٤٣٩ |
| ٢٣ | الأم والسكين = الذئب مع المرأتين | ١٣٦ ، ٢٠٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٤٧ |
| ٢٤ | أنا لها | ١٠٤ ، ٤١٥ |
| ٢٥ | إن الله قد أحب فلاناً | ٣٧١ |
| ٢٦ | الانتحار | ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ |
| ٢٧ | إنما هو فضلى | ٣٤٩ ، ٤٣٩ |
| ٢٨ | الأولاد الشفعاء | ١١١ ، ٣٢٠ ، ٤٠١ |
| ٢٩ | أول من يقضى عليه | ٩٧ ، ٤٥١ |

( ب )

| ٣٠ | بائع الخمر والقرد | ٣٩٨ ، ٤٧٠ |
| ٣١ | البطاقة الثقيلة | ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٣٢٢ ، ٣٨٠ ، ٤١٧ ، ٤٣٧ |

( ث )

| ٣٢ | الثلاثة المبتلون = الأبرص والأقرع والأعمى | ١٧٧ ، ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| | | ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ |

( ج )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ٣٣ | جبريل ( عليه السلام ) | ٢٧٨ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ |
| ٣٤ | جرة الذهب | ١٥٣ ، ١٧٦ ، ٢١٣ ، ٢٦٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٧٣ |
| ٣٥ | جريج | ١٠٠ ، ١٣٤ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ |
| ٣٦ | جزع فانتحر | ٣٩٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٥ |
| ٣٧ | جيش الخسف | ٣٦٢ ، ٤٠٢ |

( خ )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ٣٨ | خروج الدجال | ٤٣٣ |
| ٣٩ | خمس كلمات | ٢٤٩ ، ٣٨٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| | ( د ) | |
| ٤٠ | داود وملك الموت | ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٨٣ ، ٤٥٤ |
| ٤١ | الدجال والمسيح | ١٠١ ، ١٥٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٣٠٨ ، ٣٦٢ |
| ٤٢ | الدجال والنساء | ١٥٧ |
| | ( ر ) | |
| ٤٣ | رجحان الرسول ( ص ) | ٣٣٤ ، ٣٨٦ |
| ٤٤ | الرجل البار = الابن البار | ٣٩٧ |
| ٤٥ | الرجل والمرأة = المرأة والرجل | ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ |
| ٤٦ | الرضوان | ١٢٩ ، ٣١٧ ، ٤٢١ ، ٤٥٢ |
| ٤٧ | الرضيع والأم = الأم الرضيع | ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣٧٧ ، ٤٠٣ |
| | ( س ) | |
| ٤٨ | سارة والملك = الخليل وزوجته | ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| | | ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٩٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ |
| ٤٩ | سبعون ألفاً | ٢٥٤ |
| ٥٠ | سفينة الحياة | ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٨٠ ، ٢٥٠ ، ٣٤٦ ، ٣٩٣ ، ٤٤٠ |
| ٥١ | سلام عليكم | ١١٦ ، ١٦٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٦٧ ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، |
| ٥٢ | سوق الجنة | ١٠٢ ، ٢٤٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٦٧ ، ٤٢٢ ، ٤٥٢ |
| ٥٣ | سيد ولد آدم | ٢٠١ |

( ش )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٥٤ | شفاعة الرسل | ١١١ ، ١٦٦ ، ٢٤٤ ، ٤٢٠ |
| ٥٥ | شفاعة المؤمنين لإخوانهم | ١٧٩ ، ١٨٣ ، ٢٥٤ ، ٤١٩ |
| ٥٦ | شق الصدر | ١١٧ ، ١٢٥ ، ٢٧٨ ، ٣٣٣ ، ٣٨٥ |
| ٥٧ | الشهب | ١١٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٧٠ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| | **( ص )** | |
| ٥٨ | صاحب العمل والأجراء = صاحب العمل والأجير | ٢٦٧ ، ٣٠٠ ، ٣٩٨ |
| ٥٩ | الصراط | ١١٤ ، ١٩٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٨٠ ، ٤١٨ ، ٤٣١ |
| ٦٠ | صوت فى سحابة | ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٢٣ ، ٣٩١ ، ٤٤٨ |
| ٦١ | صوت من السماء | ١١٨ ، ١٤٦ ، ٢٠٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٣٣٥ ، ٣٨٧ |
| | **( ط )** | |
| ٦٢ | الطوافون = الملائكة الطوافون | ١٠٢ ، ٢٤٣ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٨٣ ، ٤٠٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ |
| | **( ع )** | |
| ٦٣ | عتقاء الجبار | ١٧٩ ، ١٨٢ |
| ٦٤ | عرض على ما هو كائن | ٣٤٠ |
| ٦٥ | على أنهار الجنة = ينثرون على أنهار الجنة | ٣٦٦ ، ٣٨٠ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ٦٦ | عيسى والسارق | ٢٥٦ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ |

**( ف )**

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ٦٧ | فاقد الراحلة | ٩٦ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٩٥ ، ٤٤٠ ، ٤٥٧ |
| ٦٨ | فيم قتلنى ؟ | ٤١٧ |
| ٦٩ | فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ | ٩٧ ، ٣٤١ ، ٤٣٤ |

**( ق )**

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ٧٠ | قاتل الإنسان = القاتل يوم القيامة | ٤١٧ |
| ٧١ | قاتل المائة | ١١٠ ، ١٥٠ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٩٥ ، ٤٤٠ ، ٤٥٧ ، ٤٧٥ |
| ٧٢ | القبر = القبر روضة أو حفرة | ١٢٢ ، ٢٨٢ ، ٣١١ ، ٣٧٠ ، ٤١٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥١ |
| ٧٣ | قتلوا فى سبيل الله = الذين قتلوا فى سبيل الله | ٣٧٠ ، ٤٠٢ |
| ٧٤ | قدر الإنسان | ٣٦٩ ، ٣٨٤ |
| ٧٥ | قرية النمل | ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٧٦ | قصاص المؤمنين | ٤٢١ |
| ٧٧ | قل تسمع | ٣١٧ |
| ٧٨ | قوم سفر | ٣٤٨ ، ٣٨٦ ، ٤٣٩ |

( ك )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٧٩ | كرسف والمرأة | ٢٦٥ |
| ٨٠ | الكفل | ٦٩ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ |
| ٨١ | الكلب اللاهث | ١٧١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٧٣ |
| ٨٢ | الكلمة العظيمة | ٢٧٩ ، ٣٦٩ ، ٤٠٠ ، ٤٤٢ |
| ٨٣ | الكوثر | ٣٤١ |

( ل )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٨٤ | الذين كفروا من بنى إسرائيل | ٣٩٢ ، ٤٣٤ |
| ٨٥ | لمن هذا القصر ؟ | ٣٤١ ، ٣٩٠ |
| ٨٦ | لو قال إن شاء الله | ٢٥٦ ، ٣٨١ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| | ( م ) | |
| ٨٧ | مانع الزكاة | ٤١٧ ، ٤٤١ |
| ٨٨ | الماشطة | ١٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٤ ، ٣٩٠ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ |
| ٨٩ | مؤمنان على باب الجنة | ١٦٥ |
| ٩٠ | المؤمن والدجال | ١٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٣٩٠ |
| ٩١ | المؤمن والكافر | ٣١٣ ، ٣٧٢ |
| ٩٢ | المتصدق | ١٢٩ ، ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٣٩١ ، ٤٤١ |
| ٩٣ | المتكبر | ١٦٧ ، ٣٩٨ ، ٤٥٥ |
| ٩٤ | المتكلمون فى المهد | ٩٩ |
| ٩٥ | محاورة آدم وموسى | ٣٧٢ |
| ٩٦ | مدينة الذهب والفضة | ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٣١١ ، ٣٤٢ |
| ٩٧ | المذنب والعابد | ١٠٥ ، ٢٩٩ ، ٣٨١ |
| ٩٨ | مسائل سليمان | ٤٠٢ |
| ٩٩ | المسئولية والجزاء | ١١٦ ، ١٣٩ ، ١٧١ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٤٣٢ ، ٤٥١ |
| ١٠٠ | المساءلة = مساءلة الله العباد | ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٤١٦ |
| ١٠١ | المستأجر والأجراء | ٣٤٧ ، ٣٨٣ ، ٤٣٩ |
| ١٠٢ | المستلف = المقترض | ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٩٢ ، |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| | | ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٣٣ ، ٤٧١ |
| ١٠٣ | المسلمون والغنائم | ٢٥٤ |
| ١٠٤ | المسيح الدجال | ٢٣٨ ، ٣٠٨ ، ٣٦٢ |
| ١٠٥ | المعراج | ١١٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٨١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٣٥ ، ٣٨٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ |
| ١٠٦ | المغموسون | ٤٢٣ ، ٤٥١ |
| ١٠٧ | المكاره والشهوات = الجنة والنار = الشهوات والمكاره | ١٧٠ ، ١٨٢ ، ٣٠٥ ، ٣٧١ |
| ١٠٨ | الملائكة المتعاقبون | ٣٨٢ ، ٣٩٠ |
| ١٠٩ | ملحمة الروم | ٣٦٢ |
| ١١٠ | المنشار = الرجل ينشر بالمنشار | ٢٧٤ ، ٣٩٠ ، ٤٢٩ ، ٤٥٨ |
| ١١١ | المنفق والبخيل | ٣٤٩ |
| ١١٢ | الموت يوم القيامة | ١٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٦٨ ، ٤٢١ ، ٤٣١ |
| ١١٣ | موسى والخضر | ١٨٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٨١ ، ٤٣٢ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١١٤ | موضع اللبنة | ٣٤٧ |
| ١١٥ | الموعد | ٣٦٧ ، ٤٢١ ، ٤٥٢ |
| ١١٦ | مومسة وكلب | ٩٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٤٧٣ |

( ن )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١١٧ | النذير العريان | ٣٤٩ ، ٤٣٩ |
| ١١٨ | نزول عيسى ( عليه السلام ) | ٢٨٣ ، ٣٦٢ |
| ١١٩ | النفخ فى الصور | ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣٦٥ ، ٤١٤ |

( و )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٢٠ | وبك أقاتل | ٢٢٨، ٣٨٢ |
| ١٢١ | الوحى | ٣٧١ |

( هـ )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٢٢ | هل من مزيد | ١٨٣ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٥١ |
| ١٢٣ | هل نرى ربنا | ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢٨١ ، ٤١٩ ، ٤٣١ |

( ى )

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٢٤ | يا حنان يا منان | ٣٦٦ ، ٣٨٠ |

| مسلسل | عنوان القصة | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٢٥ | يأجوج ومأجوج | ١٦٦ ، ٣٦١ |
| ١٢٦ | يدعون بإمامهم = يوم ندعو كل أناس | ١٦٤ |
| ١٢٧ | يدور فى النار | ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ٣٠٦ ، ٣٦٦ ، ٤٢٣ ، ٤٥١ |
| ١٢٨ | يذنب ويستغفر | ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٤٠٠ |
| ١٢٩ | يطلب أن يحرق | ١٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٣٢٣ ، ٣٩٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ |
| ١٣٠ | يطلب أن يزرع | ٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٧ ، ٤٥٢ |
| ١٣١ | يغاثون بطعام | ٣٦٦ ، ٤٢٢ ، ٤٥١ |
| ١٣٢ | ينظر المعسر | ٢٦٢ ، ٣٩٨ ، ٤٣٣ |
| ١٣٣ | يوم تدعى كل أمة | ٤١٧ |
| ١٣٤ | يوم يكشف عن ساق | ١٠٨ ، ٤١٨ |

# المصادر والمراجع

## المصادر :

### ١ - مصادر نصوص القصة النبوية :

- البخارى :

* صحيح البخارى ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، كتاب الشعب ، ١٣٧٨ هـ .

- الترمذى :

* سنن الترمزى ، مطبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

ط ١ (١ - ٢) بتحقيق وشرح أحمد شاكر و(٣) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباق .

ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م و (٤ - ٥) بتحقيق إبراهيم عطوة عوض ط ١ ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

- ابن حنبل :

* المسند :

( ا ) بتحقيق أحمد محمد شاكر ، من ( ١ - ١٦) ، دار المعارف بمصر ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(ب) طبعة المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - دار صادر بيروت ، وهى مصورة عن طبع المطبعة الميمنية بمصر فى ١٣١٣ هـ .

- الدارمى :

* سنن الدارمى ، شركة الطباعة الفنية المتحدة بالدراسة .

- أبو داود :

* سنن أبى داود ، طبع ونشر مصطفى الحلبى بمصر ط الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

- ابن ماجه :

* سنن ابن ماجة ، عيسى الحلبى وشركاه ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى ١٩٧٢ م .

- مالك :

* الموطأ وعليه شرح الزرقانى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

- مسلم :

* صحيح مسلم ، خدمة محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، ط الأولى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

- النسائى :

* سنن النسائى ، مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

**٢ - مصادر أخرى :**

- ابن الأثير ( المحدث ) :

* أسد الغابة ، الطبعة الموهبية .

* النهاية فى غريب الحديث .

- ابن الأثير ( المؤرخ :

* الكامل فى التاريخ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ .

- الأزهرى :

* تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، سنة ١٩٦٦ م .

- البرهان النورى :

* كنز العمال فى سنن الأقوال ، الطبعة الأولى طبع حيدر آباد بالهند سنة ١٣١٢ هـ ، وكذلك النسخة التى على هامش المسند ( طبع صادر ) .

– البيهقى :

* السنن الكبرى ، طبع حيدر آباد الدكن ، ط أولى ١٣٤٤ هـ .

– ابن تيمية :

* الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط الأولى ، مطابع الرياض ١٣٨٢ هـ .

– الجاحظ :

* البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

* الحيوان ، طبعة الحلبى ، القاهرة .

– ابن الجوزى :

* صفوة الصفوة ، مطبعة حيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٥٥ هـ .

– الحاكم :

* المستدرك ، نشر مكتبة مطابع النصر ، الرياض .

– ابن حجر العسقلانى :

* الإصابة فى تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ ، وكذلك طبعة مصطفى على محمد بمصر ١٣٥٨ هـ .

* تهذيب التهذيب ، تصوير دار صادر ، بيروت على الطبعة الأولى ، الهند ، سنة ١٣٢٥ هـ .

* فتح البارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق ، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ .

– ابن خلدون :

* المقدمة ، طبعة مصر .

– الرازى :

* التفسير الكبير ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٧ هـ .

– الزبيدى :

* تاج العروس ، المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

– الزمخشرى :

* الفائق ، تحقيق على البجاوى وأبو الفضل ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الثانية .

* الكشاف : رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

* المستقصى فى أمثال العرب ، اعتنى بتصحيحه محمد عبد الرحمن خان ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٩٦٢ م .

– ابن سعد :

* الطبقات الكبير ، طبع فى مدينة ليدن ، مطبعة بريل ١٣٢٥ هـ .

– ابن سيده :

* المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، نشر البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م .

– الطبرى :

* تاريخ الأمم والملوك ، طبع ونشر دار القاموس الحديث بيروت .

* جامع البيان عن تأويل القرآن ، الحلبى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .

– ابن عبد البر :

* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، مصر .

– العسكرى :

* جمهرة الأمثال ، بمباى ، ١٣٠٦ هـ .

– أبو العلاء المعرى :

* رسالة الغفران ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٣ م .

– ابن قتيبة :

* العارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .

– ابن قدامة :

* كتاب التوابين ، تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .

– ابن قيم الجوزية :

* زاد المعاد فى هدى خير العباد ( ﷺ ) ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

– ابن كثير :

* البداية والنهاية ، طبع ونشر مكتبة المعارف – بيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

* تفسير ابن كثير ( تفسير القرآن العظيم ) طبع دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة

– محمد يوسف الكاندهلوى :

* حياة الصحابة ، المجلد الأول طبعة أولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م . والثانى والثالث طبع دار النصر

للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

- المفضل بن سلمة :

* الفاخر ، الحلبى ، ١٣٨٠ هـ .

- ابن منظور :

* لسان العرب . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، مصور عن طبعة بولاق ، القاهرة . ١٩٦٦ م .

- الميدانى :

* مجمع الأمثال ، السنة المحمدية بالقاهرة .

- ابن هشام :

* السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا ، والأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى الحلبى ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

- الهيثمى :

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب - بيروت .
وكذلك طبعة القدس سنة ١٣٥٢ هـ ، وهى التى اعتمدها أحمد شاكر فى إحالاته .

**٣ - المراجع :**

**( ا ) مراجع أصيلة : ( تعرضت للقصة النبوية ) :**

- البهى الخولى :

* تذكرة الدعاة ، دار الفتح ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ .

- رفاعى سرور :

* أصحاب الأخدود ، دار التراث العربى للطباعة ، القاهرة .

- عز الدين على السيد :

* الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، مكتبة وهبة ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

– محمد أحمد البيومى :

* سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية عام ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦ م .

– محمد الصباغ :

* الحديث النبوى ، منشورات المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

(ب) مراجع ثانوية :

– آبر كرومبى لاسل :

* قواعد النقد الأدبى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر نقله إلى العربية محمد عوض محمد ، سلسلة المعارف العامة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٤ م .

– أبو مدين الشافعى :

* الاطمئنان النفسى ، دار الفتوح للطباعة ، القاهرة .

– أحمد موسى سالم :

* قصص القرآن فى مواجهة أدب الرواية والمسرح ، دار الجيل ، بيروت .

– أحمد فايز :

* اليوم الآخر فى ظلال القرآن ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

– إدوين موير :

* بناء الرواية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ترجمة إبراهيم الصيرفى ، مراجعة عبد القادر القط ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

– إرنست رنان :

* تاريخ اللغات السامية ، طبعة بولاق .

– أنور الجندى :

* الإيمان ( سلسلة معلمة الإسلام ) رقم (٣) ، مكتبة دار حراء القاهرة .

– بروكلمان :

* تاريخ الأدب العربى ، دار المعارف ، ط الثالثة ١٩٦٢ م .

– التهامى نقرة :

* سيكلوجية القصة فى القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٤ م .

– ثروت أباظة :

* السرد القصصى فى القرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

– جاد المولى وآخرون :

* أيام العرب فى الجاهلية ، الحلبى ، القاهرة .

– جرجى زيدان :

* تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، طبعة دار الهلال ، القاهرة .

– جيمس وآخرون :

* نظرية الرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث ، ترجمة وتقديم إنجيل بطرس سمعان ، مراجعة رشاد رشدى ، النهضة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، ١٩٧١ م .

– حسنى نصار :

* صور ودراسات ، مكتبة الإنجلو ، القاهرة ، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر .

– حسين القبانى :

* فن كتابة القصة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، مصر ، ١٩٦٥ م .

– حميد الله :

* مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

– دى بور :

* تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة عبد الهادى أبو ريده ، القاهرة ١٩٣٨ م .

– رشاد رشدى :

* فن القصة القصيرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

– رشيد العبيدى :

* دراسات فى النقد الأدبى ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، بغداد .

– زكى مبارك :

* التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م .

* النثر الفنى فى القرن الرابع ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .

– السيد شحاته والسيد تقى الدين :

* القصص النبوى ، دار النهضة العربي ، القاهرة .

– السيد عبد الحافظ عبد ربه :

* بحوث فى قصص القرآن ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .

– سيد قطب :

* التصور الفنى فى القرآن ، دار المعارف بمصر .

* فى التاريخ فكرة ومنهاج ، نشر الدار السعودية للنشر جدة ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م الطبعة الأولى .

* فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، مطابق دار الشروق بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

* مشاهد القيامة فى القرآن ، دار المعارف بمصر – القاهرة .

– شكرى عياد :

* البطل فى الأدب والأساطير ، دار المعرفة ، القاهرة ط الثانية ، سنة ١٩٧١ م .

– شوقى ضيف :

* العصر الإسلامى ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر .

* العصر الجاهلى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

– الطاهر أحمد مكى :

* القصة القصيرة ، دراسة ومختارات ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط أولى سنة ١٩٧٧ م .

– عباس محمود العقاد :

* أفيون الشعوب المذاهب الهدامة ، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة .

– عبد الحكيم بليع :

* النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه ، الطبعة الثانية ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٩ م .

– عبد الحميد إبراهيم محمد :

* قصص الحب العربية ، دار المعارف بمصر ، ديسمبر ١٩٦٦ م .

– من قصص العرب ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٧ م .

– عبد الرحيم الطهطاوى :

* كتاب هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى ، ط الأولى مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٣٢٩ م .

– عبد القادر حمزة :

* على هامش التاريخ المصرى القديم ، دار الكتب المصرية القاهرة . ١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م .

– عبد الكريم الخطيب :

* القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، دار الفكر العربى . القاهرة .

– عبد الله عزام :

* العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ، سلسلة ( صوت الحق ) ، توزيع دار الاعتصام ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ١٩٧٧ م .

– عبد الملك مرتاض :

* القصة فى الأدب العربى القديم ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ م .

– على عبد الحليم محمود :

* القصة العربية فى العصر الجاهلى . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، مطبعة دار نشر الثقافة ، ١٩٧٥ م .

– على النجدى ناصف :

* القصة فى الشعر العربى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

– فاروق خورشيد :

* فى الرواية العربية – عصر التجميع ، نشر دار الشروق ، طبع دار غريب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

– فورستر ( أ . م . فورستر ) :

* أركان القصة ، ترجمة كمال عياد جاد ، ومراجعة حسن محمود ، نشر دار الكرنك ١٩٦٠ م .

– فينسنك :

* مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى ، شركة مصر ، القاهرة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣ م .

– محمد أحمد خلف الله :

* الفن القصصى فى القرآن الكريم مكتبة الأنجلو المصرية ، ط الرابعة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

– محمد حسين الذهبى :

* الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، مجمع البحوث الإسلامية ( الكتاب – ٣٧ ) دار النصر للطباعة ، القاهرة ١٩٧١ م .

– محمد رشيد ثابت :

* البنية القصصية ومدلولها الاجتماعى فى حديث عيسى بن هشام ، الدار العربية للكتاب ، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، تونس ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

– محمد زغلول سلام :

* دراسات فى القصة العربية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٣ م .

– محمد صقر خفاجة :

* تاريخ الأدب اليونانى ، إشراف إدارة الثقافة العامة مصر ( الألف كتاب ) ، نشر مكتبة النهضة المصرية . ١٩٥٦ م .

– محمد عبد العزيز الخولى :

* مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث ، القاهرة ، مطبعة المنار ، ١٩٢١ م .

– محمد بن عبد الوهاب :

* مجموعة التوحيد النجدية – كتاب التوحيد – المطبعة السلفية ، ومكتبتها ، القاهرة . ١٣٧٥ هـ .

– محمد قطب :

* قبسات من الرسول ، دار الشروق –مطابع الشروق ، بيروت .

* منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت .

* منهج الفن الإسلامى ، دار القلم ، القاهرة .

– محمد مبارك :

* فن القصص فى كتاب الجاحظ ، دمشق الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ – ١٩٤٠ م .

– محمد مفيد الشوباسى :

* القصة العربية القديمة ، المكتبة الثقافية ، المؤسسة العامة للتأليف ، ابريل ، ١٩٦٤ م .

– محمد مندور :

* الأدب ومذاهبه ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

* فى الأدب والنقد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، ط الخامسة .

– محمود تيمور :

* القصص فى أدب العربى ماضيه وحاضره ، الجامعة العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

* فن القصص ، دراسات فى القصة والمسرح ، دار مطابع الشعب .

– موسى خليل سليمان :

* الأدب القصصى عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ، ١٩٥٠ م .

– النعمان عبد المتعال القاضى :

* الإسلام عقيدة وحياة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة عدد (١٧٥) ، مطابع الأهرام التجارية ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

– شعر الفتوح الإسلامية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

– يوسف الشارونى :

* القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً ، كتاب الهلال ، دار الهلال ، عدد ٣١٦ ، ١٩٧٧ م .

**٤ – دوريات :**

– أمبرتو ريزتيانو ( مستشرق ) :

* كشف أدبى مهم : ترجمتان لقصة المعراج ، مجلة الرسالة ، عدد ( ١٩٤٠ ) السنة التاسعة عشر ، شوال ١٩٧٠ هـ – يوليه ١٩٥١ م .

– السعيد الورقى :

* القصة فى الأدب العربى الكلاسيكى ، مجلة الكلمة عدد (٥) .

– عفيفى عبد الرحمن :

* القصصية فى شعر الأيام ، مقال بمجلة الثقافة العربية ، ( العدد – ١٢ ) السنة الثالثة ، ١٣٩٦ – ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٦ م .

– يحيى الجبورى :

* مجلة المعرفة عدد (٣٧)دمشق ، السنة الرابعة .

- يوسف الشارونى :

* القصة القصيرة فى التراث العربى ، مقال نشر فى مجلة الهلال العدد الخامس سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

## الفهرست التحليلى لموضوعات البحث وأفكاره الجزئية

المقدمة : ........................................................ ١٩ – ٣٧

- أهمية الموضوع ودوافع اختياره ص ( ١٩ – ٢٢ ) ، تاريخ الأدب والفنون النثرية ، تخلف الدراسة الأدبية عن دراسة العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم ، النصوص القصصية دليل حيوى على وجود القصة فى الأدب العربى ، مصادر تلك النصوص أصيلة ، أدلة أخرى ص ( ١٩ ) – الحديث النبوى زاخر بالنصوص القصصية ، أهمية دراسة العنصر القصصى ، نصوص الحديث موثقة ، الجدة فى موضوع القصص فى الحديث ص ( ٢٠ ) . المراد بالقصة هنا المدلول العام ، دوافع اختيار الموضوع ص ( ٢١ – ٢٣ ) .
- منهج البحث : ص ( ٢٣ – ٢٥ ) التتبع والجمع للنصوص ، ثم وصفها وصفا تحليلياً ، النص هو الموجه دائماً إلى مقوماته ص ( ٢٣ ) ، خطة الموضوع ص ( ٢٤ – ٢٥ ) .
- المصادر والمراجع ص ( ٢٦ – ٣٧ ) مصادر النصوص ، ص ( ٢٦ ) ، مصادر ثانوية ، مراجع أصيلة وثانوية ص ( ٢٧ – ٣٧ ) .

التمهيد : ........................................................ ٣٩ – ٨٦

- العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم : ................ ( ٤١ – ٥٥ )
بعض من أنكر على العرب معرفتهم بالقصة ، شهادة بعض المنصفين ص ( ٤٢ – ٤٤ ) . إدراك الرأى العام الأدبى العربى لأهمية التراث ص ( ٤٣ – ٤٤ ) ، متى عرف العرب القصة ؟ الأدلة على معرفة العرب للقصة ، الدليل اللغوى ( ٤٥ ) ، الدليل القرآنى ص ( ٤٩ ) ، واقع الحياة الأدبية ص ( ٥١ ) ، هناك نثر كثير ضاع ص ( ٥٢ ) ، إقبال المجتمع العربى على القصص ، مصادر القصص العربى ، ص ( ٥٣ ) ، أنواع القصص العربى ، ص ( ٥٤ – ٥٥ ) ، أسباب مشجعة على ازدهار القصص ص ( ٥٤ ) .

ـــ أثر الإسلام فى المجال الأدبى : ........................... ( ٥٥ – ٦٠ )

ـــ العرب أول من بزغ عليهم نور الإسلام ، أثر الإسلام فى حياة الإنسان العربى ص ( ٥٥ – ٥٧ ) ، الصراع مع الباطل دفع إلى نهضة أدبية ، العاطفة القوية فى الأدب الإسلامى ص ( ٥٧ – ٥٨ ) ، وقفة مع الذين يقررون ضعف الشعر فى الإسلام ص ( ٥٩ – ٦٠ ) .

ـــ الفنون النثرية الإسلامية وبخاصة القصة : ..................... ( ٦٠ – ٨٦ )

ـــ الحركة الإسلامية بعثت على نهضة مزدهرة ، فى الخطابة ص ( ٦٠ ) ، الأمثال والوصايا ، بروز لون نثرى جديد ، فن الكتابة والرسائل ، وكذلك نثر الوعظ الدينى ص ( ٦٢ ) ، الدارسون ظلوا متجافين عن دراسة اللون القصصى فى ذلك الوقت ، الأحكام الأدبية يجب أن تعتمد على النصوص ، اللون القصصى فى العهد الإسلامى كان امتداداً لما يعرفه العرب منذ العهد الجاهلى ، ولكنه فى ظل الإسلام أصبح أكثر بروزاً وتنوعاً : ١ – القصة القرآنية : ص ( ٦٤ – ٦٦ ) ، ٢ – القصة النبوية : سلوك الرسول طريقة القرآن فى القصص ص ( ٦٦ ) ، الرسول ﷺ كان يستجيب لمناخ بيئى يطلب القصة ، وكان ينتهز كل فرصة ليقص على الناس ص ( ٦٧ ) وكان يرغب فى القصص ، اهتمام الرسول ﷺ بالقصة ، ص ( ٦٨ ) ظاهرة تكرار القصة الواحدة فى أكثر من مناسبة ص ( ٦٨ – ٧٠ ) ، اشتمال كتب الحديث على قصص كثيرة ص ( ٧١ – ٧٣ ) ، تنبه العلماء المحدثين ، ومؤلفى كتب الحديث إلى النصوص القصصية ص ( ٧٢ – ٧٦ ) ، ٣ – قصص الصحابة وهى ثلاثة أنواع : ١ – تجارب ذاتية ، ٢ – أخبار عن الجاهلية وأيامها ، ٣ – قصص وعظية ص ( ٧٦ ) ، – أروع قصص الصحابة ما سجلوه عن تجاربهم الذاتية الواقعية ، وهذا النوع أربعة أصناف : ١ – إسلام الصحابة ص ( ٧٦ – ٧٧ ) ، ٢ – فى سبيل الإسلام ص ( ٧٩ ) ، ٣ – قيم الإسلام فى واقعهم ص ( ٨٠ ) ، ٤ – ابتلاء وإيمان ص ( ٨٠ – ٨١ ) ، ٤ – النوع الرابع من قصص هذا العهد القصصى الوعظى ص ( ٨٢ – ٨٥ ) ، هذه مظاهر تعبر عن خصوبة قصصية ص ( ٨٥ ) .

## ( الفصل الأول )

ــ البنية العامة للقصة ( الهيكل العام ) : .................... ( ٨٧ – ١٦٠ )

تمهيد :

ــ على أى أساس تدرس القصة النبوية ؟ هناك فرق بين القصة النبوية والقصة الحديثة ص ( ٨٩ ) ، لكن هذا الفرق لا يخرجها عن مجال القصة العام بل إن هناك أوجه التقاء بينهما ص ( ٩٠ ) ، القصة النبوية تلتقى مع الرواية الحديثة فى جانب هام هو التعبير عن القيم ، مواجهة النص المدروس بالاستنطاق ص ( ٩١ ) ، قراءة فى بعض الدراسات حول الفن القصصى ص ( ٩٢ ) .

ــ الهيكل العام : دعائم الهيكل : البداية والوسط والنهاية ، الترابط العضوى ، البداية نوعان : ١ – بداية مسبوقة بمقدمات تمهيدية ، ٢ – بداية بالحدث مباشرة ص ( ٩٤ ) .

ــ المقدمات التمهيدية وعناصر التشويق فيها ص ( ٩٤ – ١٢٧ ) ، تسبق عرض القصة وسرد حوادثها ، وهى مقدمات ليست من صميم الحدث ص ( ٩٥ ) ، وهى تبدو فى صور عدة : ( أ ) التمهيد بالتقرير : مقومات التشويق فى التمهيد ص ( ٩٥ ) ، (ب) التمهيد بتحديد الموقف : ص ( ١٠٥ – ١١٢ ) ، التمهيد بالتقرير وبتحديد الموقف هما نوعان الغالبان ص ( ١١٣ ) . (ج) تمهيد حوارى : ص ( ١١٣ – ١١٥ ) . ( د ) تمهيد بسؤال من الرسول ﷺ ص ( ١١٦ ) . ( هـ ) تمهيد بسؤال من أحد الصحابة ص ( ١١٧ ) . ( و ) تمهيد باستثارة التساؤل : ص ( ١١٨ ) ، ( ز ) تمهيد بالسؤال ثم التقرير ص ( ١١٩ – ١٢٠ ) ، ( ح ) تمهيد بإثارة قضية ص ( ١٢٠ ) ، ( ط ) تمهيد بتقرير وسؤال ص ( ١٢١ ) ، ( ى ) تمهيد بتوجيه وتقرير ص ( ١٢٢ ) .

ــ بداية الحدث بعد المقدمات التمهيدية ، التمهيد معبر إلى البداية ، تبدأ القصة أحياناً بتقديم صورة لموقف معين ص ( ١٢٣ ) ، وأحياناً تبدأ بالتركيز

على الظروف والملابسات التى تشارك فى صنع الأحداث أو توجيهها ص ( ١٢٥ ) ، وأحياناً تبدأ بمشهد معين ترسم لنا فيه الحدث نفسه ص ( ١٢٦ ) .

ـــ البداية بالحدث مباشرة ، وعناصر التشويق فيها : الحيوية فى البداية ص ( ١٢٧ - ١٣٠ ) .

ـــ وسط القصة مجمع حيوى لكثير من العوامل والعناصر المختلفة ، وهو مرحلة نامية عن البداية ص ( ١٣١ ) ، منطقة الثقل ص ( ١٣٤ ) ، لا تخلو هذه المرحلة من مظهر ما للمشكلة ، ص ( ١٣٤ ) ، مرحلة الذروة ص ( ١٣٦ ) .

ـــ النهاية : ص ( ١٣٧ ) ، النهاية فى قوة البداية ، مقومات القوة : ١ - التفسير ص ( ١٣٨ ) ، التفسير ولحظة التنوير ص ( ١٤٤ ) ، ٢ - المفاجأة ، ص ( ١٤٥ ) ، ٣ - تشخيص المشهد ، المشهد فى النهاية أكثر بروزاً ص ( ١٤٨ ) - وتقدم حلا أحياناً ص ( ١٥٢ ) .

ـــ النهاية والتفاؤل : نهايات سارة ومفرحة ص ( ١٥٥ ) ، - انتصار الحق ص ( ١٥٦ ) .

ـــ بتر الحدث والاكتفاء بالتعليق ص ( ١٥٧ ) ، البناء الدائرى ص ( ١٥٩ ) .

## ( الفصل الثانى )

ـــ نسيج القصة : ........................................................................ ( ١٦١ – ٢٢٨ )
ـــ البناء والنسيج : البناء ليس مستقلا عن النسيج ، نسيج القصة يتحقق بتلاحم عدة مقومات مختلفة تبدو فى الأسلوب والحبكة والمشكلة والمناجاة ص ( ١٦٣ ) .
ـــ الأسلوب : وسائل الأسلوب هى : – الألفاظ والعبارات ص ( ١٦٤ ) ، توظيف دلالة الألفاظ والحروف ، الروابط ، ص ( ١٦٦ ) ، حضور المضمون فى اللفظة أو العبارة ص ( ١٦٦ ) ، بساطة الألفاظ وسهولتها ص ( ١٦٧ ) ، تراكيب القصة وعباراتها قصيرة موجزة ، فى نظم متماسك جيد الفصل والوصل ، الألفاظ هى المكونات للصورة ص ( ١٦٨ ) .
ـــ التصوير فى القصة : ظاهرة التصوير تجعل من العمل القصصى أداة فعالة فى التأثير ص ( ١٦٩ ) ، أنواع التصوير فى القصة : ١ – تصوير المشاهد والمواقف ، وهو النوع الكثير الغالب ص ( ١٦٩ ) ، ٢ – تصوير العواطف والانفعالات ص ( ١٧٣ ) ، ٣ – تصوير الشخصيات ص ( ١٧٦ ) .
ـــ مقومات الصورة : ص ( ١٧٨ ) ، ١ – الوصف ص ( ١٧٨ ) ، ٢ – التشبيه ص ( ١٧٩ ) ، ٣ – التعبير الدال على الحركة ص ( ١٨١ ) .
ـــ المظهر الخطابى فى القصة : ص ( ١٨٢ ) ، المشافهة أكسبت القصة حيوية فى السرد وأنشأت علاقة بين المتحدث والسامعين ، بدت فى : ١ – استعمال ضمير المتكلم ، ٢ – الأسئلة والأجوبة فى المقدمة ص ( ١٨٣ ) ، ٣ – الأسئلة فى أثناء القصة ، ٤ – توجيه السؤال بطريق الخطاب ص ( ١٨٤ ) ، ٥ – مخاطبة المستمعين بغير سؤال ص ( ١٨٤ ) ، المشافهة نقطة قوة فى القصة النبوية ص ( ١٨٦ ) .
ـــ الحبكة فى القصة النبوية : ص ( ١٨٦ ) .
ـــ مظاهر الحبكة : التوقيت ص ( ١٨٧ ) – مبررات الحوادث

ص ( ١٩٠ ) ، أهمية الذاكرة فى الربط ، قانون الأسباب والنتائج ص ( ١٩٠ ) – وضع الشخصية فى مواقف جديدة ص ( ١٩٣ ) – إثارة الانفعالات ص ( ١٩٥ ) – الغموض والمفاجأة ص ( ١٩٧ ) – التدرج والانفراج : ١ – تدرج نحو التأزيم ، ثم تدرج نحو الانفراج : ص ( ١٩٩ ) ، ٢ – تدرج نحو التأزيم ، ثم يأتى الانفراج ص ( ٢٠١ ) ، ٣ – التدرج نحو الانفراج والوصول بالقصة إلى النهاية وهى تشعرنا فى الغالب بانحدار السياق وميله إلى التوقف ص ( ٢٠٣ ) .

— أهمية القدر فى حبكة القصة : القدر والمسلمون ، أهمية هذا العنصر ، ص ( ٢٠٤ ) .

— التشويق ، أهمية التشويق فى بناء الحبكة ص ( ٢٠٧ ) ، عوامل التشويق فى القصة : ١ – الغموض والإبهام ، ٢ – المفارقات المتناقضة ، ٣ – تحويل مجرى الأحداث ص ( ٢٠٨ ) ، ٤ – تصعيد المشكلات وظهور المفاجآت والخوارق ص ( ٢٠٩ ) .

— المشكلة : النصوص لا تخلو من مظهر ما للمشكلة ، وهى تبدو فى نوعين : ١ – نوع نادر لا يؤثر فى مجرى الأحداث ، ٢ – ونوع كثير يؤثر فى مجرى الأحداث ومن النوع الأول ( أ ) غرابة الأحداث ، (ب) الخروج عن المألوف فى الحدث نفسه ، ( جـ ) تكرار الحدث ص ( ٢١٠ ) – تعقيد الأحداث وتأزيم المواقف ص ( ٢١١ ) ، عقدة القصة قد تنشأ منذ البداية ص ( ٢١٤ ) ، وفى الغالب تنشأ فى مرحلة الوسط ص ( ٢١٥ ) ، أمثلة كثيرة ص ( ٢١٨ ) ، مشكلات حيوية ، بما تشمله من مواقف درامية : ١ مواجهة الخطر ، ص ( ٢٢١ ) ، ٢ – الخوف ، ٣ – التضحية ، ٤ – الانتقام ص ( ٢٢٢ ) ، ٥ – الجريمة ، هذه المواقف تؤدى إلى نوع من الصراع ص ( ٢٢٣ ) ، صراع ذاتى ص ( ٢٢٣ ) ، صراع بين قوتين ص ( ٢٢٥ ) .

— المناجاة :

المناجاة تأتى على النحو الذى تأتى فيه فى القرآن الكريم ص( ٢٢٦ ) .

## ( الفصل الثالث )

العناصر الفنية : ............................................ ( ٢٢٩ – ٣٢٩ )

يحتوى النص النبوى على العناصر الفنية من شخصية وحدث وحوار ، وكذلك عنصر الزمان والمكان ، هذه العناصر تتحقق فى صورة من التشابك والتداخل ، هذه العناصر تتفاوت حسب طبيعة كل قصة ص ( ٢٣١ ) ، عنصر الحدث والشخصية ص ( ٢٣٢ ) .

١ – الله جل جلاله فى القصة : القصة النبوية اشتملت على أفعال وأقوال صادرة عن الله تبارك وتعالى ، ص ( ٢٣٢ ) ، التصور الإغريقى للآلهة ص ( ٢٣٤ ) ، أسطورة بروميثيوس ص ( ٢٣٥ ) ، القصة النبوية تعطينا تصوراً ما عن علاقة الله بخلقه من حيث علاقته تبارك وتعالى ( أ ) بالكون ص ( ٢٣٦ ) ، (ب) بالبشر ص ( ٢٣٩ ) . ( جـ ) علاقته بالمخلوقات غير البشرية ص ( ٢٤٧ ) .

٢ – الراوى فى القصة ، علاقة الراوى بالمتلقى ص ( ٢٤٩ ) .

٣ – الشخصية ، دراسة الشخصية من حيث ذاتها ومن حيث تكوينها ص ( ٢٥١ ) ، ١ – من حيث ذاتها تتنوع إلى : ( أ ) شخصيات بشرية : ١ – أنبياء ص ( ٢٥٢ ) ، ٢ – رجال ونساء عاديون ص ( ٢٥٨ ) ، صورة للمرأة : ص ( ٢٦٩ ) ، ١ – حرصها على العفاف ، ٢ – تأثرها بالمظاهر ص ( ٢٧٠ ) ، ٣ – ليست ضعفاً دائما ص ( ٢٧٢ ) ، اختيار مواقف للشخصيات تتفق وأحوال المسلمين ص ( ٢٧٣ ) .

٣ – النوع الثالث الجماعات : والجماهير ص ( ٢٧٥ ) ، (ب) شخصيات غير بشرية : ١ – الملائكة ص ( ٢٧٧ ) ، ٢ – حيوانات وطيور وجمادات ص ( ٢٨١ ) ، ٣ – الجن ، ٤ – الشيطان ص ( ٢٨٣ ) ، ٥ – شخصيات معنوية ص ( ٢٨٣ ) .

٢ – الشخصية من حيث النمو والتسطح : ١ – أغلبها شخصيات مسطحة ص ( ٢٨٥ ) ، (ب) وأحياناً نجد صورة للشخصية النامية ص ( ٢٨٥ ) دور الشخصية ، ذات وظيفة فنية وموضوعية ص ( ٢٨٩ ) ، أدوار ثانوية وأدوار رئيسة ص ( ٢٩٤ ) ، الوظيفة الموضوعية ص ( ٢٩٥ ) .

ـ أبعاد الشخصية ص ( ٢٩٦ ) ، البعد الاجتماعى ص ( ٢٩٧ ) ، البعد الجسمى ص ( ٢٩٩ ) ، البعد النفسى ص ( ٣٠١ ) .

٤ - الحدث : الحدث روح القصة عناية القصة النبوية بالحدث ص ( ٣٠٢ ) ، البيئة العربية بيئة أحداث ص ( ٣٠٣ ) ، التأثير بالحدث ، وسائل التأثير : ١ - تصوير الحادثة بما يثير عوامل الرغبة أوالرهبة ص ( ٣٠٤ ) . ٢ - عرض الحوادث المثيرة ص ( ٣٠٦ ) . ٣ - التنقل السريع فى تسلسل الأحداث ص ( ٣٠٧ ) . ٤ - الحرص على ترابط الحدث من الداخل ص ( ٣٠٨ )، والأحداث أنواع : ١ - من قبيل القضاء والقدر ، ٢ - خوارق ومعجزات ص ( ٣٠٩ ) ، ٣ - أحداث غير مألوفة ، لا تحدث إلا نادراً ص ( ٣١١ ) ، ٤ - أحداث عادية مألوفة ص ( ٣١١ ) .

٥ - الحوار : الحوار عنصر هام ص ( ٣١٢ ) ، الحوار ينشر فى معظم القصة النبوية ص ( ٣١٣ ) طبيعة الحوار ، يبرز من خلال المواقف ص ( ٣١٤ ) ، الحوار قد يكون بين اثنين وقد يكون بين واحد وجماعة ص ( ٣١٧ ) ، وقد يكون جماعة وجماعة ص ( ٣١٧ ) ، وظائف الحوار : ١ - المساعدة فى رسم الشخصية ص ( ٣١٨ ) ، ٢ - تطوير الحدث ص ( ٣١٩ ) ، ٣ - تعميق الحديث ص ( ٣٢٠ ) ، ٤ - المساعدة على تصوير مواقف معينة ص ( ٣٢١ ) ، ٥ - التخفيف من رتابة السرد ، ٦ - كشف مغزى القصة ص ( ٣٢٣ ) ، ٧ - كما يضفى نوعاً من الواقعية ص ( ٣٢٤ ) .

٦ - الزمان و المكان : علاقة هذا العنصر بالحدث ص ( ٣٢٤ ) ، الزمن كوعاء للحدث ص ( ٣٢٥ ) ، والمكان وعاء للأحداث ص ( ٣٢٨ ) .

## ( الفصل الرابع )

أنواع القصة : ................................................................ ( ٣٣١ - ٣٧٢ )

١- القصة الواقعة للرسول ﷺ ، تجارب ذاتية وقعت للرسول ﷺ ص ( ٣٣٣ ) ، قصة المعراج وأثرها فى الأدب العربى والأجنبى ص ( ٣٣٧ ) ، رسالة الغفران ، ابن عربى ، الشاعر سنائى ، ص ( ٣٣٨ ) ، دانتى فى الكوميديا ص ( ٣٣٩ ) ، قصص وقعت فى المنام ص ( ٣٤٠ ) .

٢ - القصة التمثيلية ، تأتى لتوضيح قضايا كلية ، وحقائق ذهنية مجردة ص ( ٣٤٤ ) ، رأى البيومى ص ( ٣٥١ ).

٣ - القصة الغيبية : ص ( ٣٥٤ ) ، وهى عدة أنواع : ( أ ) القصة التاريخية ، العرض الأدبى ص ( ٣٥٥ ) . (ب) قصص المستقبل ، عن أحداث تقع فى نهاية الزمان ص ( ٣٦٠ ) . ( جـ ) قصص البعث واليوم الآخر ص ( ٣٦٢ ) . ( د ) قصص من عالم الغيب ، تتحدث عن أمور غيبية خاصة ، تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان ص ( ٣٦٨ ) .

## ( الفصل الخامس )

موضوعات القصة : ................................................................ ( ٣٧٣ - ٤٢٣ )

الموضوع والمضمون ، المضمون قائم فى كيان القصة ص ( ٣٧٥ ) . الموضوعات من النوع الذى يثير فى القارىء كثيراً من الإنفعالات ، والموضوع له أثر بارز فى طريقة الأداء القصصى ص ( ٣٧٦ ) ، العمق والغنى فى الموضوعات ، ص ( ٣٧٨ ) ، الموضوعات الرئيسة ١ - فى العقيدة ص ( ٣٧٩ ) ، ٢ - الرسول والنبوة ص ( ٣٨٥ ) ، ٣ - القيم الإسلامية ص ( ٣٨٨ ) ، ٤ - فى الإنسان ، نظرة واقعية ؛ حيث تصور الإنسان بما فيه من خير وشر ، وقوة وضعف ص ( ٤٠٣ ) ، ٥ - فى الحياة والموت ص ( ٤٠٧ ) ، ٦ - إرهاصات الساعة ص ( ٤١٠ ) ، ٧ - البعث والجزاء ص ( ٤١١ ) .

## ( الفصل السادس )

أغراض القصة : ........................................ ( ٤٢٥ – ٤٦٠ )

التزام القصة بالغرض الدينى ، آثار فنية نشأت من الالتزام بالغرض الدينى ص ( ٤٢٧ ) : ١ – الإلحاح على المادة القصصية الواحدة بتكرارها ص ( ٤٢٩ ) . ٢ – الاكتفاء فى عرض القصة بما يحقق الغرض الدينى المراد ص ( ٤٣١ ) . ٣ – بث التوجيهات الدينية فى سياق القصة ص ( ٤٣٣ ) .
أغراض القصة : القصة حققت أغراضاً دينية كثيرة ، وهى أغراض متداخلة ص ( ٤٣٥ ) : ١ – الغرض الأسمى وهو الدعوة الإسلامية ص ( ٤٣٦ ) .
٢ – أغراض أساسية أخرى تخدم الغرض الأسمى : ص ( ٤٤٢ ) .
( أ ) التربية عدة وسائل : ص ( ٤٤٢ ) . ١ – التعليم ص ( ٤٤٤ ) ، طرق التعليم فى القصة ص ( ٤٤٦ ) . ٢ – الترغيب والترهيب ص ( ٤٤٩ ) .
٣ – الموعظة ص ( ٤٥٣ ) . ٤ – التوبة ص ( ٤٥٥ ) . (ب) التسرية عن المسلمين ص ( ٤٥٨ ) .

## ( الفصل السابع )

المنهج الإسلامى فى فن القصة : ........................................ ( ٤٦١ – ٤٨١ )

الإسلامية كمنهج خاص ص ( ٤٦٣ ) .

- الالتزام بالهدف ص ( ٤٦٤ ) ، معنى الالتزام – الأديب المسلم يكتب فى كل الموضوعات ولكن من خلال وجهة نظر الإسلام ص ( ٤٦٥ ) .
- الواقعية الإسلامية : القصة النبوية كانت تعبر عن التصور الإسلامى ، التصور الإسلامى للواقع الإنسانى ، ص ( ٤٦٦ ) . الإنسان فى نظر الإسلام كائن فيه الخير والشر ص ( ٤٦٧ ) ، البطل الحقيق فى القصة التى تناولت الشخصية الإنسانية فى قصص الماضى هو الجانب الفذ فى حياة الإنسان ص ( ٤٧١ ) الواقعية الإسلامية تختلف عن الواقعية الأوربية ص ( ٤٧٦ ) ، الواقعية الأوربية قامت على أساس من حيوانية الإنسان وماديته ، التفسير الفرويدى للجنس وأثره فى الواقعية ص ( ٤٧٧ ) ،

الواقعية الطبيعية ، تأخذ الفرد فى لحظات ضعفه وهبوطه وتسلط عليه الأضواء فى تلك اللحظة ، وتعدها هى لحظة البطولة ص ( ٤٧٨ ) .

ـ الوسيلة النظيفة : ص ( ٤٧٨ ) أساليب النظافة فى القصة النبوية : ١ - استعمال الألفاظ والعبارات العفيفة ص ( ٤٧٨ )، ٢ - طريقة العرض فى عدم وصف المشاعر الجنسية ، ٣ - عدم الوقوف الطويل عند مواقف الهبوط ، ٤ - الوقوف الطويل عند لحظة السمو والارتفاع ص ( ٤٨٠ ) .

ـ دليل القصة إلى مصادرها ص ( ٤٨٣ - ٤٩٩ ) .

ـ تصنيف الدليل على أساس أنواع القصة : ١ - القصة الواقعة للرسول ﷺ : ( أ ) تجارب ذاتية : ص ( ٤٨٦ ) . (ب) تجارب غيبية : ص ( ٤٨٦ ) . ٢ - القصة التمثيلية : ص ( ٤٨٧ ) . ٣ - القصة التاريخية : ( أ ) رسل وأنبياء ص ( ٤٨٨ ) . (ب) غير الرسل والأنبياء من الماضين ص ( ٤٨٩ ) . ٤ - قصص المستقبل ص ( ٤٩٣ ) . ٥ - قصص البعث واليوم الآخر ص ( ٤٩٤ ) . ٦ - قصص عن أمور غيبة أخرى ص ( ٤٩٨ ) .

الخاتمة : .................................... ( ٥٠١ - ٥١٣ )

ـ أهمية نصوص القصة النبوية من الناحية الأدبية والحضارية ص ( ٥٠٣ ).

نتائج البحث الكلية ص ( ٥٠٤ ) . وبعد ص ( ٥١٣ ) .

ـ الفهارس : ص ( ٥١٥ ) .

* فهرس الآيات القرآنية ص ( ٥١٧ ) .
* فهرس القصص فى البحث ص ( ٥٣١ ) .
* المصادر والمراجع ص ( ٥٤٥ ) .
* فهرس تحليلى عام لموضوعات البحث وأفكاره الجزئية ص ( ٥٦١ ) .

ـ ملخص البحث بالانجليزية ص ( ٥٧٧ ) .

centrates in :
1 - Preaching the gospel . 2 - instruction . 3 - education . 4 -banishing care from the Moslems and alleviating the emotional pressure they were undergoing .

In the seventh chapter , the reseaecher studies the technical course of the story and endeavoursto perceive the Islamic conception , which directs these stories , in the content they carry and in the expression which reveals this countent . He notes that these stories are , apart from this , religious texts and consequently , there is a suitable opportunity to seek the outlook of Islam towards the narrative art , how , in the opinion of Islam , should be the course this art takes and the conception from which it proceeds . The researcher has dealt with this Islamism within three areas : 1 - commitment , 2 -the Islamic realism , 3 - the means of Islamic realism . He sees that these areas have special dimensions in relation to the narrative work , which may enrich the Islamic critical aspect to the critic and to the novelist in their dealing with the narrative experience from the Islamic angle .180

In the conclusion , the researcher records the results of his research and the scientific ends he has attained -

He has attached to the thesis a detailed index of the places of the story in its sources with which he has dealt during his research .

He follows this up with vatious indices :
1 - An index of the story in the research .
2 - An index of the Coranic verses .
3 - An index of the sources and references .
4 - An analytical index of the topics of the reseaech and its partial notions .

6 -the story about unseen things which occur in the reality hidden from man .

The fifth chapter treats of the topics of the prophetic story . The researcher notes that these topics are of the sort that excites in the reader man emotions and sentiments , due to the fact that the theme has so obvious an effect on the technique of the narrative performance that the subject is personified before the reader or hearer across some development and complication full of elements of interest and sensation , this in addition to profundity and exuberance in these topics . The researcher has been able to give a picture of the topics of the story in their general outlook , as he refers them to the main axes where all the notions in the stories meet . He refers them to the following notions : 1 - the Islamic values . 2 - in faith . 3 - in the prophet and prophecy . 4 - in man . 5 - in life and death - 6 - adumbrations of the hour of judgment . 7 -resurrection and requital .

in the sixth chapter the researcher sets forth the objectives of the story . He makes clear the fact that the prophetic story is , in the first place , a religious one . That is why it is , in all its types , fully bound by the religious aim . But this commitment did not keep it from being in lines with the technical order in exposition and constitution . This compliance has left specific maks in the way of presenting the story as well as in its subject matter . These are manifested by : 1 - persistence in exposing the narrative matter in vatious place - in more than one stories . 2 - countent , in the presentation of the story , with just what achirves the religious purpose . 3 - diffusung the religious instructions in the course of the story in more than one forms . The researcher then moves on to explain the main objectives . He states that they are not separate one from the other , that is , a story may serve more than one purposes at a time becauses these purposes are intermingled . He then speaks at length of the purposes of the story , which he con-

story to God , « Most Blessed ! Most High » in the form of a supplication or prayer .

He assigns the third chapter for the study of the narrative elements behinning with a short introduction , after which he speaks of God « Great be His Majesty » through the sayings and actions displayed on the scene of the story . He then speaks of the character with regard to the nature of its self : a -human characters : ( 1 ) prophets ( 2 ) ordinary men and women ( 3 ) groups and masses . b - non - human characters : ( 1 ) angels ( 2 ) animals , birds and inanimate things ( 3 )ginns ( 4 ) the devil ( 5 ) moral characters ( work -death ) . Then with regard to the nature of its constitution such as fixed characters and growing characters . He then deals with the technical function of the character through its main and minor roles , and the objective function as a receptacle for meanings on the one hand and with regard to the humer types it represents on the other , this with due observance of the dimensions of the character in its various aspects - social ; psucholohical and formal . He speaks of the event element explaining its importance , the ways it can be made effective in the story and its kinds . Then the dialogue element , its importance , its conspicuous spread in the prophetic story and its functions therein . The research includes the time and place elements in the story and the researcher notes that they are not object of direct interest in the story ; we do not sense them except within a limited extent through the allusions of the narrative display .

In the fourth chapter , the researcher studies the varioud types of the prophetic story - He shows that it appears in six types : 1 - The story of which the events happened to the apostle ( p . ) , 2 -the parabolical story ( i .e. propounded by the apostle to elucidate through it an abstract mental concept ) , 3 - the historical story , 4 - the story about the future , 5 - the story about resurrection and the day of judgment ,

rative . He notes that they are based on the style : where he deals with the words and phrases and thence the image of which three kinds come into view :
( 1 ) description ( 2 ) simile ( 3 ) the expression denoting motion . He reveals the oratorical manifestations in the style which are due , of course , to the verbal recital of the story . These manifestations are typified by :
( 1 ) the use of the first person pronoun ( 2 ) the questions and answers in the fore part ( 3 ) the questions and answers during the story ( 4 ) putting the question to the second persons ( 5 ) addressing the audience without a question . Moving on to the plot of the story he dwells on it from more than one angle : timing ( 2 ) justifications of events ( 3 ) putting the character in new situations ( 4 )exciting emotions ( 5 ) mystery and surprise ( 6 ) gradual advance and relief ( 7 ) the importance of predestination ( 8 ) execiting interest .

The research is now shifted to the problem in the story , which appears in two kinds : ( 1 ) a rare kind ( which no effect on the course of events ) ( 2 ) and a predominant kind which has a conspicuous effect in the complication of events and in beinging situations to critical turning points , so that the problem becomes a pivot which controls the motion of the story .

It often happens that the problem crops up in the story in the middle stage , hence this stage is full of elements of complication and entanglement . Here the reseaecher records his observation of the vitality of the problems of the story as they contain dramatic situations which he notices in : ( 1 ) facting danger ( 2 ) fear ( 3 ) saceifice ( 4 ) revenge ( 5 ) crimes situations which lead to a sort of self - conflict within the character's soul .

The researcher now comes to the surprise element in the texture of the story . He shows that it occurs in the same manner as it does in the Holy Coran where it occurs as a soliloquy addressed by the hero or some of the heroes in the

sets out the references which have proved of benefit to him in his research .

In the introduction , the researcher deals wich the narrative elements in the Arabic literature , shows that the Arabs knew and practised the narrative and displays the numerous proofs of this fact as manifested in the linguistic evidence , the Coranic evidence and the factual evidence which is the texts that existed actually in the literary life . He then states the effect of Islam in the literary field and explains how forceful a factor Islam was in reanimating the literary life .
Coming to the prose diversities of speech under Islam , he concentrates particularly on the narrative .

The first chapter treats of the general structure of the story to show that it is based on a general framework in which appear the beginning , the middle and the end . The researcher follows up the various kinds of beginnings in the story and their character - that there are direct beginnings and beginnings preceded by introductory premises . He moves on to the end to show that it was endowed with force and vitality . This characteristic is manifested by the fact that the end explaines and illuminates the events of the story , or carries the element of surprise or expresses the scene in a lively personifying picture . Sometimes the end comes embracting the soulution to the main problem of the story . The researcher then shows the optimistic ends that the story is keen to maintain besides the victory of the truth and the defeat of falsehood which the story sometimes records . Only in one type does the researcher note the cutting short of the event and the suspension of the story , where - upon the end remains unknown , content with the prophet's comment . He also notes the circular construction of the story .

In the second chapter , the researcher tackles the texture of the story , beginning with the unity of texture . He then talks about the constituents of texture of the prophetic nar-

**In the name of God , Most Gracious , Most Merciful .**

**Summary**

of the thesis

« **The Story in the Prophetic Hadith** »

Submitted by **Mohammad Ibn Hassan Azzeer** for obtaining the M . A . in Literature

The thesis comprises a foreword , an introduction , seven chapters , a conclusion , an annexure and infices .

In the foreword , the researcher points out the importance of the subject , manifested by the vitality of the study of the narrative element in the old Arab literature and by the entire newness of the subject .
He deals with the motives that have prompted him to study this subject . Some of these motives are objective , being related to the need of the narrative element for study , and some are subjective and scientific , having to do with the preliminary attempts which the researcher made during his service as demonstrator at the Faculty of Arabic in Riyadh.

He also indicates the method he has adopted in his research, namely to base this research on collecting all the texts from the sources he specifies, to study the narrative case through the texts, describing the framework and general structure of the story, analysing its elements and problems and seeling the truth, or the narrative element, from the reality of the text itself and within the framework of its old circumstances which represent one of the stages in the story development.

He then talks about and specifies the sources which he hes relied upon , points out the rarity of studies in this field and

دار المدني
للنشر والتوزيع - جدة
ص . ب : ١٨٤٨٥ ت : ٦٤٣٢٣٦٢